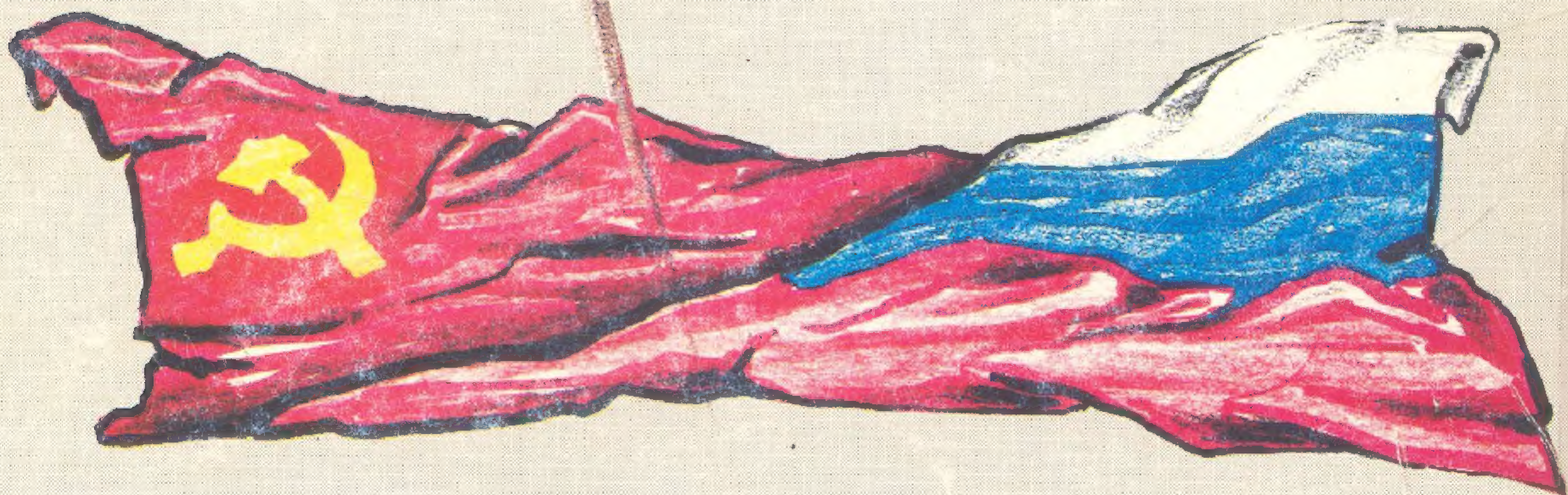
المهندس سعيد بينو



الشيشان

والاستعمار الروسي

١٨٥٩ - ١٩٩١





الشيشان

والاستعمار الروسي

١٨٥٩ - ١٩٩١



المهندس سعيد بينو

١٩٩٧

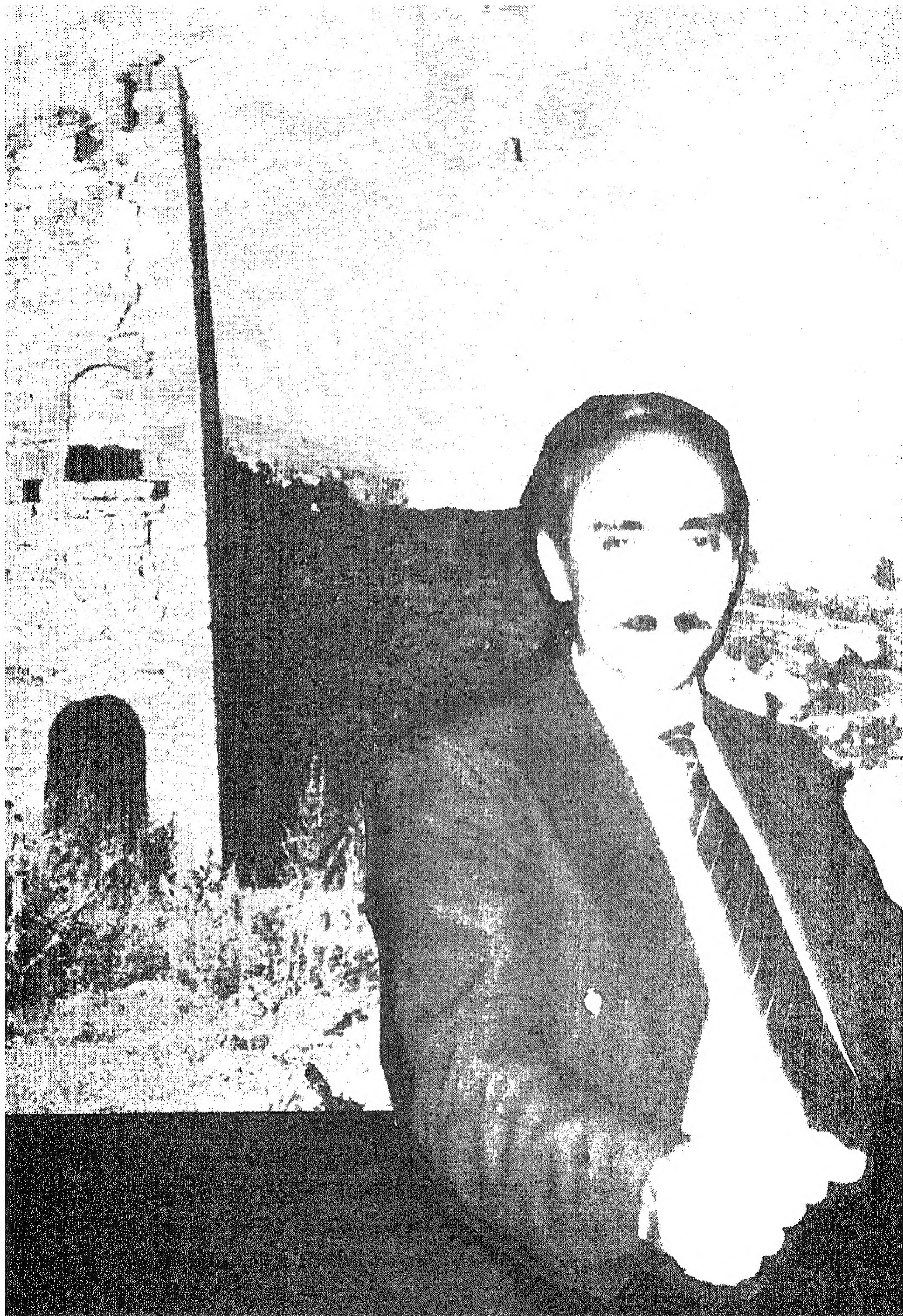
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (١٩٩٧/٣/٣٨٥)

رقم التصنيـــــف: ٩٤٧٫٧٩
المؤلف ومن هو في حكمه: سعيد بينو
عنـــوان الكتـــاب: الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ – ١٩٩١
الموضـــوع الرئيـــسي :١ – التاريخ والجغرافيا
٢ – روسيا – تاريخ – القوقاز والشيشان
رقـــم الايـــداع: (١٩٩٧/٣/٣٨٥)
بيـــانات النـــشر:
– تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

تمت الطباعة في

مطابع الصفوة

عمان ـ صويلح ـ تلفاكس ٨٣١٦٦٦ (٠٠٩٦٢٠٦)



صورة الرئيس الشهيد جوهر دوداييف

الإهـــــــداء

الى روح والدتي رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه

وشقيقي موسى...

وُلدت يتيم الأب، فتولّيا تربيتي

وكانا قدوة في الإيمان والتقوى، والعطاء والانتماء،

واحترام التقاليد والعادات الشيشانية .

شكر وتوضيح

أرى لزاماً عليّ ان أوضح بأن الاقتباسات الواردة في الكتاب باللغة الانجليزية هي من ترجمتي، أما الاقتباسات عن مراجع مترجمة الى اللغة العربية فقد أخذت كما وردت في هذه الترجمات. وقام الدكتور إياد اورشو بترجمة قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني التي صدرت بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٥ ، وبيان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية الصادر بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧ عن مجلس السوفيت الأعلى في جمهورية الشيشان – أنجوش ذات الحكم الذاتي من اللغة الروسية الى اللغة العربية، كما قام بترجمة بعض البحوث التى قُدّمت في المؤتمر الوطني.

ان خريطة الاتحاد السوفيتي السابق (صفحة ١٢٧) مصوّرة من كتاب (قراءة تحليلية في اتفاقية الدول المستقلة) تأليف د. غالي عودة.

وخريطة القوقاز في القرن الثامن عشر (صفحة ٥٦) مصورة من كتاب (احتلال الروس للقفقاس) تأليف جون بادلي وترجمة د. صادق ابراهيم عودة على نفقة واشراف د. طه سلطان مراد.

وخرائط القوقاز وتهجير الشعوب (صفحة ٦٦ و ٢٤٠) مصورة من كتاب (قتلة الأمم) تأليف روبرت كونكوست وترجمة د. صادق ابراهيم عودة، على نفقة واشراف د. طه سلطان مراد.

وصورة عمان عام ١٩٠٧ (صفحة ٨٠) مصورة عن اللوحة رقم (٣) من كتاب: (عمان بين الأمس واليوم) تأليف السيد أرسلان بكج

وأشير الى السيد ابراهيم حميد عالجي والسيد مروان العلان وجهودهما المميزة في إخراج وطباعة الكتاب.

فاليهم جميعاً والى كل من ساهم بتزويدي بمعلومات او صور او مستندات او اقتراحات خالص شكري وتقديري وامتناني.

ولا يفوتني ان أشيد بصبر زوجتي فريدة التي تتحمل (بقليل من الاحتجاج) الفوضى التي اتسبب بها ببعثرة المطبوعات والمخطوطات والأوراق في أركان منزلها بدون ترتيب.



استسلام الشيخ شامل – بدء الاستعمار الروسي في شيشانيا





مريد برتبة نائب والحاج غيزل أسد شركسيا

مقدمة

عندما توطدت السلطة في الامبراطورية الروسية القيصرية للشيوعيين، وتشكل الاتحاد السوفيتي، أحاطوه منذ عام ١٩٢٧ بما سمي «الستار الحديدي» الذي عزل الشعب السوفيتي وحجب عنه ما يجري في الخارج، كما حجب عن العالم الخارجي ما يجري داخل الاتحاد.

قام النظام الشيوعي بتصفية او النفي الى سيبيريا ومعسكرات الاعتقال والسخرة في آسيا الوسطى جميع أفراد القوات السوفيتية الذين كانوا وقعوا في أسر القوات النازية وعاشوا فترات الحرب في الغرب. وكانوا قد أعيدوا قسراً وبتعاون مع السلطات البريطانية والاميركية في ألمانيا وايطاليا الى الاتحاد السوفيتي بموجب اتفاقيات مؤتمر القمة الذي عُقد في مدينة يالطا في شبه جزيرة القرم عام ١٩٤٧، وحضرها ستالين وروزفلت وتشرشل. وكان الهدف من هذا الإجراء هو التعتيم على الشعب السوفيتي صورة مستويات المعيشة وحقوق الانسان التي وجدوها في الاقطار الغربية التي عاشوا فيها خلال فترة الحرب مقارنة بالبؤس الذي كان الشعب السوفيتي يعاني منه.

وقام النظام الشيوعي خلال عامي ١٩٤٣، ١٩٤٤ بنفي جماعي لعدة شعوب (معظمها اسلامية) ومنهم الشيشان والأنجوش من ديارهم التاريخية الى سيبيريا وآسيا

الوسطى، حيث هلك ما يزيد عن ٤٠٪ منهم نتيجة الجوع والبرد والامراض والتصفيات خلال فترة النفي.

بقيت أخبار وتفاصيل هذه الجرائم وغيرها محصورة في نطاق ضيق محدود. فالدول الغربية المتحالفة مع روسيا ضد المانيا النازية وحلفائها كانت حريصة على التعتيم الاعلامي حول سلبيات حليفتهم روسيا. وحول هذا يعلق الروسي الشهير الكاتب الكسندر سولجينيتسن (٦١):-

«من المستغرب في الغرب، الذي يتعذّر فيه إخفاء الأسرار السياسية، ويجري كشفها في المطبوعات، حرصت سلطات بريطانيا واميركا على التعتيم على هذه الجرائم. ويعتبر هذا التعتيم السرّ الأخير او احد اسرار الحرب العالمية الثانية. انني وقد عايشت هذه الفئات في معسكرات الاعتقال والسخرة، استغرب بأن شعوب الغرب لم تعرف شيئاً عن تعتيم حكوماتها لمدة تزيد عن ربع قرن حول المجازر والجرائم التي اقترفها النظام الشيوعي.»

اما في العالم العربي، فقد كانت الروابط التاريخية والثقافية والدينية مع الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفيتي قد انقطعت منذ عام ١٩٢٧. وكان العالم العربي قد تعرّض عند انتهاء الحرب العالمية الأولى الى خديعة تجزئة وانتداب واستعمار من قبل بريطانيا وفرنسا. وبعد الحرب العالمية الثانية خُلقت على أرض فلسطين دولة اسرائيل التي تبنتها وآزرتها اميركا ودول اوروبا الغربية. وحيث ان الاتحاد السوفيتي لم يكن طرفاً مشاركاً في هذه الاجراءات العدوانية، كانت الجماهير العربية تتقبل بدون تردد الدعاية السوفيتية المكثفة حول سياستها المزعومة بمساندة الشعوب المستعمرة على التحرر والاستقلال. وكانت الحكومات والحركات اليسارية العربية تردد شعارات «روسيا الصديق المخلص.. الحليف الأقرب.. الخ.» وفي الفترة الاخيرة ومنذ انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط صارت روسيا مع اميركا تعتبر راعية لمسيرة السلام ، وانحصرت العلاقات العربية مع السلطة الرسمية الروسية المتمثلة بالعنصر السلافي الروسي.

كان الملك الشهيد عبد الله بن الحسين رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، الزعيم العربي الذي أبدى اهتماماً بأمور مسلمي الاتحاد السوفيتي ومعاناتهم، ووافق عام ١٩٤٨ على الترحيب في الأردن بعدة مئات من لاجئي مسلمي الاتحاد السوفيتي الذين انقطعت بهم السبل في ألمانيا وايطاليا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كما وانه

سعى لدى الحكومة البريطانية لاثارة موضوع نفي الشيشان في هيئة الأمم المتحدة (ولم يكن الاردن حينذاك عضواً في الهيئة المذكورة). الا ان العالم العربي بوجه عام لم يولّ اهتماماً بقضايا وأوضاع مسلمي الاتحاد السوفيتي وطموحاتهم وتطلعاتهم في المستقبل.

أثار الصمود الشيشاني في وجه الاعتداء الروسي الأخير إعجاب العالم وزاد من اهتمامه بخلفية الأزمة وأسبابها. وآمل ان يسهم هذا الكتاب في كشف حقيقة ونوعية الحكم الروسي وسياسته الاستعمارية، وكيف رحبت شعوب الاتحاد السوفيتي بحلّ الاتحاد، ولماذا يرفض الشعب الشيشاني الانضمام الى الجمهورية الفدرالية الروسية ويعلنون انهم يرغبون بالتعايش مع روسيا (تعاون الأنداد) ولكن ليس في روسيا (تحت الاستعمار).

لا أهدف في هذا الكتاب الخوض في تاريخ الشيشان وأصولهم العرقية وحضارتهم وتراثهم، وحروبهم في الماضي ضد الاحتلال الأجنبي، وصمودهم الحالي أمام الغزو الروسي، إلا بالقدر الذي يساعد على توضيح موضوع عنوان الكتاب «الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩ - ١٩٩١ ». الجوانب الأخرى لا تقل اهمية وهي جديرة بالبحث والدراسة والتوثيق، وأرجو الله تعالى ان يعينني على الإسهام في هذا المجال، كما آمل ان يحقق هذا الكتاب الهدف من نشره.

فعليه نتوكل ومنه نطلب السداد والتوفيق.

المهندس سعيد بينو

ضويلح آذار ١٩٩٧



كوكبة من فرسان المريدين

الفصل الأول

تمهيد

« لقد قيل بأن باستطاعتنا أن ندرس في القوقاز مختلف مراحل تطور اللغات والتطور الاجتماعي، ففي أوديتها المعزولة التي يمكن تشبيهها بأنابيب مخبرية محكمة الإغلاق لعلوم البيولوجيا والبكتريولوجيا توجد نماذج من التطور الاجتماعي الخالي من أي تأثير خارجي. ففي بعض أوديتها توقف التطور عند المرحلة التي مرّت بها اوروبا قبل عدّة قرون. بل ان التطور في بعض هذه الوديان تراجع عدة مراحل».

جون ليمان – بروميثيوس والبلشفيك



الاردنيون يستنكرون العدوان الروسي الغاشم على شيشانيا عام ١٩٩١

تمهيد

كتب الجنرال فيليا منتوف في تقريره(١) إلى القيصر نيقولا الأول عام ١٨٣٢ :-

«يمكننا أن نشبه القوقاز بقلعة قوية. فهي منيعة بطبيعتها، محصنة بمختلف المنشآت الحربية الدفاعية، يدافع عنها رجال أشداء. إن القائد الذي يحاول أن يجتاح مثل هذا البلد المنيع بالقوة المباشرة مغامر ومتهور. ينبغي على القائد المحنك أن يتفهم ضرورة اللجوء إلى الحيل و الفنون العسكرية، وأن يقدم خطوط قواته خطوة ثم خطوة بعد أن يقوم بتحصين كل شبر من الأراضي التي يستولي عليها بالاستحكامات والخنادق الحربية.»

وتقول الكاتبة الإنكليزية أجنيس هيربرت في كتابها(٢) (ذكريات من القوقاز):-

«وليس في العالم بلد له ما للقوقاز من تأثير على النفس.... يولد عشرات الألوف من المشاعر المختلفة بتعدد جوانبها وميزاتها وغزارة ألوانها وخصوبة أرضها. فهنا ريف انكلترا الأخضر، وهناك هضاب اسكتلندا الحرجية بألوانها الخضراء والذهبية، وفي مواقع أخرى مروج وسهوب افريقيا الواسعة أو صحاريها الملتهبة حيث تتصاعد زوابع رملية وكأنها تمتد من الأرض باتجاه الشمس، بينما في الأفق القريب نشاهد القمم الشامخة المغطاة بالثلوج الدائمة تذكرنا بغموض وجبروت المناطق المتجمدة الشمالية.»

ويقول الكاتب الانكليزي فتزوري ماكلين في كتابه(٣) (القوقاز نهاية حدود

المعمورة):-

«أغلب الناس يفتنهم سحر المناطق الحدودية. والقوقاز بسلسلة جبالها الشامخة التي تشكل حاجزاً كبيراً من البحر الأسود إلى بحر قزوين وتفصل أوروبا عن آسيا والغرب عن الشرق والمسحية عن الإسلام، هي من أجمل المناطق الحدودية في العالم وأكثرها سحراً. فمنذ أقدم الأزمنة كانت القوقاز تشكل منطقة رومانسية خيالية. فبالنسبة لبعضهم كانت سلسلة جبال القوقاز بمثابة حدود المعمورة... ما وراءه خيال وغموض. فإلى هذه أبحر جيسون مع الأرغنوت بحثاً عن الجلود ذات الصوف الذهبي. وعندما تطلعوا ذات يوم وشاهدوا قمماً ثلجية بيضاء وكأنها معلقة بين البحر والسماء وتتألق فوق منسوب السحب عرفوا أنهم وصلوا إلى القوقاز... أعلى الجبال وأبعد أنهر الشرق ونهاية المعمورة كلها.

« فهنا في بلاد الكولخيين مارست ميديا سحرها، وعلى قمة جبل كازبك قام الاله زيوس بتقييد بروميثوس (واسمه حرموت في الأسطورة الشيشانية- المؤلف) بالسلاسل الحديدية وأرسل النسور الكاسرة تنقر عينيه وتنهش قلبه عقاباً له على جرأته وقيامه بسرقة شعلة نار من السماء لخدمة البشرية. وهنا وحوش مرعبة ذات عين واحدة تحرس الكنوز الذهبية وتتقاتل فيما بينها. وهنا عاشت نساء الامازون الشرسات اللواتي كرهن الرجال. والساحر في قصص ألف ليلة وليلة يهدد بأنه سينقل مدينة خصمه إلى ما وراء جبال القاف ويحول أهلها إلى حجارة.»

ويخبرنا السيرجون ماندفيل:-

«توجد في مكان ما بين جبال جورجيا منطقة يكتنفها ظلام حالك بسبب الضباب الكثيف، ويتعذر على الإنسان أن يرى فيها شيئاً ولا يجرؤ على التوغل فيها. إلا أن المواطنين المجاورين لتلك المنطقة يدعون بأنهم كثيراً ما يسمعون منها صوت إنسان أو صهيل حصان أو صياح ديك، وهم واثقون بأنه يعيش في تلك المنطقة قوم يجهلون عنهم كل شيء.»

ويقول جون ليمان في كتابه(٤) (بروميثوس والبلشفيك):-

«لقد قيل بأن باستطاعتنا أن ندرس في القوقاز مختلف مراحل تطور اللغات والتطور الاجتماعي. ففي أوديتها المعزولة التي يمكن تشبيهها بأنابيب مخبرية محكمة الاغلاق لعلوم البيولوجيا والبكترولوجيا توجد نماذج من التطور الاجتماعي الخالي من أي تأثير خارجي. ففي بعض أوديتها المنعزلة توقف التطور عند المرحلة التي مرت بها أوروبا قبل

عدة قرون. بل أن التطور في بعض هذه الوديان تراجع عدة مراحل.»

يقول الأميركي الكسندر غريغولا في الأطروحة التي أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا تحت عنوان (العدالة والعادات في القوقاز... سكان المناطق الجبلية في جورجيا):—

«منذ القدم أثارت القوقاز اهتمام الشعوب. فبالنسبة للمصريين كانت حدود المعمورة. وبالنسبة لليونان كانت أرض العجائب والرخاء، غنية بخصوبة تربتها وتوفر الثروات المعدنية فيها، مدنا مزهرة ببساتين الفاكهة ودوالي العنب تتسلق على وتتدلى من الأشجار والجدران والمصاطب. مياه الأنهار والسيول تحمل ذرات من تبر الذهب فيلجأ المواطنون إلى غمس جلود الغنم في مياه السيول الجبلية ويجمعون ذرات تبر الذهب التي تعلق بها. وكانت القوقاز بالنسبة للإغريق أرض الصوف الذهبي ومسرح أساطيرهم الجميلة المشهورة. فاسطورة الأرغنوت ومغامرات ابطال الإغريق تدور حول بحثهم عن الصوف الذهبي في أرض الكولخيين القديم الذي يشكل الجزء الغربي من جمهورية جورجيا اليوم. كما وأن اسطورة بروميثوس تسرد بأنه مقيد على قمة عالية من جبال القوقاز. واخيلوس خلد في الشعر العالمي مكانة لجبال القوقاز المكسوة بالثلوج ومجد القوقاز وذكر بأنها الأرض التي يقبع فيها مقيداً وسجيناً بروميثوس الذي سرق شعلة نار من السماء وجلبها للأرض منفعة للبشرية.

«وسفينة نوح رست على قمة جبل ارارات الواقعة في الطرف الجنوبي من القوقاز. واعتبر علماء الأصول العرقية القوقاز مهد الإنسان، بينما اعتبرها آخرون ملجأ ومخبأ لأقوام عديدة. ويصف الكتاب القدماء والمعاصرون القوقاز بأرض الشعوب واللغات والجنسيات العرقية المتعددة. فبالنسبة للمؤرخين العرب كانت (جبل الألسن). وذكر المؤرخ شيرابو بأنه كان يتردد على سوق مدينة ديو سكورياس شعوب يتكلمون لغات مختلفة كثيرة مما كان يستدعي الاستعانة بالعشرات من المترجمين في المفاوضات وعقد الصفقات التجارية.»

ويقول اسعد بك في كتابه(٥) (اثنى عشر سراً قوقازياً):—

«عبر عدة آلاف من السنين، كانت القوقاز هذا السور الضخم العظيم الذي يفصل آسيا عن أوروبا مهداً لأكثر الشعوب أثارة، وأكثر العادات مخاطرة، وأكثر الممارسات غرابة، فتاريخها العجيب الذي يمتد من بروميثوس إلى ستالين كصندوق عجائب من التاريخ العالمي لمظاهر وعادات عفا عليها الزمن ولم تعد موجودة.»

منذ أيام اخيلوس وهيرودتس.. كان إسم القوقاز يطلق على السلسلة الجبلية الشامخة الممتدة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي عبر البرزخ الواقع بين البحر الأسود وبحر قزوين والأراضي الواقعة على جانبي هذه السلسة. أما اليوم فإن اسم القوقاز يطلق على جميع المناطق الواقعة بين البحر الأسود في الغرب وبحر قزوين في الشرق، وتركيا وإيران في الجنوب، ونهري الرون والفولغا في الشمال. وكانت القوقاز بهذا الموقع الجغرافي بمثابة جسر بين آسيا وأوروبا، تمر عبر الممرات القليلة الضيقة الوعرة في جبالها تجارة الشرق الأقصى إلى الشرق الأوسط (كالطريق الحريري) وتجارة الهند وفارس إلى أوروبا وبالعكس. وكذلك كانت القوقاز منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر مطمح الدول الكبيرة المسيطرة. وقد حكم الجزء الجنوبي منها اليونان ثم الرومان وثم العرب، ومن بعدهم تداول الحكم في أجزاء منها المغول والفرس والترك إلى أن تمكن الروس من السيطرة واحتلال جميع أنحاء القوقاز عام ١٨٦٤. ولقد مد أشهر قادة العالم مثل الاسكندر وبومبي وجنكيزخان وبطرس الأكبر ولينين وخليفته السفاح ستالين أيديهم إلى هذه المنطقة الاستراتيجية الحيوية وهم يمنون أنفسهم بأنهم بعد التمكن من السيطرة على القوقاز سيتسنى لهم مد سيطرتهم ونفوذهم إلى مختلف المناطق المجاورة.

ولم يكن اهتمام هذه القوى بالقوقاز محصوراً بسحرها وغموضها وجمالها وطرق التجارة المارة بها، يقول ديفيد توتاييف في كتابه(٦) (القوقاز السوفيتية):—

«لقد غذت ثروات القوقاز جشع الرومان، فانتشرت على سواحل البحر الأسود الواقعة ضمن جمهورية جورجيا الحالية مستوطنات سكانية ومراكز ثقافية يونانية ورومانية، وأنشأوا فيها المسارح والمعابد والحمامات. إلا أن جبلي القوقاز المحبين للحرية كانوا (بالرغم من أن تروجان استطاع أن يثبت حكمه عام ١١٤ ميلادية في بعض أنحاء القوقاز) يسخرون من أوامر قياصرة روسيا ويرفضون أن يقيدوا بالسلاسل من قبل حكامها.»

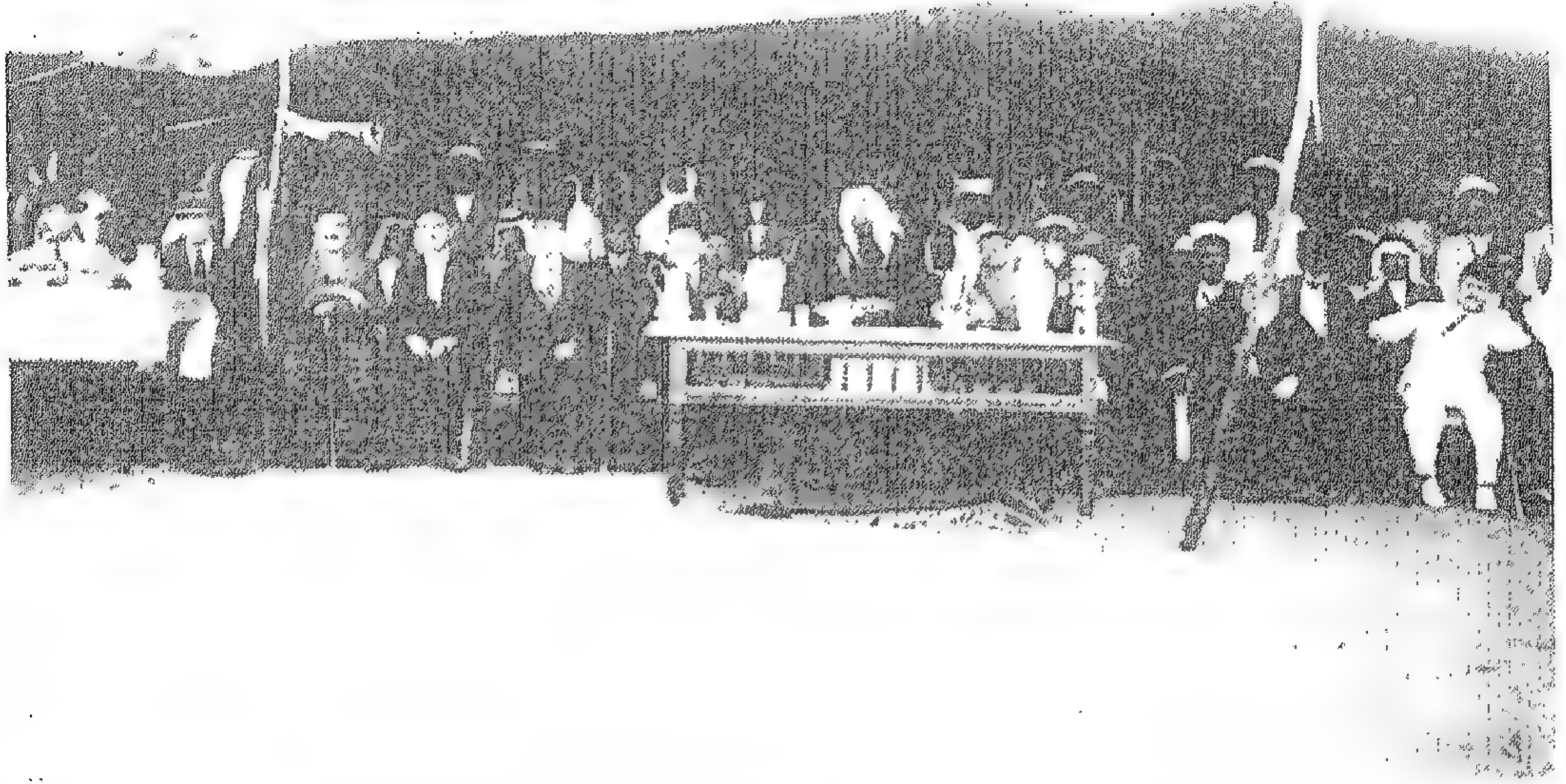
فالقوقاز غنية من عدة وجوه... أراضيها الخصبة، ومياهها الغزيرة، وطقسها المناسب، ومصحاتها الشهيرة، ومناطق الصيد ومرابع السياحة، وسفوح التزلج على الثلج، وآبار البترول والغاز، ومناجم المعادن والخامات المختلفة، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية. فمثلاً لغاية عام ١٩٥٠ كانت القوقاز المصدر الوحيد للبترول في الاتحاد السوفيتي مما جعل احتلالها هدفاً رئيسياً للاستراتيجية العسكرية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية، فعبأت روسيا وحلفاؤها كل امكانياتهم للحيلولة دون ذلك. وحتى اليوم يمثل انتاج القوقاز ٩٤٪ من مجموع انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي السابق.

الفصل الثاني

نبذة عن جغرافية القوقاز

ان طبيعة القوقاز، بجبالها الشاهقة ووديانها العميقة وممراتها الضيقة وشعوبها وقبائلها العديدة، التي تختلف عن بعضها من ناحية أصولها العرقية واللغوية ومعتقداتها الدينية وتقاليدها وعاداتها، استدعت تقسيم القوقاز الى مقاطعات إدارية منفصلة في مختلف العصور، عندما كانت تحكمها سلطات وطنية، او عندما كانت أقسام منها تحت حكم اليونان والرومان والعرب والتتار والفرس والأتراك وأخيراً بعد الاحتلال الروسي.

المؤلف





الملك الشهيد مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية يفتتح عام ١٩٣٢ النادي القوقازي أقدم نادي في الأردن ، وحفيدته الأميرة عالية المعظمة ترعى حفلة تخريج الطلبة من مدرسة الأمير حمزة. (المدرسة تقدم مساقاً في اللغة الشركسية)

نبذة عن جغرافية القوقاز

تنقسم القوقاز طبيعياً إلى ثلاث أقسام رئيسية:-

أ) الأراضي الواقعة شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى.

ب) منطقة هضبة جبال القوقاز الكبرى.

ج) الأراضي الواقعة جنوب هضبة جبال القوقاز الكبرى.

الأراضي الواقعة شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى

تشكل الأراضي الواقعة شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى جزءاً من سهول شرق أوروبا التي تمتد شرقاً عبر نهر الفولغا إلى آسيا الوسطى وسيبيريا.

فالسهول الغربية من هذه الأراضي ذو تربة سوداء خصبة وأمطار غزيرة وهي عبارة عن حقول واسعة وتعتبر من مناطق انتاج الحنطة والذرة وعباد الشمس. وتقطع هذه السهول أودية نهر كوبان وفروعها وأنهر أخرى تتغذى من مياه الثلوج التي تغطي هضبة الجبال. وهذه الأودية مغطاة ببعض الغابات وأشجار الفواكة المتنوعة. ويشكل نهر كوبان عند مصبه منطقة مستنقعات تتخللها أقنية وبحيرات تكثر فيها الطيور البرية المختلفة (وخاصة البط) وكذلك بعض الحيوانات البرية مثل الغزلان والبدن. وتزرع معظم الأقسام الساحلية الواطئة من هذه السهول بالقطن والأرز والحبوب، بينما تنتشر في أودية

نهر كوبان وروافده كروم العنب وبساتين التفاح والمشمش والأجاص وحقول التبغ.

وأهم المعادن المتوفرة في هذه السهول البترول في منطقة مايكوب... ويمتد خط أنبوب نفط من كراسنودار إلى أرمافير حيث يلتقي بخط أنابيب البترول الممتد من ماخاتش غالا على بحر قزوين إلى روستوف فاوكرانيا. كما توجد مصافي للنفط في كراسنودار وفي ميناء توابسي على البحر الأسود. وهناك ثلاث مراكز لتوليد الطاقة الكهربائية تعمل على وقود البترول. ويوجد في هذه المنطقة الغاز الطبيعي الذي ينقل بواسطة خط أنابيب يمتد من مدينة ستافروبول إلى موسكو وفولغا غراد (لينيغراد سابقاً) ومناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي السابق. ويتواجد الفحم الحجري شمال مدينة روستوف، وخامات الحديد والفولاذ بالقرب من مدينة تاغانروغ حيث تتواجد مصانع عديدة لصناعة المكائن والآلات الحديدية والفولاذية.

تقع مدينة روستوف المركز الإداري لهذه المناطق على مفترق طرق للسيارات والسكك الحديدية. وهي من أهم مراكز صناعة الآلات الزراعية. كما أن مدينة ارمافير مشهورة بصناعة المكائن الزراعية ومصانع نسج القطن. وأما ميناء نوفورسسك على شاطئ البحر الأسود فإنه مجهز بأحدث الآلات الرافعة، وهو مركز رئيسي لتصدير الحنطة ومن أهم مراكز صناعة الإسمنت في الاتحاد السوفيتي السابق. ويشتهر أيضاً بكروم العنب التي تصنع منها أجود أنواع النبيذ.

وأما السهول الشرقية من الأراضي الواقعة شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى فإنها تشكل امتداداً للسهول الغربية ويمر منها نهر كوما ونهر ترك وروافدهما التي تنبع من جبال القوقاز الوسطى ويصب النهران في بحر قزوين. وتقل كثافة الزراعة كلما اتجهنا نحو الشرق حيث تتحول هذه السهول إلى مراعي خصراء يانعة في الربيع وصفراء جافة في الصيف. وتتخلل السهول الشرقية هذه بعض البحيرات المالحة الصغيرة.

منطقة هضبة جبال القوقاز الكبرى

وهي منطقة سلسلة الجبال الكبرى ومنحدراتها الشمالية وتمتد هذه السلسلة من شبه جزيرة تامان الواقعة فيما بين بحر آزوف والبحر الأسود في الشمال الغربي إلى شبه جزيرة ابشيرون بقرب مدينة باكو على بحر قزوين في الجنوب الشرقي. وطول السلسلة حوالي (١١٠٠) كيلومتر، ويشكل الجزء الأوسط بطول (٦٥٠) كيلومتر تقريباً القسم الأكثر ارتفاعاً. وينحدر جزء منه بطول (٢٥٠) كيلو متر تقريباً باتجاه الجنوب الشرقي

إلى مدينة باكو على بحر قزوين بينما ينحدر جزء آخر منه بطول (٢٠٠) كيلومتر تقريباً باتجاه الشمال الغربي إلى مناء نوفورسسك على البحر الأسود. ويتفاوت عرض هذه المنطقة فيما بين (١٠٠–٢٠٠)كيلومتر ومساحتها حوالي (١٥٠٠٠٠) كيلومتر مربع. وتتواجد في الجزء الأوسط من هذه السلسلة أعلى قمم أوروبا والعديد منها أكثر ارتفاعاً من أعلى قمم جبال سويسرا. وهناك (٤٠) قمة يزيد ارتفاعها عن (٤٠٠٠) متر عن سطح البحر وتسع منها يزيد ارتفاعها عن (٥٠٠٠) متر عن سطح البحر.

يقول جون بادلي في كتابه الاحتلال الروسي للقوقاز(١):–

«لم ينحصر تأثير هذه الجبال في الطباع البارزة لسكانها فحسب بل امتد إلى وجودهم أيضاً. ويمكننا أن نقول بأن هذه الجبال كونت رجالاً عظاماً قاموا بدورهم بالدفاع عنها بشجاعة وقدرة عجيبتين. كانت هذه الجبال الشامخة والوديان العميقة والغابات الكثيفة تجمع الضدين. فمن ناحية كانت عقبة طبيعية تحول دون تقدم الغزاة بسهولة، إلا أنها من ناحية أخرى كانت تعزل القبائل المختلفة عن بعضها وتعيق اتحادهم ضد الغزاة، فسقطت هذه القبائل أمام قوة روسيا الجبارة الواحدة بعد الأخرى. وجزأ هذا التقسيم الطبيعي نضال الشعوب القوقازية ضد الغزو الروسي إلى ثلاث مجموعات. ففي الغرب حيث تنحدر المنطقة من جبل البرز إلى منسوب البحر الأسود كانت القبائل الشركسية منذ أوائل القرن الثامن عشر وحتى عام ١٨٦٤ ميلادية تقاوم بضراوة الغزاة القادمين من الشمال. وفي الشرق فإن الشيشان في غاباتهم الكثيفة وقبائل الداغستان في جبالهم العالية الجرداء قاوموا طيلة هذه الفترة بكفاح أشد وصراع أعنف تخللتها انتصارات أكثر وأكبر. وأما في الوسط حيث تتواجد أعلى الجبال ولا توجد فيها إلا ممرات قليلة فإن المقاومة التي واجهت الروس كانت ضعيفة. فهنا كانت قبائل الاوستين والقبرطاي والتتار التي كانت تقطن غربي طريق جورجيا الحربي وبعض القبائل التي كانت تقطن شرقية تقوم بأعمال السلب والنهب وتثور بين فترة وأخرى إلا أنها كانت قد تقبلت الحكم الروسي بشكل عام وقلما تسببت لروسيا بمتاعب ومشاكل ذي بال. وهكذا فقد كانت هناك فجوة واسعة بين منطقتي الكفاح في الشرق وفي الغرب. وعبر هذه الفجوة التي يمر منها طريق جورجيا الحربي كان يتم تموين القوات الروسية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. وقد حاول الشيخ شامل عام ١٨٤٦ بدون نجاح إزالة هذه الفجوة وربط منطقتي الكفاح. وكان لخضوع هذه الفجوة للروس بدون مقاومة تذكر أثر كبير على سير عمليات الاحتلال الروسي للقوقاز.»

إن الجزء الواقع في هذه السلسلة فيما بين جبل البروز الذي يرتفع عن سطح البحر (٥٦٣٣) متراً ويبعد عن ميناء نوفورسسك حوالي (٢٢٠) كيلومتر، وبين جبل كازبك الذي يرتفع عن سطح البحر (٥٠٤٧) متراً والواقع بقرب منتصف هذه السلسلة هو عبارة عن خط متواصل غير منقطع من القمم الشاهقة التي تغطيها الثلوج. وتحت منسوب الغطاء الثلجي والأنهر الجليدية وبطول (٥٠٠) كيلومتر تقريباً تتواجد سفوح الجبال المغطاة بغابات كثيفة من أشجار الصنوبر وغيرها. وتتوفر في الأودية الواقعة في هذه المنطقة مراعي جيدة.

وعندما تقترب من المنحدرات الشمالية الوسطى من هذه المنطقة تنتهي سهول القوقاز الشمالية وتبدأ منطقة تختلف طبيعتها من بقعة إلى أخرى، تتوفر في أوديتها كروم العنب وحدائق الفاكهة والمراعي الجيدة، كما تزرع فيها الحنطة والذرة وعباد الشمس والقطن. وتتواجد في هذه المنطقة شمال مدينة نالتشك عاصمة جمهورية القبرطاي-بلقر أشهر الينابيع المعدنية في الاتحاد السوفيتي السابق مثل ينابيع كسلوفودر وبياتيغورسك وايسنتوكي. وكانت لبياتيغورسك شهرة واسعة في كل أوروبا بصفتها واحدة من أفضل المنتجعات العالمية، ولها شهرة أدبية أيضاً حيث قضى فيها الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف (الملقب بشاعر القوقاز) فترة من حياته كتب أثنائها أشهر رواياته وقصائده يتغنى بجمال القوقاز وكفاح شعبها. وتوجد في هذه المنطقة مجموعة من تلال تكونت نتيجة نشاطات بركانية لا تزال آثار بعضها مثل بركان البروز واضحة. وتنبع من أعماق بعيدة في باطن الأرض ينابيع المياة الحارة المشهورة بفوائدها الصحية. وقد أقيمت عند هذه الينابيع التي يزيد عددها عن الخمسين والتي تقع في مناطق تمتاز بطقس دافئ جميل منتزهات للنقاهة ومصحات للاستشفاء يؤمها مئات الألوف من مختلف مناطق الاتحاد السوفيتي السابق.

وفي الجنوب الشرقي من مدينة بياتيغورسك تقع منطقة غروزني عاصمة جمهورية الشيشان المستقلة. وكانت هذه المدينة لغاية عام ١٩٥٠ ثاني مناطق الاتحاد السوفيتي السابق (بعد باكو) في انتاج النفط. وفيها مصافي نفط كبيرة تصل طاقتها إلى (٢٢) مليون طن في السنة. ويربطها خط أنابيب بمصافي مدينة ماخاتش غالا على شاطئ بحر قزوين وخط آخر يربطها بمدن ارمافير وميناء توابسي ومدينة روستوف وثم اوكرانيا كما يمر في غروزني طريق السيارات وسكة الحديد الممتد من باكو إلى موسكو.

ويوجد في هذه المنطقة أيضاً مدينة ولادي قفقاسيا (وكان اسمها قد بدل في العهد

السوفيتي إلى أوزجونيكيدز إلا أن التسمية القديمة أعيدت مؤخراً) عاصمة جمهورية اوسيتيا الشمالية وتشتهر هذه المدينة بصناعات عديدة وبمحطة كبيرة لتوليد الطاقة الكهرومائية.

وأما المنطقة المحيطة بمدينة نالتشك عاصمة جمهورية القبرطاي- بلقر فإنها مشهورة بزراعة القمح وصناعات الأطعمة والخشبية ومواد البناء، وبمناجم الحديد والذهب والانتيمون وكذلك بمصحاتها المشهورة.

والقسم الشرقي من هضبة القوقاز هي المنطقة المعروفة داغستان. وهي كتلة من السلاسل الجبلية الوعرة التي تتخللها أودية عميقة. وكانت هذه الجبال والأودية في الماضي تعزل أجزاءها عن بعضها وعن العالم الخارجي، وكان يتعذر استعمال العربات ذات العجلات في هذه المناطق الوعرة فاعتمدوا على النقل بواسطة الحيوانات. ونتج عن وعورة هذه المنطقة تعدد قبائلها من حيث أصولها العرقية ولغاتها حتى أن المؤرخ العربي العزيزي اقترح تسمية هذه المنطقة بجبل الألسن بدلاً من داغستان (أرض الجبال).

ويزرع في أودية هذه المنطقة القطن والفاصوليا والعنب وبعض أنواع الفاكهة والخضروات. وترعى الماشية على رؤس الجبال صيفاً والمنحدرات شتاء. وقد أنشئت في هذه المنطقة العديد من الصناعات وتعتبر مدينة ماخاتش غالا عاصمة جمهورية داغستان ميناء ومركزاً صناعياً مهماً. ويستعمل الغاز الطبيعي في صناعة الزجاج في مدينة دربند (باب الأبواب كما سماها المؤرخون العرب). كما استخرج عام ١٩٣٦ البترول قرب مدينة ازرباش. أما سواحل بحر قزوين فهي من أشهر مناطق صيد الأسماك في الاتحاد السوفيتي السابق، وخاصة النوع الذي يستخرج منه الكافيار.

الأراضي الواقعة جنوب هضبة جبال القوقاز الكبرى

تشمل هذه المناطق المنحدرات الجنوبية لهضبة جبال القوقاز الكبرى، كما تشمل منطقة هضبة القوقاز الصغرى في الجنوب والواقعة في جمهوريات جورجيا وأرمينيا وأذربيجان. وأطلق على هذه المنطقة إسم ترانس قوقازيا... أي الأراضي الواقعة عبر جبال القوقاز.

إن سلسلة جبال سورام التي تربط هضبة جبال القوقاز الكبرى مع هضبة جبال القوقاز الصغرى تقسم منحدرات ترانس قوقازيا إلى قسمين... ترانس قوقازيا الغربية وترانس قوقازيا الشرقية. وتقع هذه المنحدرات على نفس خط الطول المار من جنوب

ايطاليا وتحميها الجبال العالية من الرياح الشمالية الباردة، ولذلك فإنها تمتاز بطقس دافئ جميل على وجه العموم. وتهب على أراضي ترانس قوقازيا الغربية التي تنحدر نحو البحر الأسود رياح رطبة مشبعة بالأمطار، بينما تهب على أراضي ترانس قوقازيا الشرقية رياح شرقية جافة من آسيا الوسطى. ويربط خط حديد ترانس قوقازيا الذي يمتد من ميناء باكو على بحر قزوين إلى ميناء باطوم على البحر الأسود هذين القسمين. وبموازاة الخط المذكر خطين من أنابيب النفط لغايات تصدير كميات من النفط المستخرج من منطقة باكو عبر ميناء باطوم.

وتتواجد في منطقة منحدرات ترانس قوقازيا حيوانات برية متنوعة مثل النمر والفهد والثور الهندي والدب والذئب والثعلب والقط البري والغزال والماعز البري والوعل.

وتشكل منطقة شواطئ البحر الأسود من ترانس قوقازيا الغربية وأودية الأنهر التي تصب فيها مثل نهر ريون حديقة طبيعية كبيرة غناء تنمو فيها مختلف نباتات وأشجار أوروبا الغربية وحوض البحر الأبيض المتوسط مثل الزان والبندق والكستناء والدردار والريحان وغيرها. وهي المنطقة التي وصفت في الأساطير الاغريقية بأرض الصوف الذهبي. وتتمتع هذه المنطقة التي تقع فيها جمهورية ابخازيا وجمهورية ادجاريا بالشمس المشرقة والطقس الدافئ في فصل الشتاء، وأما في الصيف فإن طقسها حار وتهب عليها رياح رطبة تتخللها زخات من المطر، وتنمو على طول الساحل المتعرج الجميل أشجار النخيل وتكثر فيها بساتين التفاح والمشمش والخوخ والحمضيات وكروم العنب. وفي السهل الساحلي وعلى سفوح التلال التي تطل على هذا السهل والأودية التي تخترقها توجد مزارع الشاي ويقدر انتاج هذه المنطقة حوالي ٩٤٪ من كامل انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي السابق. وخلف هذا السهل توجد سلسلة جبلية منخفضة مغطاة بأشجار دائم الخضرة. وخلف هذه السلسلة الجبلية المنخفضة تقع الجبال الشامخة المغطاة بالثلوج ومن ورائها الأفق الأزرق.

إن هذا الجمع الفريد للشمس والمطر، وللخضرة والثلج، وللسهل والجبل، بالإضافة إلى ينابيع المياه المعدنية الصحية على طول ساحل البحر الأسود الزمردي الجميل جعل من هذه المنطقة أهم مركز للاستشفاء والنقاهة والسياحة في الاتحاد السوفيتي السابق. وأهم مدن هذه المنطقة سوخوم المشهورة بمصحات الأمراض الصدرية، ومينائي بوتي وباطوم المشهورين بشحن البترول، ومدينة كويتاس العاصمة القديمة لهذه المنطقة والمشهورة بآثارها القديمة ونسج الحرير. كما تتواجد في هذه المنطقة مناجم الفحم والمنغنيز

والنحاس.

وأما ترانس قوقازيا الشرقية فإنها تتألف من جورجيا الشرقية وجمهورية أرمينيا وجمهورية أذربيجان. ومناخ هذه المنطقة قاري لأن سلسلة جبال سورام تحجز عنها الرياح الدافئة الرطبة التي تهب من البحر الأسود. ولذا فإن شتاءها أكثر جفافاً وبرودة وصيفها حار خالي من الأمطار. وسهول هذا المنطقة عبارة عن سفوح قاحلة خالية إلا من بعض الأعشاب الشوكية التي تكثر في آسيا الوسطى وتتخلل المنحدرات الواقعة بين وادي نهر كورا السفلي ووادي نهر آراس مناطق خالية من النباتات وفي فصل الصيف تكون شبيهة لصحاري حقيقية.

وأما سفوح الجبال في الشمال وفي الجنوب فإنها ألطف طقساً وأغزر مطراً، توجد فيها أودية خصبة تصب سيولها في نهري كورا واراس ويزرع فيها العنب والتبغ والقطن. وكانت جمهورية أذربيجان تعتبر ثاني مناطق الاتحاد السوفيتي السابق (بعد آسيا الوسطى) في زراعة القطن. وأما المساحات التي لا تروي من مياه الوديان فتربى فيها الماشية. وتسقط في المناطق الجبيلية كميات من المطر تكفي لزراعة الشعير.

وبسبب التوسع في مشاريع الري وتطبيق أساليب الزراعة الميكانيكية أصبحت هذه المنطقة مركزاً زراعياً مهماً. وأهميتها الصناعية لا تقل عن أهميتها الزراعية، فهناك حقول النفط بقرب باكو وفي شرق جورجيا ومناجم الحديد والألومنيوم والنحاس والرصاص والقصدير في مختلف أنحاء أذربيجان، بالإضافة إلى صناعة نسيج القطن وتعليب الفواكة والأسماك وصنع الجبنة وتقطير الخمور ومصائد الأسماك في بحر قزوين.

وأهم مدن ترانس قوقازيا الشرقية مدينة تفليس عاصمة جورجيا والمشهورة بمعاهدها العلمية والثقافية ومكاتبها وكنائسها وآثارها، وكانت أيام الحكم القيصري مقر الحاكم العام لجميع القوقاز. وكان يصنع فيها والمناطق المحيطة بها حوالي ٣٠٪ من قاطرات السكك الحديدية في الاتحاد السوفيتي السابق. كما تصنع فيها المكائن والحصادات الزراعية والطائرات والالكترونيات، وفيها محالج الحرير ومصانع الورق والتبغ والدباغة ومعاصر الزيوت النباتية وتقطير الخمور والنبيذ.

ومدينة كيروفاباد (وكانت قديماً تدعى غانجا) الواقعة في أسفل وادي كورا تشتهر بمحالج القطن والحرير ومعاصر الزيوت النباتية ومصانع الاسمنت والمواد الكيماوية.

وأما مدينة باكو عاصمة أذربيجان فقد كانت أهم مركز لاستخراج النفط في الاتحاد السوفيتي السابق، ويوجد فيها أكثر من (٢٠٠) بئر نفط. وينقل البترول من باكو إلى

باطوم على شاطئ البحر الأسود من خلال خطي أنابيب، كما ينقل بواسطة ناقلات بترول عبر بحر قزوين ونهر الفولغا إلى أنحاء مختلفة من روسيا الأوروبية. وتوجد في هذه المدينة مصانع لصناعة المعدات والمكائن المستعملة في استخراج النفط وتكريره، وكذلك الصناعات البتروكيميائية وصناعة المطاط ومحالج القطن وغيرها.

وتقع جنوب باكو جبال تاليش، وهي امتداد لهضبة جبال القوقاز الصغرى وتمتد هذه الجبال إلى قرب شاطئ قزوين تاركة قطعة صغيرة من الأراضي الواطئة بينها وبين البحر تسمى أراضي تاليش الواطئة. وتهب على هذه المنطقة رياح مشبعة بالأمطار الغزيرة شتاء ورياح جافة صيفاً. وتوجد فيها غابات يستفاد من خشبها، كما يزرع فيها التبغ والشاي وبعض الفواكة.

وتوجد خلف هضبة جبال القوقاز الصغرى جنوبي وادي نهر كورا أراضي أرمينيا المرتفعة. وهي عبارة عن مناطق بركانية وهضاب مرتفعة أهمها هضبة كاراباع جنوبي بحيرة سيفان. ويتراوح ارتفاع هذه الهضبة فيما بين (٢٤٠٠-٣٠٠٠) متراً فوق سطح البحر. وأما بحيرة سيفان -وهي أكبر بحيرات القوقاز- فإنها ترتفع عن سطح البحر (١٩٠٠) متراً. ويصل عمق مياهه إلى ١٠٠متر وتبلغ مساحة سطحها حوالي ١٤٠٠ كيلومتر مربع أي أكثر من مجموع مساحات جميع بحيرات سويسرا. وأهم بركان في هذه المنطقة هو جبل ارارت الذي يبلغ ارتفاع قمته عن سطح البحر ٥١٥٦متراً. ومع أن أعلى قمم هذا الجبل واقع داخل الحدود التركية إلا أنه قريب جداً من حدود أرمينيا. ويأتي في الدرجة الثانية بركان الاغيز الذي ينخفض حوالي ١٠٧٠متر عن قمة ارارات وواقع داخل حدود أرمينيا.

وتشكل سفوح جبال أرمينيا جزءاً من هضبة جبال القوقاز الصغرى وهي على الاجمال مغطاة بالغابات والأشجار المثمرة والمراعي المرتفعة وتهطل على سطح هذه الهضبة كميات من الأمطار تكفي لزراعة الخضروات الموسمية. وطقسها بارد جداً شتاء وحر وجاف صيفاً. وأهم الأراضي الزراعية في هذه المنطقة وادي نهر آراس حيث تزرع مساحات واسعة بالقطن والقمح والشعير وكروم العنب وبساتين المشمش والخوخ. وتتوفر فيها خامات النحاس وكان انتاجها عالم ١٩٣٩ يمثل ١٠٪ من كامل انتاج الاتحاد السوفيتي السابق من النحاس وتتوفر في هذه المنطقة خامات القصدير والذهب والفضة وغيرها.

وأهم مدن أرمينيا العاصمة يريفان وتليها مدينة لينينكان. تشتهر كلتا هاتين المدينتين

بصناعات متنوعة مثل الصناعات الكيماوية والمطاط وتعليب الأغذية ومحالج الغزل والنسيج. كما توجد فيها محطات لتوليد الطاقة الكهرومائية والكهروحرارية والكهرونووية أهمها محطة يريفان للطاقة الكهرومائية.

الممرات عبر هضبة جبال القوقاز الكبرى

كما سبق ذكره... ترتفع هضبة جبال القوقاز الكبرى في القسم الأوسط وتنحدر تدريجياً غرباً باتجاه البحر الأسود وشرقاً باتجاه بحر قزوين حيث تتحول إلى تلال بسيطة. وتوجد بموازاة كل من ساحل البحر الأسود وبحر قزوين طريق سيارات وسكة حديد صالحين للسير صيفاً وشتاء على مدار العام على كامل امتداد الساحلين المذكورين.

وأما الجزء الأوسط الكبير الإرتفاع من هذه الهضبة فلا تعبره خطوط سكة حديد، إلا أنه تعبره ثلاث طرق عربات كان لها دور هام في الاحتلال الروسي للقوقاز حيث كانت تمر منها القوات الروسية وتجهيزاتها وتموينها بين شمال الهضبة وجنوبها. وهذه الطرق هي:-

١- طريق جورجيا الحربي:- وهو أهم هذه الطرق وأطولها، يبلغ طوله من مدينة ولادي ققفاسيا إلى تفليس (٢٧٠) كيلومتر. وهو طريق ذو مسربين واحد بكل اتجاه صالح للسير لجميع أنواع العربات صيفاً وشتاء. ويقع في وسطه تقريباً ممر الصليب (كروس) على ارتفاع (٢٣٨٠) متراً عن منسوب سطح البحر.

٢- طريق الاوستين الحربي:- وهو أيضاً بمسربين، وأصبح مؤخراً بعد فتح نفق طويل صالحاً لسير العجلات المختلفة ما عدا بعض فترات فصل الشتاء. ويبلغ طوله من مدينة ولادي ققفاسيا باتجاه الجنوب غرب حتى مدينة كوتاسي في جورجيا الغربية (٨٠) كيلومتر تقريباً. ويمر هذا الطريق عبر ممر ماميسون على ارتفاع (٢٨٤٠) متراً عن سطح البحر.

٣- طريق سوخوم الحربي:- ويقع غرب الطريقين المذكورين سابقاً، ولا يصلح لسير العربات في الجزء الأوسط منه. ويبدأ من مدينة بكسان شمال نالتشك ويمر عبر ممر كلوخود الذي يرتفع أيضاً (٢٨٤٠) متراً عن سطح البحر وينتهي عند مدينة سوخومي على البحر الأسود.

التقسيمات الادارية في القوقاز

إن طبيعة القوقاز بجبالها الشاهقة ووديانها العميقة ومضايقها وممراتها الضيقة وشعوبها وقبائلها العديدة التي تختلف عن بعضها من ناحية أصولها العرقية واللغوية ومعتقداتها الدينة وتقاليدها وعاداتها استدعت تقسيم القوقاز إلى مقاطعات ادارية منفصلة في مختلف العصور عندما كانت تحكمها سلطات وطنية أو عندما كانت اقسام منها تحت حكم اليونان والرومان والعرب والتتار والفرس والأتراك وأخيراً بعد الاحتلال الروسي.

وكانت هذه التقسيمات الادارية تبدل وتعدل بين حين وآخر نسبة لوضع حكوماتها الوطنية أو مدى وشكل سيطرة الغزاة على أقسام منها. فالحكم الروسي سواء في العهد القيصري أو الشيوعي كان يقوم بادخال تغييرات واجراء تعديلات على هذه التقسيمات بين حين وآخر بما يخدم مصالحها الاستعمارية ويضمن دوام السيطرة على الشعوب واستغلال الموارد. وكانت هذه السياسة موجهة بشكل خاص ضد الشعوب الاسلامية التي قاومت الاحتلال الروسي لشمال القوقاز ببسالة كبيرة وعزم شديد.

فالحكم القيصري الاستبدادي لجأ إلى اخلاء مناطق الشعوب الاسلامية في شمال القوقاز بعمليات ابادة وتشريد وتهجير قسري، والاستيلاء ووضع اليد على أخصب الأراضي الزراعية وتوزيعها على أصحاب النفوذ والمقربين من القياصرة أمثال عشاق الامبراطورة كاترين الثانية التي كانت تستبدلهم بالسهولة التي تستبدل بها أزياءها، وكذلك على المستوطنين الروس والقوزاق والاوكرانيين الذين كانت الحكومة القيصرية تجلبهم من مناطق بعيدة وتوطنهم في القوقاز ضمن خطتها لاحتلال واستعمار شمال القوقاز.

وأما الحكم الشيوعي فقد فاق الحكم القيصري استبداداً وابادة للمسلمين وتمييزاً ضدهم. وقام السفاح ستالين بقتل وتشريد ونفي جماعي لعدة شعوب اسلامية من القوقاز وشبه جزيرة القرم ومنطقة ايدال اورال إلى أنحاء نائية وباردة في سيبريا وآسيا الوسطى. ودأب الحكم الشيوعي على اجراء تغييرات وتعديلات مستمرة على التقسيمات الادارية في شمال القوقاز هدفت إلى تجزئتها وتوزيع الشعب الواحد على عدد من الوحدات الادارية، بحيث تصبح هذه الشعوب اقليات لا وزن ولا نفوذ لها في ديارهم التاريخية التي عاشوا فيها منذ آلاف السنين.

فالتقسيمات الادارية في القوقاز عندما حل الاتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١ كانت على الوجه التالي:-

١- شمال القوقاز.

تم دمجها في الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية وشملت:-

أ- جمهورية الشيشان - انجوش ذات الحكم الذاتي.

ب- جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي.

ج- جمهورية القبرطاي - بلقر ذات الحكم الذاتي.

د- جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي.

هـ- جمهورية الكالموك ذات الحكم الذاتي.

و- مقاطعة الكراتشاي - شركس ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم ستافروبول.

ز- مقاطعة اديغة ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم كراسنودار.

٢- جمهورية جورجيا السوفيتية الاتحادية:

وتقع ضمنها

أ- جمهورية الابخاز ذات الحكم الذاتي

ب- جمهورية الادجار ذات الحكم الذاتي

ج- مقاطعة اوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي

٣- جمهورية اذربيجان السوفيتية الاتحادية:

وتقع ضمنها

أ- جمهورية ناختشيفان ذات الحكم الذاتي

ب- مقاطعة ناغورنو كاراباغ ذات الحكم الذاتي

٤- جمهورية ارمينيا السوفيتية الاتحادية

الجداول التالية تعطي تصوراً عاماً عن جغرافية القوقاز وطبيعتها وطوبوغرافيتها وطبيعة مناخها ومعلوما أخرى. ويلاحظ غياب المعلومات عن جمهورية الشيشان التي كانت تعتبر منطقة مغلقة ونشر المعلومات عنها مقيد كجزء من المخطط الروسي لمقاومة حركات التحرر في شيشانيا.

الجدول رقم ٢-١
أهم الأنهار القوقاز

تنقسم من حيث مصبها إلى ثلاث مجموعات

المجموعة الأولى التي تصب في بحر قزوين

أهمها مدرجة من الشمال الى الجنوب:-

١- نهر كاما.

٢- نهر ترك وهي أكبر أنهر القوقاز وأهم روافده نهر سونجا ونهر ارغون ونهر فردان ونهر تشيريك ونهر تشيغام ونهر بكسان ونهر مالكا.

٣- نهر سولاك.

٤- نهر سامور.

٥- نهر سومغات.

٦- نهر كورا وأهم روافده نهر آراس.

المجموعة الثانية التي تصب في البحر الأسود

أهمها مدرجة من الشمال إلى الجنوب:-

١- نهر كوبان وأهم روافده نهر لابا.

٢- نهر بزيب.

٣- نهر كودورا.

٤- نهر انغور.

٥- نهر ريون.

المجموعة الثالثة وهي أنهر داخلية

وأهمها

١- نهر اكساي وينبع ويغور في الأرض في جمهوريتي داغستان والشيشان.

٢- نهر اكتاش ينبع ويغور في الأرض في جمهورية داغستان.

الجدول رقم ٢ – ٢
ارتفاعات بعض القمم العالية من جبال القوقاز
المصدر: كتاب(٧) Exploration of The Cancasus

الرقم	اسم القمة	الارتفاع عن سطح البحر (متر)	الرقم	اسم القمة	الارتفاع عن سطح البحر (متر)
١	البرز الغربية	٥٦٣٣	٢١	كورداراش	٤٥٣٠
٢	البرز الشرقية	٥٥٩٥	٢٢	كاراغوم	٤٥١٥
٣	دوخ تاو	٥٢٠٣	٢٣	سوغان باشي	٤٤٩٢
٤	شكارا	٥١٩٦	٢٤	سالينان باشي	٤٤٨٣
٥	آرارات (على الحدود داخل تركيا)	٥١٥٦	٢٥	غلتش	٤٤٧٧
٦	كاشتان	٥١٥٠	٢٦	أديارسو باشي	٤٤٧٥
٧	كازبك	٥٠٤٧	٢٧	دولفو سوروم الوسطى	٤٤٥٣
٨	جانغا الشرقية	٥٠٤٠	٢٨	تيتي باشي	٤٤٢١
٩	مشيرغتو الغربية	٥٠٠٤	٢٩	بوبس كوخ	٤٤٢١
١٠	مشيرغتو الشرقية	٤٩٨٦	٣٠	غد كوخ	٤٣٧٢
١١	كاتنتو	٤٩٧٠	٣١	خامخاخي كوخ	٤٢٨٩
١٢	غستولا	٤٨٥٩			
١٣	تتنولد	٤٨٥٥			
١٤	غيماريا خوخ	٤٧٧٩			
١٥	أوشبا الجنوبية	٤٦٩٩			
١٦	أوشبا الشمالية	٤٦٩٧			
١٧	الأرزوباشي	٤٦٨٢			
١٨	تكتنجن	٤٦٥٦			
١٩	آريا كوخ	٤٦٥٠			
٢٠	جيليك باشي	٤٥٣٤			

ملاحظة: الأسماء الواردة في هذا الجدول هي التي كانت دارجة قبل عام ١٨٩٦ عندما نشر هذا المصدر. وقد جرى تغيير على هذه الأسماء وتعديل على الارتفاعات الواردة أعلاه.

الجدول رقم ٢ – ٣

بعض الممرات الهامة في جبال القوقاز وارتفاعاتها

المصدر : كتاب(٧) Exploration of The Cancasus

الرقم	اسم الممر	الارتفاع عن سطح البحر (متر)	الرقم	اسم الممر	الارتفاع عن سطح البحر (متر)
١	جونتيكام	٣٥٤٨	٢٢	سيلا	٤٢٧٠
٢	جيبر آزو	٣٢٦٦	٢٣	الواز	٤٣٦١
٣	آزو	٣٥١٦	٢٤	كاشتان	٣٥٠٧
٤	دونغوسوروم	٣٢٠٠	٢٥	غيرو زيفسك	٣٣٤٧
٥	بتشو (غولسكي)	٣٣٧٧	٢٦	كاراغوم	٣٦٢٩
٦	آكسو	٣٨١٢	٢٧	زي	٣٦٦٠
٧	اوتبيرى	٢٤٠١	٢٨	شتونوفسك	٣٣١١
٨	آدر (سيتا)	٣٦٦٣	٢٩	باخ فانداك	٢٩١٨
٩	توبير	٣٥٦٨	٣٠	كولوتدر	٣٢٤٣
١٠	زائر العليا	٣٩٥٤	٣١	لابارا	٣٠٢٠
١١	زائر السفلى	٣٩٢١	٣٢	لاتبارى	٢٨٢٣
١٢	كيتلور	٣٨٤٥	٣٣	غودور	٢٣٨٨
١٣	اورباشي	٣٧٦٦	٣٤	ماميسون (يمر عبره طريق الاوسيتين العربي)	٢٨٤٠
١٤	دونكن	٣٩٧٤	٣٥	كلوخور (يمر عبره طريق سوخومي العربي)	٢٨٤٠
١٥	سيرين	٣٤٣٣	٣٦	ماروخ	٣٢٣٢
١٦	سالينان تشيران	٤١٥٤	٣٧	روك	٢٩٩٣
١٧	سالينان اوتشر	٤٥٣٨	٣٨	كروس (ويمر عبره طريق جورجيا العربي)	٢٣٨٠
١٨	لوامكوم	٤٠٨٥	٣٩	ارخوتيس	٢٧٣٣
١٩	فينارغن	٣٣٩٤	٤٠	فانتما شيتسكي	٢٢٨٧
٢٠	ادينا	٤٣٣٧	٤١	سالافات	٢٨٢٥
٢١	ديخسو	٣٨٧٩	٤٢	كودور	٢٨٢٤

الجدول رقم ٢ – ٤

معدل درجات الحرارة وكميات الأمطار في بعض مدن القوقاز

المصدر: كتاب(٧) Exploration of The Cancasus

الرقم	اسم المدينة	الارتفاع عن سطح البحر (متر)	معدل درجات الحرارة (سنتغراد)		معدل الأمطار (ميليمتر)
			عظمى	صغرى	
١	ستافروبول	٥٨٢	٢٣	-٧	٧٨٢
٢	نوفورسيسك	٢٠	٢٧	٠	٧١٨
٣	بياتيغورسك	٥٠٥	٢٤	-٦	٤٤٨
٤	اسنتوكي	٦٠٦	٢٢	-٦	٤٠٧
٥	كزلوفودسك	٧٩٢	٢١	-٦	٥٠٧
٦	ولادى قفقاسيا	١٥٨٣	٢٢	-٦	٨٢٦
٧	سوخومي	١٠	٢٦	٤	١٢١٨
٨	كوتايسي	١٥٢	٢١	٣	١٣٤٣
٩	بوتي	٧	٢٥	٤	١٥٨٤
١٠	باطوم	٥٣	٢٥	٥	٢٣١٩
١١	كوبي	١٩٧٣	١٤	-١٠	١٢٠٣
١٢	غودرار	٢٥٤٧	١٤	-٨	١٤٠٥
١٣	غوري	٢٦٣٩	٢٤	-٢	٥٣٥
١٤	بورعوم	٤٧٠	٢٢	-٤	٦١٧
١٥	عياس لومان	١٢٩٣	١٨	-٨	٦٢٢
١٦	تفليس	٤٠٩	٢٥	-١	٤٨٩
١٧	ماخاتش غالا	-١٠	٢٧	-٣	٤٢٤
١٨	باكو	-٢٠	٢٧	٣	٢٤٧

الجدول رقم ٢ - ٥

معلومات عن بعض المصحات الشهيرة في القوقاز

المصدر : مجلة(٨) Cancasion Reveiw Vol. 1, 1955

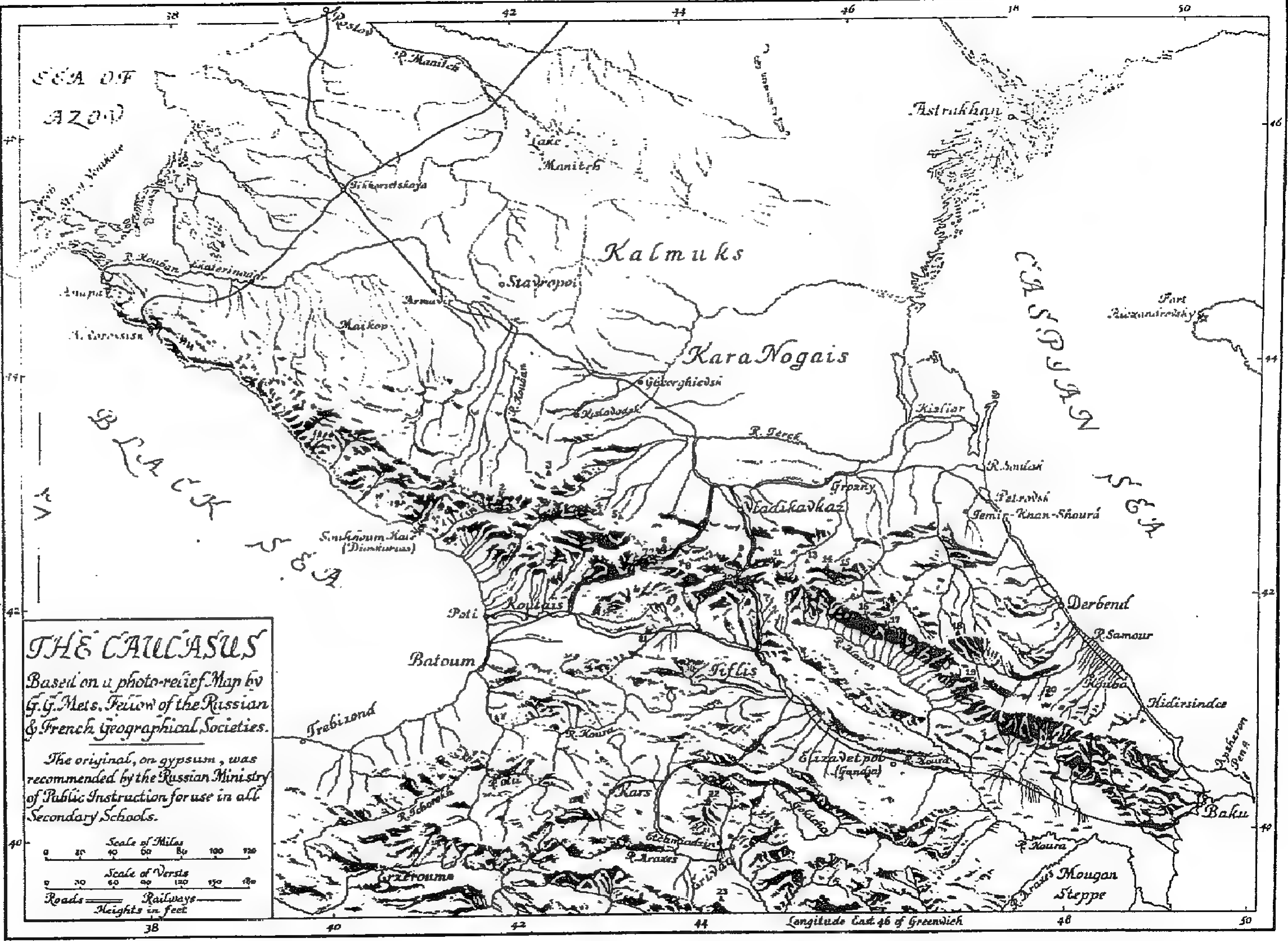
الرقم	اسم المصح	فتح المصح للزوار	معدل الأمطار مم	معدل عدد الساعات المشمسة في السنة	معدل درجات الحرارة (سنتغراد)				
					الربيع	الصيف	الخريف	الشتاء	معدل سنوي
١	اباستوماني	طول السنة	٦١٨	١٩٨١	٦,٢	١٨,١	١٤,٣	٦,٤	٦,٥
٢	انابا	=	٦٨٠	٢٥٥٦	١٠,١	٢٢,٤	١٤,٣	٢,١	١١,٨
٣	أرزني	١٥/٥-١٥/١١	٣٥٠	١٩٦٣	٩,٩	٢٥	١٢,٢	٤,٣	١٠,٩
٤	بورزهوي	تموز وأكتوبر	٥٨٠	١٧٠٠	٨,٤	٢٤	١١,٢	٥,٣	٨,٩
٥	غاغا	طول السنة	١٣٠٠	١٨٥٠	٧,٩	٢٢	١٠,٣	٤,٩	١٥,١
٦	غيليند زهك	مايو-اكتوبر	٧٠٠	٢٤٠٠	١٠,٢	٢٣	١٢,٦	٣,٩	١٣,٨
٧	ديلزهان	طول السنة	٥٤٠	٢٠٩١	٧,٣	١٧,٨	٩,٢	١,١	٨,٦
٨	اسنتوكي	=	٥١٩	٢٢٤٠	٦,٣	٢٠,٣	٨,٢	٤,٦	٨,١
٩	زغيرنوفودسك	=	٥١٩	٢٢٤٠	٦,٤	١٨,٩	٧,٩	٤,٩	٩,٩
١٠	باردا كياني	=	١٢٠٠	٢٠٠٠	١٠,٣	٣٠	١٢,٩	٤,٣	٨,٩
١١	نالتشك	١/٥-١/١١	٦٠٠	٢٢٨٩	١٠,٤	٢٥,٣	١٤,٣	٥,٦	٨,٩
١٢	بياتيفورسك	طول السنة	٦٠٠	٢١٨٦	٥,٩	١٥	٩,٨	٨,٦	٧,٩
١٣	سوتشي	=	٦٨٢	٢٠٠٠	١١,٦	٢١,٩	١٥	٦,٦	١٣,٩
١٤	سوخومي	=	٨٦٠	١٨٩٥	٩,٨	٣٠	١٤,٩	٥,٩	٨,٧

ملاحظة: يوجد في القوقاز ١١٤ مصحاً من مجموع ٤٣٣ في الاتحاد السوفيتي السابق موزعة علي الشكل التالي:-

٢٠ مصحاً في جمهورية أذربيجان
٩ مصحاً في جمهورية أرمينيا
٦٤ مصحاً في جمهورية جورجيا
٢١ مصحاً في شمال القوقاز

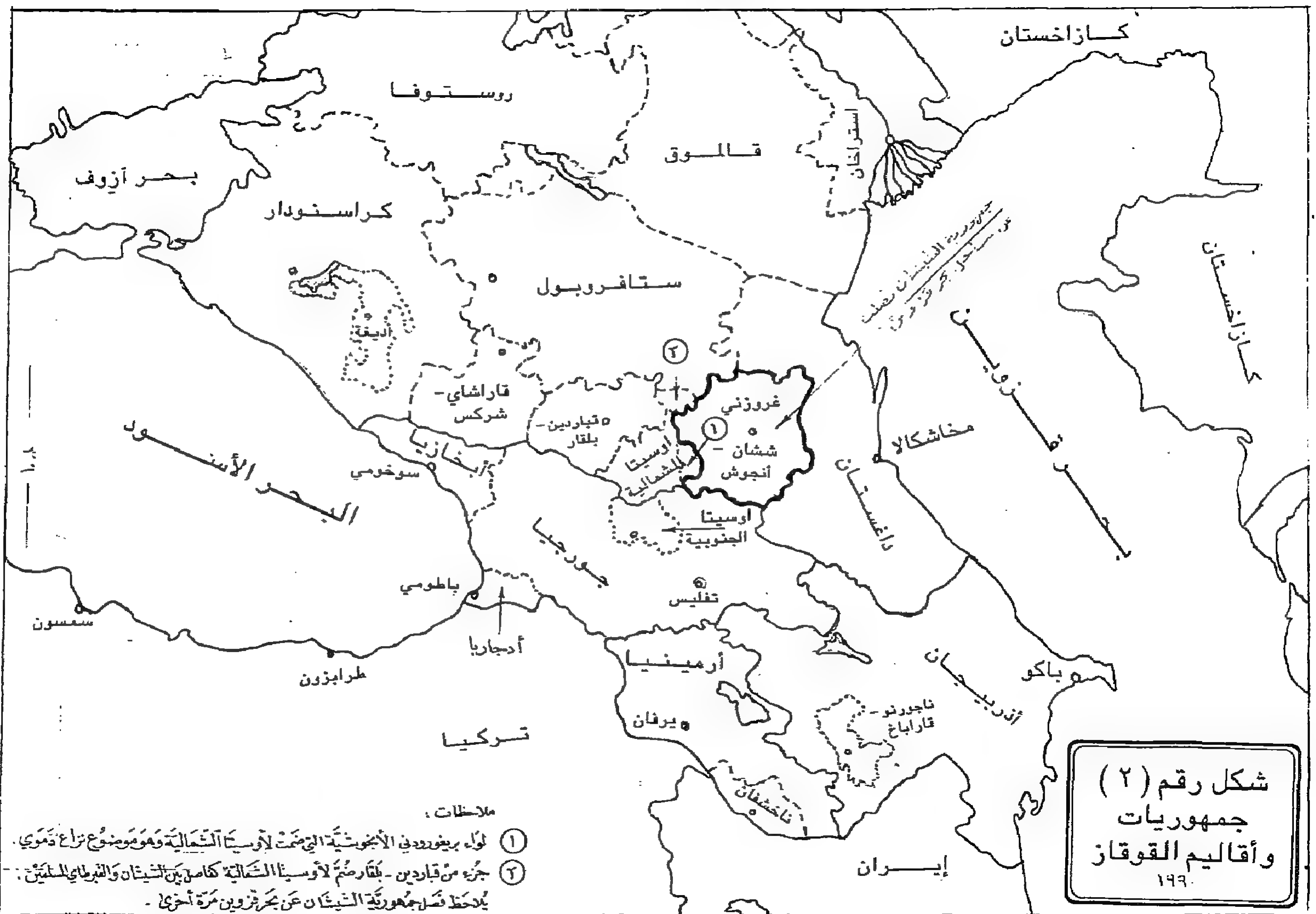
جدول رقم ٢ – ٦
أهم مدن المناطق الاقتصادية في القوقاز
المصدر: كتاب(٩) جغرافية الاتحاد السوفيتي

الرقم	اسم المدينة	عدد السكان (ألف نسمة)		سنة انشاء المدينة ميلادي	المنطقة
		١٩٣٩	١٩٨٠		
١	غروزني	١٧٢	٣٧٧	١٨١٧	شمال القوقاز
٢	كراسنودار	١٩٣	٥٧٢	١٧٩٣	=
٣	ماخاتش غالة	٨٧	٢٦١	١٨٥٨	=
٤	نالتشك	٤٨	٢١١	١٨١٧	=
٥	نوفورسيسك	٩٥	١٦٢	١٨٣٨	=
٦	ولادي فقفاسيا	١٣١	٢٨٣	١٧٨٤	=
٧	روستوف	٥١٠	٩٤٦	١٧٤٩	=
٨	سوتشي	٧١	٢٩١	١٨٩٦	=
٩	ستافروبول	٨٥	٢٦٥	١٧٧٧	=
١٠	باكو	٧٧٣	١٠٣٠	القرن الثامن الميلادي	ترانس قوقازيا
١١	باطوم	٧٠	١٢٤	١٨٧٨	=
١٢	يريفان	٢٠٤	١٠٣٦	٧٨٣ ق ٠م	=
١٣	كوتايسي	٧٨	١٩٧	١٨١١	=
١٤	سومغاييت	٦	١٩٦	١٨٤٩	=
١٥	سوخومي	٤٤	١١٦	١٨٤٨	=
١٦	تفليس	٥١٩	١٠٨٠	٤٥٨	=



شكل رقم (١) خارطة طبيعية للقوقاز

شكل (٢) جمهوريات وأقاليم القوقاز





أزالوا تمثال رمز الاحتلال الروسي يرمولوف وأبقوا تمثال علم الأدب الروسي تولستوي

الفصل الثالث

نبذة عن شعوب القوقاز

كانت القوقاز التي نُسب اليها الجنس الأبيض (الجنس القوقازي) على مرّ العصور، بمثابة قلعة تخرج منها الغزوات، او تتحصّن في جبالها الشامخة الوعرة ووديانها السحيقة وممراتها الضيقة وغاباتها الكثيفة ، قبائل وشعوب تتعرض لاعتداءات قوى معادية تعجز عن مقاومتها. وكان جمال طبيعتها ووفرة مياهها وخصوبة أراضيها واعتدال طقسها وتوفّر الأخشاب في غاباتها ،. عوامل تُغري الأقوام والشعوب التي تغزوها او تمرّ بها في طريق غزواتها على الاستقرار والاستيطان والاندماج مع من سبقوهم فيها.

المؤلف





قوقازيان بارزان طاردتهما السلطات الروسية القيصرية
الشهيد زيلمخان والطاغية ستالين

نبــــذة عـــــن شــعــــوب القـــوقـــاز

كانت القوقاز التي نسب إليها الجنس الأبيض (الجنس القوقازي) على مر العصور، بمثابة قلعة تخرج منها الغزوات، أو تتحصن في جبالها الشامخة الوعرة ووديانها السحيقة وممراتها الضيقة وغاباتها الكثيفة قبائل وشعوب تتعرض لاعتداءات قوى معادية تعجز عن مقاومتها. وكانت جمال طبيعتها ووفرة مياهها وخصوبة أراضيها واعتدال طقسها وتوفر الاخشاب في غاباتها عوامل تغري الأقوام والشعوب التي تغزوها أو تمر منها في طريق غزواتها على الاستقرار والاستيطان في القوقاز والاندماج مع من سبقوهم فيها.

ولهذا فإن سكان القوقاز من أصول عرقية متعددة ومختلفة. فهناك شعوب تعتبر من سكان القوقاز الأصليين وشعوب أخرى من أصول آرية وطورانية وسامية وسلافية ومنغولية وغيرها. وتختلف معتقداتهم الدينية من مسلمين (سنة وشيعة) ومسيحيين (ارثوذكس وكاثوليك وأرمن) ويهود وبوذيين وعبدة النار وعبدة الشيطان وغيرها من معتقدات وثنية أو طوائف انحرفت عن الديانات السماوية.

المسلمون والمسيحيون هم الغالبية العظمى. ويلاحظ أن معظم سكان شمال القوقاز المجاورين لروسيا المسيحية مثل الشيشان والشراكسة والداغستان مسلمون، في حين أن معظم سكان ترانس قوقازيا المجاورين لتركيا وفارس المسلمتين مسيحيون مثل

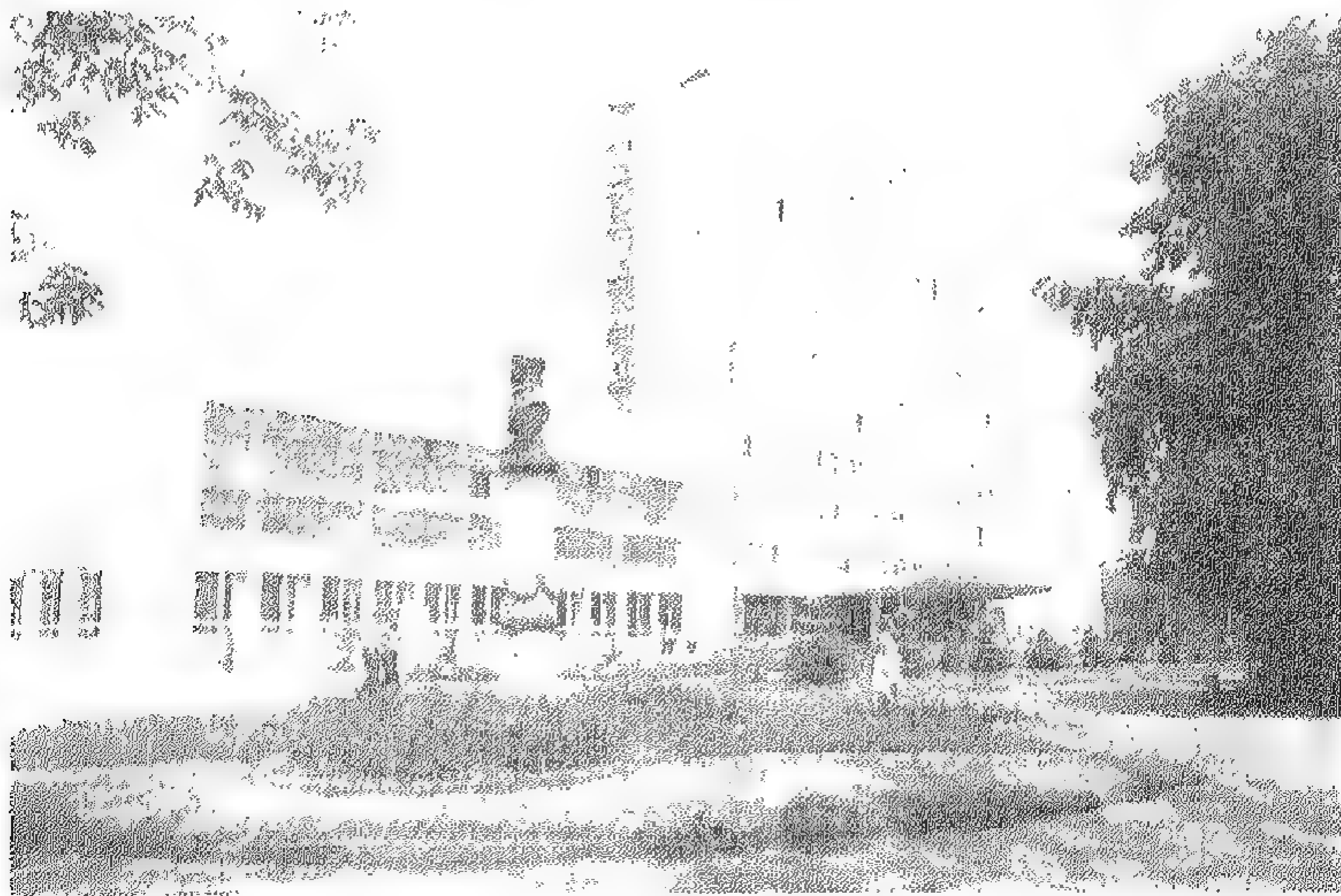
الجورجيين والأرمن ماعدا الاذربيجان المسلمين.

ومعظم الجاليات القوقازية التي هاجرت خلال النصف الثاني من القرن الماضي ومطلع هذا القرن إلى الامبراطورية العثمانية (دار الاسلام) واستوطنت في تركيا وبلاد الشام (سوريا والأردن وفلسطين) والعراق هم من الشراكسة والشيشان والداغستان المسلمين، وهي شعوب قاومت ببسالة لا مثيل لها في التاريخ حملات وحروب الاحتلال الروسي للقوقاز.

تتنوع اللغات القوقازية التي تصنف كلغات (أو لهجات من لغات) قومية باختلاف الاصول العرقية للشعوب القوقازية. وقد أطلق المؤرخون العرب على منطقة داغستان اسم (جبل الألسن).

ورد في دراسة صادرة عام ١٩٥٩ عن جامعة كولومبيا في نيويورك اسم ٥٠ شعب او قبيلة قوقازية (٢٧ في جمهورية داغستان وحدها) من حيث الاختلاف الجذري او الجزئي في لغاتها ولهجاتها، ويتراوح أعداد المتكلمين بها من بضع مئات إلى بضع ملايين. وهذا العدد لا يشمل الروس والاوكرانيين والقوزاق والجاليات الاغريقية والالمانية وغيرها التي استوطنت في القوقاز ولا تعتبر من شعوبها.

يشمل الجدول رقم (٣-١) احصائيات عن تعداد الشعوب القوقازية التي ورد ذكرها في الدراسة المذكورة أعلاه، وتعطينا فكرة عن تعدد اللغات و/او اللهجات التي تتفرع عنها، وكذلك إلى الخلفية العرقية والعقائدية لهذه الشعوب. ويلفت النظر إلى الملاحظات التالية عند دراسة وتقييم المعلومات المدرجة فيه:-



معهد النفط في غروزني قبل التدمير

الجدول رقم ٣ - ١

الأصول اللغوية والديانة واحصائيات تعداد سكان الشعوب القوقازية في الإتحاد السوفيتي

الرقم	اسم الشعب	الاصول اللغوية	الديانة	الأعوام وتعداد السكان						
				١٨٩٧	١٩٢٦	١٩٣٩	١٩٥٩	١٩٧٠	١٩٧٩	١٩٨٩
١	المجموعة الشيشانية (الويناخ)									
	١- الشيشان (الناختشوي)	الويناخ	مسلمين سنة	٢٢٦٤٩٦	٣١٨٥٢٢	٤٠٧٦٩٠	٤١٨٧٥٦	٦١٢٦٧٤	٧٥٥٧٨٢	٩٥٦٨٧٩
	٢- الانقوش (الغلغاي)	=	=	٤٧٤٠٩	٧٤٠٩٧	٩٢٠٧٤	١٠٥٩٨٠	١٥٧٦٠٥	١٨٦١٩٨	٢٣٧٤٣٨
	٣- الكست	=	=	٤١٣	١٠٩٤	-	-	-	-	-
٢	المجموعة الشركسية (الاديغة)									
	١- القبرطاي	الاديغة	مسلمين سنة	٩٨٥٦١	١٣٩٩٢٥	١٦٤١٠٦	٢٠٣٦٢٠	٢٧٩٩٢٨	٣٢١٧١٩	٣٩٠٨١٤
	٢- الاديغة	=	=	٤٦٢٨٦	٦٥٢٧٠	٨٧٩٧٣	٧٩٦٣١	٩٩٨٥٥	١٠٨٧١١	١٢٤٨٢٦
	٣- الشركس	=	=	=	=	=	٣٠٤٥٣	٣٩٧٨٥	٤٦٤٧٠	٥٢٣٦٣
٣	مجموعة الابخاز			٧٢١٣	-	-	-	-	-	-
	١- الابخاز	الاديغة	ارثوذكس/مسلمين سنة	-	٥٦٩٥٧	٥٨٩٦٩	٦٥٤٣٠	٨٣٢٤٠	٩٠٩١٥	١٠٥٣٠٨
	٢- الاباظة	=	مسلمين سنة	-	١٣٨٢٥	-	١٩٥٩١	٢٥٤٤٨	٢٩٤٩٧	٣٣٦١٣
٤	الباتين	الويناخ	ارثوذكس	-	٢٤٥٩	-	-	-	-	-
٥	المجموعة الجورجية					٢٢٤٨٥٦٦	٢٦٩١٩٥٠	٣٢٤٥٣٠٠	٢٥٧٠٥٠٤	٣٩٨١٠٤٥
	١- الجورجيين	كارتولي-جنوبالقوقاز	ارثوذكس	١٠٩٧٠٠٠	١٥٦٤٣٣٣	-	-	-	-	-
	٢- المنغرليين	=	=	٢٣٩٦٢٥	٢٤٢٩٩٠	-	-	-	-	-
	٣- اللاز	=	مسلمين سنة	-	٦٤٣	-	-	-	-	-
	٤- السافان	=	ارثوذكس	١٥٧٥٦		-	-	-	-	-

تابع الجدول رقم ٣ – ١

الرقم	اسم الشعب	الاصول اللغوية	الديانة	الأعوام وتعداد السكان						
				١٨٩٧	١٩٢٦	١٩٣٩	١٩٥٩	١٩٧٠	١٩٧٩	١٩٨٩
٦	مجموعة الاوارايين / العندي			٢١٢٦٩٢			٢٧٠٣٩٤	٣٩٦٢٩٧	٤٨٢٨٤٤	٦٠٠٩٨٩
	١– الاوار	شمال شرق القوقاز	مسلمين سنة	–	١٥٨٧٦٩	–	–	–	–	–
	٢– العنديين	=	=	–	٧٨٤٠	–	–	–	–	–
	٣– البوتليخ	=	=	–	٣٣٥٤	–	–	–	–	–
	٤– الغودبري	=	=	–	١٤٢٥	–	–	–	–	–
	٥– الكارتا	=	=	–	٥٣٠٣	–	–	–	–	–
	٦– الباغلال	=	=	–	٣٠٥٤	–	–	–	–	–
	٧– التندي	=	=	–	٣٨١٢	–	–	–	–	–
	٨– التشاملال	=	=	–	٣٤٨٣	–	–	–	–	–
	٩– الاخفاخ	=	=	–	٣٦٨٣	–	–	–	–	–
	١٠– الخوارشي	=	=	–	١٠١٩	–	–	–	–	–
	١١– الديدو	=	=	–	٣٢٦٧	–	–	–	–	–
	١٢– البيجيت (الكابوتشا)	=	=	–	١٤٤٨	–	–	–	–	–
	١٣– الخنزال	=	=	–	١٠٦	–	–	–	–	–
	١٤– الغنلوك	=	=	–	٢٠٠	–	–	–	–	–
	١٥– الآرتشي	=	=	–	٨٦٣	–	–	–	–	–
٧	الكايتاك	=	=	–	١٤٤٣٠	–	–	–	–	–

تابع الجدول رقم ٣ - ١

الرقم	اسم الشعب	الأصول اللغوية	الديانة	تعداد السكان						
				١٨٩٧	١٩٢٦	١٩٣٩	١٩٥٩	١٩٧٠	١٩٧٩	١٩٨٩
٨	مجموعة الشاخداغ									
	١- البودوخ	شمال شرق القوقاز	مسلمين سنة	–	١٩٩٥	–	–	–	–	–
	٢- الجيك	=	=	–	٤٣٤٨	–	–	–	–	–
	٣- الخينالغ		=	–	١٠٥	–	–	–	–	–
٩	اللاك	=	مسلمين سنة	١٩٨٨٠	٤٠٣٨٠	–	٦٣٥٢٩	٨٥٨٢٢	١٠٠١٤٨	١١٨٠٧٤
١٠	الدارغيين	=	=	١٣٠٢٠٩	١٠٨٩٦٣	–	١٥٨١٤٩	٢٣٠٩٣٢	٢٨٧٢٨٢	٣٦٥٠٣٨
١١	اللزغي	=	=	١٥٩٢١٣	١٣٤٥٢٩	–	٢٢٣١٢٩	٣٢٨١٢٩	٣٨٢٦١١	٤٦٦٠٠٦
١٢	التساحور	=	=	–	١٩٠٨٥	–	٧٣٢١	١١١٠٣	١٣٤٧٨	١٩٩٧٢
١٣	التاباسيين	=	=	–	٣١٩٨٣	–	٣٤٧٠٠	٥٥١٨٨	٧٥٢٣٩	٩٧٥٣١
١٤	الكوباتشي	=	=	–	٢٣٢٥	–	–	–	–	–
١٥	الآغول	=	=	–	٧٦٥٣	–	٦٧٠٩	٨٨٣١	١٢٠٨٧	١٨٧٤٠
١٦	الروتول	=	=	–	١٤٠٩٥	–	٦٧٣٢	١٢٠٧١	١٥٠٣٢	٢٠٣٨٨
١٧	الكاراباغ	التركية/الطورانية	مسلمين سنة وشيعة	–	٦٣١٦	–	–	–	–	–
١٨	البلقر	=	مسلمين سنة	٣٤٢٣٢	٣٣٣٠٧	٤٢٦٦٥	٤٢٤٠٨	٥٩٥٠١	٦٦٣٣٤	٨٥١٢٦
١٩	الكاراتشاي	=	=	٢٧٢٢٣	٥٥١٢٣	٧٥٧٣٧	٨١٤٠٣	١١٢٧٤١	١٣١٠٧٤	١٥٥٩٣٦
٢٠	القوموق	=	=	٨٣٤٠٨	٩٤٩٤٩	–	١٣٤٩٦٧	١٨٨٧٩٢	٢٢٨٤١٨	٢٨١٩٣٣

تابع الجدول رقم ٢ - ١

الرقم	اسم الشعب	الاصول اللغوية	الديانة	تعداد السكان ١٨٩٧	١٩٢٦	١٩٣٩	١٩٥٩	١٩٧٠	١٩٧٩	١٩٨٩
٢١	الاذربيجان	التركية/الطورانية	مسلمين سنة وشيعة	١٥٠٦٥٤٠	١٧٠٦٦٠٥	٢٢٧٤٨٠٠	٢٩٣٩٧٢٨	٤٣٧٩٩٣٧	٥٤٧٧٣٠	٦٧٧٠٤٠٣
٢٢	التركمان	=	مسلمين سنة	٢٨١٣٥١	٧٦٣٩٤٠	٨١١٧٦٩	١٠٠١٥٨٥	١٥٢٥٢٨٤	٢٠٢٧٩١٣	٢٧٢٨٩٦٥
٢٣	النوغاي	=	=	–	٣٦٢٧٤	–	٣٨٥٨٣	٥١٧٨٤	٥٩٥٤٦	٧٥١٨١
٢٤	الأرمن	هندو-اوروبي	الكنيسة الأرمنية	١١٧٣٠٩٦	١٥٦٧٥٦٨	٢١٥١٨٨٤	٢٧٨٦٩١٢	٣٥٥٩١٥١	٤١٥١٢٤١	٤٦٢٣٢٣٢
٢٥	الاوستين	=	ارثوكس ومسلمين سنة	١٧١٧١٦	٢٧٢٢٧٢	٣٥٤٥٠٠	٤١٢٥٩٢	٤٨٨٠٣٩	٥٤١٨٩٣	٥٩٧٩٩٨
٢٦	**مجموعة التات**			٩٥٠٥٦						
	١- تات مسلمون	هندو-اوروبي	مسلمين سنة	–	٢٨٧٠٥	–	١١٤٦٣	١٧١٠٩	٢٢٤٤١	٣٠٦٦٩
	٢- اليهود الجبليون	=	يهود	–	٢١٤٧١	–	٢٥٢٢٥	–	–	–
٢٧	**مجموعة الأكراد**			٩٩٩٤٩						
	١- الأكراد	هندو-اوروبي	مسلمين سنة	–	٥٤٦٦١	٤٥٨٦٦	٥٨٧٩٩	٨٨٩٣٠	١١٥٨٥٨	١٥٢٧١٧
	٢- اليزيديين	=	مسلمين شيعة	–	١٤٧٢٦	–	–	–	–	–
٢٨	الاودين	=	ارثوتكس والكنيسة الارمنية	٧١٠٠	٢٤٥٥	–	٣٦٧٨	٥٩١٩	٦٨٦٣	٧٩٧١
٢٩	التاليش	=	مسلمين سنة وشيعة	٣٥٢٩١	٧٧٣٢٣	–	–	–	–	٢١٦٠٢
٣٠	الكالموك	الآليك/المنغولية	بوذيين ومسلمين سنة	١٩٠٤٨٠	١٢٩٣٢١	١٣٤٣٢٧	١٠٦٠٦٦	١٣٧١٩٤	١٤٦٦٣١	١٧٣٨٢١
٣١	الآشوريين	السامية	الكنيسة النستورية	٥٣٥٣	٩٨٠٨	٢٠٢٠٠	٢١٨٠٣	٢٤٢٩٤	٢٥١٧٠	٢٦١٦٠



بحر ازوف
АЗОФ ХЬІР

بحر الخزر
ХЫІЗЭР

البحر الاسود
ХЫШІУЦІЭР

قناة مانيتش

نهر الكوبان
ПСЫЖЪ

قالموق
КЪАЛМУКЪУ

نهر كوما
ГУМ ІІ

نغوي
НЭГЪОЙ

ناتخواج
НЭТХЪУАДЖ

شابسوغ
ШАПСЫГЪ

بزادوغ
БЖЪЭДЫГЪ

ابزاخ
АБЗАХ

قاراشاي
КЪЭРЭШЪЕЙ

اباظه
АБАДЗЭ

قبردي
КЪЭБЭРДАЙ

نهر ترك
ТЭРЧ ІІ

ششان
ШЭШЭН

كازبيك
КЪАЗБЭЧ ІУ

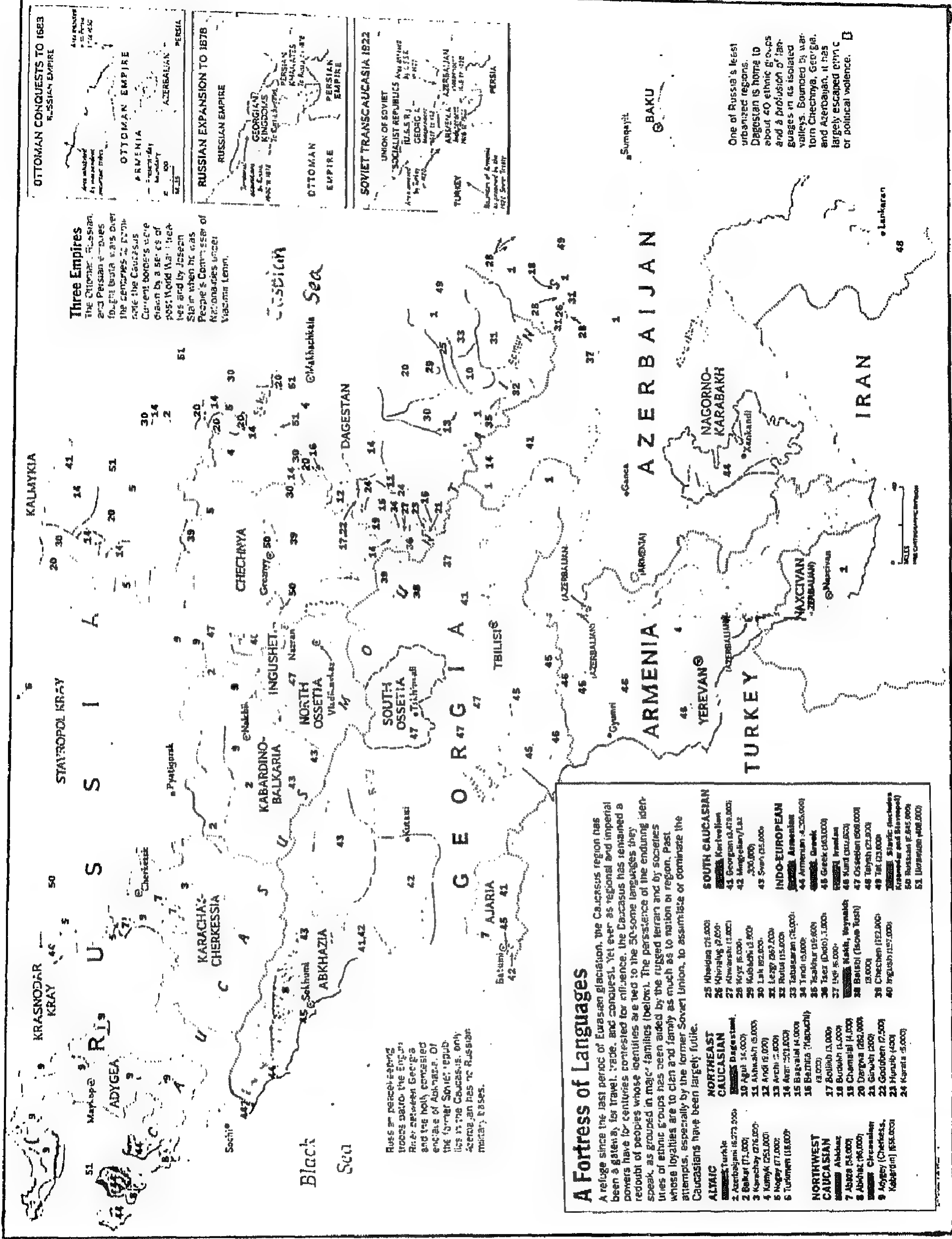
جورجيا
ДЖОРДЖЫЕ

امريتا
ИМЭРЕТЯ

لزكي
ЛЭЗГИ

КЪЭУКЪАЗ
بلاد القوقاز

شكل (٣)خارطة بلاد القوقاز



شكل (٤) خارطة التوزيع اللغوي في القوقاز

١- إن لغات المجموعة الجورجية (الكارتولية) في جنوب القوقاز، والمجموعة الشركسية (الاديغة) في شمال القوقاز والمجموعة الشيشانية (الويناخ) في شمال القوقاز ومجموعة الشاخداغ في شمال القوقاز هي التي تعتبر لغات قوقازية أصلية قديمة. وأما الأصول والمجموعات اللغوية الأخرى والشعوب التي تتكلمها فهي لغات شعوب قدمت إلى القوقاز من الخارج واستقرت فيها.

٢- في حالة اعتناق أي شعب لأكثر من ديانة واحدة فإن ديانة أكثرية الشعب تذكر أولاً.

٣- من المعروف (واعترفت بها السلطات السوفيتية عندما اتبعت سياسة المصارحة في عهد غورباتشوف) بأن الاحصائيات الرسمية الروسية في العهدين القيصري والسوفيتي كانت تخضع لمتطلبات الدعاية وسياسة الدولة ولهذا فإن الباحث المدقق يجد تضارباً وعدم دقة يؤثر على قيمتها الاحصائية والعلمية.

٤- تم اغفال تعداد بعض الشعوب في بعض المراحل لأنها لم تكن مشمولة في احصائيات تلك المرحلة أو لأنها أدرجت ضمن شعوب أخرى قريبة منها عرقياً.

٥- إن هبوط تعداد بعض الشعوب الاسلامية فيما بين ١٨٩٧ و ١٩٢٦ يعود إلى هجرات وتهجير أعداد كبيرة منها إلى الخارج تنفيذاً لمخطط روسي لإخلاء أراضيهم للمستوطنين الروس والقوزاق. مع العلم أن الأرقام الواردة لتعداد هذين العامين هي أرقام تقديرية بدون تعداد فعلي.

٦- إن الزيادة المتدنية و/أو النقص في تعداد عام ١٩٥٩ عن تعداد ١٩٣٦ للشيشان والانجوش والبلقر والكراتشاي والنوغاي والكالموك تعود إلى النفي الجماعي لهذه الشعوب عام ١٩٤٤ من مواطنها التاريخية إلى أصقاع سيبريا وآسيا الوسطى، حيث هلك منهم نتيجة التصفيات والابادة المتعمدة والمعاناة القاسية ما يتراوح فيما بين ٣٥٪ - ٤٠٪ من أعدادهم قبل النفي.

٧- إن الاحصائيات المدرجة في الجدول المذكور تشمل تعداد الشعوب القوقازية المقيمة في الاتحاد السوفيتي السابق فقط. غير أن اعداد كبيرة من هذه الشعوب وخاصة مسلمي شمال القوقاز هاجروا أو هجروا إلى ممتلكات الدولة العثمانية باتفاق وتنسيق وتخطيط حكومة روسيا القيصرية التي أرادت اخلاء اراضيهم للمستوطنين الروس والقوزاق، وحكومة تركيا التي أرادت أن توطن المناطق المحاذية لروسيا العدوة التقليدية لتركيا بعناصر مناوئة للدولة الروسية. ومن الجدير بالذكر بأن بعض الزعماء القوقازيين

المتنفذين ورجال الدين ساهموا في حركة الهجرة هذه وكان تعاون بعضهم بحسن نية وسوء تقدير إلا أن البعض الآخر كان دافعهم منافع شخصية.

كما التجأ عدد كبير من القوقازيين إلى الغرب خلال وبعيد الحرب العالمية الثانية واستقر أكثرهم في ألمانيا وتركيا والولايات المتحدة وبعض بلدان أوروبا والشرق الأوسط.

لا توجد احصائيات معتمدة عن اعداد السكان من أصول قوقازية في ديار المهجر. إلا أن هذه الفئات أصبح لها وزن اجتماعي وسياسي بارز في أوطانهم الجديدة، وساهموا بشكل مميز في القضايا الوطنية والقومية للبلدان التي يعيشون فيها واندمجوا بشعوبها.

كان للمماليك الشراكسة في مصر الدور الأكبر في اخراج الصلبيين من مصر وبلاد الشام وكذلك قهر المغول والتتار وحماية جنوبي بلاد الشام ومصر من الدمار والمذابح التي اقترفوها في العراق وشمالي بلاد الشام.

إن الشراكسة (الاديغة) الموجودون في تركيا اليوم يزيد عددهم عن الموجودين الآن في القوقاز، كما أن هناك أعداد كبيرة من الشيشان والدغستان وغيرهم من شعوب شمال القوقاز الاسلامية. وهم نشيطون في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وتولوا مناصب مدنية وعسكرية رفيعة بما فيها مناصب الصدر الأعظم ووزارات رئيسية كالخارجية والداخلية والمالية والدفاع وقيادات عامة رئيسية في القوات المسلحة والمؤسسات الأمنية وغيرها بالاضافة إلى عضوية المجالس النيابية والبلدية والنقابات والجمعيات والنوادي وغيرها.

وتوجد في العراق جاليات قوقازية الأصل (معظمهم من الشيشان والانجوش) اشغلوا مراكز هامة بما فيها رئاسة الوزراء ورئاسة أركان القوات المسلحة ورئاسة محكمة التمييز وغيرها.

وفي سوريا توجد جاليات شركسية وشيشانية وداغستانية نشيطة تولى أفرادها مناصب وزارية ومراكز قيادية عليا في القوات المسلحة، وقد سجلت فرقة المتطوعيين الشراكسة بشهادة البطل الشهيد جواد أنزور اسطورة بطولية خالدة عام ١٩٤٨ عندما هاجمت قوات اسرائيلية كبيرة كانت قد احتلت موقع تل العزيزات وتحصنت فيها. فتمكنت الفرقة الشركسية من دحر القوات الاسرائيلية وكبدتها خسائر فادحة وطاردتها داخل حدود فلسطين واحتلت مستعمرة مشمارهايردن. وقد استشهد في هذه المعركة

الشهيد جواد أنزور مع أكثر من مائتين من رفاقه الأبرار.

ويعتبر الأردنيون من أصل قوقازي من الرواد الذين أسسوا وساهموا في نهضة الأردن الحديثة. فالشراكسة الذين استوطنوا في عمان وجرش أعادوا الحياة إلى هاتين المدينتين التاريخيتين التي كانتا قد هجرتا لعدة قرون بسبب الخوف من الملاريا وأصبحتا أطلالاً خاوية. كما قام الشراكسة بتأسيس مدن وادي السير وناعور والرصيفة بينما قام الشيشان بتأسيس الزرقاء وصويلح والسخنة والأزرق الجنوبي (أزرق الشيشان). وتولى العديد منهم مناصب سياسية وادارية وعسكرية رفيعة. فأول وزير أردني من مواليد شرقي الأردن كان شركسياً (عمر حكمت)، وأول رئيس وزراء أردني من مواليد شرقي الأردن كان شركسياً أيضاً (سعيد المفتي)، وأول نائبة في البرلمان الأردني شركسية (توجان فيصل). وهم موضع تقدير خاص في وطن أجدادهم القوقاز، إذ أنهم بسبب الحكم الديموقراطي المتفتح في الأردن، ودماثة شعبة النبيل وحكمة مؤسس الدولة الأردنية المغفور له الشهيد الملك عبد الله بن الحسين ونجله المغفور له الملك طلال وحفيده جلالة الملك الحسين المفدى عميد آل هاشم والهاشميين الذين يعملون على بناء وتنمية أسس التفاهم العالمي والتعاون والتقارب مع الشعوب الاسلامية، أصبحت الأردن عندما كان الستار الحديدي يعزل الاتحاد السوفيتي السابق عن العالم كنافذة استطاع الشيشان والشراكسة في الاتحاد السوفيتي أن يتطلعوا ويتصلوا من خلالها مع العالم الخارجي.

لا توجد احصائيات معتمدة عن اعداد الاردنيين من أصل قوقازي إلا أن الدكتور رؤوف أبو جابر قدر في كتابه(١١) الذي صدر عام ١٩٨٨ عدد الشراكسة حوالي ٥٠٠٠٠ والشيشان حوالي ٨٠٠٠ – ٩٠٠٠ نسمة عام.

آمل أن يتاح لي أو لغيري إجراء دراسة مناسبة عن هجرة وتهجير الأعداد الكثيرة من شعوب شمال القوقاز المسلمة إلي الخارج وعن حياتهم ونشاطهم في أوطانهم الجديدة.



من المهاجرين الشيشان الى الأردن

الجلوس: الحاج أصحاب الذي عاش ١٤٢ عاماً والمختار ايوب عبد الله الذي أسس صويلح عام ١٩٠٤.

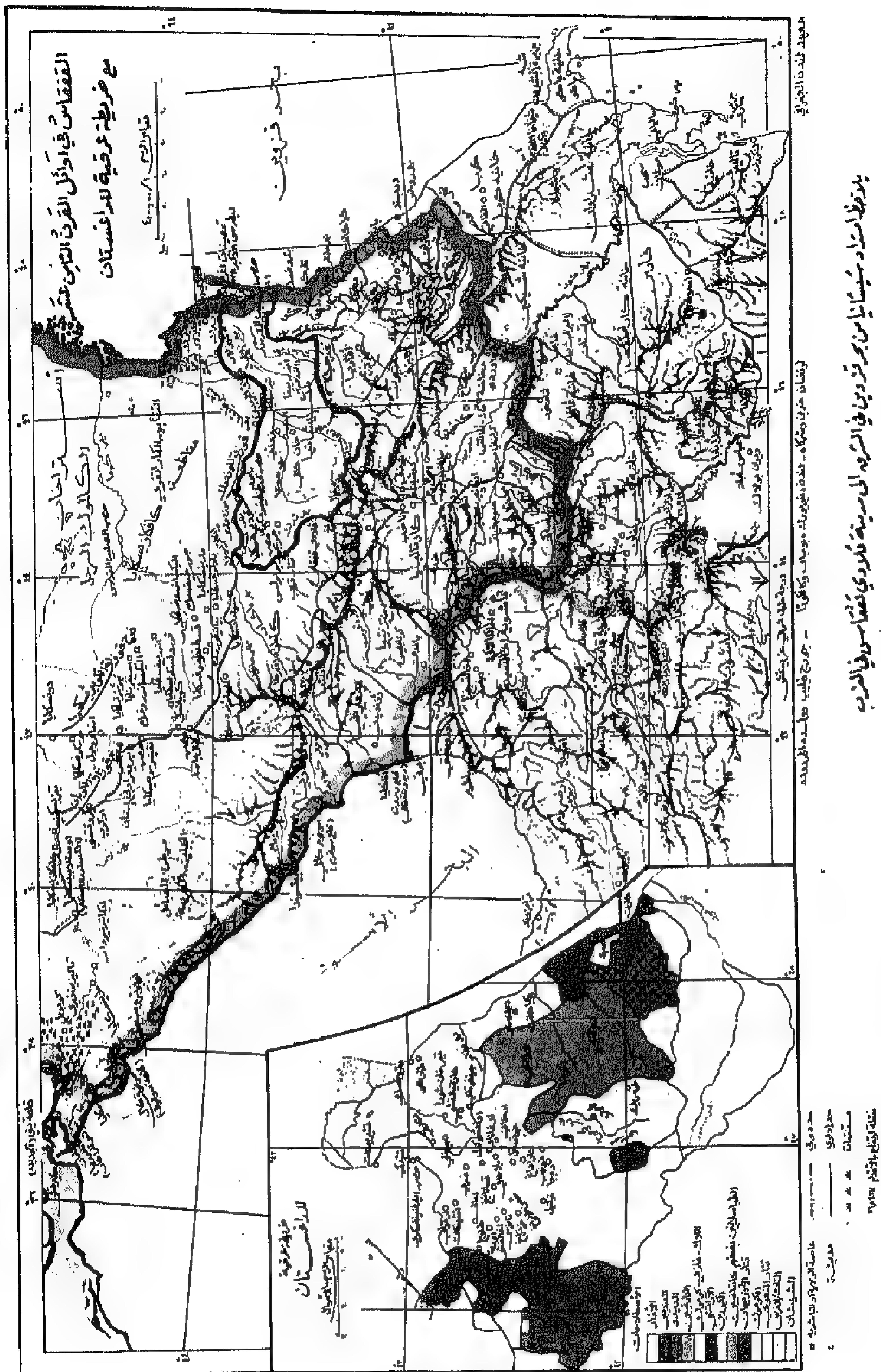
الوقوف: القائد احمد رمزي من الرعيل الأول في الجيش العربي الأردني والحاج عبد المجيد أصحاب

الفصل الرابع

تطوّر التنظيم الإداري لمنطقة شيشانيا

حكم أجزاءَ من القوقاز اليونانُ والرومانُ والعربُ والمغولُ (التتار) والفرس والترك، ومرّ بها أشهر قادة العالم مثل الاسكندر وبومبي وجنكيز خان .. الا ان شيشانيا وخاصة منطقة اتشكيريا ظلّت خارج السيطرة الاجنبية الى ان تمّ احتلالها من قبل الروس عام ١٨٥٩

المؤلف



خارطة للقوقاز في أوائل القرن الثامن عشر

تطوّر التنظيم الإداري لمنطقة شيشانيا

أ) قبل الاحتلال الروسي لشيشانيا

كما سبق ذكره، حكم أجزاءاً من القوقاز اليونان والرومان والعرب والمغول (التتار) والفرس والترك، ومر بها أشهر قادة العالم مثل الاسكندر وبومبي وجنكيزخان... إلا أن شيشانيا وخاصة منطقة اتشكيريا (محافظات نجي يورت وويدنه وشيلة الحالية من جمهورية الشيشان) ظلت خارج السيطرة الأجنبية إلى أن تم إحتلالها من قبل الروس بعد استسلام الشيخ شامل عام ١٨٥٩م.

ومنذ زوال دول وممالك الاورارتيين التي ترجح الدراسات والمستكشفات الحديثة بأنهم أصول شعب ألويناخ (الشيشان والأنجوش) لاتتوفر مراجع معتمدة عن دولة موحدة أو حكومة نظامية في شيشانيا حتى بدأت حركة المريدين الدينية الإسلامية(الصوفية النقشبندية) وقام الإمام شامل بتوحيد معظم مناطق وقبائل داغستان وشيشانيا في دولة اعتمدت الشريعة الإسلامية كنظام حياة ودستور حكم.وقادت هذه الحركة المقاومة القوقازية القوية ضد الإحتلال الروسي للقوقاز.

تميز الشيشان عن شعوب القوقاز بغياب الطبقات الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات وديموقراطية التعامل. لم يتقبلوا تولية أمور حكمهم إلى ملوك أو أمراء بالوراثة أو حكام دائميين. وكانوا ينظمون أمورهم المعيشية وعلاقاتهم الاجتماعية

وفق العادات والتقاليد القومية والأحكام الشرعية بعد اعتناقهم الدين الاسلامي الحنيف. وكان الأشراف على هذه الأمور واتخاذ القرارات بشأنها، ومتابعة مراعاتها وتنفيذها، يتم من قبل مجالس الشيوخ المحلية المنتخبة على مستوى العشيرة أو البلدة. وكانت هذه المجالس تشرف أيضاً على إعادة توزيع الأراضي الزراعية في مناطق اختصاصها مرة كل عشر سنوات على ضوء احصائيات للسكان ودراسات اجتماعية واعتبارات لطبيعة أعمالهم وحاجاتهم وطاقتهم لاستغلال هذه الأراضي بشكل مجدي.

وأما الأمور العامة التي تتجاوز خلفياتها وأثرها نطاق العشيرة أو البلدة فكان يجرى مناقشتها واتخاذ القرارت حولها من قبل المؤتمرات الوطنية لمجلس شيوخ بلاد الويناخ (شيشانيا) وكان يطلق على هذا المجلس اسم ماخكه كخيل أي مجلس الأمة.

يقول البروفسور الدكتور سعيدوف (اختصاص انثروبولوجي) في البحث الذي قدمه في الموتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي عقد في غروزني في شهر نوفمبر ١٩٩٠ وأصدر قرارت اعلان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية بأن المؤرخ الروسي ايبالتوف يذكر بأن اطلاق اسم مخكه كخيل على مجلس الشيوخ هذا جاء بالنسبة إلى معبد صغير عقد في موقعه المؤتمر الأول لهذا المجلس.... ويذكر بأنه كان في سور هذا المعبد وعلى أضلاعه الأربعة أربع مداخل كرمز لاتحاد مختلف عشائر الويناخ التي تقيم في الاتجاهات الأربع جميعها.

وكان المجلس يعقد مؤتمراته مرة كل نصف عام في قرى ومواقع مختلفة. وكان يحضرها مندبون منتخبون يمثلون جميع العشائر الشيشانية. وكان ينتخب لكل مؤتمر رئيساً جديداً يتولى ادارة جلسات المؤتمر ومتابعة قراراته حتى انعقاد المؤتمر التالي حيث يجور إعادة انتخابه لمرة واحدة، وكان المجلس ينتقل بين الجبال والسهول حسب الظروف والاحتياجات الداخلية والخارجية، وحسب تركيبة المجلس وهيئة رئاسته وما تطرأ عليها من تعديلات.

كانت صلاحيات المجلس تشمل اعلان الحرب دفاعاً عن البلد أو هجوماً على معتدي، وكذلك توزيع حصص مساهمة مختلف المناطق والعشائر من الحشودات البشرية والموارد التموينية اللازمة للحملات الحربية.

وشملت صلاحيات ومهام المجلس أيضاً عقد الصلح في المنازعات الكبيرة وجرائم القتل عندما يكون أطراف النزاع من أكثر من عشيرة واحدة. وقد ذكر الباحث الجورجي باخوشتي باغريتيون «بأن شعب الويناخ في القرن الثامن عشر كان في حالة

وقوع جريمة قتل تحتكم الجهتان المتنازعتان من عشيرتين مختلفتين أمام مجلس الشيوخ (مخكه كخيل) وتتصالح على أساس قراراته».

ويرى المؤرخ ايفان بابوق «بأن هذا المجلس كان يلعب دوراً كبيراً في توحيد حقوق الشعب وتشكيل مجتمع واحد ولغة متماثلة بحيث أن شعب الويناخ من داريال وحتى اكساي يشعرون بوحدتهم ويتفاهمون فيما بينهم بسهولة وبدون مترجم باستعمال لغتهم الأم».

وقد وضع المجلس قانون جزاء موحد لعشائر الويناخ. مثلاً في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت غرامة قتل الذكر(١٢٠) بقرة وقتل الانثى ضعف هذه الغرامة (مما يؤيد ما ذهب اليه المؤرخون من المكانة المميزة التي تحظى بها المرأة لدى مجتمع شعب الويناخ). وكان أهل القاتل يشتركون في جمع الغرامة وتتناسب ما يدفعونه مع درجة قرابتهم للقاتل. وكانت جريمة قتل شخص بريء أو التاجر الذي يتجول بين المناطق تعتبر مشددة ويجازى القاتل بالاضافة إلي الغرامة بطرده من منطقة سكناه وإقامة نصب عند مفارق الطرق تدعى (نصب اللعنة) حيث يقوم المار من ذلك الموقع بدعاء لعنة على المجرم الأثيم.

ويقال أنه في فترة رئاسة الشيخ منصور اوشرمه للمجلس لم تحدث في شيشانيا أية سرقة، والأشياء التي يعثر عليها كانت توضع عند تقاطع الطرق. وإذا مرت فترة من الزمن ولم يظهر صاحبها أو من يدعى بملكيتها كانت توضع تحت تصرف المجلس. ويعزى قلة حوادث السرقة في تلك الفترة إلى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بالسرقة.

وبالإضافة إلى الشيخ منصور فإن من أبرز الشخصيات التي تولت رئاسة المجلس تيمي بيبولت، ومدى جامرزه،، وشعيب (احدنواب الشيخ شامل)، وآلدم غاز، وتيني ارسينوي، والعالم حافظ غويسوم الذي كان عندما تولى رئاسة المجلس بلغ ١٢٠ عاماً من عمره وهو الذي أرسل الشيخ كنته حجي لبث الدعوة الإسلامية بين الانجوش. ومن الذين تولوا رئاسة المجلس العالم اليخ الذي درس علوم الفلسفة واللغة والفلك على يد شيخه غويسوم.

ومن الجدير بالذكر أن كنته حجي هو الذي نقل طريقة القادرية الصوفية إلى شيشانيا. وكان قد أخذها عن علماء بغداد عندما جاور مقام الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد مدة أربع سنوات في طريق عودته من حج بيت الله الحرام إلى شيشانيا.

وبرز حديثاً وخاصة عند انعقاد المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني عام ١٩٩٠

مطلباً شعبياً لإعادة تشكيل مجلس الشيوخ (مخكة كخيل) إلى جانب المؤسسات الدستورية الأخرى. وأهم أهداف بعث هذا المجلس (كما يدعى المطالبون به) هي محاربة الرذيلة، وطهارة الخلق، وفضح الخرافات، وتنمية الصداقة والوفاق بين شعب الجمهورية من مختلف الخلفيات العرقية والدينية. وقد طالب ببعث المجلس المؤتمر الوطني المذكور كما شمل ذلك برامج وأهداف مختلف الأحزاب التي جرى تشكيلها بعد الانفتاح السياسي في الاتحاد السوفيتي السابق.

وبدعوة من الانثروغرافي الجورجي روباخيدزي الذي كان معجباً بمجلس مخكه كخيل الشيشاني وقام قبل وفاته بدراسات عنه طالبت أحزاب وهيئات جورجية انتخاب مجلس شيوخ في جورجيا (على غرار مجلس مخكه كخيل الشيشاني) إلى جانب مجلس السوفيت الأعلى لجمهوريتهم.

ب) فترة الحكم القيصري ١٨٥٩ – ١٩١٧

دامت حروب الاحتلال الروسي للقوقاز أكثر من قرنين، وكانت روسيا خلالها تقوم بحملات عسكرية تنجح أحياناً في احتلال مناطق لا تلبث أن تخسرها، فتعود لإعادة الكرة مرة بعد أخرى. وفي بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر وسعت روسيا عملياتها الحربية التي حشدت له جيش القوقاز الروسي الذي كان يعتبر نخبة القوات الروسية وزاد تعداده عام ١٨٥٠ عن (٣٠٠٠٠٠) جندي نظامي يضاف إليهم ميليشيات قبائل القوزاق التي قامت روسيا بترحيلهم من ديارهم وتوطينهم على امتداد الخط الحربي الأمامي الذي أقاموه على امتداد نهر ترك، وكذلك ميليشيات بعض الشعوب القوقازية التي كانت قد خضعت للحكم الروسي وأخذت تتعاون معها. فمثلاً كان عدد القوات التي حشدتها روسيا لاحتلال القوقاز يزيد عن أربع أضعاف القوات التي حشدتها ضد تحالف تركيا وبريطانيا وفرنسا في حرب القرم.

تمت السيطرة الروسية على القوقاز وضم أقاليمها إلى الامبراطورية في الفترات المبينة في الجدول (٤ –١) والتسميات الواردة في الجدول هي التي كانت تطلق على هذه الأقاليم في تلك الفترات.

الجدول رقم ٤ – ١
تواريخ الاحتلال الروسي لاقاليم القوقاز وضمها للامبراطورية الروسية

السنة	الاقليم
١٧٦٣	أراضي قبائل النوغاي البدوية في شمال القوقاز
١٧٧٧-١٧٩٨	أراضي قبائل القوموق
١٧٨٤	جزء من أراضي الانجوش
١٧٨٦	امارة تارقة في داغستان
١٧٩٢	شبه جزيرة تامان
١٧٩٤	منطقة كوبان وبيتاغورسك
١٨٠١	أوسيتيا الجنوبية وأجزاء من جورجيا
١٨٠٣	منطقة منغريليا في جورجيا ومنطقة قبائل اللزغي في داغستان
١٨٠٤	منطقة أميريتيا في جورجيا وخانية غانجا
١٨٠٥	خانيات شوشين وشيرفان وشيكين
١٨٠٦	خانيات باكو وكوبا ودربند ومنطقة سامور ومنطقة كارا كيتاغ
١٨١٠	غويا والجزء الجنوبي من ابخازيا
١٨١١	خانية ليورين
١٨١٣	خانية تالشين
١٨١٥	منطقة مختولين
١٨١٩	منطقة التاباساران
١٨٢٠	جزء من خانية القوموق
١٨٢٢	منطقة القبرطاي واوسيتيا الشمالية
١٨٢٥	الجزء الباقي من خانية القوموق
١٨٢٨	خانية يريفان وخانية ناختشيفيان
١٨٢٩	منطقة اخالتسيخ باشاليك
١٨٣٣	جزء من منطقة السافانيين
١٨٥٣	الجزء الباقي من منطقة السافانيين
١٨٥٩	شيشانيا واواريا وباقي منطقة قبائل اللزغي
١٨٦٤	منطقة قبائل الشراكسة الغربية وباقي أراضي أبخازيا
١٨٧٧	منطقة ادجاريا ومنطقة قارص

لم تقم الحكومة القيصرية أثناء حروب الاحتلال أو بعد استسلام الشيخ شامل عالم ١٨٥٩ وبسط السيطرة الروسية على كامل القوقاز عام ١٨٦٤ بوضع خطة ثابتة ومنهج مفصل لادارة البلاد الذي احتلته بعد حروب دامية أدت إلى هلاك أو هجرة أو تهجير قسري لما يزيد على مليونين من الشعوب الاسلامية في القوقاز.

كانت الحكومة القيصرية استحدثت منصب نائب القيصر –الحاكم والقائد العام في القوقاز– ومقره مدينة تفليس. وكان هذا المنصب وخاصة في الفترات التي أشغله الأمير ميشيل فورنتسوف والمارشال الأمير الكسندر بارياتنسكي وشقيق القيصر الغراندوق ميشيل يعتبر أهم من منصب رئيس الوزراء. وكانت صلاحيات ومسؤليات نائب القيصر تشمل جميع الشؤون المدنية والعسكرية في عموم القوقاز. وجري تقسيم البلاد إلى مناطق عسكرية على مستويات مختلفة من حيث الحجم والصلاحيات. وكان تجرى عليها تعديلا بين حين وآخر.

فمثلاً بالنسبة لمناطق الشيشان والانجوش تشكلت في ١٨٦٠/٢/٢٠ منطقة الترك العسكرية تتبعه نواحي ارغون واتشكيريا واوخوفسكي والقوموق، في حين أن بعض القبائل الشيشانية (مالخستي ومايستي) الحقت منطقتهم بجورجيا. أما الانجوش والكارابولاك فقد كانوا ضمن منطقة اوسيتيا العسكرية.

وفي عام ١٨٦٢ جرت تعديلات على هذه التقسيمات وقسمت منطقة الترك العسكرية إلى عدة مناطق. فالمنطقة الغربية شملت نواحي القبرطاي واوسيتيا والانجوش، والمنطقة الوسطى شملت نواحي اتشكيريا وارغون، والمنطقة الشرقية شملت جزءاً من شيشان اوخوي وداغستان، وناحية الانجوش قسمت بدورها إلى نواحي نزران وغورسكي وبسيداخ.

وفي عام ١٨٦٦ وبأمر من القائد العام اقتطعت الاوخوي والميرجوي عن ناحية الانجوش وأصبحت تابعة لناحية ارغون. وبعدها بفترة قصيرة جرت تغييرات إدارية لمنطقة الترك مرة أخرى، وقسمت شيشانيا إلى مناطق غروزني وارغون وويدنه وخساف يورت (مع القوموق) في حين أن أنجوشيا واوسيتيا وقسم من مناطق القوزاق ضمت إلى منطقة ولادي قفقاسيا.

ج) فترة الحرب الأهلية الروسية – جمهورية اتحاد شمال القوقاز

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، واشتركت روسيا إلي جانب الحلفاء كانت بنية وتركيبة الامبراطورية القيصرية أصيبت بضعف شديد واستشرى الفساد في البلاط الامبراطوري ومؤسسات الدولة، وطغت الطبقة الارستقراطية المترفة، وعانى الفلاحون والعمال من مظالم كبيرة ومن الفقر وسوء الأحوال المعيشية. وقد أثرت هذه العوامل على الوضع في جبهات القتال وفي مختلف أرجاء الامبراطورية . ففي جبهات القتال استطاعت القوات الروسية في بادئ الأمر أن تتقدم في أوروبا حتى وصلت النمسا،إلا أنه بدأت تلحق بها هزائم متتالية أدت إلى انهيار المعنويات والانضباط العسكري، وكثرت حركات التمرد والفرار من جبهات القتال. وفي روسيا بلغ الاستياء أوجه بسبب الجوع والحرب الطويلة التي كان أبناء الفلاحين والطبقات الكادحة وقودها.

في شباط ١٩١٧ اندلعت الثورة في روسيا وطالب الشعب البرلمان (مجلس الدوما) الاستيلاء على السلطة. وبتاريخ ١٩١٧/٣/١٢ تم تشكيل سلطة محلية، وانتخب تسيخدزي رئيساً لها وكيرنسكي نائباً للرئيس. وفي ١٩١٧/٣/١٥ تنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش لصالح شقيقه الغراندوق ميشيل الذي كان يحظى بشعبية طيبة، إلا أنه تنازل بدوره عن حقه في تولي العرش بناء على نصيحة أغلبية مجلس الدوما وتشكلت في روسيا حكومة مؤقتة. وفي ١٩١٧/٩/١٤ أعلن تأسيس جمهورية في روسيا وأصبح كيرنسكي رئيساً لها، إلا أنه في شهر أكتوبر انفجرت الثورة الشيوعية المعارضة للحكم القيصري والجمهورية المعلنة ونشبت الحرب الأهلية الروسية.

عندما انفجرت الثورة الديمقراطية في روسيا في شباط ١٩١٧، راود القوقازيين الامل في التحرير، وتألفت بتاريخ ١٩١٧/٣/٨ في مدينة ولادي قفقاسيا حكومة مؤقتة لاتحاد شعوب القوقاز. وفي ١٩١٨/٥/١١ اعلن تشكيل جمهورية اتحاد شمال القوقاز المستقلة واعلن بتاريخ ١٩١٨/٥/٢٦ تشكيل جمهورية جورجيا المستقلة وبتاريخ ١٩١٨/٥/٢٨ تشكيل جمهوريتي اذربيجان وارمينيا المستقلتين.

ومع أن الشيوعيين كانوا قد أعلنوا اعترافهم باستقلال هذه الجمهوريات إلا أنهم عندما توطدت لهم السلطة تراجعوا عن مواقفهم السابقة، وغزت قواتهم القوقاز وأعادت احتلالها.

د) العهد السوفيتي

في بداية الأمر بعد سيطرة القوات الشيوعية على شمال القوقاز، أعطت الحكومة السوفيتية بعض التنازلات لأهل البلاد وفي مقدمتها منح شمال القوقاز الحكم الذاتي. إلا أنهم قاموا بتاريخ ١٩٢١/١/٢١ بتقسيم منطقة جمهورية اتحاد شمال القوقاز إلى وحدتين:-

١) جمهورية داغستان السوفيتية.

٢) جمهورية القوقاز الجبلية السوفيتية.

وما لبثت السلطات السوفيتية تجري تعديلات وتغييرات متوالية تهدف إلى احكام سيطرتها على البلاد وبث التفرقة بين شعوب المنطقة.

وتطورت ومرت التشكيلات الادارية لشمال القوقاز على النحو التالي:-

١- تأسست جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢١/١/٢١ كما ورد ذكره.

٢- تأسست منطقة قبرطاي ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢١/٩/١، وتحولت بتاريخ ١٩٣٢/١/١١ إلى منطقة القبرطاي - بلقر ذات الحكم الذاتي. وبتاريخ ١٩٣٦/١٢/٥ أصبحت جمهورية القبرطاي - بلقر ذات الحكم الذاتي.

وعند النفي الجماعي للبلقر إلى آسيا الوسطى عام ١٩٤٤ غيرت تسمية الجمهورية إلى جمهورية القبرطاي ذات الحكم الذاتي، وبعد أن بيضت صفحة البلقر وأعيد الاعتبار لهم وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم القومية غيرت التسمية مرة أخرى إلى جمهورية القبرطاي/بلقر ذات الحكم الذاتي.

٣- تأسست مقاطعة الشيشان ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢٢/١١/٣٠ ومقاطعة الانجوش ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢٤/٧/٧، وبتاريخ ١٩٣٤/١/١٥ انضمتا بطلب من الانجوش تحت اسم منطقة الشيشان/أنجوش ذات الحكم الذاتي. وفي ١٩٣٦/١٢/٥ أصبحت جمهورية الشيشان/أنجوش ذات الحكم الذاتي. وعند النفي الجماعي للشيشان والأنجوش بتاريخ ١٩٤٤/٣/٢١ إلى آسيا الوسطى جرى حل جمهورية الشيشان/أنجوش وتأسيس اقليم غروزني على القسم الأكبر من أراضي الجمهورية وضم أجزاء منها إلى جمهوريات جورجيا واوسيتيا الشمالية وداغستان. وبعد أن بيضت صفحة الشيشان والأنجوش وأعيد اليهم الاعتبار وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم القومية أعيد بتاريخ ١٩٥٧/١/٩ تشكيل جمهورية الشيشان/أنجوش ذات

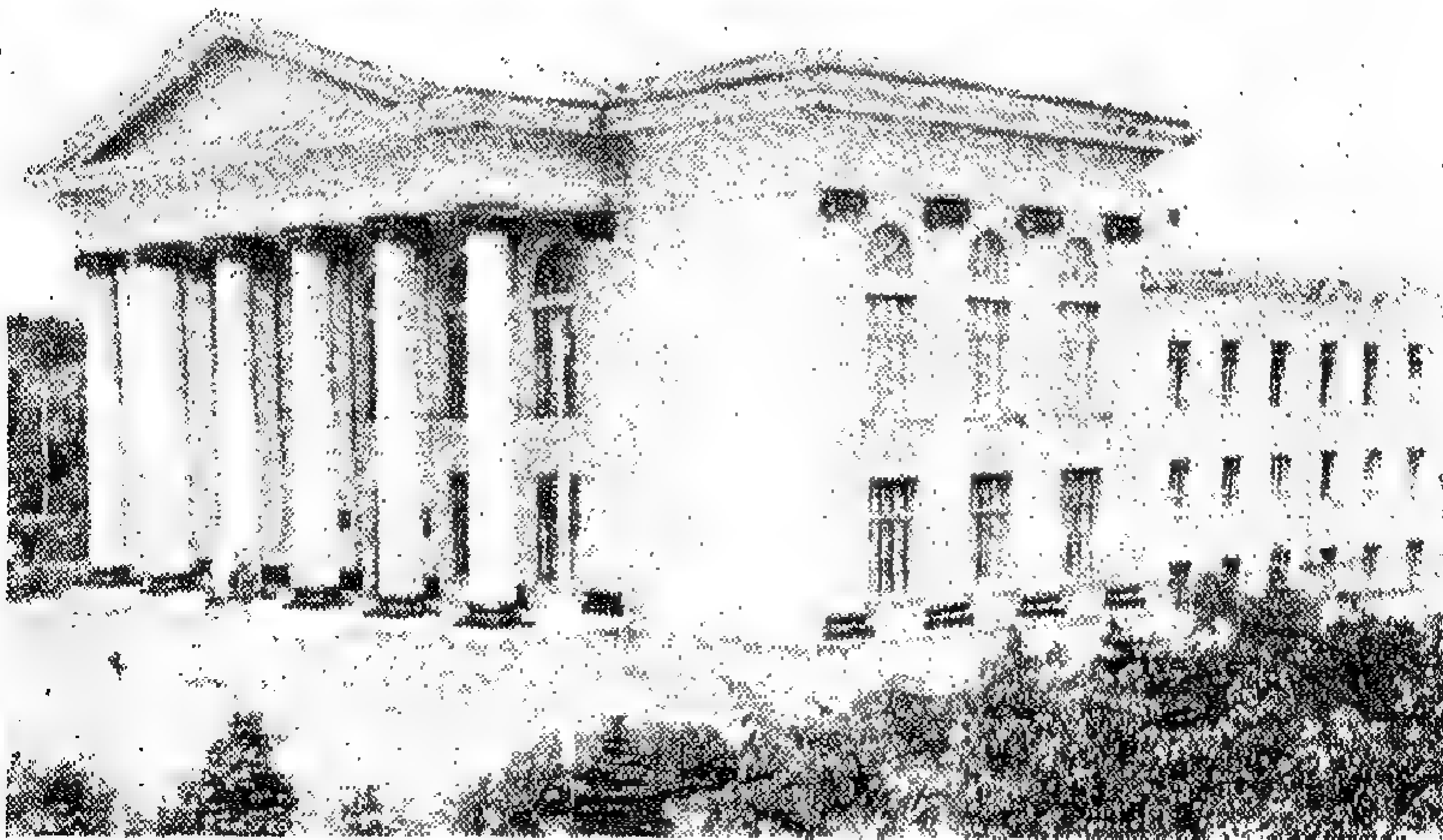
الحكم الذاتي. إلا أنه بموجب المرسوم الذي صدر باعادة تشكيل الجمهورية أجريت تعديلات جذرية على حدودها السابقة وبقيت مساحات من أراضيهم القومية ضمن جمهورية داغستان وجمهورية اوسيتيا الشمالية.

٤- تأسست جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢٤/٧/٧ ثم أصبحت جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٣٦/١٢/٥

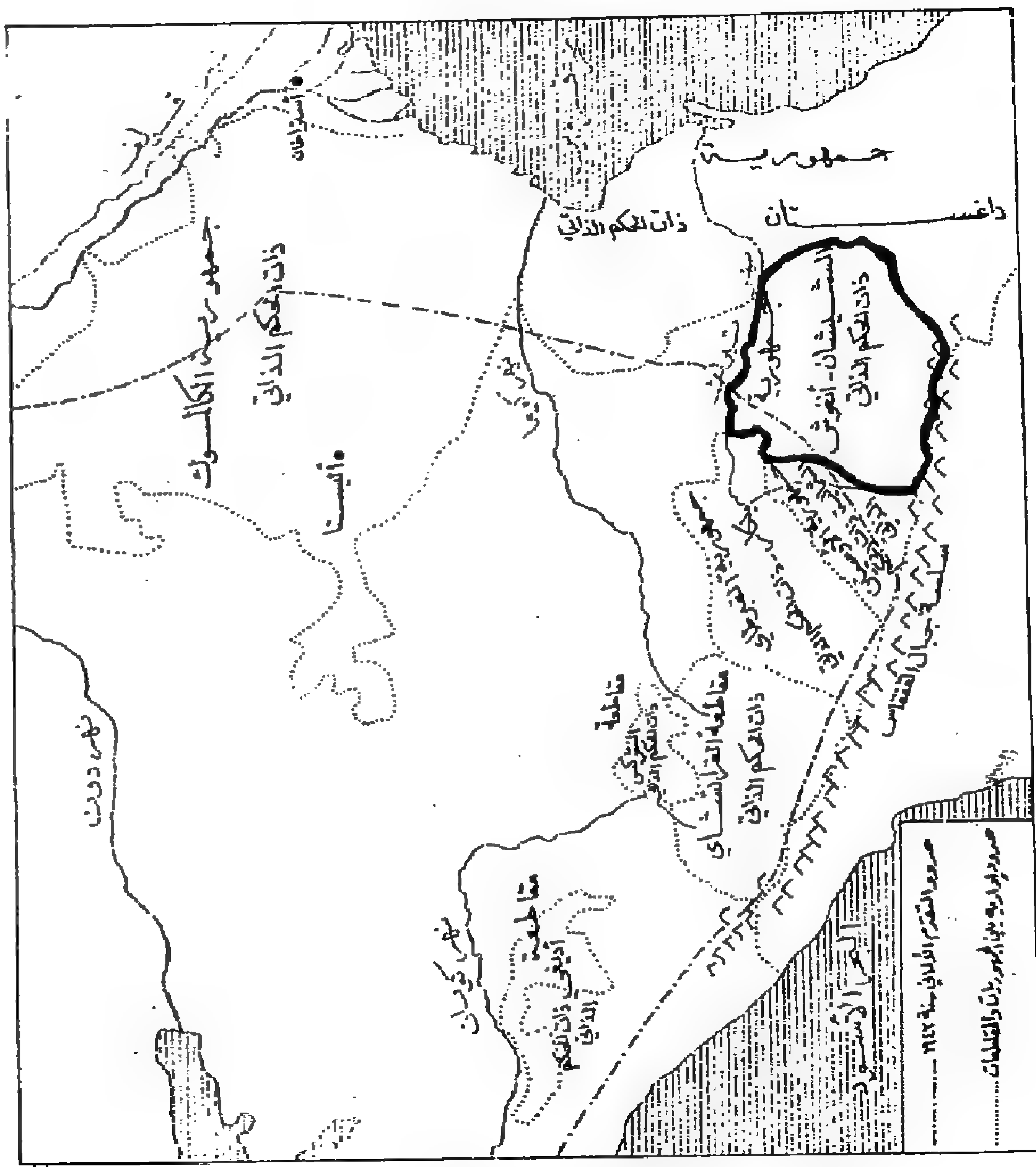
٥- تأسست مقاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢٢/٤/٢٠ ضمن جمهورية جورجيا السوفيتية الاتحادية.

٦- تأسست مقاطعة الكراتشاي/شركس ذات الحكم الذاتي بتاريخ ١٩٢٢/١/١٢ وانقسمت بتاريخ ١٩٢٦/٤/٢٦ إلى قسمين منطقة الكراتشاي ذات الحكم الذاتي ومنطقة الشركس القومية. وبتاريخ ١٩٢٨/٤/٣٠ اتحدت المنطقتان مرة أخرى تحت إسم مقاطعة الكراتشاي/شركس ذات الحكم الذاتي. وعند النفي الجماعي للكراتشاي عام١٩٤٤ إلى آسيا الوسطى بدلت التسمية إلى مقاطعة الشركس ذات الحكم الذاتي. وعندما بيضت صفحة الكراتشاي وأعيد إليهم الاعتبار وسمح لهم بالعودة إلى ديارهم القومية أعيدت التسمية بتاريخ ١٩٥٧/١/٩ إلى مقاطعة الكراتشاي/شركس ذات الحكم الذاتي. وهي ملحقة باقليم ستافروبول وتضم شعوب الكراتشاي والشركس والاباظة

٧- تأسست مقاطعة الاديغة ذات الحكم الذاتي في تموز ١٩٢٢ باسم منطقة الاديغة/الشركس ذات الحكم الذاتي. وقد اتخذت اسمها الحالي عام ١٩٧٩ وهي ملحقة باقليم كراسنودار.

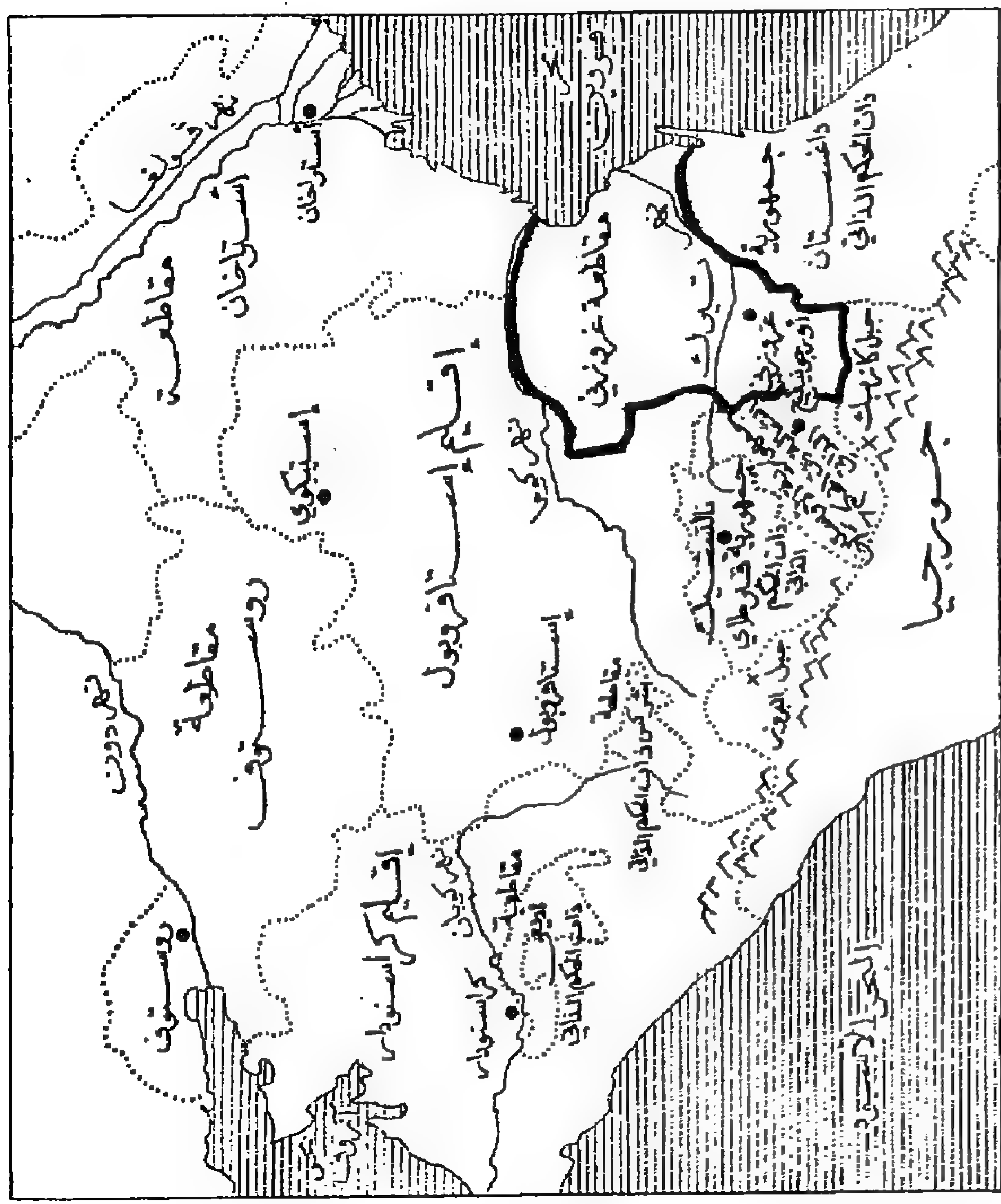


المكتبة العامة في غروزني قبل التدمير



خريطة الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي في شمال القفقاس
سنة ١٩٣٩ وحدود التقدم الألماني سنة ١٩٤٢

يُلاحظ فصل جمهورية الشيشان عن شواطئ بحر قزوين.



خريطة التقسيمات الإدارية في شمال القفقاس سنة ١٩٤٥.

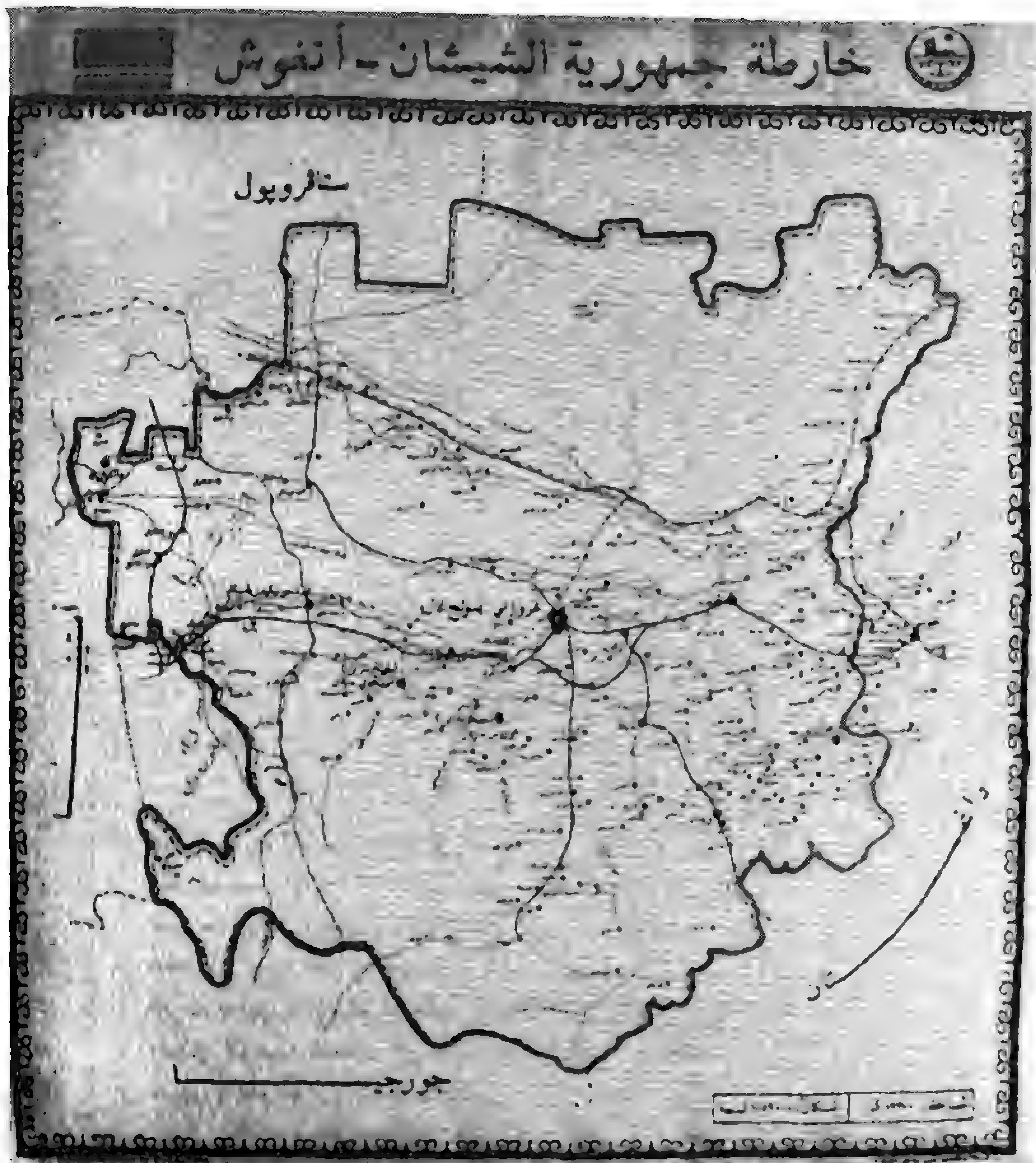
يُلاحظ إمتداد مقاطعة غروزني التي حلت محل جمهورية الشيشان عند نفي الشيشان الى شواطئ بحر قزوين مرة أخرى.

الفصل الخامس

جمهورية الشيشان/أنجوش ذات الحكم الذاتي بعد إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧

تقع جمهورية الشيشان – انجوش شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى، مساحتها ١٩٣٠٠ كيلومترمربع، ويحدّها من الشمال اقليم ستافروبول وجمهورية داغستان، ومن الشرق جمهورية داغستان، ومن الجنوب جمهورية داغستان وجورجيا ومن الغرب جمهورية اوسيتيا الشمالية. وقد تمّ فصل الجزء الغربي المحاذي لاوسيتيا الشمالية عن جمهورية الشيشان، وتشكيل جمهورية انجوشيا.

المؤلف



خارطة جمهورية الشيشان - أنجوش السوفيتية ذات الحكم الذاتي

جمهورية الشيشان/أنجوش ذات الحكم الذاتي بعد إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧

تقع جمهورية الشيشان/انجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي على الوجه الذي أعيد تشكيلها عام ١٩٥٧ بعد عودة الشيشان/انجوش من المنفى إلى ديارهم القومية التاريخية شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى، وتنحصر بين خطي طول ٤٤ْ-٤٧ْ شرقاً وخطي عرض ٤٢ْ-٤٥ْ شمالاً وتبلغ مساحتها ١٩٣٠٠ كيلومتر مربع. تحد الجمهورية من الشمال اقليم ستافروبول وجمهورية داغستان ومن الشرق جمهورية داغستان ومن الجنوب تفصلها هضبة جبا ل القوقاز الكبرى عن جمهوريتي داغستان وجورجيا. ومن الغرب جمهورية اوسيتيا الشمالية وجمهورية القبرطاي/بلقر.

وبالنسبة للتضاريس الطبيعية فإن هضبة جبال القوقاز الكبرى تشمل في الجزء الذي تحدها مع جمهورية داغستان القمم العالية التالية:-

١) قمة تسوبولغو وارتفاعها عن سطح البحر ٢٧٢٥ متراً

٢) قمة تسانكر وارتفاعها عن سطح البحر ٣٣٠٨ متراً

٣) قمة بحيرة قيزن عام وارتفاعها عن سطح البحر ٢٨٠٦ متراً

٤) ممر الطريق الذي يربط بلدة ويدنة في شيشانيا مع بلدة تويلخ في داغستان وإرتفاعه عن سطح البحر ٢١٧٧ متراً والطريق صالح لسير العربات ماعدا في موسم

الثلوج.

وأما الجزء من هضبة الجبال الذي تحدها مع جورجيا فتقع فيها القمم العالية التالية:-

١) قمة دكلوسمتا وارتفاعها عن سطح البحر ٤٤٩٥ متراً.
٢) قمة كوميتو وارتفاعها عن سطح البحر ٤٢٦١ متراً.
٣) قمة كاتسو وارتفاعها عن سطح البحر ٣٥٥٢ متراً.
٤) قمة تيبولو سمتا وارتفاعها عن سطح البحر ٤٤٩٣ متراً.
٥) قمة ماخسماغالي وارتفاعها عن سطح البحر ٣٩٩٠ متراً.
٦) قمة مارتينيسمتا وارتفاعها عن سطح البحر ٣٩٩٨ متراً.
٧) قمة شان وارتفاعها عن سطح البحر ٤٤٥١ متراً.

وتفصل قمةستولوفابا وارتفاعها عن سطح البحر ٢٩٩٣ متراً جمهورية الشيشان عن مقاطعة اوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي.

وهذه القمم العالية خالية من الشجر، ومعظمها مغطاة بالثلوج طيلة أيام السنة.

ومن هذه الهضبة المرتفعة تبدأ أراضي الجمهورية بالانحدار باتجاه شمال شرق حتى تصل إلى مناسيب الحزام السهلي الخصب الذي يستمر بانحدار قليل باتجاه شمال شرق حتى تصل إلى حوض نهر ترك. وعبر نهر ترك في الشمال توجد سهوب القوقاز المنبسطة، ومنسوب بعض أجزائها الواقعة في الطرف الشمال الشرقي من حدود الجمهورية تقع تحت مستوى سطح البحر.

المنحدرات الشمالية لهضبة جبال القوقاز الكبرى مغطاة بالغابات الكثيفة، وبعض أشجارها كتلك المتواجدة بالقرب من بلدة (بينه) عالية، وعند زيارة لي لتلك المنطقة قدرت ارتفاع بعض أشجار الزان بأكثر من ثمانين متراً. وغابات منطقة اتشكيريا (وتشمل محافظتي نجي يورت وويدنه حسب التقسيم الاداري للجمهورية) كانت دوماً مقبرة للجيوش الروسية الغازية، مما حدا بالجنرال يرمولوف نائب القيصر/القائد العام لجيش القوقاز الروسي أن يصرح(١)

«يجب أن تكون البلطة المستعملة في قطع أشجار الغابات السلاح الرئيسي في الحرب ضد الشيشان»

وأما الشيخ شامل فقد فرض عقوبات وغرامات كبيرة على كل من يقطع شجرة من دون تصريح أو ضرورة قصوى.





١ ـ سمو الأمير علي بن الحسين المعظم الرئيس الفخري لنادي الجيل الجديد يرحب في النادي بحجاج من جمهورية الشيشان في طريق عودتهم من الديار المقدسة.

٢ ـ ممثلون عن اللجنة الأردنية شاركوا في حفلة افتتاح سفارة رمزية لجمهورية الشيشان في بون في أسبوع الدول غير الممثلة في هيئة الأمم المتحدة.

وأما الحزام السهلي الواقع بين هذه المنحدرات وحوض نهر ترك فيشكل المنطقة الخصبة ذات الزراعة الكثيفة. كما أن المدن الكبيرة في شيشانيا وآبار النفط والمنشآت الصناعية المهمة تقع معظمها داخل هذا الحزام.

وأما المنطقة الواقعة في الشمال عبر نهر ترك، فتشكل جزءاً من سهوب شمال القوقاز. وضمت هذه إلى الجمهورية بعد إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧. وهي مناسبة كمراعي جيدة، وبوشر فيها نشاط اصلاح زراعي بواسطة الري من مياه نهر ترك والأنهر الأخرى المتواجدة فيها أو من الآبار الإرتوازية.

جاء في كتاب جغرافية الاتحاد السوفيتي(٩):-

«إن بدأ تكون جبال القوقاز كان قبل ٧٠ مليون سنة في العصر الطباشيري(C3) من الدهر الوسيط حينما بدأت ظهور النباتات كاسية البذور وانقرضت زواحف الدهر الوسيط وجرى تطور الطيور وظهور الثديات. وتكونت في تلك الفترة بعض المطمورات النافعة مثل الفحم والنفط وشيست قابل للاحتراق وفوسفوريت وفلزات القصدير والذهب والفضة والنحاس والرصاص والزرنيخ والانتيمون. وأما ارتفاع جبال القوقاز فكان قبل ٢٤ مليون عام في العصر النيوجيني (N) حيث كان هناك انفصال البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود وبحر قزوين واورال.وتم تطور في الاشكال العليا للنباتات والقرود الشبيهة بالانسان. وتكونت في تلك الفترة بعض المطمورات النافعة مثل الفحم البني والنفط والكهرمان والملح الحجري ورواسب فلزات الحديد ورواسب مواد انشائية مثل الغرانيت والمرمر.»

لا توجد في شيشانيا إلا بحيرة واحدة ذات حجم يذكر، وهي بحيرة (قيزن عام) على قمة مرتفعة من هضبة جبال القوقاز الكبرى. وتقع على الحدود الفاصلة بين هذه الجمهورية وجمهورية داغستان. وهناك بضع بحيرات صغيرة في منطقة السهوب شمال حوض نهر ترك وأهمها بحيرة كابو ستينو وبحرج تشير كاسكو.

وأما بالنسبة للأنهر والينابيع والجداول الدائمة فهي كثيرة وموزعة على شكل شبكة كثيفة في جميع أنحاء الجمهورية، أهمها وأكبرها نهر ترك الذي يبدأ عن ينابيع مصدرها في مقاطعة اوسيتيا الجنوبية ويمر من جمهورية اوسيتيا الشمالية وجمهورية القبرطاي/بلقر وجمهورية الشيشان/انجوش ويصب في بحر قزوين في جمهورية داغستان. ويصب في نهر ترك أثناء هذا المسار الطويل عشرات الأنهر والينابيع والجداول من أهمها في الجمهورية أنهر موتشيك وغوميس وخلخلايو وباس وارغون وسونجا

(باللغة الشيشانية سولجا) وغويتخ ومارتان وروشينا وغيخي وولاربك ونختوي وفورتان وآسا.

كما يوجد في شرق الجمهورية نهران داخليان ينبعان في الجمهورية وينتهيان في جمهورية داغستان وهما نهر اكتاش ونهر اكساي (باللغة، الشيشانية ياسي) وفروعهما.

وفي منطقة السهوب شمال نهر ترك توجد عدة اقنية صناعية رئيسية لغايات الري.

ويمكن وصف مناخ الجمهورية بأنه قاري، إذ تتعرض في فصل الشتاء إلى رياح قطبية باردة وتكسو البلاد طبقة من الثلوج تدوم شهرين أو أكثر، وأما في الصيف وخاصة في الحزام السهلي فإن الطقس يميل إلى الحرارة ونسبة رطوبة عالية. وكذلك السهوب الشمالية فإن طقسها حار في الصيف.

وتتراوح كميات الأمطار السنوية في الجمهورية من أقل من ٣٥٠ ميلمتر في السنة في السهوب الشمالية إلي ما يزيد عن ٨٠٠ ميلمتر في منطقة هضبة جبال القوقاز الكبرى والمنحدرات القريبة منها. وتكون معدلات سقوط الأمطار أقلها في أشهر الشتاء وأعلاها في أشهر الصيف.

يبين الجدول رقم (٥-١) معلوما عن معدل كميات الأمطار ودرجات الحرارة في بعض مناطق الجمهورية.

ويبين الجدول رقم (٥-٢) المعدل الشهري لكميات الأمطار ودرجات الحرارة في مدينة غروزني، وينطبق هذا الاتجاه في التوزيع على معظم أنحاء الجمهورية.

وتتواجد في الجمهورية بعض الهضاب والقمم المرتفعة المكسوة بالثلوج على مدار العام. وينخفض المعدل السنوي لدرجة الحرارة فيها إلى ما دون أربع درجات سنتغراد تحت الصفر.

الجدول رقم ٥ – ١
معدلات درجات الحرارة وكميات الأمطار في بعض أنحاء الجمهورية

الرقم	اسم الموقع	الأمطار مم/سنة	درجات الحرارة (سنتغراد)		
			عليا	دنيا	معدل سنوي
١	غروزني	٤٤٢	٤١	٣٣-	١٠,٥
٢	ويدنة	٨٤٣	٣٧	٣٣-	٧
٣	نزران	٥٤٦	–	–	٩
٤	شيلكوسكايا	٣٨٨	–	–	١٠,٥
٥	شوته(شاتوي)	٦٠٣	٣٩	٣٣-	٨
٦	نايورسكابا	٣٩٢	٤٢	٣٢-	١٠,٥

الجدول رقم ٥ – ٢
معدل شهري لكميات الأمطار ودرجات الحرارة في غروزني

النوع	أشهر السنة											
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
الامطار (مم/سنة)	٢١	٢٠	٢٤	٣٣	٥٢	٦٧	٥٦	٤٨	٣٨	٣٤	٢٩	٢٠
درجات الحرارة (سنتغراد)	٥-	٢-	٣	١٠	١٥	٢١	٢٤	٢٣	٢٠	١٥	٥	٢-

سكان الجمهورية

أدرج في احصائيات تعداد السكان الذي جرى في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ أسماء (٤٧) قومية كمواطنين في جمهورية الشيشان/أنجوش أكثرهم عدداً الشيشان (٧٣٤٥٠١ نسمة) وأقلهم القالموق (٥٢ نسمة) وبلغ تعداد العرب (١١٤ نسمة). والجدول رقم (٥-٣) يبين أعداد والنسب المئوية للقوميات التي يزيد عدد أفرادها في الجمهورية عن (١٠٠٠ نسمة). ويلاحظ في هذا الجدول بأن القوزاق مدرجون مع الروس لأن اللغة القومية للقوزاق هي الروسية.

إن المجموعتين الرئيسيتين اللتين تشكلان سكان الجمهورية هم شعب الويناخ (الشيشان والأنجوش) والشعب الروسي (الروس والقوزاق). ويتبين بأن الويناخ زاد عددهم فيما بين عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٩ بنسبة ٢٠,٤٪ وارتفعت نسبتهم من مجموع سكان الجمهورية من ٦٤,٥٦٪ إلى ٧٠,٧١٪.

وأما الروس فقد قل عددهم بنسبة ١٢,٦٪ كما وإن نسبتهم من مجموع سكان الجمهورية انخفضت من ٢٩,٠٧٪ إلى ٢٣,١٢٪. ومع العلم أن نسبة الويناخ من سكان الجمهورية حسب احصاءات عام ١٩٧٠ كانت حوالي ٤١٪ فقط واحصاءات عام ١٩٥٩ كانت النسبة ٢٩٪ فقط وأما الروس فكانت نسبتهم ٣٤٪ عام ١٩٧٠ و٤٩٪ عام ١٩٥٩.

والزيادة المطردة في التعداد الرقمي والنسبة المئوية لشعب الونياخ تعزى إلى عودة الذين نفوا عام ١٩٤٤ إلى آسيا الوسطى إلى ديارهم القومية بالإضافة إلى نسبة الزيادة الطبيعية العالية للشعوب الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق. وأما نسبة انخفاض الروس عدداً ونسبة فيعود إلى تدني نسبة الزيادة الطبيعية بينهم بالإضافة إلى أن أعداداً من المستوطنين الروس نزحوا من الجمهورية مع ازدياد النفوذ الوطني في الجمهورية وفقد الروس لبعض الامتيازات التفضيلية والمحاباة التي كانت السلطات السوفيتية توفرها لهم.

ويبين الجدول (٥-٤) توزيع السكان في الجمهورية بالنسبة للجنس وسكان الحضر والريف ومدينة غروزني حسب تعداد عام ١٩٨٩.

ويبين الجدول رقم (٥-٥) أعداد ونسبة شعب الويناخ المقيمين داخل حدود

الجمهورية والمقيمين في أرجاء أخرى من الاتحاد السوفيتي مع العلم أن هناك أعداد منهم لم يعودوا من المنفى (كازاخستان وقرخيزيا)، كما أن هناك جالية شيشانية استوطنت في جورجيا منذ أكثر من مائتي عام. وهناك أيضاً أعداد كبيرة من الشيشان يعيشون في أنحاء مختلفة في الاتحاد السوفيتي السابق وخاصة في العاصمة موسكو.

ويبين الجدول رقم (٥-٦) توزيع السكان بالنسبة للعمر حسب تعداد عام ١٩٨٩.

ولدى تحليل الجدولين (٥-٥) و(٥-٦) السابقين نستخلص ما يلي:-

١- الفرق الكبير بين نسبة الذكور (٤٦.٩٨٪) ونسبة الإناث (٥٣.٠٢٪) من سكان الجمهورية يعزى إلى أن الرجال كانوا أكثر تعرضاً للوفاة من النساء في معارك القتال أو نتيجة الاعتقال والتصفية من قبل السلطات الشيوعية.

٢- يتبين بأن نسبة المتقدمين في العمر بين النساء أكبر منها بين الرجال ويعزى ذلك أيضاً إلى ما ورد في الفقرة السابقة.

٣- يتبين بأن نسبة المتقدمين في العمر بين أهل العاصمة غروزني والمدن أكبر منها بين أهل الريف. ويعزى ذلك إلى عاملين:-

أ) غالبية أهل الريف من الويناخ (الشيشان والأنجوش) الذين تعرضوا للموت نتيجة المعاناة القاسية أثناء النفي الجماعي وعمليات التصفية من قبل السلطات السوفيتية، في حين أن غالبية الفئات الأخرى في الجمهورية كانوا يعيشون في المدن ولم يتعرضوا للموت المبكر مثل الويناخ.

ب) مستوى الخدمات والرعاية الصحية وكذلك متطلبات واحتياجات المعيشة الرئيسية كانت متوفرة في المدن بشكل أفضل من الريف.

وبشكل عام فإن الأهوال التي قاسى منها شعب الويناخ خلال فترة النفي الجماعي (١٩٤٤-١٩٥٧) من جوع وبرد وأمراض كان لها أثر كبير حتى على حجم ومتانة البنية الجسدية والمقاومة للأمراض للأجيال التي ولدت أو ترعرعت وشبت في المنفى. وقد تستمر آثار هذه الظاهرة إلى فترة أو حتى أجيال قادمة.

الجدول رقم ٥ – ٢

تحليل اعداد سكان جمهورية الشيشان / انجوش بالنسبة للقوميات/تعداد السكان عام ١٩٨٩

الرقم	اسم القومية	تعداد عام ١٩٧٩		تعداد عام ١٩٨٩		نسبة تعداد ٨٩ / تعداد ٧٩ × ١٠٠
		العدد	٪ من سكان الجمهورية	العدد	٪ من سكان الجمهورية	
١	الشيشان	٦١١٤٠٥	٥٢,٩٠	٧٣٤٥٠١	٥٧,٨٢	١٢٠,١
٢	الانجوش	١٣٤٧٤٤	١١,٦٦	١٦٣٧٦٢	١٢,٨٩	١٢١,٥
	الويناخ (١+٢)	٧٤٦١٤٩	٦٤,٥٦	٨٩٨٢٦٣	٧٠,٧١	١٢٠,٤
٣	الروس (روس+قوزاق)	٣٦٦٠٤٤	٢٩,٠٧	٢٩٣٧٧١	٢٣,١٢	٨٧,٤
٤	الأرمن	١٤٦٢١	١,٢٦	١٤٨٢٤	١,١٧	١٠١,٤
٥	الاوكرانيين	١٢٠٢١	١,٠٤	١٢٦٣٧	٠,٩٧	١٠٥,١
٦	القوموق	٨٠٨٧	٠,٧٠	٩٨٥٣	٠,٧٨	١٢١,٨
٧	النوغاي	٦٠٩٣	٠,٥٣	٦٨٨٤	٠,٥٤	١١٣,٠
٨	التتار	٥٤٤٤	٠,٤٧	٥١٠٢	٠,٤٠	٩٣,٧
٩	الاوار	٤٩٧٠	٠,٤٣	٦٢٧٦	٠,٤٩	١٢٦,٣
١٠	اليهود	٣٩٩٣	٠,٣٥	٢٦٥١	٠,٢١	٦٦,٤
١١	البيلوروس	٢٢٨١	٠,١٩	٢٥٧٧	٠,٢٠	١١٣,٠
١٢	الاوسيت	٢١٩١	٠,١٩	١٨٢١	٠,١٤	٨٣,١
١٣	الدارغيين	١٤٢٩	٠,١١	١٧٤٣	٠,١٤	١٣٩,٦
١٤	الجورجيين	١١٨٠	٠,١٠	١٠٤١	٠,٠٨	٨٨,٢
١٥	اللاك	١٠٥٠	٠,٠٩	١١٠٢	٠,٠٨	١٠٤,٢
١٦	قوميات أخرى	٩٤٥١	٠,٩١	١١١٨٠	٠,٩٥	١٠٩,٩
	المجموع	١١٥٥٨٠٥	١٠٠	١٢٧٠٤٢٩	١٠٠	١٠٩,٩

ملاحظة: ٤١ قومية مختلفة تعداد أية منها في الجمهورية أقل من ١٠٠٠ نسمة شُملت في (قوميات أخرى)

الجدول رقم (٥ – ٤)
توزيع السكان بالنسبة للجنس وأهل الريف والمدن في الجمهورية
تعداد السكان عام ١٩٨٩

الرقم	الفئة	ذكور	إناث	المجموع	النسبة المئوية لمجموع السكان
١	أهل الريف	٣٥٤٨٩٣	٣٩٠١٨٣	٧٤٥٠٧٦	٥٨,٦٥
٢	أهل المدن	٢٤١٩٥٥	٢٨٣٣٩٨	٥٢٥٣٥٣	٤١,٣٥
٣	مجموع الجمهورية	٥٩٦٨٤٨	٦٧٣٥٨١	١٢٧٠٧٤٩	١٠٠
٤	النسبة المئوية للمجموع	٤٦,٩٨	٥٣,٠٨	١٠٠	–
٥	العاصمة قروزني	١٨٥٧٩٥	٢١٤٤٦٣	٣٩٧٢٥٨	٣١,٢٦

الجدول رقم ٥ – ٥
محل إقامة شعب الويناخ في الاتحاد السوفيتي (تعداد السكان عام ١٩٨٩)

الفئة	مجموع السكان	يقيمون داخل الجمهورية		يقيمون في مناطق أخرى من الاتحاد السوفيتي	
		العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الشيشان	٩٥٦٨٧٩	٧٣٤٥٠١	٧٦,٧١	٢٢٢٣٧٨	٢٣,٢٤
الانجوش	٢٣٧٤٣٨	١٦٣٧٦٢	٦٨,٩٨	٧٣٦٧٦	٣١,٠٢
المجموع	١١٩٤٣١٧	٨٩٨٢٦٣	٧٥,٢١	٢٩٦٠٥٤	٢٤,٧٩

الجدول رقم ٥ – ٦
توزيع سكان الجمهورية بالنسبة للعمر حسب تعداد عام ١٩٨٩

فئة العمر عام	العدد	النسب المئوية					
		مجموع السكان	ذكور	اناث	ريف	حضر	غروزني
أقل من عام	٣٠٥٧٣	٢,٤	٢,٦	٢,٢	٢,٨	١,٩	١,٧
١ – ٢	٥٩١٤٦	٤,٧	٥,٠	٤,٣	٥,٣	٣,٨	٣,٤
٣ – ٥	٨٥٥٥٨	٦,٧	٧,٣	٦,٣	٧,٥	٥,٦	٥,١
٦	٢٧١٥٠	٢,١	٢,٣	٢,٠	٢,٤	١,٨	١,٦
٧ – ٩	٧٨٣٣٢	٦,٢	٦,٦	٥,٨	٦,٨	٥,٢	٤,٧
١٠ – ١٥	١٤٩٠٤٦	١١,٧	١٢,٦	١١,٠	١٢,٧	١٠,٣	٩,٥
١٦ – ١٧	٤٩٢٨١	٣,٩	٤,٢	٣,٦	٤,٠	٣,٧	٣,٥
١٨ – ١٩	٤٣٧٥٥	٣,٥	٣,٦	٣,٤	٣,٤	٣,٥	٣,٩
٢٠ – ٢٤	١٧٠٧٢	٨,٣	٨,٧	٨,٢	٩,٣	٧,٣	٧,٢
٢٥ – ٢٩	١١١٧٣٠	٨,٨	٨,٨	٨,٨	٩,٤	٧,٩	٧,٨
٣٠ – ٣٤	١٠٠٤٦٨	٧,٩	٧,٩	٧,٩	٧,٩	٨,٠	٧,٩
٣٥ – ٣٩	٧٩٦٥٠	٦,٣	٦,٣	٦,٢	٥,٥	٧,٣	٧,٥
٤٠ – ٤٤	٤١٣٣٢	٣,٣	٣,٣	٣,٣	٢,٤	٤,٥	٤,٨
٤٥ – ٤٩	٤٨٩٤٥	٣,٩	٣,٧	٤,٠	٣,١	٤,٩	٥,٢
٥٠ – ٥٤	٦٤٨٦٦	٥,١	٤,٩	٥,٣	٤,٥	٥,٩	٦,٢
٥٥ – ٥٩	٥٤١٢٤	٤,٣	٤,٠	٤,٥	٣,٩	٤,٧	٥,٠
٦٠ – ٦٤	٤٨٥٢٠	٣,٨	٣,٣	٤,٣	٣,٠	٥,٠	٥,٥
٦٥ – ٦٩	٢٦٠٦١	٢,١	١,٥	٢,٥	١,٦	٢,٦	٢,٩
٧٠ – ٧٤	٢٢٢٢٧	١,٧	١,٢	٢,٢	١,٤	٢,٣	٢,٥
٧٥ – ٧٩	١٩٥٣٠	١,٥	١,١	١,٩	١,٢	٢,٠	٢,٢
٨٠ – ٨٤	١١٥٥٧	٠,٩	٠,٥٠	١,١	٠,٨	١,١	١,٢
٨٥ وأكثر	١١٧١٠	٠,٩	٠,٦	١,٢	١,١	٠,٧	٠,٧
لم تحدد أعمارهم	٩٦	–	–	–	–	–	–
المجموع		١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠



لوحة ٣

هكذا كانت البداية لشارع الشابسوغ . أخذ هذا الشارع اسمه الذي لصق به من اسم القبيلة الشركسية الشابسوغ التي كانت أول قبيلة قدمت من القفاسيا ونزلت في عمان عام ١٨٦٧ ، واتخذت من المدرج الروماني وردهاته مأوى لها حتى توافرت لديها الامكانات والوسائل لبناء البيوت التي تشاهد في الصورة مع الجسر التركي القديم .

Plate 3

This was the beginning of Shapsogh Street, named after the Circassian tribe which was the first to come from Caucasus and settled in Amman in 1867. They first settled in the Roman Theatre and in its corridors until they were able to build the houses shown in the picture. The old Turkish bridge is also visible. 1907

منظر من مدينة عمان عام ١٩٠٧

من كتاب (عمان بين الأمس واليوم)

تأليف السيد أرسلان رمضان بكج

للقوقاز شهرة عالمية بنسبة المعمرين العالية بين سكانها. وقد كتبت عالمة الانثوربولوجي الأمريكية سولابينت كتابين حول هذا الموضوع بعنوان (كيف تعيش لتبلغ مائة عام من العمر)(٥٣) و(الابخاز أشهر معمري العالم)(٥٤). وقد أوردت بعض الأرقام الجديرة بالذكر بمقارنة معامل الشيخوخة العظمى ومعامل الشيخوخة اللذين اقتبسهما الدكتور سوتشوك من معهد علم الشيخوخة في مدينة كييف وهما:-

نسبة الذين بلغوا ١١٠ عام أو أكثر
١ - معامل الشيخوخة العظمى = ---------------------------- × ١٠٠
نسبة الذين بلغوا ١٠٠ عام وأكثر

نسبة الذين بلغوا ٩٠ عام أو أكثر
٢- معامل الشيخوخة العظمى = ---------------------------- × ١٠٠
نسبة الذين بلغوا ٦٠ عام وأكثر

فمعامل الشيخوخة العظمى حسب تعداد سكان الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٠ تراوح بين صفر (أي عدم وجود معمرين بلغوا ١١٠عام) في جمهورية استونيا الاتحادية إلى ١٩,٨وهي الأعلى في جمهورية اوسيتيا الشمالية. وزاد عن (١٠) في كل من اذربيجان وجورجيا وأرمينيا بينما تراوح بين ١٢ - ٢٠ في ابخازيا وناختشيفان وداغستان وجمهورية القبرطاي/بلقر وجمهورية الشيشان/انجوش.

وأما معامل الشيخوخة في الاتحاد السوفيتي حسب تعداد ١٩٥٩ فكان على الشكل المدرج في الجدول رقم (٥-٧). ولعل انخفاض هذا المعدل في جمهورية الشيشان/انجوش يعزى إلى أن أكثرية شعب الويناخ كانوا لا يزالون في المنفى حيث كانت نسبة الويناخ حسب ذلك التعداد ٢٩٪ من سكان الجمهورية فقط.

وأما تصنيف سكان الجمهورية على أساس مناسبة أعمارهم للعمل المنتج فقد ورد في تعداد السكان عام ١٩٨٩ على الشكل المبين في الجدول رقم (٥-٨).

كانت التجمعات السكانية في الاتحاد السوفيتي تصنف إلى مدينة (وكانت في الجمهورية خمس منها) وبلدة (وكان في الجمهورية أربع منها) وقرى وريف. والجدول رقم (٥-٩) يبين أسماء المدن والبلدة (شبه المدينة) وعدد سكانها حسب تعداد عام ١٩٨٩.

الجدول رقم ٥ – ٧

معامل الشيخوخة في بعض مناطق الاتحاد السوفيتي – تعداد عام ١٩٥٩

المنطقة	معامل الشيخوخة	المنطقة	معامل الشيخوخة
أ) القوقاز الجنوبية		د) اسيا الوسطى وكازاخستان	
١- ناغورني – كاراباخ	٥٩,٦	١- غورني – باداخشهان	٣١,٥
٢- اوسيتيا الجنوبية	٥٠,٩	٢- منطقة شرق كازاخستان	١٧,٦
٣- ناختشيفان	٤٨,١	٣- منطقة تيان – شانسك	١٥,١
٤- ابخازيا	٤٠,١	٤- منطقة شمال كازخستان	١٥,٠
٥- ادجاريا	٣٢,٧		
٦- أرمينيا	٢٤,٨	هـ) أوروبا السوفيتية	
ب) القوقاز الشمالية		١- لتوانيا	١٥,٧
١- داغستان	٣٩,٢	٢- منطقة غومل	١٥,٣
٢- اوسيتيا الشمالية	٣٣,٢		
٣- القبرطاي/بلقر	٣١,٦		
٤- الشيشان/انجوش	٢٢,٥		
ج) سيبريا			
١- ياقوتيا	٢٣,٦		
٢- منطقة التاي	١٩,٠		
٣- منطقة تومين	١٦,٦		
٤- منطقة كراسنودارسك	١٦,٥		
٥- منطقة كيميروفسك	١٥,٣		

الجدول رقم ٥ – ٨
تصنيف سكان الجمهورية بالنسبة لمناسبة العمر للعمل الانتاجي – تعداد عام ١٩٨٩

تصنيف مناسبة العمر للعمل الانتاجي	النسب المئوية		
	ذكور	اناث	الجنسين معاً
أقل من سن العمل	٣١,٨	٢٦,١	٢٨,٧
سن العمل	٥٨,٢	٥٢,١	٥٤,٩
فوق سن العمل	١٠,–	٢١,٨	٢٠,٤
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

الجدول رقم ٥ – ٩
أسماء وعدد سكان المدن وأشباه المدن (بلدة) – تعداد عام ١٩٨٩

المدن		عدد السكان	البلدات (أشباه المدن)	عدد السكان
اسم المدينة	سنة تصنيفهاكمدينة			
١– غروزني	١٨٧٠	٣٩٨٢٥٨	نوفو غروزني	٨٢٢٥
٢– غودرمس	١٩٣٩	٣٧٤٠٢	غوارا غوسكي	٤٣٦٥
٣– مالغوبك	١٩٤١	٢٠١٧٩	كرابولاخ	٩٢٥٣
٤– نزران	١٩٦٧	١٨٠٧٦	تشير يورت	٥١٣٨
٥– ارغون	١٩٦٧	٢٥٤٥٨		
المجموع		٤٩٨٣٧٣		٢٦٩٨٠

ملاحظة: إن أسس التصنيف السوفيتي للمدينة أو البلدة أو القرية لم تعتمد على عدد السكان أو الموقع الاستراتيجي أو الاداري ولذلك فتوجد في الجمهورية بعض القرى يزيد سكانها عن كل البلدات وبعض المدن المدرجة أعلاه.

التعليم والثقافة والخدمات الصحية في الجمهورية

حرم الشيشان في فترة النفي الجماعي من ديارهم (١٩٤٤-١٩٥٧) من التعليم كلياً في السنتين الأولى ومن التعليم المناسب في مختلف مراح الدراسة فيما بعد. كما حرموا طيلة هذه الفترة من التعليم بلغتهم القومية.

والجهود التي بذلت بعد عودتهم وإعادة تشكيل جمهوريتهم لم تكن كافية لسد الفجوة التي تركها هذا الحرمان. كما وإن السلطات السوفيتية لجأت بعد إعادة تشكيل جمهوريتهم إلى الحد من تعليم لغتهم القومية وخاصة في العاصمة غروزني ومدن أخرى. ووعيا لهذا الواقع الخطير... كان التعليم من أهم المواضيع التي ناقشها المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي أعلن استقلال وسيادة الجمهورية في نوفمبر ١٩٩٠. فاتخذ قرارات تتعلق بالاجراءات اللازمة لسد هذه الفجوة وايلاء عناية خاصة لتعليم اللغة الشيشانية في جميع مراحل الدراسة، واعتماد اللغة الشيشانية كلغة رسمية في الجمهورية.

كان التعليم النظامي في الاتحاد السوفيتي يقسم بشكل عام إلى المراحل التالية:-

١- مرحلة الدراسة الابتدائية

٢- مرحلة الدراسة الاعدادية

٣- مرحلة دراسة توجيهي عام

٤- دراسة توجيهي خاص

٥- دراسة معاهد وكليات جامعية متوسطة مدتها ٣ سنوات.

٦- الدراسة الجامعية وتختلف أنواعها ومددها حسب التخصص ومراحل الدراسة.

وحسب احصائيات وتعداد سكان عام ١٩٨٩ كانت أعداد ونسب سكان المدن والبلدات (شبه المدن) في الجمهورية الحاصلين على مختلف مراحل التعليم كما هو مبين في الجدول رقم (٥-١٠).

وجاء في احصائيات تعداد السكان لعام ١٩٨٩ بأن سكان المدن والبلدات في الجمهورية الذين تصل أعمارهم إلى عشر أعوام فما فوق كان ٤٢٩٠١٥ نسمة، وأن مجموع الحاصلين لمراحل التعليم الاعدادي والتوجيهي الخاص والمعاهد والكليات

المتوسطة والجامعات كان ٣١٥٤٩١ (على اعتبار أن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن عشر سنوات لم يلتحقوا بالمدارس بعد أولا يزالون في مرحلة الدراسة الابتدائية)

ونتوصل من هذه الأرقام بأن نسبة الحاصلين على تعليم فوق مستوى التعليم الإبتدائي من السكان البالغين عشر سنوات أو أكثر من العمر هي:

٣١٥٤٩١

٪٧٣,٥٤=١٠٠×————

٤٢٩٠١٥

وهذه النسبة منخفضة مقارنة بما كانت تردده الدعاية السوفيتية، إلا أنه يلاحظ بأن نسبة التعليم بين الذكور والإناث متساوي تقريباً في مختلف مراحل الدراسة.

الجدول رقم ٥ – ١٠
احصائيات الحاصلين لمختلف مراحل التعليم من سكان المدن والبلدات في الجمهورية
تعداد السكان عام ١٩٨٩

المرحلة الدراسية	اعداد الطلاب			النسب المئوية: عدد الطلاب في كل مرحلة من الجنس / عدد سكان الجنس المذكور ×١٠٠		
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
ابتدائية	٣٦٢٧٩	٤٤٢٢٧	٨٠٥٠٦	١٤,٩٩	١٥,٦١	١٥,٢٣
اعدادية	٣٧٩٦١	٤١٣٨٦	٧٩٣٤٧	١٥,٦٩	١٤,٦٠	١٥,١٠
توجيهي عام	٤٩٦٣٢	٥٠٧٠٧	١٠٠٣٣٩	٢٠,٥١	١٧,٩٠	١٩,١٠
توجيهي خاص	٣٢٨٠٨	٤٤٥٣٢	٧٧٣٤٠	١٣,٥٦	١٥,٧١	١٤,٧٢
معاهد وكليات متوسطة	٤٥٨٨	٤٨٦٧	٩٤٥٥	١,٩٠	١,٧٢	١,٨٠
جامعات	٢٤٢٨٩	٢٤٧٥١	٤٩٠٤٠	١٠,٠٤	٨,٧٣	٩,٣٤
مجموع المتعلمين	١٨٥٥٥٧	٢١٠٤٧٠	٣٩٦٠٢٧	٧٦,٦٩	٧٤,٢٧	٧٢,٣٨
مجموع السكان	٢٤١٩٥٥	٢٨٣٣٩٨	٥٢٥٣٥٣			

الجدول رقم ٥ - ١١
المرافق والخدمات التعليمية في الجمهورية

التصنيف	الاعداد والأعوام				
	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
أ) المدارس الابتدائية والثانوية					
١- عدد مدارس نهارية منتظمة	٤١٨	٤٦٤	٤٩٠	٤٨٨	٥٣١
٢- عدد مدارس انتساب ليلية	٨٣	٦١	٨١	٧١	٦٠
٣- مجموع الطلاب في هذه المدارس	١٤٤١٠٠	٢٧٨٢٠٠	٢٩٣٨٠٠	٢٧٧٣٠٠	٢٦٦٤٠٠
٤- عدد الخريجين من الصف الثامن	غيرمتوفر	١٧٥٠٠	٢٦٣٠٠	٢٨٤٠٠	٢٤٨٠٠
- عدد الخريجين من الصفين العاشر والحادي عشر	=	١٧٦٠٠	٢٨٩٠٠	٤٢٨٠٠	٣٥٧٠٠
ب) المعاهد والكليات المتوسطة					
١- عدد المعاهد والكليات المتوسطة	٩	١٢	١٢	١٢	١٢
٢- عدد الطلاب فيها	٦٦٠٠	١٤٨٠٠	١٥٣٠٠	١٤٢٠٠	١٣٤٠٠
٣- منهم نهاري	٣٥٠٠	٩٨٠٠	١٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٩٩٠٠
٤- منهم ليلي	١٤٠٠	٩٠٠	١٤٠٠	٩٠٠	٤٠٠
٥- منهم انتساب	١٧٠٠	٤١٠٠	٣٩٠٠	٣٣٠٠	٣١٠٠
٦- عدد الخريجين منها	غير متوفر	غير متوفر	٤٠٣٥	٣٨٦٩	٣٧٨١٠
ج) الجامعات والمعاهد العالية					
١- عدد الجامعات والمعاهد العالية	٢	٢	٢	٣	٣
٢- عدد الطلاب فيها	٦٣٠٠	١٢٨٠٠	١١٤٠٠	١٢٢٠٠	١٣٦٠٠
٣- منهم نهاري	٣٦٠٠	٦٠٠٠	٦٧٠٠	٧١٠٠	٧٠٠٠
٤- منهم ليلي	١١٠٠	٢٠٠٠	١٣٠٠	١٣٠٠	١٣٠٠
٥- منهم انتساب	١٦٠٠	٤٨٠٠	٣٤٠٠	٣٨٠٠	٥٣٠٠
٦- عدد الخريجين منها	غير متوفر	غير متوفر	٥٦٨٦	٥٧٦٦	٥٨٤٤٠
د) المجموع العام للطلبة	=	٣٠٤٨٠٠	٣٣٥٢٠٠	٣١٩٥٠٠	٣١١١٠٠

ملاحظة: عبارة (غير متوفر) تعني أن المعلومات المتعلقة غير متوفرة لدى المؤلف.

الجدول رقم ٥ - ١٢
المرافق والنشاطات الثقافية والفنون في الجمهورية

الرقم	التصنيف	الأعداد والأعوام			
		١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
١	عدد المكتبات العامة	٣٨٤	٤٥٩	٤٨٥	٤٨٤
٢	عدد الكتب في المكتبات العامة(١٠٠٠ كتاب)	٤٥٢٠	٥٨١٧	٧٦٦٠	٨٧٤٩
٣	عدد الأندية والجمعيات	٣٥٩	٣٩٨	٤٢٥	٤٤١
٤	عدد دور السينما الثابتة والمتنقلة	٣٤١	٣٦٤	٣٨٣	٣٩٧
٥	عدد مسارح التمثيل	٣	٣	٣	٣
٦	عدد مسارح الرقص	١	١	١	١
٧	عدد المتاحف العامة	٢	٢	٥	٧
٨	عدد الفرق التمثيلية (دراما)	غير متوفر	٢٠٨	١٦٩	١٦٥
٩	عدد المشتركين في الفرق التمثيلية	=	٢٥٠٠	٢٠٠٠	٢١٠٠
١٠	عدد فرق الرقص	=	٢٢٢	٢٣٧	٢٣٧
١١	عدد المشتركين في فرق الرقص	=	٣١٠٠	٣٨٠٠	٤١٠٠
١٢	عدد الفرق الموسيقية	=	١٦٣	٢٤٠	٢٣٧
١٣	عدد المشتركين في الفرق الموسيقية	=	١٩٠٠	٢٦٠٠	٣٣٠٠

ملاحظة: عبارة (غير متوفر) تعني أن المعلومات المتعلقة غير متوفرة لدى المؤلف.

الجدول ٥ - ١٣
المطبوعات التي نشرت في الجمهورية

الرقم	التصنيف	اللغة		
		الشيشانية	الأنجوشية	الروسية
١	المعدل السنوي لعدد الكتب المنشورة فيما بين ١٩٤٦-١٩٧٢	١٥,٢	٨,١	غير متوفر
٢	المعدل السنوي عدد الكتب المنشورة فيما بين ١٩٦٥-١٩٧٢	٢٥,٥	١٦,٣	=
٣	عدد الكتب التي نشرت عام ١٩٧٣	٣	١	٨
٤	معدل عدد نسخ الكتاب الواحد عام ١٩٧٣	٢٤٠٠	١٠٠٠	٢٨٣٣٣
٥	مجموع عدد عناوين الكتب التي نشرت فيما بين ١٩٤٦-١٩٦٠	٢٢٨	١٢٢	غير متوفر
٦	النسبة المئوية منها المترجمة	٦٣,٢	٤٤,٣	-
٧	النسبة المئوية منها المترجمة من اللغة الروسية	٥٥,٣	٤٠,٢	-
٨	معدل نسخ المنشورة عام ١٩٧٠ للشخص الواحد	٠,٢٥	٠,٢٧	غير متوفر
٩	عدد الجرائد الصادرة عام ١٩٧٠	٩	١	=
١٠	معدل النسخ المطبوعة من كل عدد عام ١٩٧٠	٣٧٨٠٠	٥٠٠٠	=

ملاحظة: عبارة (غير متوفر) تعني أن المعلومات المتعلقة غير متوفرة لدى المؤلف.

الجدول رقم ٥ - ١٤
المرافق الصحية في جمهورية الشيشان

الرقم	التصنيف	الأعوام والأعداد				
		١٩٤٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
١	المستشفيات	٤٣	٧٨	٨٢	٨٠	٨١
٢	مجموع الأسرة فيها	٢٣٤٨	٩١٤٥	١٠٦٤٥	١١٥٤٠	١٢٨٣٥
٣	سرير لكل ١٠٠٠ مواطن	٣٠,٩	٨٥,٩	٩٤,٨	٩٩,٧	١٠٥,١
٤	العيادات مع جهاز طبي	١٣٣	١٦٦	١٦٣	١٦٨	١٥٤
٥	العيادات مع ممرضين وقابلات توليد	١١٨	٢٨٠	٢٨٥	٢٧٣	٢٣١
٦	أطباء	٤٣١	١٩٠٠	٢٤٧٥	٢٩٣٣	٣٤١٥
٧	ممرضين	١٤٠٠	٥٨٠٠	٧٧٠٠	٨٢٠٠	٩٦٠٠
٨	طبيب لكل ١٠٠٠ مواطن	٥,٧	١٧,٨	٢٢	٢٥,٤	٢٨
٩	ممرض لكل ١٠٠٠ مواطن	١٩,١	٥٤,٦	٦٨,٩	٧١	٧٨,٥
١٠	المصحات	غير متوفر	٩	٩	٩	٩
١١	مجموع الأسرة في المصحات	=	١٦٢٥	١٦٢٥	١٦٢٥	٢٠٥٥
١٢	منتجعات الراحة	=	١	١	١	١
١٣	مجموع الأسرة في منتجعات الراحة	=	٢٠٥	٢٠٥	٢٠٥	٥٠٥

الجدول رقم ٥ – ١٥
مرافق الرعاية الاجتماعية في الجمهورية

الرقم	التصنيف					
		١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
	أ) الخدمات للنساء والأطفال					
١	معسكرات الأطفال	غير متوفر	٥٠	٦٩	٧٥	٨٥
٢	الأطفال الذين أموا هذه المعسكرات	=	٢٣٤١٠	٢٧٢٥١	٢٧٤٠٨	٢٨٧٦٦
٣	حضانات الأطفال	=	٣٠٩	٣٢٠	٣٤٨	٣٦٦
٤	الأطفال المنتسبين للحضانات	=	٢٤٤٩٠	٢٧٦٣٣	٣٣٧٧٢	٣٧٨٣٧
٥	منهم عمره أصغر من سنة	=	٧٦٨١	٨٣٣٢	١٠٠٦٧	١١١٣٩
٦	منهم عمره سنة أو أكبر	=	١٦٨٠٩	١٩٣٠١	٢٣٧٠٥	٢٦٦٩٨
٧	مراكز الاستشارات	=	٨٧	٨٧	٩٢	٩٩
٨	ملاعب وأماكن لعب الأطفال	٢١٠	٢٥٦	٣٣٥	٤٧٤	غير متوفر
٩	الأطفال المستفيدين من الملاعب	١٦٠٠٠	٢٠١٠٠	٢٦٥٠٠	٥٨٩٠٠	٤٣٥٠٠
١٠	معسكرات لمختلف الأعمار	٥٤	٥٠	٦٩	٧٥	٨٥
	المستفيدين من هذه المعسكرات	١٧٢٠٠	٢٣٤٠٠	٢٧٢٠٠	٢٧٤٠٠	٢٨٨٠٠
	ب) دور المسنين					
١	دور المسنين	غير متوفر	٥	٥	٥	٦
٢	الأسرة في دور المسنين	=	٧٥٠	٨٥٠	٩٧٠	١٠٧٠

ملاحظة: عبارة (غير متوفر) تعني بأن المعلومات المتعلقة غير متوفرة لدى المؤلف.

نبذة عن اقتصاد الجمهورية

لم تراع السياسة الاقتصادية السوفيتية اعطاء أوليات أو ميزات للمناطق للاستفادة من الموارد الطبيعية أو الانتاج المحلي فيها بقدر ما كانت تركز على الفائدة العائدة على الدولة ككل، فجميع عائدات الموارد الطبيعية والانتاج الصناعي كانت تحول إلى موسكو التي تعيد منها ما نسبته ٢٪–٣٪ فقط إلى المنطقة المعنية. وحتى هذه النسبة الصغيرة كان الجزء الأكبر منها يذهب إلي جيوب المتنفذين في السلطة.

وجمهورية الشيشان التي تمتاز بخصوبة التربة، ووفرة المياه، ومناسبة الطقس، وجمال الطبيعة، وتوسط الموقع، وسهولة المواصلات، وتوفر الطاقة عانت أكثر من غيرها وحرمت من الاستفادة المناسبة من مواردها وانتاجها، وذلك نتيجة للسياسة الرسمية السوفيتية التي لم تتعاطف مع الشعب الشيشاني بالإضافة إلى أن معظم المتنفذين في السطلة المحلية كانوا من خارج الجمهورية لا يهمهم مصلحتها بقدر ما يهمهم رضاء سادتهم في موسكو.

الجمهورية بكاملها كانت تعتبر منطقة عسكرية شبه مغلقة، فلم يجر تطوير المناطق الجميلة لغايات السياحة ولم تستغل المياه المعدنية والصحية لغايات إنشاء مراكز للاستشفاء والنقاهة.

الغابات الكثيرة جرى تقطيع أشجارها بدون إجراءات لإعادة تنميتها. حقول البترول لحق بها ضرر ونضوب في الانتاج بسبب ضخ زائد غير مدروس. فبدلاً من انتاج مناسب بحدود ١٠ مليون طن في السنة عمل سكرتير أول للحزب (روسي من خارج الجمهورة) على زيادة الانتاج إلى معدل ٢٠ مليون طن في السنة لعدة سنوات متتالية حتى يرضى سادته في موسكو لعلهم ينعمون عليه بمدالية لينين مما أدى إلى نضوب الانتاج إلى معدل ٤ مليون طن في السنة في الفترة الأخيرة.

وبالنسبة للصناعات فإن السلطات السوفيتية خططت لأن يكون تركيز النشاط الصناعي في الجمهورية على الصناعات التي تؤدي إلى تلويث البيئة كمصافي النفط والصناعات البتروكيماوية والأسمدة والاسمنت وما شابهها.

ومع أن الإحصائيات السوفيتية (وكما يعترف الروس الآن) لم تكن دقيقة أو حقيقية ولا يعتمد عليها في البحوث العلمية والدقيقة إلا أنني وجدت من المناسب أن أدرج في الجداول رقم (٥–١٦) الى رقم (٥–٢١) بعض الإحصائيات التي استطعت أن أتوصل إليها والمتعلقة بنشاطات اقتصادية في الجمهورية.

الجدول رقم ٥ – ١٦
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

الرقم	الصنف	الوحدة	الأعوام والكميات				
			١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
١	تصدير الأخشاب	١٠٠٠ م٣	١٤٧	١٤٨	١٦٤	١٥٧	١٦١
٢	صناعة الأثاث الخشبي	مليون روبل	٢٨,١	٢٨,٥	٣٠,١	٣٠,٧	٣٠,٣
٣	جدران وسقوف من الخرسانة المسلحة	١٠٠٠ وحدة	٢٦٩	٢٥٥	٢٨٤	٢٨٣	٣٠٠
٤	طوب بناء	مليون طوبة	١٨٩,٤	١٧١,٨	١٨٣,٩	١٨٠	١٧٥,٤
٥	جير	١٠٠٠ طن	٤١,٩	٣٨,٧	٣٩,٩	٤٠	٤٠,٢
٦	جبص	١٠٠٠طن	١٠,٥	١٠,٢	١٠	١١	١٢,٤
٧	اسمنت	١٠٠٠ طن	٤١٨,١	٣٦٩,٣	٤٨٩,٣	٥٦٣,١	٥٩٦,١
٨	صناعة ألبسة	مليون روبل	٥٧,٢	٥٨	٦٠,٤	٦٣,٣	٦٥,٢
٩	صناعة أحذية	١٠٠٠ زوج	١٨٥٣	١٩٠٠	٢١٥٠	٢٢٦٥	٢١٦٧
١٠	لحوم	١٠٠٠ طن	١٧,٥	١٥	١٨,٥	١٨,٥	٢١
١١	سجق	١٠٠٠ طن	٦,١	٦,٢	٦	٦,٣	٦,٥
١٢	زبدة	١٠٠٠ طن	١	١,١	١,١	١	١,١
١٣	سكر	١٠٠٠ طن	٦,٣	٧	١٠	٩,٥	٩
١٤	شيكولاتة	١٠٠٠ طن	٦,١	٦,٧	٦,٦	٦,٧	٧,٨
١٥	معكرونة	١٠٠٠ طن	٥,٢	٥,٤	٤,٨	٥,٤	٥,٧
١٦	معلبات فواكة	مليون عبوة	١٤٦,٥	١٥٣,٢	١٥٤	١٥٨,٩	١٦٩,٨
١٧	مشروبات غير روحية	١٠٠٠ عبوة	٩٩٧	٨٥١	٩٣٤	٩٢١	١٠٥٥
١٨	مياه معدنية	مليون عبوة	١٥,٥	١٠,٥	١٣,٤	١٤,٧	١٥,٨
١٩	غاز طبيعي	مليون قدم مكعب	٢٥٠٣	٢٣٨١	٢٢٦٨	٢٠٢٦	١٨٤٣
٢٠	آبار النفط المنتجة	بئر	٨١٠	٧٥٩	٧١٦	٧٧١	٧١٣

تابع الجدول رقم ٥ – ١٦
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

٢١	انتاج المواد الاستهلاكية	مليون روبل	–	–	٥٧٢,١	٦٢٩,٣	٥٧٩
٢٢	انتاج اللوازم الثقافية	مليون روبل	٦٣,٤	٦٦,٦	٧٠,١	٨١,٧	٧٩,٥
٢٣	انتاج الطاقة الكهربائية	مليون كيلو واط	٢٨٧٠	٢٨٤١	٢٧٣٩	٢٧٢٨	٢٦٠٤
٢٤	انشاءات أبنية واسكان	١٠٠٠ متر مربع	٣٢٠,٦	٢٤٧,٨	٣٠٠,٨	٢٨٣,٣	٢٨٢,٣
	أ) منها تابعة للمؤسسات التعاونية	١٠٠٠متر مربع	١٩٢,١	١٥٢,١	٢٠١,٣	١٧٦,٩	١٨٧,٢
	ب) منها تابعة للكلخوزات	١٠٠٠متر مربع	٢,٩	١,٩	١,٨	٤,٢	٥,٨
	ج) منها ملك خاص	١٠٠٠متر مربع	١٢٥,٦	٩٣,٨	٩٧,٧	١٠٢,٢	٨٩,٣



من مجمع الشيشان والشراكسة في الأردن

الجمعية الخيرية الشيشانية للنساء تحتفي بشيخ المعمرين الشيشان الحاج الكبرى عام ١٩٩٣

الجدول رقم ٥ – ١٧

نسب بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية مقارنة بعام (١٩٧٥=١٠٠)

الرقم	الصنف	الأعوام والنسب				
		١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
١	توليد الطاقة الكهربائية	٩٥,١	٩٧	٩٥,١	٩٦,٦	٩٤,٥
٢	استخراج النفط	٩٨,٣	٩٥,٦	٨٨,٣	٧٩	٧٢
٣	تكرير النفط	٩٦,٨	٩٥,٥	٩٢,٢	٨٩,٧	٨٥
٤	استخراج الغاز	١٠٢,٦	١٠١,٤	٩٣,٩	٨٧,٣	٨٠,٢
٥	التعدين	١٣٦,٣	١٤١,٢	١٤٩,٥	١٥٩,٨	١٦٦,٥
٦	قطع الأخشاب في الغابات	١٢٧,٤	١٣٦,٦	١٤٦	١٥٣,٣	١٥٢,٨
٧	تصنيع الأخشاب	١٣٥,١	١٣١,٧	١٤١,٤	١٤٥,٩	١٤١,٢
٨	الصناعات الخفيفة	١٤٠,٧	١٣٧,٦	١٤٥,٧	١٥٠,٢	١٥١
٩	منها صناعة الغزل	٣٤٢,٥	٣١٦,١	٣٥٩,٧	٣٥٦,١	٣٣٩,٤
١٠	منها صناعة الأقمشة	١٦٩,٥	١٤٨	١٦٥,٢	١٥٣,٨	١٦٣
١١	منها صناعة الألبسة	١٢٣	١٢١,٣	١٢٦,١	١٣١,٦	١٥٩
١٢	منها صناعة الأحذية	١٦٣,٧	١٦٥	١٧٤,٧	١٨٢,٩	١٧٦
١٣	مواد البناء	١٠٢,٣	١٠٠,٣	١١٤,٩	١١٨,٨	١١٥,٧
١٤	قطاع الإنشاءات	١٠٣,٣	١٠٧	١١٣,٣	١٢١,١	١٢٤,٤
١٥	معدل الانتاج الصناعي بشكل عام	١١٠	١١٠	١١١	١١١	١٠٨
١٦	انتاج المواد الغذائية	١٠٣,٩	١٠١,٦	١٠٧,٩	١١٠,٩	١١١,٥
١٧	منها السكر	١٢١,٢	١٣٧,٢	١٨٨,٩	١٨٣,٨	١٧٢
١٨	منها الحلويات المتنوعة	١٣٧,٩	١٢٨,٢	١٣٣,٨	١٤٩,٩	١٨٠,٩
١٩	منها الفواكة	١٣٣,٨	١٥٠,٣	١٦٢,٩	١٦٩,٦	١٥٦,٩
٢٠	منها الحليب واللحوم	١١٥,٦	١١٨,٨	١٢٣,١	١٣١,٣	١٣٣,٥
٢١	معدل انتاج الفرد الواحد	١١١	١١٠	١٠٩	١٠٩	١٠٧
٢٢	مجموع السكك الحديدية (كم)	٣٦٢	٣٦٢	٣٦٢	٣٦٢	٣٦٢
٢٣	مجموع طرق السيارات المعبدة (كم)	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠	٢٨٠٠
٢٤	مجموع الطرق الزراعية (كم)	٢٦٠٠	٢٦٠٠	٢٦٠٠	٢٧٠٠	٢٧٠٠
٢٥	عدد المكاتب البريدية	٣٢٢	٣٢٤	٣٢٦	٣٣٠	٣٣١

الجدول رقم ٥ -١٨
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

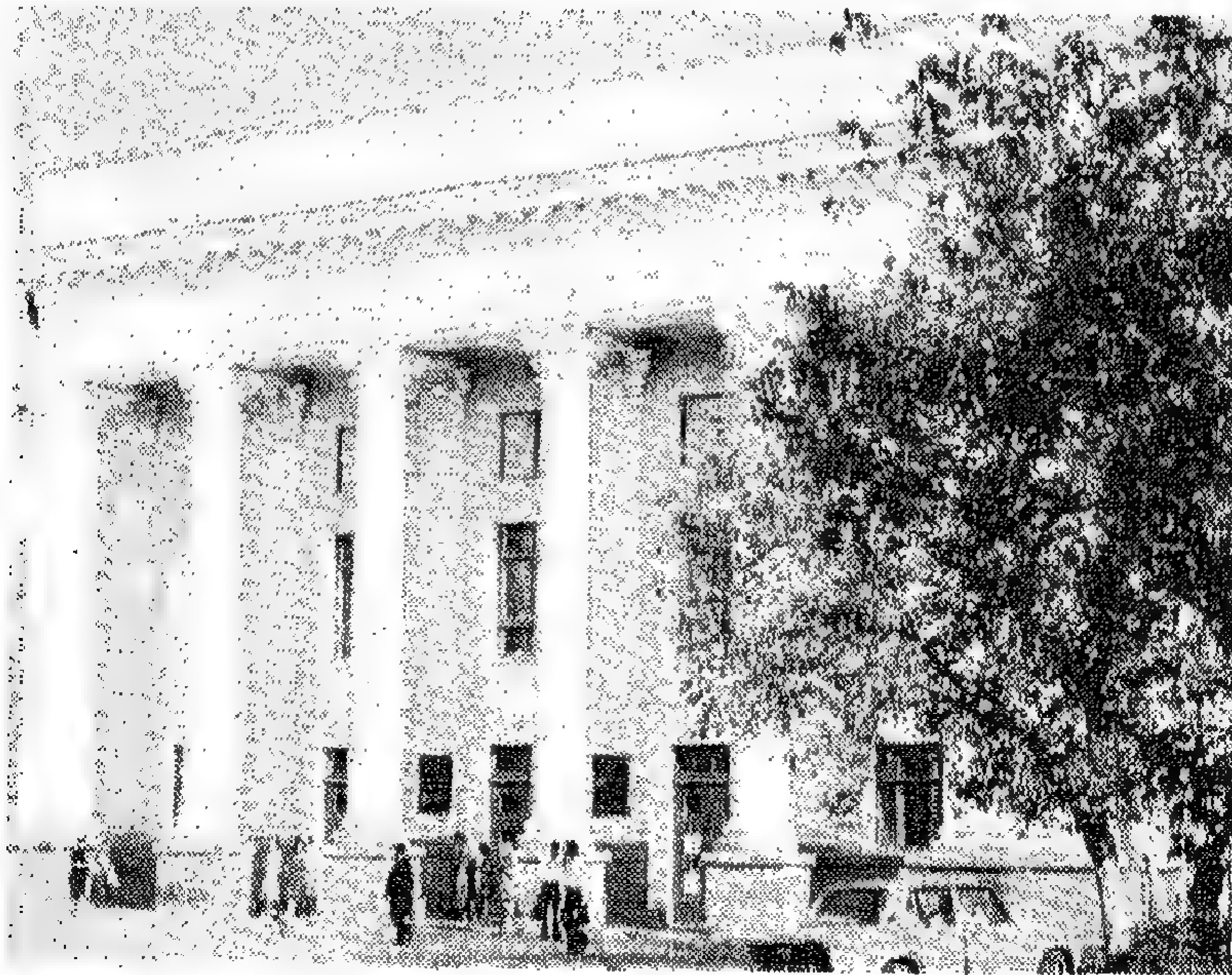
الرقم	الصنف	الأعوام والنسب				
		الوحدة	١٩٧١	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
١	ادوات كهربائية ومنزلية					
	بيعت من خلال متاجر الدولة					
	منها تلفزيون	عدد	١٦٧٠٠	١٧٣٠٠	١٧١٠٠	٢٥٠٠٠
	راديو	=	١٩٤٠٠	٣٢٠٠٠	٢٢٥٠٠	١٧٦٠٠
	بيانو	=	٥٠٠	٦٠٠	٥٠٠	٣٠٠
	ثلاجة	=	١٣٢٠٠	١٢٣٠٠	١٨٥٠٠	١١٠٠٠
	غسالة ملابس	=	١٤٧٠٠	١١٢٠٠	٩٣٠٠	١٢٧٠٠
	مكنسة كهربائية	=	٤٠٠٠	٣٩٠٠	٦٤٠٠	٧٧٠٠
	ساعات متنوعة	=	٩٠١٠٠	١٠٣٤٠٠	١٠٢٧٠٠	٩٧٠٠٠
	دراجة عادية	=	٩٩٠٠	٨٩٠٠	١٢٠٠٠	١٤١٠٠
	دراجة نارية	=	١٦٠٠	١٩٠٠	١٩٠٠	١٥٠٠
	آلات تصوير	=	٢٧٠٠	٢٩٠٠	٣٨٠٠	٣١٠٠
٢	الآلات العاملة في الزراعة					
	منها تراكتور	=	٦٣٦٦	٧٧٦٥	٨٨٧٦	٩٤٨٨
	حصادة	=	١٢٢٣	١٢١٤	١٥١٣	١٧١٥
	شاحنة نقل	=	٤٦٦٥	٦١٤٣	٧٠٠٩	٨٨١٦
٣	مساحة الأراضي المزروعة					
	منها المساحة الإجمالية	١٠٠٠ هكتار	٤٦٧ر٩	٤٦٤ر٢	٤٥١ر٧	٤٤٨ر٧
	ملك الدولة ومؤسساتها	=	٤٥٢ر٤	٤٤٨ر٧	٤٣٥ر٥	٤٣٣ر٥
	حبوب متنوعة	=	٢٢٦ر٧	٢٣٢ر٢	٢٢٣ر٦	١٩١ر٣
	منتوجات زراعية صناعية	=	٣٤ر٥	٢٥ر٣	٣٠ر٩	١٩ر٥
	خضروات	=	١٨ر٤	٢٠ر٣	٢١ر٤	٢١ر٧
	أعلاف	=	١٨٨ر٣	١٨٥ر٤	١٧٥ر٨	٢١٦ر٢
	فواكه متنوعة	=	٢٢ر٦	٢٠ر٩	٢٣ر٥	١٨ر٩
	عنب	=	٢١ر٧	١٩ر٩	٢٩ر٤	٢٣ر٨
	اراضي مروية	=	١٠٦ر٦	١٢٣ر٤	١٤٤	١٦٦٠ر٣

الجدول رقم ٥ -١٩
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

الرقم	الصنف	الأعوام والنسب				
		الوحدة	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥
١	انتاج حبوب	١٠٠٠ طن	٤٥٥ر١	٣٦٦ر٨	٥٠٦ر٥	٣٨٧ر٥
	منها: قمح	=	٢٧٥ر٧	١٥٧ر٩	٢٧٥ر٦	١٦١ر٢
	ذرة	=	٦٠ر٢	٨٢ر٩	٥٧	٨٥ر٣
	عباد شمس	=	٢٠ر٨	١٢ر٤	١٥ر٣	٧ر٥
	شمندر	=	١٥٣ر٦	١٤٠ر١	١٧٤ر٣	٢٠٠ر٩
	بطاطا	=	٥٩ر٢	٤٨ر٨	٤٩	٤١ر٧
	خضروات	=	١٤٠ر٨	١٠٦ر١	١٨٢ر٦	١٧٢ر٣
٢	انتاج مواشي كبيرة	١٠٠٠ راس	٢٩٤ر٣	٣٠٨	٣١٢ر٥	٣٢٨ر٢
	منها: بقر	=	١٢٠ر٧	١٢٠ر٨	١٢٢ر٦	١٢١ر٣
	خنزير	=	١٤٧ر٩	٩٢ر٦	١٧٤ر٩	١٣٧ر٩
	غنم وماعز	=	٦٧٩ر٣	٧١٨	٨٦٤ر٤	٧١٩ر٤
٣	طيور ودواجن منها دجاج	مليون	١٩٨ر٣	٤٩١ر١	٦٦٧ر١	٦٧٤ر٣
	بط	=	١٢	١٠ر٤	١٥ر٦	١٤ر٢
	وز	=	-	-	-	٠ر٤
	ديك حبش	=	-	٣ر٨	-	-
٤	الكولخوزات	عدد	٥١	٤٥	٣٩	٣٨
٥	السوفخوزات	=	٥٤	٩٨	١٢٢	١١٩
٦	المتوسط العام للرواتب	روبل/شهر	١٥١	١٧٨	٢٠٩	٢٥٠
٧	المتوسط العام لرواتب الإداريين	=	١٠٩	١٢٤	١٤٦	١٥٧

الجدول رقم ٥ -٢٠
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

الرقم	الصنف	الأعوام والمعدل السنوي للكميات			
		الوحدة	٧١-١٩٧٥	٧٦-١٩٨٠	٨١-١٩٩٠
١	معدل مجموع انتاج اللحوم	١٠٠٠ طن	١٩	٢٠ر٥	٢٣ر٨
٢	معدل انتاج الحليب	=	٢٦ر٦	٩٩ر٩	١٠٣ر٢
٣	معدل انتاج الصوف	=	٢ر٤	٢ر٦	٢ر٣
٤	معدل انتاج البيض	مليون بيضة	٦٠ر٣	٧٥ر٢	٩٩
٥	اجمالي معدل انتاج الزراعة وتربية المواشي والدواجن	مليون روبل	٣١٩ر٢	٣٥٣ر٤	٣٤٥ر٨
	منها من الزراعة	=	١٦٨ر١	١٩٢ر٢	١٥٩
	من تربية المواشي والدواجن	=	١٥١ر١	١٦١ر٢	١٨٦ر٨



الأرشيف الوطني في غروزني قبل التدمير

الجدول رقم ٥ -٢١
بعض النشاطات الاقتصادية في الجمهورية

لرقم	اسم المؤسسة	انجاز ١٩٩٠ بالنسبة لعام ١٩٨٩ ٪	انجاز الاتفاقيات الالزامية لتوريد المنتجات ٪
١	الاتحاد الانتاجي (غروز نفط)	٩٣ر٩	١٠٠
٢	معمل غروز ماش (معدات نفط)	٩١ر٩	٨٧ر٨
٣	معمل نفط زاب شاست في غروزني	٩٤ر٨	١٠٠
٤	المعمل الكيماوي في مدينة كرابولاك	١٠٢ر٦	١٠٠
٥	المعمل الميكانيكي في مدينة غودرمس	١١٠ر٥	١٠٠
٦	الاتحاد الانتاجي (معمل المطرقة الحمراء)	١٢٧ر٢	١٠٠
٧	معمل اخرييف لصناعة الكهربائيات	١١٧ر٣	١٠٠
٨	معمل غودرمس للأدوات الطبية	١٠٥ر٢	١٠٠
٩	معمل البيوكيماويات (الكيماويات الحيوية)	٨٩ر٥	٨٨ر٧
١٠	الاتحاد الانتاجي (ترك)	٩٧ر١	٩٢ر١
١١	معمل الاسمنت	١٢٤	١٠٠
١٢	اتحاد صناعات (ستروي اندسترويا)	٨١ر٤	٧٢ر٢
١٣	وزارة الاحراج والغابات	٩٧ر٦	١٠٠
١٤	معمل الأجهزة الاوتوماتيكية الخاصة	١٠٣ر٨	٩٩ر١
١٥	معمل الأقمشة في نزران	٧٢ر٤	٥٤ر٦
١٦	اتحاد الخياطة الانتاجية	١٠١ر٨	١٠٠
١٧	معمل الأحذية	٩٨ر١	١٠٠
١٨	معمل معدات انتاج النفط	١٢٧ر١	١٠٠
١٩	الاتحاد الانتاجي المحلي للصناعات المحلية	٩٨ر٦	٩٦ر٨
١٠	وزارة المنتجات الزراعية	٩٢ر٢	٩٥
٢١	اتحاد صناعة الكونسروة الزراعية	٨٥ر٣	١٠٠
٢٢	اتحاد الصناعات الغذائية	١٠٨ر١	٩٩ر١
٢٣	معمل الشيشان/ انجوش لمواد البناء	١١٨ر١	٨٩

الفصل السادس

مبادئ الحكم ومؤسسات الدولة في الاتحاد السوفيتي

(نظرياً حسب دستور عام ١٩٧٧)

«اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية هو دولة اتحادية واحدة متعددة القوميات، قامت على أساس الاتحادية الاشتراكية نتيجة لتقرير مصير الأمم بحرية والاتحاد الطوعي بين الجمهوريات السوفيتية المتكافئة في الحقوق، ويجسد الاتحاد السوفيتي وحدة الشعب السوفيتي في دولة واحدة، ويجمع كل الأمم والأقوام من أجل بناء الشيوعية معاً»

المادة ٧٠ من دستور الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧



تماثيل لينين - كنت في كل مكان ولم تعُد

مبادئ الحكم ومؤسسات الدولة في الاتحاد السوفيتي

(نظرياً حسب دستور عام ١٩٧٧)

زعم الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي السابق وفي الخارج، بأن تطبيق النظام الشيوعي ومبادئه كفيل بتحقيق العدالة والمساواة وازالة الفروق بين الطبقات، ووضع حد لاستغلال الانسان لأخيه الانسان، وتيسير التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تحقق الرفاه المادي والراحة والسعادة النفسية للمجتمع ككل. ولهذا تنبأوا بأن النظام الشيوعي سيسود في العالم ويقضي على الاستغلال والاضطهاد.

وزعموا بأن الاتحاد السوفيتي كأول دولة اعتمدت النظام الشيوعي عقيدة وممارسة واحكام دستور نموذج مقنع لما ينبغي أن تقتدي به شعوب العالم. ولهذا رأيت أن استعرض في هذا الفصل بعض مبادئ الحكم وتقسيمات أجهزة الدولة وطريقة عملها حسب أحكام الدستور السوفيتي لعام ١٩٧٧(١٢) .

كان النظام السوفيتي ينقسم إلى التشكيلات الادارية التالية:-

أ) اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية.

ب) الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية المتحدة.

ج) الجمهوريات السوفيتية ذات الحكم الذاتي.

د) المقاطعات السوفيتية ذات الحكم الذاتي.

هـ) الدوائر السوفيتية ذات الحكم الذاتي.

أ) اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

جاء في المادة (٧٠) من دستور الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧:-

«اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية هو دولة اتحادية واحدة متعددة القوميات، قامت على أساس مبدأ الاتحادية الاشتراكية نتيجة لتقرير مصير الأمم بحرية وللاتحاد الطوعي بين الجمهوريات السوفيتية المتكافئة في الحقوق. ويجسد الاتحاد السوفيتي وحدة الشعب السوفيتي في دولة واحدة، ويجمع كل الأمم والاقوام من أجل بناء الشيوعية معاً.»

وضم الاتحاد السوفيتي (١٥) جمهورية متحدة هي جمهوريات:-

روسيا، وأكرانيا، وبيلوروسيا، ومولدافيا، وليتوانيا، واستونيا، ولاتفيا، وجورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان، وأوزبكستان، وكازاخستان، وتركمانيا، وقرغيزيا، وطاجسكتان.

ويستند تنظيم الاتحاد السوفيتي إلى المبادئ اللينينية التالية:-

١- السلطة السوفيتية:

وهي الأساس المشترك الذي يحدد وحدة وأهداف ومهمات جميع الجمهوريات السوفيتية المستقلة، والقاعدة التي توحدت عليها.

٢- الأممية البروليتارية الاشتراكية:

وتفترض التوحيد الوثيق لشغيلة جميع الأمم والشعوب، والتعاون الشامل بينها من أجل الهدف المشترك والمساعدة المتبادلة من أجل بناء الشيوعية.

٣- المبدأ الاقليمي والقومي:

إن جميع الجمهوريات المتحدة دول قومية تحتفظ باستقلاليتها وحقوقها في السيادة، وعلى أساس التكافؤ والتعاون الوثيق والمصداقية بين الشعوب في إطار الدولة الاتحادية الواحدة.

٤- طوعية توحيد الجمهوريات السوفيتية في دولة اتحادية موحدة:

وهي أساس متانة التآلف الاشتراكي للأمم، والسمة المميزة للاتحدا الفدرالي السوفيتي.

٥- تكافؤ الجمهوريات الاتحادية:

وذلك بغض النظر عن عدد سكانها ومساحة أراضيها ومساهمتها الفعلية في القضية الاشتراكية. فما من جمهورية متحدة تتمتع بامتيازات أو حقوق استثنائية على الجمهوريات الأخرى.

٦- المركزية الديموقراطية:

وتفترض المركزية في قيادة الشؤون المشتركة للاتحاد الفدرالي مع الحد الاقصى من تمتع الجمهوريات المنضمة إليه بحقوقها ومبادراتها لدى حل مسائل الحياة الداخلية الخاصة بها ولدى مناقشة القضايا المتعلقة بالاتحاد كله.

وبموجب المادة (٧٣) من الدستور تمارس الدولة الاتحادية السوفيتية بواسطة هيئاتها العليا لسلطة وإدارة الدولة الصلاحيات التالية:-

١- قبول جمهوريات جديدة في الاتحاد السوفيتي.

٢- المصادقة على تشكيل جمهوريات ذات حكم ذاتي جديدة ضمن قوام الجمهوريات المتحدة.

٣- تعيين حدود الاتحاد السوفيتي الدولية والمصادقة على تعديل الحدود بين الجمهوريات المتحدة.

٤- اقرار المبادئ العامة لتنظيم ونشاط الهيئات الجمهورية والمحلية لسلطة وإدارة الدولة.

٥- ضمان وحدة التنظيم التشريعي في كل أراضي الاتحاد السوفيتي، واقرار أسس التشريع في الاتحاد السوفيتي والجمهوريات المتحدة.

٦- تطبيق سياسة اجتماعية واقتصادية واحدة.

٧- إدارة اقتصاد البلاد.

٨- تعيين الاتجاهات الأساسية للتقدم العلمي والتكنيكي والاجراءات العامة العقلانية للموارد الطبيعية وصيانتها.

٩- وضع خطط الدولة لتطوير الاتحاد السوفيتي على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والمصادقة عليها، والمصادقة على التقارير الخاصة بتنفيذها.

١٠- وضع ميزانية واحدة للاتحاد السوفيتي والمصادقة عليها، والمصادقة على التقارير الخاصة بتنفيذها.

١١- ادارة النظام النقدي والتسليفي الواحد.
١٢- اقرار الضرائب والايرادات المخصصة لتشكيل ميزانية الاتحاد السوفيتي.
١٣- تعيين السياسة في ميدان الاسعار والاجور.
١٤- الاشراف على فروع الاقتصاد الوطني والاتحادات والمؤسسات ذات التبعية الاتحادية، والاشراف العام على الفروع ذات التبعية للجمهوريات الاتحادية.
١٥- معالجة قضايا السلام والحرب والذود عن سيادة الاتحاد السوفيتي وحماية حدود الدولة وأراضي الاتحاد السوفيتي وتنظيم الدفاع، وقيادة القوات المسلحة للاتحاد السوفيتي، وضمانة أمن الدولة.
١٦- تمثيل الاتحاد السوفيتي مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية، ووضع نظام عام لعلاقة الجمهوريات المتحدة والمنظمات الدولية وتنسيق هذه العلاقات.
١٧- تسيير التجارة الخارجية وغير ذلك من وجوه النشاط الاقتصادي الخارجي على أساس احتكار الدولة.
١٨- مراقبة الالتزام بدستور الاتحاد السوفيتي وضمان اتفاق دساتير الجمهوريات المتحدة مع دستور الاتحاد السوفيتي.
١٩- البت في المسائل الأخرى ذات الأهمية الخاصة بعموم الاتحاد السوفيتي.

وجاء في (المادة ٧٤) من الدستور على أن لقوانين الاتحاد السوفيتي مفعولاً واحداً في أراضي جميع الجمهوريات المتحدة. وإذا ما اختلف قانون جمهورية متحدة مع قانون اتحادي كان المفعول لقانون الاتحاد السوفيتي.

وجاء في المادة ٧٥ من الدستور بأن سيادة الاتحاد السوفيتي تعم كل أراضيه.

وبموجب (المادة ١٦) من الدستور يكون اقتصاد الاتحاد السوفيتي تشكيلة اقتصادية موحدة تشمل جميع أصعدة الانتاج الاجتماعي والتوزيع والتبادل في أراضي الدولة.

وبموجب (المادة ١١) من الدستور فإن ملكية الدولة التي هي الشكل الأساسي للملكية الاشتراكية ملك عام للشعب السوفيتي باسره. وعلى هذا الأساس فإن الشعب السوفيتي كوحدة متكاملة بشخص الدولة الاشتراكية هو المالك الوحيد الموحد لرصيد أموال الدولة. وتقع ضمن ملكية الدولة حصراً الأرض وباطنها، والمياه، والغابات، ووسائل الانتاج الأساسية في الصناعة والبناء والزراعة ووسائط النقل والاتصال والبنوك وأموال المؤسسات التجارية والخدماتية وغيرها من المؤسسات التي تنظمها الدولة ورصيد المساكن الأساسي في المدن وكذلك سائر الأموال الضرورية لتحقيق مهمات الدولة.

ب) الجمهورية الاشتراكية السوفيتية المتحدة.

إن الجمهورية الاشتراكية السوفيتية المتحدة كما جاء في (المادة ٧٦) من الدستور «تمثل دولة اشتراكية سوفيتية ذات سيادة اتحدت مع غيرها من الجمهوريات السوفيتية في الاتحاد السوفيتي».

وتؤمن السيادة للجمهوريات المتحدة بالدرجة الأولى في كون الجمهورية المتحدة تمارس سلطة الدولة بصورة مستقلة في أراضيها خارج الاحكام الواردة في (المادة ٧٣) من الدستور أي خارج إطار صلاحيات الاتحاد السوفيتي التي سبق ذكرها.

وتضع الجمهورية المتحدة دستورها بنفسها وتقره بنفسها طبقاً للاجراءات التي تنص عليها هيئتها العليا لسلطة الدولة. ويراعي هذا الدستور خصائص الجمهورية على أن لا يتعارض مع دستور الاتحاد السوفيتي. وبالاضافة إلى اقرار دستور الجمهورية وتعديلاته فإن من صلاحية السوفيت الأعلى في الجمهورية المتحدة المصادقة على خطط الدولة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية وميزانيتها والمصادقة على التقارير المتعلقة بتنفيذها، وتشكيل الهيئات المسؤولة أمام السوفيت الأعلى في الجمهورية.

ولها بصفتها دولة ذات سيادة انظمتها الخاصة للهيئات العليا والمحلية لسلطة الدولة والادارة والقضاء والتحكيم، وتشريعها الخاص في فروع الحقوق الدستورية والادارية والمدنية والجنائية والأصولية، ونظامها الخاص في القضاء. ويتم اقرار قوانين الجمهورية المتحدة من قبل السوفيت الأعلى فيها أو بالاستفتاء الذي يجري بقرارمن هذا المجلس.

ومن مظاهر سيادة الجمهورية المتحدة على أراضيها عدم جواز تعديل حدودها بدون موافقتها. ويمكن تعديل الحدود بين الجمهوريات المتحدة حسب اتفاق بين الجمهوريات المعنية بعد التصديق عليه من قبل الاتحاد السوفيتي. وتحدد الجمهورية المتحدة بنفسها تقسيماتها إلى مقاطعات ومناطق ودوائر ونواح وتبت في غيرها من التقسيمات الادارية الاقليمية.

ولكل جمهورية متحدة مواطنتها (جنسيتها)، وتستعمل اللغة القومية للشعب الغالب في الجمهورية في المعاملات الرسمية والتدريس في المدارس والمعاهد والعمل الثقافي مع اعطاء دور خاص للغة الروسية التي أصبحت وسيلة الاتصال بين شعوب الاتحاد السوفيتي والعالم الخارجي.

وللجمهوريات المتحدة حق العمل المستقل على الصعيد الدولي، وإقامة علاقات

وتوقيع معاهدات وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي مع الدول الأجنبية والمشاركة في نشاطات المنظمات الدولية. فمثلاً جمهوريتا أوكرانيا وبيلوروسيا المتحدتين هما إلى جانب الاتحاد السوفيتي عضوان في هيئة الأمم المتحدة. (ويلاحظ بأن هذا الحق منح للجمهوريات السلافية فقط دون غيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق – المؤلف)

وبالإضافة إلى ممارسة الادراة المستقلة في أراضيها، تساهم الجمهورية المتحدة في تصريف شؤون الدولة الاتحادية ككل على شكل تمثيل متناسب مع عدد سكانها في مجلس الاتحاد لدى السوفيت الأعلى، وتمثيلاً متساوياً (٣٢ نائباً عن كل جمهورية) في مجلس القوميات. كما وأن هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي تضم ممثلا منتخباً عن كل جمهورية بصفته نائباً لرئيس هذه الهيئة. ويضم مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي رؤساء مجالس وزراء جميع الجمهوريات المتحدة بصفتهم الوظيفية، وتضم هيئة المحكمة العليا في الاتحاد السوفيتي روساء المحاكم العليا في الجمهوريات المتحدة بصفتهم الوظيفية.

ولكل جمهورية متحدة رموز خاصة للدولة وشعارها وعلمها ونشيدها الجمهوري وعاصمتها.

وبموجب (المادة ٨١) من الدستور فإن الاتحاد السوفيتي يحمي حقوق السيادة للجمهوريات المتحدة، ومن أهم الضمانات القانونية لهذه الحقوق وتكافؤ الجمهوريات المتحدة حق خروج أية جمهورية من الاتحاد السوفيتي بموجب (المادة ٧٢) من الدستور ولا يجوز حل أية مسألة تخص أية جمهورية متحدة من قبل هيئات الاتحاد السوفيتي إلا بمساهمة وموافقة تلك الجمهورية.

كما وأن للجمهوريات المتحدة ممثلياتها الدائمة لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي.

وتؤمن كل جمهورية التطور الاقتصادي والاجتماعي في أراضيها وتساعد على أداء صلاحيات الاتحاد السوفيتي في أراضيها وتنفذ قرارات الهيئات العليا لسلطة وإدارة الدولة في الاتحاد السوفيتي، كما تنسق وتراقب في المسائل الداخلة ضمن صلاحياتها نشاط المؤسسات والدوائر والمنظمات ذات التبعية الاتحادية.

وتشمل بعض الجمهوريات الاتحادية جمهوريات ذات حكم ذاتي ومقاطعات ذات حكم ذاتي. فمثلاً حسب التقسيمات الادارية في مطلع عام ١٩٩١:–

١– تشمل جمهورية روسيا الاتحادية جمهوريات ذات حكم ذاتي التالية:–

شيشان – أنجوش، قبرطاي – بلقر، داغستان، اوسيتيا الشمالية، بشكيريا، بورياتيا، كلميكيا، كاريليا، كومي، ماري، موردافيا، تتاريا، توفا، اودمورتيا، تشوفشيا، ياقوتيا.

ومقاطعات ذات حكم ذاتي التالية:–

اديغيا (في اقليم كراسنودار)، الطاي الجبلية (في اقليم آلطاي)، اليهودية (في اقليم خاباروفسك)، كراتشاي – شركس (في اقليم ستافروبول)، هاكاسيا (في اقليم كراسنويارسك).

٢– تشمل جمهورية جورجيا الاتحادية جمهورتي ابخازيا وادجاريا ذات الحكم الذاتي ومقاطعة اوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي.

٣– تشمل جمهوريةاوزبكستان الاتحادية جمهورية قره قلباقيا ذات الحكم الذاتي.

٤– تشمل جمهورية اذربيجان الاتحادية جمهورية ناخيتشفيان ذات الحكم الذاتي ومقاطعة قره باخ الجبلية ذات الحكم الذاتي.

٥– تشمل جمهورية طاجكستان الاتحادية على مقاطعة باداخشان الجبلية ذات الحكم الذاتي:

ج) الجمهورية الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي.

إن الجمهورية الاشتراكية السوفيتية ذات الحكم الذاتي كما جاء في (المادة ٨٢) من الدستور «هي دولة اشتراكية سوفيتية داخل ضمن الجمهورية المتحدة وهي تبت في المشاكل الداخلية ضمن صلاحيتها بصورة مستقلة خارج نطاق حقوق الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة».

إن دستور الجمهورية ذات الحكم الذاتي يطابق دستور الاتحاد السوفيتي ودستور الجمهورية المتحدة ويراعي خصائص الجمهورية ذات الحكم الذاتي، ولها هيئاتها العليا والمحلية لسلطة الدولة والادارة، وشبكة هيئات القضاء الخاص بها، وتشريعها الخاص بمسائل البناء الاقتصادي والثقافي والسياسي، وأراضيها التي لا يمكن تغييرها بدون موافقتها كما أن لها عاصمتها. أما شعارها هو نفس شعار الجمهورية المتحدة مع اضافة اسم الجمهورية ذات الحكم الذاتي وكتابة نداء «يا عمال العالم اتحدوا» بلغة الجمهورية ذات الحكم الذاتي. وعلمها الرسمي هو علم الجمهورية المتحدة مع اضافة اسم الجمهورية ذات الحكم الذاتي.

تشترك الجمهورية ذات الحكم الذاتي في البت في المسائل الداخلة ضمن صلاحية الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة عن طريق الهيئات العليا لسلطة وادارة الدولة في الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة على التوالي. وللجمهورية تمثيل متناسب مع عدد سكانها في السوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي وتمثيل متساو في مجلس القوميات التابع للسوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي حيث ينتخب لعضوية هذا المجلس (١١) نائباً عن كل جمهورية ذات حكم ذاتي.

كما يكون للجمهورية تمثيل متناسب مع سكانها في السوفيت الأعلى للجمهورية المتحدة.

تؤمن الجمهورية ذات الحكم الذاتي التطور الاقتصادي والاجتماعي في أراضيها، وتنفذ قرارات الهيئات العليا لسلطة وادارة الدولة في الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة، وتنسق وتراقب المسائل الداخلة ضمن صلاحيتها، ونشاط المؤسسات والدوائر والمنظمات ذات التبعية للاتحاد السوفيتي وكذلك ذات التبعية للجمهورية المتحدة.

د) المقاطعة ذات الحكم الذاتي

وهي وحدة اقليمية كبيرة ولكنها لا تتمتع بمكانة الدولة، وتقع ضمن جمهورية متحدة أو اقليم من جمهورية متحدة. ويتم تشريع قانون المقاطعة ذات الحكم الذاتي من قبل السوفيت الأعلى في الجمهورية المتحدة باقتراح من سوفيت نواب الشعب في المقاطعة.

إن هيئات سلطة الدولة والادارة في المقاطعة ذات الحكم الذاتي هي سوفيتات نواب الشعب ولجانها التنفيذية الداخلة ضمن شبكة الهيئات المحلية لسلطة الدولة والادارة في الجمهورية المتحدة. ويوجد لها تمثيل يتناسب مع عدد سكانها في السوفيت الأعلى للجمهورية المتحدة وكذلك في مجلس الاتحاد التابع للسوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي، كما ينتخب ٥ نواب عن كل مقاطعة ذات حكم ذاتي لتمثيلها في مجلس القوميات التابع للسوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي.

وبالنسبة للمقاطعات ذات الحكم الذاتي الداخلة ضمن بعض أقاليم جمهورية روسيا الاتحادية. فإن سوفيت نواب الشعب في المقاطعة ذات الحكم الذاتي يمكنه أن يوقف مفعول قرار سوفيت الاقليم أو لجنته التنفيذية إذا لم يكن موافقاً عليه، كما يمكنه أن

يشكو ويرفع وجهة نظره إلى هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في جمهورية روسيا الاتحادية أو إلى مجلس وزرائها. ولا يحق لسوفيت نواب الشعب في الاقليم أو لجنته التنفيذية إلغاء قرار نواب الشعب في المقاطعة ذات الحكم الذاتي أو لجنتها التنفيذية، إذ أن هذا الحق يعود فقط إلى هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في جمهورية روسيا الاتحادية فيما يخص لوائح سوفيت نواب الشعب في المقاطعة وإلى مجلس وزراء روسيا الاتحادية فيما يخص لوائح اللجنة التنفيذية لسوفيت نواب الشعب في المقاطعة.

هـ) الدوائر ذات الحكم الذاتي

وهي كيانات خاصة ذات حكم ذاتي تشكلت لتأمين البناء العادل على صعيد الدولة لحياة أقوام صغيرة في سيبريا وفي الشرق الأقصى والشمال الأقصى وعددها عشر دوائر تقع جميعها ضمن الجمهورية الروسية المتحدة. ولهذه الدوائر تمثيل خاص في مجلس القوميات للسوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي وذلك بانتخاب عضو واحد في ذلك المجلس عن كل دائرة ذات حكم ذاتي.

وهيئات سلطة الدولة والادارة في هذه الدوائر هي سوفيتات نواب الشعب فيها ولجانها التنفيذية التي تدخل ضمن الشبكة الموحدة للهيئات المحلية لسلطة الدولة والادارة في الجمهورية الروسية المتحدة. ويتم اقرار قوانين هذه الدوائر من قبل السوفيت الأعلى للجمهورية الروسية المتحدة.

هيئات الدولة السوفيتية

تنقسم هيئات الدولة السوفيتية إلى:-

١) هيئات سلطة الدولة.

٢) هيئات إدارة الدولة.

٣) هيئات القضاء والتحكيم والادعاء العام.

١- هيئات سلطة الدولة

هيئات سلطة الدولة هي نظام سوفيتات نواب الشعب التمثيلية المنتخبة التي تعبر عن ارادة الجماهير، وتمثل تجسيداً حياً لسلطة الشعب والديموقراطية الاشتراكية، وتشكل

النظام الموحد لهيئات سلطة الدولة. وتشمل (انظر المخطط رقم ٦-٣)
- السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي
- السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة والجمهوريات ذات الحكم الذاتي.
- السوفيتات المحلية لنواب الشعب.

وتدير السوفيتات بصورة مباشرة أو عن طريق الهيئات التي تشكلها جميع فروع بناء الدولة والبناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لها، وتحاسب جميع هيئات الدولة التي يجري تشكيلها من قبل السوفيتات وليس عن طريق الانتخاب من قبل الشعب مباشرة، وتشكل هيئات الرقابة الشعبية التي تجمع بين رقابة الدولة ورقابة الشغيلة الاجتماعية في المؤسسات الانتاجية والكولخوزات والدوائر والمنظمات وذلك بموجب (المادة ٩٢) من الدستور.

ومن أهم مبادئ تنظيم ونشاط السوفيتات:-

أ) المركزية الديموقراطية.
ب) الشرعية الاشتراكية.
ج) الجمع بين اتخاذ القرارت وتنفيذها.
د) القيادة الجماعية.
هـ) العلنية واطلاع المواطنين على أعمالها.
و) المحاسبة المنتظمة للهيئات التنفيذية والادارية وسائر الهيئات التي تشكلها.
ز) اشراك المواطنين الواسع في عمل السوفيتات.

وتتكون السوفيتات في مواطن الاتحاد السوفيتي عن طريق الانتخاب الديموقراطي الحر على أساس حق الانتخاب العام المتساوي المباشر بالاقتراع السري ويحق للمواطنين الذين بلغوا الثامنة عشر من العمر التصويت في انتخاب جميع السوفيتات، كما يمكن انتخابهم لعضوية جميع السوفيتات ما عدا السوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي إذ يشترط في اعضائها بلوغ سن الحادية والعشرين.

ويجري انتخاب نواب السوفيتات حسب الدوائر الانتخابية، وينتخب عن كل دائرة نائب واحد. وأما حق ترشيح النواب فيعود إلى منظمات الحزب الشيوعي السوفيتي والنقابات واتحاد الشبيبة الشيوعي اللينيني لعموم الاتحاد السوفيتي والمنظمات التعاونية والاجتماعية الأخرى وجماعات العاملين واجتماعات العسكريين. وتتحمل الدول جميع

نفقات عمليات الانتخابات.

وبموجب (المادة ٩٠) من الدستور فإن مدة صلاحية السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي والسوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة والجمهوريات ذات الحكم الذاتي هي خمس سنوات، والسوفيتات المحلية سنتان ونصف.

إن النائب عضو في هيئة جماعية هي السوفيت الذي وجهه الناخبون إليه ممثلاً عنهم، ولهم حقوق وعليهم واجبات مرتبطة بنشاطهم في السوفيت.

من أهم حقوقهم الحصانة النيابية حيث لا يجوز ايقاع العقوبة الجنائية بهم ولا اعتقالهم أو تعرضهم للعقوبات الادارية المفروضة بالكيفية القضائية الا بموافقة السوفيتات المعنية، كما أن القوانين السوفيتية تقدم لهم ضمانات حقوقية أخرى كحماية حقوقهم في ميدان علاقات العمل والعلاقات الحقوقية الادارية والحقوق الجنائية والمقاضاة الحقوقية. ويتم تزويدهم بالمعلومات اللازمة والمعونة الحقوقية الضرورية والمطبوعات الرسمية والمواد الاعلامية وغيرها. ويتلقى النواب تعويضاً عن النفقات المرتبطة بنشاطاتهم النيابية ويتمتعون بحق السفر المجاني. وللنواب غير المتفرغين الجمع بين عمله السابق والنيابة، والنواب المتفرغون من العمل نتيجة انتخابهم لمنصب نيابي يحق لهم أن يعودوا بعد انتهاء صلاحياته النيابية إلى مكان عمله (منصبه) السابق أو إلى عمل (منصب) معادل إذا لم يتوفر الشاغر في نفس المؤسسة أوغيرها، وتحسب لهم مدة خدمتهم كنائب متفرغ كخدمة في العمل الذي كان يمارسه قبل تفرغه للعمل النيابي.

ومن حق النائب حسب صلاحيات السوفيت المعني، أن يستجوب هيئات الدولة المعنية والاداريين المعنيين وهم ملزمون بالرد على الاستجواب حيث تجري مناقشة الاستجواب النيابي والرد عليه في السوفيت، وللنواب في سياق نشاطهم مراجعة مختلف دوائر الدولة والمنظمات الاجتماعية والمؤسسات الانتاجية والمسؤلين. وينبغي على المسؤلين الذين يتوجه إليهم النواب النظر في اقتراحاتهم في الآجال المحددة.

ومن أهم واجبات النائب أن يكون على إرتباط مع الناخبين طوال مدة نيابته، وأن ينفذ تكليفات الناخبين ويتحمل المسؤلية أمامهم عن نشاطه النيابي كله، وأن ينقل إلى السوفيتات المعنية طلبات الناخبين وتوصياتهم، وهم ملزمون بأن يقدموا التقارير عن عملهم وعمل السوفيت أمام الناخبين بانتظام وبمالا يقل عن مرة واحدة في العام بالنسبة لنواب السوفيتات العليا وعن مرتين في العام لنواب السوفيتات المحلية. وبموجب (المادة ١٠٧) من الدستور يستطيع الناخبون سحب الثقة من النائب في أي وقت.

وتصنف السوفيتات في الاتحاد السوفيتي إلى الهيئات التالية:-

أ) السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي.

ب) السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة والجمهوريات ذات الحكم الذاتي.

ج) السوفيتات المحلية لنواب الشعب.

أ) السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي

ومقره قصر الكرملين الكبير وهو بموجب (المادة ١٠٨) من الدستور الهيئة العليا لسلطة الدولة في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ويمثل جميع مواطني الدولة ويصوت إلى جانب نوابه جميع سكان الاتحاد السوفيتي البالغين. ويتألف من مجلسين متساويين في الحقوق هما مجلس الاتحاد ومجلس القوميات اللذات يتشكلان على أسس ديموقراطية واحدة، ويتمتع بالصلاحيات المدرجة في (المادة ٧٣) التي سبق ذكرها، وينتخب هيئة رئاسة له، ويشكل مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، وينتخب المحكمة العليا في الاتحاد السوفيتي، ويعين المدعي العام للاتحاد السوفيتي.

إن السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي ليس هيئة ذات جلسات مستمرة بل يعمل على دورات عادية تعقد مرتين في العام ودورات استثنائية بطلب من قبل هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي أو باقتراح من احدى الجمهوريات المتحدة، أو باقتراح مما لا يقل عن ثلث نواب أحد المجلسين. ويشرف على عمل الدورات كله رئيسا المجلسين اللذين ينتخبان في الدورة الأولى لكل من المجلسين مع أربعة نواب لكل منهما لمدة صلاحية السوفيت المذكور للحلقة التشريعية المعنية، وتستمر الدورة عادة لمدة بضعة أيام فقط وتكون مفتوحة وعلنية.

إن نظام الدورات للسوفيت المذكور يتطلب تأسيس هيئة مسؤولة أمامه تؤمن أداء وظائف الهيئة العليا لسلطة الدولة في الاتحاد السوفيتي يومياً وبلا انقطاع في الفترة بين دورتين، وهذه الهيئة الدائمة هي رئاسة السوفيت الأعلى التي تنتخب من بين النواب من رئيس للهيئة، ونائب أول للرئيس، وخمسة عشر نائباً للرئيس على أساس نائب واحد عن كل جمهورية متحدة، وأمين سر هيئة الرئاسة وواحد وعشرين عضواً لها. وعند انتهاء صلاحيات السوفيت الأعلى تحتفظ هيئة رئاسته بصلاحياتها إلى حين تشكيل هيئة

الرئاسة الجديدة من قبل السوفيت الأعلى الجديد.

ب) السوفيت الأعلى في الجمهورية المتحدة أو الجمهورية ذات الحكم الذاتي

هو الهيئة العليا لسلطة الدولة في تلك الجمهورية، ويمثل جميع مواطني تلك الجمهورية ويصوت إلى جانب نوابه جميع سكان الجمهورية البالغين. وهذا السوفيت هو الهيئة العليا لسلطة الدولة في الجمهورية المتحدة أو ذات الحكم الذاتي ومخول بحق البت في جميع الأمور التي أدرجها دستور الاتحاد السوفيتي ودساتير الجمهورية المتحدة أو ذات الحكم الذاتي ضمن صلاحية هذه الجمهوريات.

فبالنسبة للسوفيت الأعلى في الجمهورية المتحدة فإن صلاحياته تشمل اقرار دستور الجمهورية المتحدة واجراء التعديلات عليه، والمصادقة على خطط الدولة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وميزانية الدولة في الجمهورية المتحدة والتقارير عن تنفيذها، وتشكيل الهيئات المسؤولة أمام السوفيت الأعلى في الجمهورية.

وكذلك بالنسبة للسوفيت الأعلى في الجمهورية ذات الحكم الذاتي فإن صلاحيته أيضاً تشمل اقرار دستور الجمهورية واجراء التعديلات عليه، والمصادقة على خطط الدولة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك ميزانية الدولة في الجمهورية وتشكيل الهيئات المسؤولة أمام السوفيت الأعلى في الجمهورية.

ويجري اقرار القوانين في الجمهورية المتحدة إما بقرار من السوفيت الأعلى في الجمهورية أو عن طريق الاستفتاء الشعبي، أما في الجمهوريات ذات الحكم الذاتي فيتم اقرار القوانين من قبل السوفيت الأعلى في تلك الجمهورية.

وتتشابه السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي كثيراً من حيث البنية التنظيمية وطابع وأشكال النشاط. ويتجلى هذا التشابه في بنائها من مجلس واحد ونشاطها على شكل دورات بما لا يقل عن مرتين في العام وفي استخدامها اللجان الدائمة على شكل واسع وفي المكانة الحقوقية للنواب، وتنتخب هيئات رئاسة لها وتشكل مجالس الوزراء ولجان المراقبة الشعبية وتنتخب المحاكم العليا وتمارس الرقابة العليا على نشاط هيئات الدولة ودوائرها، وتستمع بانتظام إلى تقارير الحكومة والوزراء ورؤساء سائر هيئات الدولة عن الأمور في مختلف قطاعات الادارة وعن سير تنفيذ القوانين واللوائح الأخرى الصادرة عن السوفيتات العليا في الجمهوريات المعنية ولوائح

الهيئات العليا لسلطة الدولة في الاتحاد السوفيتي. وتنظر في تقارير مجالس الوزراء ونشاطاتها وكذلك التقارير عن عمل الوزارات وسائر هيئات ادارة الدولة في الجمهورية المعنية كما تراقب نشاط السوفيتات المحلية لنواب الشعب.

وتمارس السوفيتات العليا للجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي رقابة منتظمة على نشاط هيئاتها ونوابها وتستمع إلى تقارير ومعلومات عن هيئة رئاسة السوفيت الأعلى ولجانه الدائمة وعن محاسبة نواب السوفيتات العليا أمام الناخبين، وتتعقب تنفيذ طلبات وتوصيات الناخبين وتستمع بهذا الخصوص إلى تقارير الحكومات والوزراء وسائر الهيئات المركزية لادارة الجمهورية المعنية وكذلك اللجان التنفيذية للسوفيتات المحلية لنواب الشعب.

وتستخدم السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي في نشاطها نفس الأشكال التنظيمية الحقوقية التي يستخدمها السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي إلا أنها بالإضافة إلى ذلك تطبق أشكالاً للاتصال مع المواطنين مثل الدورات المتنقلة التي تعقد خارج العاصمة في مدن أخرى أو مراكز سكنية يهتم القاطنون فيها بشكل خاص بالمسألة التي تناقشها تلك الدورة.

وتنتخب السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي من بين نوابها الهيئات المتواصلة العمل مثل هيئة رئاسة السوفيت التي تمارس في الأطر المنصوص عليها في دستور الجمهورية المعنية وظائف الهيئة العليا لسلطة الدولة في الجمهورية في الفترة بين دورتين، وتصدر المراسيم والقرارت بشأن مختلف مسائل البناء الحكومي والاقتصادي والثقافي ومراقبة هيئات الادارة، وتؤمن النشاط الطبيعي للسوفيت الأعلى ولجانه الدائمة، وتقدم المعونة لنوابه، وتمارس قيادة السوفيتات المحلية وتوجه عملها التنظيمي الجماهيري.

وتشكل السوفيتات العليا في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي اللجان الدائمة التي تنتخبها من بين النواب لأجل النظر التمهيدي في المسائل الداخلة ضمن صلاحيات السوفيت المعني، وكذلك العمل علي تنفيذ القوانين وسائر قرارات ذلك السوفيت وهيئة رئاسته ومراقبة نشاط هيئات الدولة والمنظمات في الجمهوريات المعنية.

ج) السوفيتات المحلية لنواب الشعب

فهي الأكبر عدداً والأكثر جماهيرية. ومرتبطة بالانسان طول حياته. فعندما يولد

الطفل يسجل في قسم الاحوال المدنية، وعندما يترعرع يلتحق بالروضة والمدرسة، وعندما يبلغ السادسة عشرة من العمل يتسلم الهوية الشخصية (دفتر النفوس) من دائرة الميليشيا وهذه جميعها تابعة وتحت اشراف اللجنة التنفيذية للسوفيت المحلي، وحالما ينهي تعليمه تساعده هيئة السوفيت المحلي في العثور على العمل الذي يناسبه.

فالسوفيت المحلي هو هيئة سلطة الدولة المكلفة بالنظر في مختلف المسائل المحلية والبت فيها مثل تقديم المسكن والخدمات الطبية وتعيين معاش التقاعد. ويستعين المواطن به في حياته اليومية ويتوجه إليه بحاجاته واهتماماته واقتراحاته وشكاواه. وتضم شبكة السوفيتات المحلية سوفيتات الاقاليم والمقاطعات والدوائر ذات الحكم الذاتي وكذلك سوفيتات النواحي والمدن والبلدات والقرى والأحياء وغيرها.

بموجب (المادة ١٤٦) من الدستور تبت السوفيتات المحلية في جميع المسائل ذات الأهمية المحلية انطلاقاً من مصالح الدولة العامة ومصالح المواطنين القاطنين في منطقة السوفيت المعني، وتطبق قرارت هيئة الدولة العليا، وتشرف على نشاطات السوفيتات الأدنى لنواب الشعب في المنطقة، وتساهم في مناقشة المسائل ذات الأهمية الجمهورية والاتحادية وتطرح اقتراحات بشأنها.

وبموجب (المادة ١٤٧) من الدستور تمارس في حدود صلاحياتها تأمين التطور الاقتصادي والاجتماعي في أراضيها، ومراقبة التزام المؤسسات والدوائر والمنظمات التابعة للهيئات الأعلى والمتواجدة في هذه الأراضي بالقوانين، وتنسق وتراقب نشاطها في ميدان الانتفاع بالأرض وحماية الطبيعة والبناء واستعمال موارد الأيدي العاملة وانتاج سلع الأستهلاك والخدمات الاجتماعية والثقافية والمعيشية للسكان وغيرها.

وتتخذ السوفيتات المحلية قرارات في حدود الصلاحيات الممنوحة لها بموجب تشريعات الاتحاد السوفيتي والجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي، وقراراتها الزامية التنفيذ بالنسبة لجميع المؤسسات والدوائر والمنظمات المتواجدة في أراضي السوفيت المعني وكذلك بالنسبة لجميع الاداريين والمواطنين فيها.

ويجتمع النواب الذين يختارهم الشعب في دورات منتظمة تنتخب فيها اللجنة التنفيذية واللجان الدائمة وتعين رؤساء الأقسام والادارات وتبت في المسائل الداخلية الهامة ضمن صلاحية السوفيت، ويجري اطلاع المواطنين على القرارات المتخذة كما يحق للمواطنين حضور الدورات والمساهمة في المناقشة، وكذلك فإنها على صلات وثيقة بالمواطنين وتمثل الشكل الأساسي لمشاركة المواطنين في تصريف شؤون الدولة.

٢- هيئات إدارة الدولة

تشمل ادارة الدولة العمل التنظيمي المباشر لتنفيذ لوائح هيئات سلطة الدولة (السوفيتات) واتخاذ الاجراءات الادارية لحل مهمات البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ومراقبة تنفيذها. وتتميز هيئات ادارة الدولة بالتابعية المزدوجة للسوفيت الذي يشكلها وكذلك للهيئة العليا المعنية لادارة الدولة، وكذلك بطابع خضوعها للقوانين حيث أن جميع لوائحها واجراءاتها يجب أن تطابق القوانين وسائر لوائح الهيئات العليا لسلطة الدولة. وتتمير هذه الهيئات أيضاً بارتباطها الوثيق مع السكان الذين يساهمون في النشاط الاداري وفي مراقبة عمل جهاز الدولة.

وبموجب الدستور فإن هيئات ادارة الدولة (انظر المخطط رقم ٦-٤) تتمثل في:-

أ) مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي.

ب) مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي.

ج) الوزارات ولجان الدولة وغيرها من مصالح الاتحاد السوفيتي والجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي.

د) اللجان التنفيذية للسوفيتات المحلية وأقسام وادارات اللجان التنفيذية.

مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي:

بموجب (المادة ١٢٨) من الدستور فإن مجلس وزراء الاتحاد السنوفيتي (حكومة الاتحاد السوفيتي) هو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا لسلطة الدولة في الاتحاد السوفيتي، ويجري تشكيله من قبل السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي بجلسة مشتركة لمجلس الاتحاد ومجلس القوميات. ويتألف من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء ورؤساء لجان الدولة في الاتحاد السوفيتي وكذلك بنك الدولة والدائرة الاحصائية المركزية في الاتحاد السوفيتي ورؤساء مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة.

يجرى تشكيل حكومة الاتحاد السوفيتي في جلسات مشتركة لمجلسي السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي لدورته التشريعية الجديدة، حيث يتخلى مجلس الوزراء القائم في هذه الدورة عن صلاحياته أمام السوفيت الأعلى الجديد، فيقوم هذا الأخير بتقييم نشاط الحكومة وتعيين رئيس للوزراء ويكلفه بتقديم اقتراحات بشأن الحكومة

الجديدة، ويقر السوفيت الأعلى بناء على اقتراح رئيس الوزراء المعين قوام الحكومة الجديدة.

إن مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي مركز لتصريف شؤون الدولة، ويشمل نشاطه كل الميادين الأساسية للحياة الاقتصادية والبناء الاجتماعي والثقافي، ويضع ويطبق الاجراءات لزيادة رفاه الشعب ورفع مستوى ثقافته وتطوير العلوم والتكنولوجيا والاستفادة من الموارد الطبيعية وصيانتها، وتقوية النظام النقدي، وتطبيق سياسة موحدة للأسعار ودفع أجور العمل والضمان الاجتماعي، وتنظيم التأمين الحكومي، ووضع أساليب موحدة للمحاسبة والاحصاء، وتنظيم إدارة المؤسسات والاتحادات الصناعية والبنائية والزراعية ومؤسسات النقل والمواصلات والبريد والمصارف وسائر المؤسسات والدوائر ذات التبعية الاتحادية.

كما تضع حكومة الاتحاد السوفيتي وتعرض على السوفيت الأعلى في الاتحاد خطط الدولة الجارية والطويلة الأمد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وميزانية الدولة للاتحاد وتتخذ الاجراءات لتنفيذ خطط الدولة وميزانيتها وتقدم تقارير عن تنفيذها إلى السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي.

ويتخذ الاجراءات لضمان أمن الدولة، والتوجيه العام لبناء القوات المسلحة، وحماية مصالح الدولة وصيانة الملكية الاشتراكية وحفظ النظام العام، وحماية حقوق وحريات المواطنين.

ويضطلع بمهمة التوجيه العام في ميدان العلاقات مع الدول الأجنبية والتجارة الخارجية والتعاون الاقتصادي والعلمي والثقافي والتكنولوجي بين الاتحاد السوفيتي والبلدان الأجنبية، ويتخذ الاجراءات لتأمين تنفيذ معاهدات الاتحاد السوفيتي الدولية ويصادق على المعاهدات الدولية مع الحكومات الأخرى ويفسخها.

وبالاضافة إلى الأمور الملموسة الداخلة ضمن صلاحياته، فان لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي الحق في أن يوحد ويوجه عمل الوزارات ولجان الدولة وسائر الهيئات في الاتحاد السوفيتي كما أن له حق وقف تنفيذ قرارات وأوامر مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة ،وله الحق أيضا أن يحيل البت في بعض مسائل الادارة الداخلة ضمن صلاحياته إلى الوزارات ولجان الدولة واللجان الخاضعة له أو إلى مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة. وبغية تأمين الاتصالات اليومية يوجد لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي ممثلون دائميون عن مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة.

ولمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي بالاضافة إلى كونها هيئة جماعية تعقد جلسات منظمة تحل فيها المسائل الهامة الداخلة ضمن صلاحياته. جهاز دائم هو هيئة رئاسة مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي المشكل من رئيس الوزراء ونوابه الأوائل يقوم بحل المسائل المرتبطة بتأمين إدارة الاقتصاد الوطني والمسائل الأخرى.

ومجلس وزراء الإتحاد السوفيتي مسؤول أمام السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي وخاضع للمحاسبة والمراقبة من قبله، كما هو مسؤول أمام هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي وخاضع للمحاسبة من قبلها في الفترة بين دورتين للسوفيت الأعلى. وللسوفيت الأعلى وهيئة رئاسته الحق في الغاء قرارت مجلس الوزراء.

وزارات ومصالح ولجان الدولة في الاتحاد السوفيتي:

وتعتبر الهيئات المركزية لادارة الدولة، وتتزعم مختلف فروع وقطاعات ادارة الاقتصاد الوطني والبناء الاجتماعي والثقافي والنشاط السياسي والاداري، وتشرف على فروع الادارة الموكلة إليها أو تمارس الادارة المختلطة بصورة مباشرة أو عن طريق الهيئات التي تشكلها للفروع في جميع أرجاء البلاد.

وتعتبر بعض الوزارات والمصالح الاتحادية مثل وزارات التجارة الخارجية وطرق المواصلات والطيران المدني والاسطول البحري وصناعة الماكينات ولجنة الدول للعلوم والتكنولوجيا من التي تتطلب ادارة مركزية على نطاق البلد كله، ولذلك فإنه لا تتشكل وزارات ومصالح من هذا النوع في الجمهوريات المتحدة، في حين أن الفروع التي يتكون فيها ميدان مشترك لنشاط الاتحاد السوفيتي والجمهوريات المتحدة أو ذات الحكم الذاتي مثل التربية والتعليم والصحة والداخلية ولجان الدولة للتخطيط والتموين وشؤون البناء وغيرها فتتشكل لها وزارات ومصالح مماثلة في الجمهوريات.

الوزراء هم اعضاء في مجلس الوزراء وأما رؤساء المصالح الاتحادية المختصة الهامة، وان كانوا يتمتعون بصلاحيات ومسؤليات مماثلة فإنهم لا يعتبرون عادة أعضاء في مجلس وزراء الاتحاد.

مجالس الوزراء والوزارات والمصالح في الجمهوريات المتحدة:

بموجب (المادة ١٣٩) من الدستور «مجلس وزراء (حكومة) الجمهورية المتحدة،

ويشكله السوفيت الأعلى في الجمهورية من رئيس الوزراء ونوابه والوزراء وعدد من الهيئات المركزية للادارة في الجمهورية»

ويوحد مجلس وزراء الجمهورية المتحدة ويوجه عمل الوزارات ولجان الدولة والهيئات الأخرى الخاضعة له في الجمهورية، ويضع خطط الدولة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وميزانية الدولة وينظم تنفيذها، ويساعد على تنفيذ صلاحيات الاتحاد السوفيتي في أراضي الجمهورية، ويطبق قرارات الهيئة العليا لسلطة الدولة والادارة في الاتحاد السوفيتي. ويصدر القرارات والأوامر طبقاً للوائح القانونية للاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة وقرارات وأوامر مجلس وزراء الإتحاد السوفيتي.

ويحق لمجلس وزراء الجمهورية المتحدة أن يوقف تنفيذ قرارات وأوامر مجالس وزراء الجمهوريات ذات الحكم الذاتي الواقعة في الجمهورية المتحدة، وكذلك قرارت وأوامر اللجان التنفيذية لسوفيتات نواب الشعب في الأقاليم والمقاطعات والدوائر ذات الحكم الذاتي، وكذلك قرارات وأوامر اللجان التنفيذية لسوفيتات نواب الشعب في النواحي والمدن الخاضعة مباشرة للسلطات الجمهورية.

إن مجلس وزراء الجمهورية المتحدة مسؤول أمام السوفيت الأعلى في الجمهورية وأمام هيئة رئاسة السوفيت الأعلى في الفترة بين دورتين للسوفيت. وتدير الوزارات والمصالح ولجان الدولة في الجمهورية المتحدة فروع الادارة الموكلة إليها كليا في الأمور المختصة بالجمهورية مثل المرافق العامة والضمان الاجتماعي والصناعات المحلية، أو تمارس الادارة المختلطة للفروع التي للاتحاد السوفيتي أو الجمهوريات ذات الحكم الذاتي علاقة لها.

مجالس الوزراء والوزارات والمصالح في الجمهوريات ذات الحكم الذاتي:

إن مجلس وزراء (حكومة) الجمهورية ذات الحكم الذاتي هو الهيئة التنفيذية والادارية العليا لسلطة الدولة في الجمهورية. ويشكله السوفيت الأعلى في الجمهورية من رئيس الوزراء والوزراء وعدد من الهيئات المركزية للادارة في الجمهورية المعنية.

ويوحد مجلس وزراء الجمهورية ذات الحكم الذاتي عمل الوزارات ولجان الدولة والهيئات المركزية الأخرى لادارة الجمهورية، ويقدر نشاط اللجان التنفيذية للسوفيتات المحلية فيها، ويؤمن التطوير الاقتصادي الشامل في أراضيها، ويساعد على تنفيذ

صلاحيات الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة المعنية في هذه الأراضي، ويطبق قرارات الهيئات العليا بسلطة الدولة والادارة في الاتحاد السوفيتي والجمهورية المتحدة المعنية. وبالنسبة للمسائل الداخلية ضمن صلاحية الجمهورية ذاتها فإن مجلس الوزراء ينسق ويراقب نشاط المؤسسات والدوائر والمنظمات ذات التبعية الاتحادية والجمهورية.

إن الوزارات والمصالح في الجمهوريات ذات الحكم الذاتي هي الهيئات المركزية لادارة الدولة فيها، وتشرف على فروع الادارة الموكلة إليها أو تمارس الادارة المختلطة للفروع التي للاتحاد السوفيتي أو الجمهورية المتحدة المعنية علاقة بها.

الهيئات المحلية لادارة الدولة:

وهي اللجان التنفيذية التي تنتخبها السوفيتات المحلية من بين نواب هذه السوفيتات. وتعمل تحت اشراف السوفيت الذي ينتخبها والهيئة الأعلى لادارة الدولة (اللجنة التنفيذية الأعلى منزلة وحكومة الجمهورية). وهي تقود المؤسسات الانتاجية والمنظمات والدوائر التابعة للسوفيت المعني على أساس قرارات السوفيت والهيئات الأعلى منزلة لسلطة الدولة وهيئات ادارة الدولة، ويمكنها أن تبت في المسائل الداخلية ضمن صلاحية السوفيت، وتشرف على وضع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والميزانيات المحلية وتنظم تنفيذها، وتقود نشاط اللجان التنفيذية الأدنى منزلة وهيئات النشاط الاجتماعي التلقائي للسكان، وتلبية مصالح المواطنين، والدفاع عن حقوقهم، وتمارس الرقابة على تقيد المؤسسات والدوائر والمنظمات الخاضعة للهيئات الأعلى مرتبة والمتواجدة في أراضي السوفيت المعني بالقوانين السارية، وتنسق وتراقب نشاطات الانتفاع بالأرض والبناء وحماية الطبيعة واستخدام الأيدي العاملة وانتاج بضائع الاستهلاك العام والخدمات الاجتماعية والثقافية والمعيشية وغيرها.

وعلى اللجان التنفيذية هذه أن تقدم بما لا يقل مرة واحدة في العام تقاريرها للسوفيتات التي انتخبتها وكذلك أمام اجتماعات العاملين والمواطنين في أماكن عملهم واقامتهم.

٣- هيئات القضاء والمحاكم والادعاء العام

إن هيئات القضاء مكلفة بممارسة القضاء... أي النظر في الدعاوي المدنية والجنائية والبت فيها بموجب القانون. وهي وحدها التي تستطيع أن تعتبر المواطن مذنبا في اقتراف

جريمة أو خرق قانون إذ بموجب (المادة ١٦٠) من الدستور «لا يجوز إدانة أحد في اقتراف جريمة، ولا يجوز انزال العقوبة الجنائية به الا بحكم المحكمة المختصة وبموجب القانون».

ونتقسم هيئات القضاء (انظر المخطط رقم ٦ — ٥) إلى:—

أ— المحكمة العليا للاتحاد السوفيتي
ب— المحاكم العليا للجمهوريات المتحدة.
ج— المحاكم العليا للجمهوريات ذات الحكم الذاتي.
د— محاكم الاقاليم والمقاطعات والدوائر ذات الحكم الذاتي.
هـ— المحاكم الشعبية في المدن والنواحي والأحياء.

وإلى جانب القضاة تشمل هيئات القضاء محلفين شعبيين، وهم ممثلي الأوساط الاجتماعية الداخلين في قوائم الهيئات القضائية السوفيتية ويشاركون إلى جانب القضاة كأعضاء كاملي الحقوق في المحاكم التي يساهمون فيها حسب الدور.
ويجري انتخاب قضاة المحاكم العليا من قبل نواب السوفيتات العليا المعنية لمدة خمس سنوات، وأما قضاة المحاكم الشعبية فيجري انتخابهم لمدة خمس سنوات أيضاً على أساس الانتخاب المباشر بالاقتراع السري. وأما المحلفون الشعبيون فينتخبون لمدة سنتين. ويشترط في القضاة والمحلفين الشعبين أن يكونوا قد بلغوا الخامسة والعشرين من العمر.
ويجري انتخاب قضاة المحاكم العسكرية من قبل هيئة رئاسة السوفيت الأعلى للاتحاد السوفيتي لمدة خمس سنوات.
وهيئات القضاء مسؤولون أمام الناخبين أو الهيئات التي انتخبتهم ويقدمون التقارير أمامها، ولها حق سحب صلاحياتهم بالكيفية المنصوص عليها قانوناً.
ومن المبادئ الدستورية استقلال القضاة والمحلفين الشعبيين، وخضوعهم للقانون وحده، والمساواة في حقوقهم، وعلنية النظر في الدعاوي في جميع المحاكم، وتأمين حق الدفاع للمتهم، واستعمال اللغة القومية أو لغة أغلبية سكان المنطقة في المقاضاة.
وتعمل هيئات المحامين على تقديم المساعدة الحقوقية للمواطنين والمؤسسات، ويجيز الدستور مساهمة ممثلي المنظمات الاجتماعية وجماعات العاملين في المحاكمات بشأن

الدعاوي المدنية والجنائية ويمكنهم أن يضطلعوا بدور المدعين الاجتماعيين والمحامين الاجتماعيين.

وتضم المحكمة العليا للاتحاد السوفيتي رؤساء المحاكم العليا في الجمهوريات المتحدة بحكم منصبهم وذلك لتأمين الصلة بين الهيئات القضائية العليا في البلاد.

وتجري القيادة التنظيمية للمحاكم من قبل وزارة العدل في الاتحاد السوفيتي، ووزارات العدل في الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي، والاقسام العدلية لدى اللجان التنفيذية لسوفيتات نواب الشعب في الأقاليم والمقاطعات.

وأما هيئات تحكيم الدولة فإن (المادة ١٦٣) من الدستور يكلفها بالبث في الخلافات الاقتصادية بين المؤسسات والدوائر والمنظمات، وتشكل شبكة موحدة تضم هيئة تحكيم الدولة لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، وهيئات تحكيم الدولة لدى مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي، وهيئات تحكيم الدولة لدى اللجان التنفيذية لسوفيتات نواب الشعب في الاقاليم والمقاطعات والمدن....الخ. ويجري تعيين هذه الهيئات من قبل مجالس الوزراء أو اللجان التنفيذية المعنية.

تمارس هيئة تحكيم الدولة لدى مجلس وزراء الإتحاد السسوفيتي ادارة هيئات تحكيم الدولة المختلفة، وتؤمن وحدة تجانس القوانين وصواب استخدامها من قبل جميع هيئات التحكيم لدى البث في الخلافات الاقتصادية، وكذلك مراقبة صحة قرارات هذه الهيئات. كما تقوم بحل الخلافات الاقتصادية الأكبر والأهم بين المؤسسات والمنظمات والدوائر الحكومية والتعاونية والاجتماعية وغيرها ذات التبعية الاتحادية أو التابعة لجمهوريات متحدة مختلفة، وتتحمل مسؤولية تنظيم وتحسين نشاطات هيئات تحكيم الدولة المختلفة.

وتمارس هيئات تحكيم الدولة لدى مجالس وزراء الجمهوريات المتحدة، والخاضعة لمجالس الوزراء التي تشكلها ولهيئة تحكيم الدولة لدى مجلس وزراء الإتحاد السوفيتي مهاماً مماثلة ضمن أراضيها وتمارس الاشراف على هيئات تحكيم الدولة لدى مجالس وزراء الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ولدى المجالس التنفيذية للأقاليم والمقاطعات والمدن...الخ.

وأما هيئة الادعاء العام فقد وكلت إليها المراقبة العليا على تنفيذ القوانين بدقة وبشكل واحد، وأن قرارات هيئات الادارة والدوائر والمؤسسات الانتاجية مطابقة للقوانين، وبأن المحاكم تبت بالدعاوي بشكل صائب، وبأن حقوق المواطنين محمية، وبوسع أي مواطن

هضمت حقوقه مراجعة الادعاء العام.والمدعي العام ملزم بالنظر في الشكوى الموجهة إليه واتخاذ الاجراءات لمنع خرق القوانين. ويؤدي الادعاء العام المهمة المشتركة بين الهيئات القضائية وهيئات الادعاء العام لحماية الشرعية الاشتراكية، ومن حقه وواجبه الاعتراض على القرارات أو الأعمال الخاطئة، والمطالبة بإزالة خرق القانون وانزال العقوبة الجنائية بالمجرمين، وتمارس الرقابة على التحقيق الذي تمارسه الهيئات الأخرى مثل هيئات الشؤون الداخلية. ويضطلع المدعي العام بدور ممثل الدولة في الدعاوي الجنائية أمام المحاكم، ويعترض على الأحكام والقرارات غير الشرعية، ويراقب تنفيذ أحكام وقرارات المحاكم.

إن بنية الادعاء العام (انظر المخطط رقم ٦ – ٦) تستجيب لمهماته في تعزيز الشرعية الاشتراكية الموحدة، وتشكل شبكة مركزية يتزعمها المدعي العام للاتحاد السوفيتي الذي يعينه السوفيت الأعلى في الاتحاد السوفيتي، ومسؤول أمامه وخاضع لمراقبته، أما في الفترة ما بين دورتين لهذا السوفيت فهو مسؤول أمام هيئة الرئاسة لهذا السوفيت.

ويقوم المدعي العام للاتحاد السوفيتي بتعيين المدعين العامين في الجمهوريات المتحدة والجمهوريات والاقاليم والمقاطعات ذات الحكم الذاتي. أما المدعون العامون في الدوائر ذات الحكم الذاتي والنواحي والأحياء والمدن فيعينهم المدعون العامون للجمهوريات المتحدة. وتكون مثل هذه التعيينات خاضعة لمصادقة المدعي العام للاتحاد السوفيتي. وتكون صلاحيات المدعي العام للاتحاد السوفيتي وجميع المدعين العامين لمدة خمس سنوات.

وبالاضافة إلى هيئات الدولة السوفيتية التي مر ذكرها فإن هناك هيئات أخرى لها دور أساسي في النظام السياسي للمجتمع السوفيتي وهي:–

أ– الحزب الشيوعي السوفيتي

ب– المنظمات الاجتماعية في النظام السياسي السوفيتي.

فالحزب الشيوعي بموجب الدستور هو القوة القيادية الموجهة للنظام السوفيتي ونواة نظامه السياسي ومؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية، ويطبق سياسته عن طريق العمل الايدولوجي والتنظيمي بين الجماهير بواسطة الدولة والمنظمات الاجتماعية الجماهيرية، ويمارس الحزب الأمور التالية بدون تحديد:–

١– وضع القرارات المعللة علمياً والتي تحدد الأهداف الأساسية للمجتمع ووسائل تحقيقها.

٢– القيادة الفكرية والسياسية لجميع مؤسسات الدولة والمنظمات الاجتماعية

وتوحيد وتنسيق نشاطها في كل ميادين الحياة الاجتماعية وادارة العمليات الاجتماعية.

٣- انتقاء وتوزيع وتربية الكوادر القيادية والتربية الفكرية والسياسية للعاملين في جهاز الدولة.

٤- تأمين وحدة القيادة السياسية والنشاط الاقتصادي.

٥- الاهتمام المتواصل بتحسين جهاز الدولة السوفيتية واشكال وطرق نشاط المنظمات الاجتماعية وتحسين أساليب عملها واجتثاث البيروقراطية والتسيب والروتين بحزم.

٦- المساهمة المباشرة من الهيئات الحزبية في حل أهم مسائل التنمية التي تنظر فيها هيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية (القرارات المشتركة).

٧- المراقبة المنتظمة على نشاط هيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية.

ويدعي المنظرون الحزبيون بأن الحزب الشيوعي السوفيتي موجود من أجل الشعب، وأنه يخدم الشعب، وأن الدور القيادي للحزب من أهم سنن تطور الاشتراكية، وبدون القيادة من جانب الحزب لا يستطيع النظام السوفيتي الاشتراكي ككل ولا بعض أجزائه أن يؤديا وظائفهما ويتحسنا بصورة طبيعة. «فنتيجة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وتعزز وحدة المجتمع السوفيتي غدا حزب الطبقة العاملة الشيوعي طليعة الشعب السوفيتي، وحزب الشعب كله، ووسع تأثيره الموجه في جميع نواحي الحياة الاجتماعية».

وأما أهم المنظمات الاجتماعية في النظام السياسي السوفيتي فهي:-

١- النقابات:

وهي المنظمات الأكثر جماهيرية بين كل المنظمات الاجتماعية الداخلة ضمن النظام السياسي الاشتراكي، وتؤدي دور مدرسة الادارة والتسيير الاقتصادي، والدفاع عن المصالح المشروعة للشغيلة، والنهوض بالانتاج، وتشجيع تطوير المباراة الاشتراكية بين جماعات العاملين لزيادة الانتاج وتحسين الجودة والتنفيذ الناجح لمهمات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتربية جمهور الشغيلة على الوعي الشيوعي وموقفه من العمل ومن الملكية الجماعية، وتعزيز الانضباط الحكومي والعملي.

وبالاضافة إلى وظائفها التقليدية المذكورة، انيطت بالنقابات صلاحية ادارة الضمان الاجتماعي ومراقبة مراعاة قوانين العمل والرقابة على حالة صيانة العمل والأمن الصناعي ونشاط المنتجعات والمصحات ودور الراحة.

وللهيئات النقابية الحق في أن تطرح أمام المنظمات المعنية مسألة تنحية أو معاقبة المسؤولين الذين لا ينفذون التزاماتهم وأن تهتم بالظروف الملائمة للعمل والمعيشة والراحة وباستكمال المستلزمات الصحية والضمان الاجتماعي للعمال والمستخدمين.

٢- اتحاد الشبيبة الشيوعي اللينيني لعموم الاتحاد السوفيتي (الكومسومول):

ويمثل منظمة سياسية جماهيرية للشبيبة، ومع أنه منظمة غير حزبية إلا أنه ذو ارتباط مباشر بالحزب الشيوعي. ومهمته الرئيسية تربية الشبيبة (تحت قيادة الحزب) على الوعي الطبقي السياسي واجتذابها إلى البناء العملي للمجتمع الشيوعي. وهو احتياطي ويقوم بدور مهم لاستكمال صفوف الحزب، ويؤمن التوارث بين أجيال الشيوعيين. ويساعد الحزب في تربية الشباب بروح الشيوعية واجتذابهم إلى البناء العملي للمجتمع الجديد. ويساهم في الترشيح لنواب السوفيتات ويساعد في فعاليات إعداد وإجراء الإنتخابات وفي عمل اللجان الانتخابية. ويعمل ممثلو الكومسومول في اللجان الدائمة للسوفيتات وضمن عدد من هيئات ادارة الدولة، ويساهم في ممارسة الرقابة الشعبية على نشاطاتها، كما يساهم في وضع اللوائح الحقوقية بشأن المسائل المتعلقة بحقوق ومصالح الشبيبة.

ويقوم الكومسومول بتعبئة الشبيبة لتنفيذ خطط التنمية الاقتصادية والمشاركة فيها على شكل المباراة بين الشبيبة من أجل العمل الشيوعي، وتبني عدد من مشاريع البناء كمشاريع كومسومولية طليعية لعموم البلاد.

إن الكومسومول هو منظم وقائد الشبيبة السوفيتية جميعاً وليس أعضاء الكومسومول فقط، ومن أكبر مهماته تربية الشباب بروح المعتقدات الشيوعية والوطنية السوفيتية والأممية وكذلك الانتظام والانضباط.

٣- الكولخوزات:

وهي تعاونيات زراعية تضم طبقة كاملة من المجتمع السوفيتي (الفلاحين الكولخوزيين). والكولخوز بالاضافة إلى كونها تعاونية اقتصادية انتاجية تشكل أيضاً منظمة اجتماعية سياسية تساهم في خلق القيم الأساسية للمجتمع الاشتراكي.

وتلعب الكولخوزات دوراً جوهرياً في تطوير الديموقراطية الاشتراكية السوفيتية في الأرياف، إذ يساهم أعضاء الكولخوز مباشرة في حل المسائل الأساسية لحياة الكولخوز وفي انتخاب واستبدال هيئاته، وفي مراقبة ومحاسبة الهيئات المنتخبة لإدارته، ويتمتعون بحرية الانتقاد في الاجتماعات العامة للكولخوزيين. والدولة في قيادتها للكولخوزات لا تتبع أسلوب الأوامر والوصاية في الصغائر بل تستخدم طريقة التوصيات.

ويرتبط النشاط الاقتصادي الانتاجي للكولخوزات بنمو القوى المنتجة في الريف، إذ تأخذ مواقف علمية إزاء تنظيم الانتاج وتخصصه وتركيز جهود الاستثمارات بغية الاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي.

ويقوم الاقتصاد السوفيتي على أساس (المادة ١٠ من الدستور) الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج بشكل ملكية الدولة (ملكية الشعب بأسره) وبشكل الملكية الكولخوزية التعاونية. وتشمل الملكية الاشتراكية ممتلكات النقابات وغيرها من المنظمات الاجتماعية. وتحمي الدولة الملكية الإشتراكية وتخلق الظروف اللازمة لتكثيرها. ولا يحق لأحد استغلالها لأجل الإثراء الشخصي.

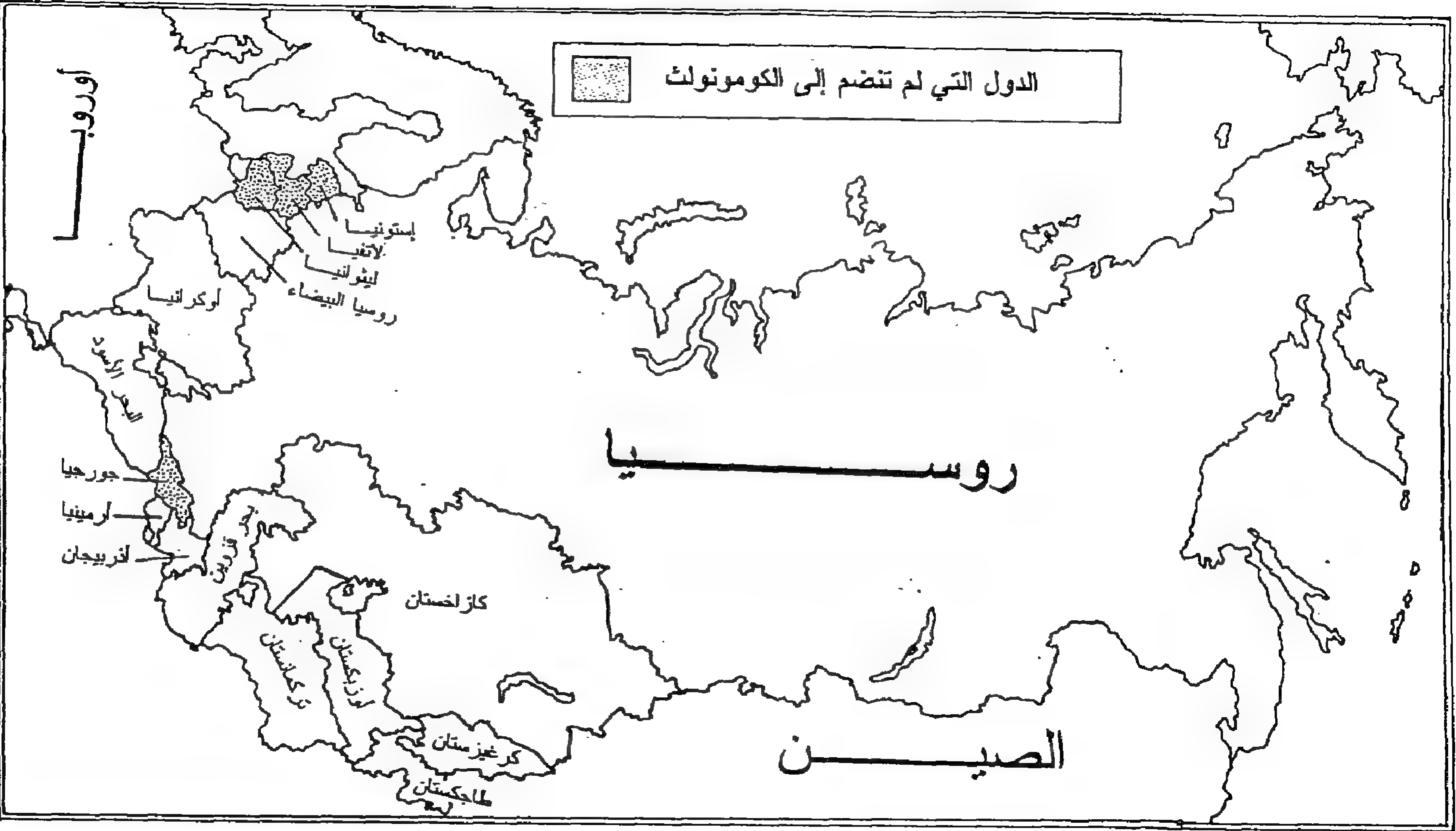
تملك الدولة وحدها الأرض وما في باطنه، والمياه، والغابات، ووسائل الانتاج الاساسية في الصناعة والبناء والزراعة، ووسائل النقل والمواصلات، والمصارف وأموال مؤسسات التجارة، ومؤسسات المرافق العامة وغيرها، ومعظم المساكن في المدن، والأموال الضرورية لتحقيق مهام الدولة.

وتمتلك الكولخوزات والمنظمات الاجتماعية واتحاداتها وسائل الانتاج والأموال الضرورية لها لتحقيق الأهداف المنصوص عليها في أنظمتها الداخلية.

وأما بالنسبة للملكية الشخصية فإنها تتمثل في المداخيل الناتجة عن العمل، حيث يمكن للمواطنين أن يملكوا شخصيا الأدوات المنزلية ووسائل الاستعمال الشخصي والراحة والاستثمارات المعاونة والمسكن والمدخرات الناتجة عن عملهم. وتحمي الدولة ملكية المواطنين الشخصية وحقهم في وراثتها. ويجوز للمواطنين أن ينتفعوا بقطع من الأراضي تقدم لهم بموجب الأصول المقررة قانوناً وتخصص لتنظيم استثماراتهم المعاونة مثل تربية المواشي والطيور الداجنة والبستنة، وكذلك بناء مساكنهم الفردية، والمواطنون ملزمون باستعمال قطع الأراضي المقدمة لهم استعمالاً عقلانياً، إلا أنه لا يجوز أن تكون الأموال التي هي ملك شخصي للمواطنين أو تحت انتفاعهم وسيلة لكسب مداخيل غير ناتجة عن العمل أو أن تستخدم علي نحو يخل بمصالح المجتمع.

ويسمح (المادة ١٧ من الدستور) وفقاً للقوانين بممارسة العمل الفردي في ميدان الصناعات الحرفية والزراعة والخدمات المعيشية المقدمة للسكان وغير ذلك من أنواع النشاط المبنية حصراً على العمل الشخصي للمواطنين وأفراد أسرهم.

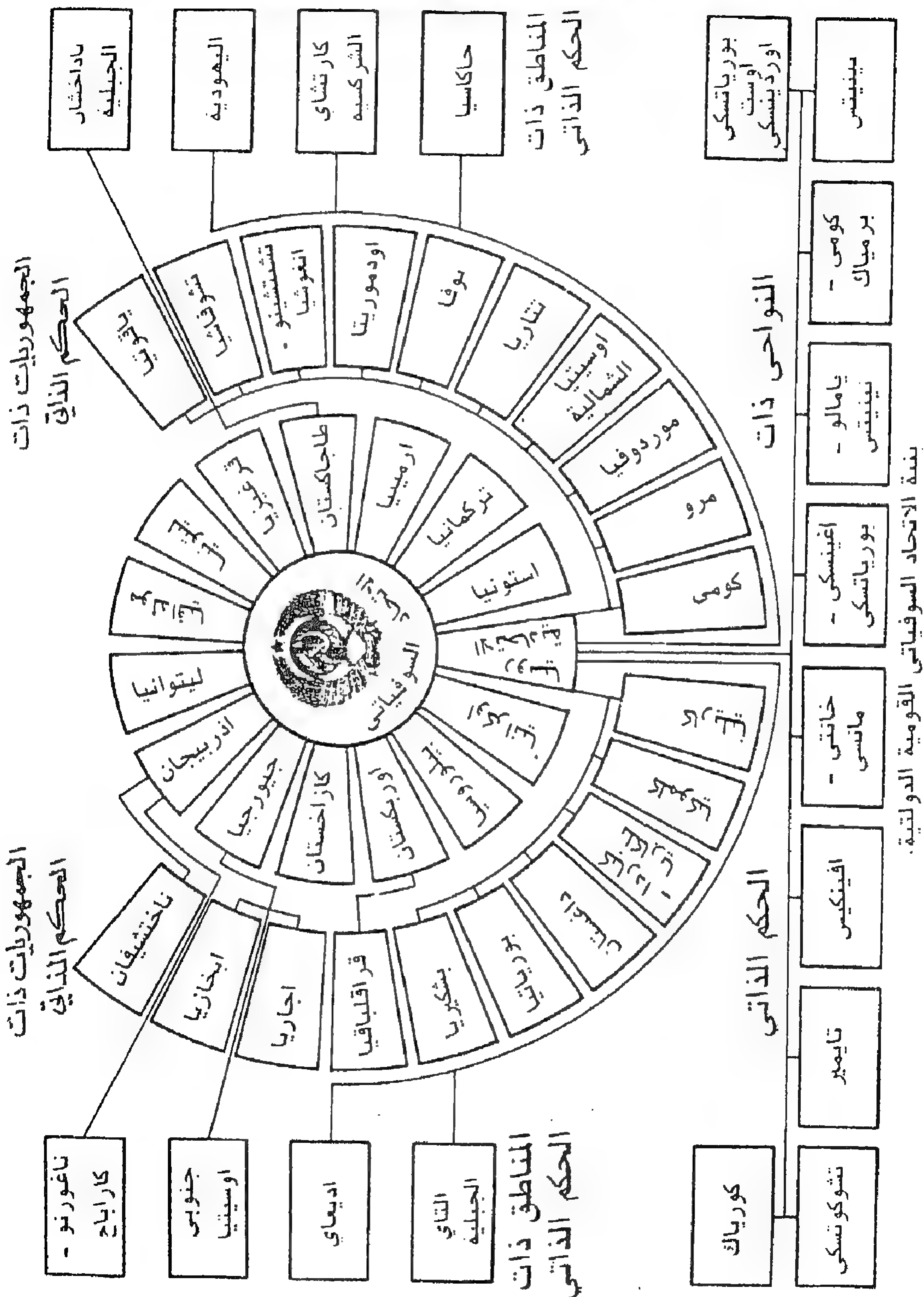
مخطط رقم (٦-١)
مُخَطَطَ الأتحاد السُوفيتي السَابق



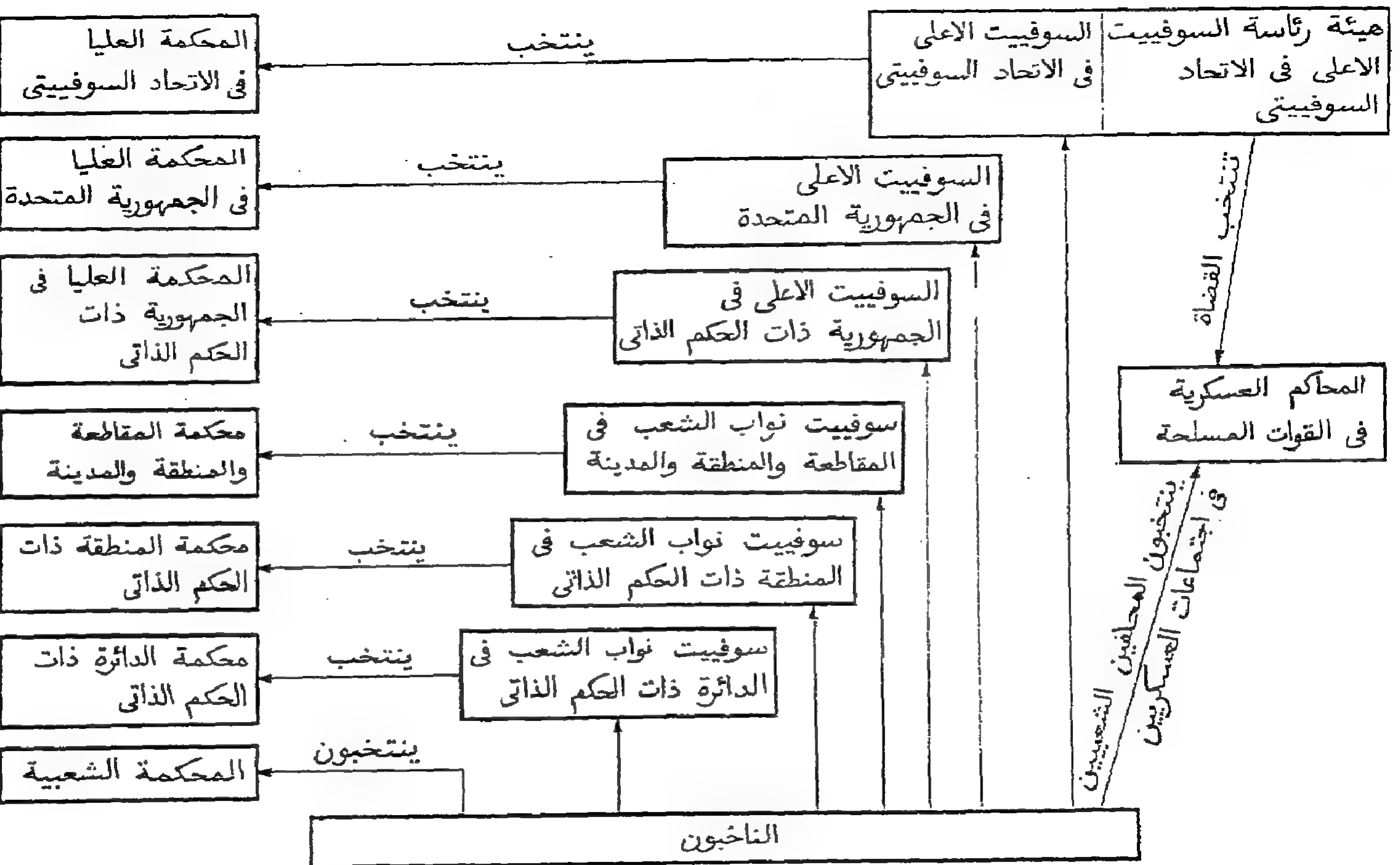
ملاحظة : جمهورية جورجيا انضمت فيما بعد الى الكومونولث .

مخطط رقم ٦ - ٢

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية

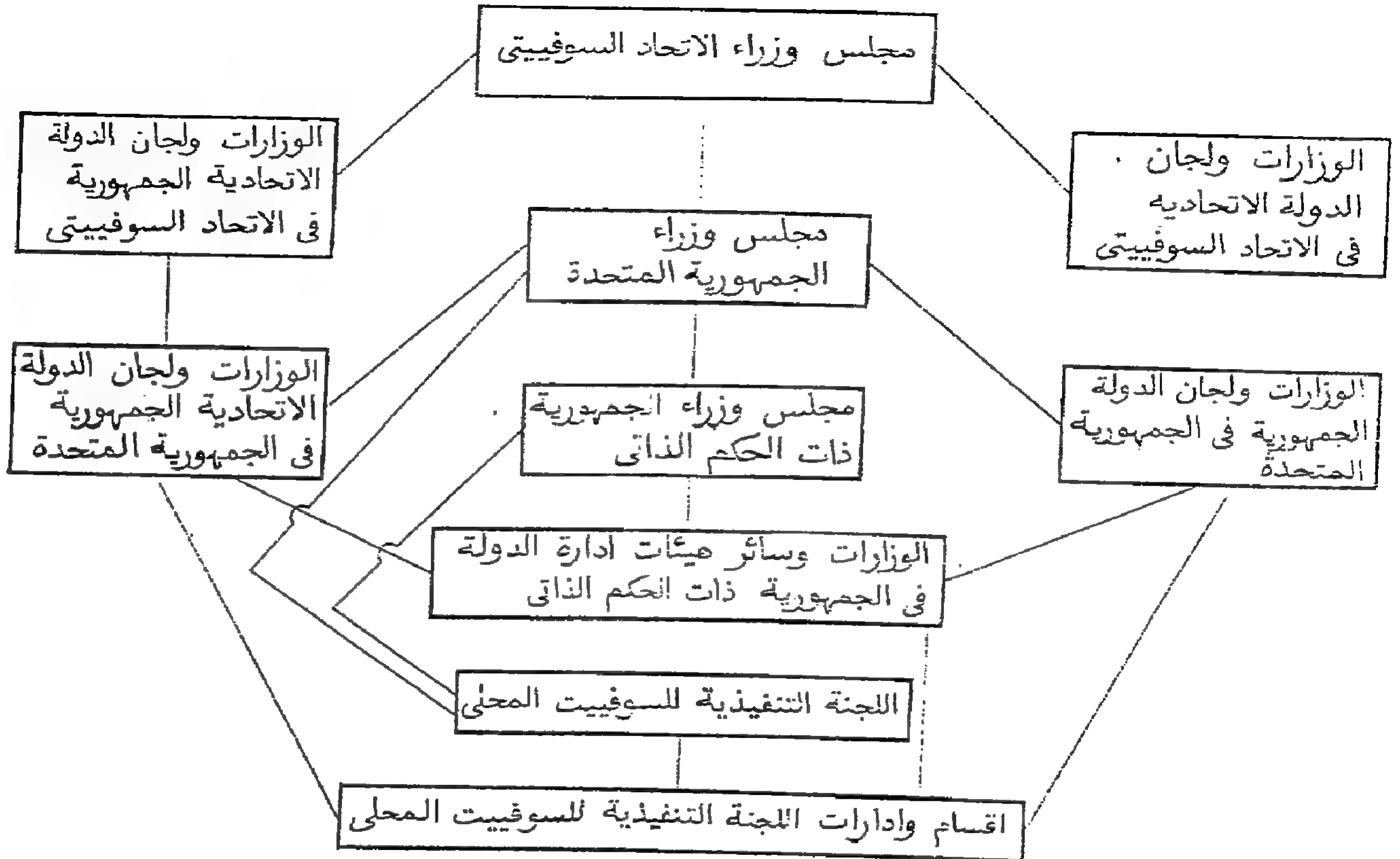


بنية الاتحاد السوفياتي القومية الدولتية.



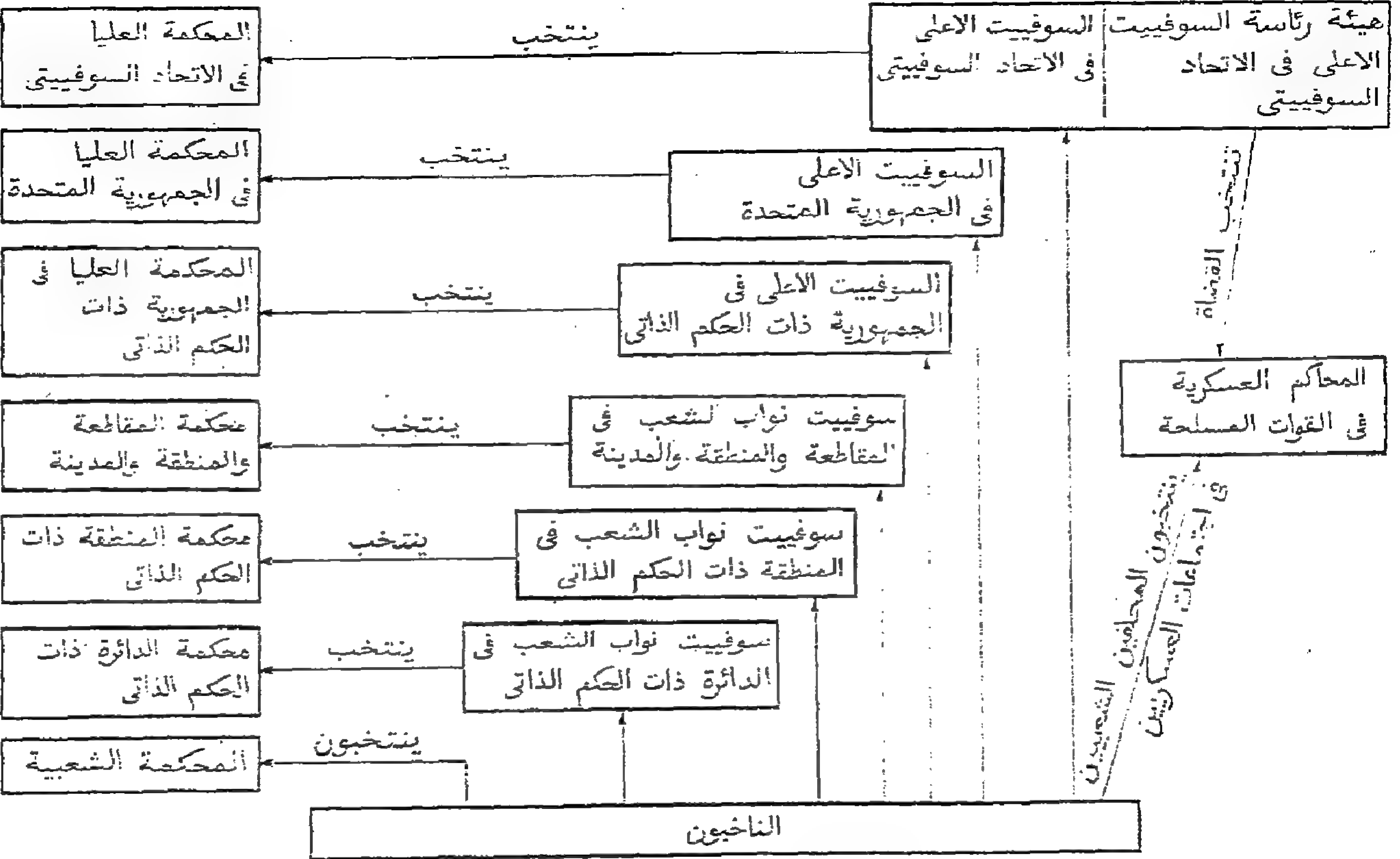
مخطط رقم ٦ – ٣

نظام سوفيتات نواب الشعب



مخطط رقم ٦ — ٤

نظام هيئات إدارة الدولة في الإتحاد السوفيتي



مخطط رقم ٦ – ٥
نظام الهيئات القضائية في الإتحاد السوفيتي

السوفييت الاعلى فى الاتحاد السوفييتى

يعين

المدعى العام للاتحاد السوفييتى

يقر تعيين

المدعى العام للجمهورية المتحدة

يعين

المدعى العام للجمهورية ذات الحكم الذاتى

يعين

المدعى العام للمقاطعة والمنطقة والمنطقة ذات الحكم الذاتى

يعين

يعين

المدعى العام للدائرة ذات الحكم الذاتى والناحية والمدينة

مخطط رقم ٦ — ٦

هيئات الادعاء العام في الاتحاد السوفيتي

الفصل السابع

الامبراطورية الروسية السوفيتية

الرجل المريض

«إن الحزب بدأ بالتحوّل الى أقلية حاكمة من الطبقة الجديدة، وهذه الطبقة الجديدة مكوّنة من مجموعة تتمتّع بامتيازات وأفضليات اقتصادية بحكم كونها المتسلطة على الإدارة لوحدها. وهي طبقة أنانية شرهة طماعة غير قنوعة. وعندما تختفي من الميدان، وهذا ما سيحدث حتماً، فإن الأسف على اختفائها سيكون أقل من الأسف على اختفاء أية طبقة أخرى في العالم. فانها بخنقها لكل شيء لا يناسب أهدافها، وكذلك بأنانيتها، حكمت على نفسها بالدمار المهين المشين»

ميلوفان دجيلاس - الطبقة الجديدة



نصب لذكرى التهجير الجماعي للشيشان عام ١٩٤٤

الامبراطورية الروسية السوفيتية

الرجل المريض

ظاهرة الامبراطوريات الكبرى في التاريخ، النمو والتطور والاتساع التدريجي إلى قمة مكانتها العالمية، ثم التراجع والانكماش والوهن التدريجي أيضاً إلى حالة الانهيار والانقسام إلى دويلات لا تجمعها روابط متينة بل كثيراً ما كانت تتنازع فيما بينها. وكانت هذه الدورات تمتد فترات تطول إلى عدة قرون.

وتنطبق هذه الظاهرة على الامبراطورية العثمانية التي أطلق عليها الغرب في مرحلة تراجعها وانكماشها ووهنها اسم الرجل المريض.

وأما الامبراطورية الروسية السوفيتية... الأكبر اتساعاً في التاريخ حيث كانت تغطي سدس مساحة الكرة الأرضية.... وكانت تعتبر الأعظم قوة، وتتمتع بدعاية اعلامية منظمة وعملاء وطابور خامس متنفذين في معظم أنحاء العالم، فلم تعش إلا ٧٤ عاماً إلا إذا اعتبرناها استمرارية (باسم جديد) للامبراطورية الروسية القيصرية. ولدت بصورة فجائية في ظروف استثنائية، مكتملة الاتساع والقوة والحيوية... وعاشت على هذه الصورة (كما كان يراها العالم الخارجي) إلى أن انهارت وتجزأت بصورة فجائية أيضاً.

كانت الامبراطورية الواسعة في مظهرها والصورة التي رسمها لها الاعلام الدعائي المركز والعملاء والمخدوعين، قوية حيوية لها مناعة ضد عوارض الضعف

والانحلال، إلا أن المتعمقين في مبادئ الفلسفة الشيوعية والمطلعين على أساليب وممارسة الحكم الشيوعي، كانت لديهم قناعات (كانت لبعضهم الشجاعة للتصريح بها) بأن (الامبراطورية الروسية السوفيتية رجل مريض وعمره قصير). فبالرغم من مظاهر القوة والحيوية والمناعة.... فإن الامبراطورية كانت مصابة بما يمكننا أن نشبهها بمرض نقص المناعة المكتسبة عند الانسان.... قد تستغرق فترة حضانة المرض بضع عشرات من السنين إلا أن الانهيار قادم... وقد تستعمل بعض المنشطات (كما في حالة الرياضيين) لانعاش حيوية موقتة إلا أن أثرها قصير الأمد.

والعوامل (التي أشبهها بفيروسات المرض) كانت على أشكال مختلفة، ورثت بعضها عن سلفها الامبراطورية الروسية القيصرية، وبعضها من صميم العقيدة والفلسفة الشيوعية التي تتعارض مع الطبيعة البشرية ومعتقدات الشعوب السوفيتية، والبعض الآخر كانت نتيجة ممارسة وأساليب الحكم الشيوعي التي تعارضت مع طموحات شعوب الامبراطورية السوفيتية، وانجازاتها التي لم تلب احتياجاتها.

ورأيت أن استعرض في هذا الفصل بعض مظاهر وممارسات ومؤسسات الحكم السوفيتي التي كانت سبباً رئيسياً في انهيار الامبراطورية بعد عمر قصير بدون مقاومة، لا بل وبمبادرة من القيّمين عليها الذين وصلوا الى قناعة بحتمية زوال هذا النظام الفاسد الذي لم يوفّر لشعوبه إلا التعاسة والبغضاء.

١- الدكتاتورية:- دكتاتورية البرولتياريا

جاء في مقدمة نشرة عن دستور الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧ بأنه بعد احراز النصر في الحرب الأهلية «حققت السلطة السوفيتية أعمق التحويلات الاجتماعية والاقتصادية، وقضت إلى الأبد على استغلال الانسان للانسان وعلى التناحرات الطبقية والعداوات القومية، وضاعف قوى شعوب البلاد وامكانياتها في بناء الاشتراكية، وأقيمت الملكية الجماعية لوسائل الانتاج و**مجتمع الديموقراطية الحقيقية**»

وجاء في هذه المقدمة أيضاً بأن « ثورة أكتوبر الاشتراكية أقامت **دكتاتورية البروليتاريا**».

إن الدول الشعبية الجماهيرية الاشتراكية التقدمية الديموقراطية... الخ (كما كانت تسمي نفسها) كانت تناقض نفسها عندماتحاول التوفيق بين الديموقراطية الحقيقية ودكتاتورية البروليتاريا.

عندما استولى لينين على السلطة عام ١٩١٨ قال مخاطباً كوادر الحزب الشيوعي:-(١٣)

«لقد تم لنا الاستيلاء على السلطة في روسيا... وعلينا الآن أن نحكمها»

وخلافاً للشعارات السابقة عن الديموقراطية سمى لينين نظامه «دكتاتورية البروليتاريا» التي عرفها بأنها «تعني بأن طبقة معينة فقط، وهي طبقة العمال الصناعيين، قادرة على حكم جماهير الدولة بأكملها» ووصفها أيضاً «أنه صراع عنيد، صراع دموي وبدون دماء، عنيف ومسالم، عسكري واقتصادي، ثقافي واداري، ضد جميع قوى وتقاليد وممارسات المجتمع القديم» وقال أيضاً «أن الدكتاتورية كلمة كبيرة... والكلمات الكبيرة مثل هذه ليست مجرد الفاظ جوفاء تلتقط من الهواء. الدكتاتورية هي حكومة حديدية وصلبة، ثورية وجريئة، حاسمة بدون شفقة. إلا أن حكومتنا لينة فوق العادة... أنها تشبه مادة هلامية طرية وليس الحديد الصلب. لا يمكننا أن ندير الصراع مع القوى المعادية. بالدعاية والتحريض فقط بل بالتنافس المنظم والإكراه بالقوة»(١٣)

وكان برنامج الحزب الشيوعي لعام ١٩١٩ قد ذكر بأن اللجوء إلى «الدكتاتورية.... وهي سلطة تستند على القوة لا القانون، وحظر الحريات وسلب الحقوق السياسية كمرحلة موقتة في الصراع. وحالما تزول امكانيات استغلال الانسان للانسان تزول الحاجة إلى هذه الاجراءات المؤقتة التي سيقوم الحزب بإلغائها تدريجياً»

ويظهر أن الحزب الشيوعي وجد عام ١٩٦١ بأن الظروف لم تحن بعد لالغاء الدكتاتورية. إذ أكد برنامج الحزب بأن «دكتاتروية البروليتاربا هي دكتاتورية الغالبية (العمال الصناعيين) على الأقلية» مع العلم بأن هذه الغالبية حسب احصاءات القوى العاملة في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨ كانت ٢,٥٪ فقط من مجموع السكان والاقلية ٩٧,٥٪ منهم.

إلا أن هذه الدكتاتورية كانت «دكتاتورية البروليتاريا» بالاسم فقط، أذ تحولت عملياً إلى دكتاتورية الحزب. فقد قال لينين «يستحيل تثبيت دكتاتورية البروليتاريا إلا من خلال الحزب الشيوعي» وأكد ذلك في المؤتمر الثاني عشر للحزب الذي عقد عام ١٩٢٣ وقال «لا يمكننا تحقيق دكتاتورية الطبقة العاملة إلا من خلال الطليعة التقدمية للشعب وهو الحزب الشيوعي» وأما ستالين فقد قال «إن القيادة في نظام دكتاتورية البروليتاريا مناطة بحزب واحد فقط هو الحزب الشيوعي الذي لا تشارك ويجب أن لا تشارك أحزاب أخرى في هذه القيادة»(١٣)

يقول ميلوفان دجيلاس (نائب رئيس جمهورية يوغوسلافيا سابقاً) في كتابه (الطبقة الجديدة)(١٤) «إن الحكومة الشيوعية لم تلبث أن أصبحت حلقة صغيرة من قادة الحزب المتنفذين. والزعم بدكتاتورية البروليتاريا أصبح شعاراً فارغاً لا معنى له» ويقول «إن جماهير الشعب وطبقاته لا تمارس السلطة، بل إن الحزب الشيوعي يمارسها باسمها. ففي كل حزب، وحتى أكثر الأحزاب ديموقراطية، يلعب قادته دوراً مهماً بحيث أن سلطة الحزب لا تلبث أن تتحول إلى سلطة قادته. فدكتاتورية البروليتاريا كانت بداية وأصبحت ركيزة سلطة الحزب التي ما لبثت أن تحولت إلى سلطة قادة الحزب. ودكتاتورية البروليتاريا في نظام حكم فردي متسلط ما هي إلا حجة نظرية وقناعاً لتسلط الحكام» ويقول «قام لينين بتفويض سلطة دكتاتورية البروليتاريا إلى حزب واحد هو حزبه، وأما ستالين فقد قام بتفويض سلطة دكتاتورية البروليتاريا لنفسه ودكتاتوريته الشخصية في الحزب وفي الدولة» ويقول «لقد قضى ستالين على أي نقاش داخلي في الحزب، وأعطى حق تفسير النظرية الشيوعية للنخبة المركزية أو لنفسه فقط» ويقول «كان أعضاء الحزب تحت حكم ستالين مجموعة من أشخاص لا أباليين من الناحية الايدولوجية. يتلقون التعليمات والأوامر من سلطات عليا فوقهم ومع ذلك متحمسون للدفاع عن هذا النظام إذ أنه يمثل دفاعاً عن امتيازاتهم»

وفي ظل دكتاتورية الحزب وقادته لم تعد للبرلمانات الشيوعية وكذلك جميع السوفيتات على مختلف مستوياتها سلطة حقيقة. يقول ميلوفان دجيلاس في كتابه الآنف الذكر «إن البرلمانات الشيوعية ليست في وضع يمكنها من اتخاذ أية قرارات مهمة. فإن النواب وقد تم انتخابهم مسبقاً من قبل الحزب، ويدينون للحزب بهذا الانتخاب، لا يملكون الصلاحية ولا الشجاعة لمناقشة الأمور حتى ولو رغبوا في ذلك»

وفي ظل دكتاتورية الحزب وقادته لم يعد لنصوص استقلال القضاء معنى، ولم يعد هناك فصلاً حقيقياً بين سلطات البوليس والتحقيق والمحاكم.

يقول دجيلاس في كتابه الأنف الذكر «لقد أصبح من المستحيل عملياً الفصل بين سلطة البوليس .والسلطة القضائية. إن الذين يقومون بالإعتقال هم الذين يحققون ويحاكمون وهم الذين ينفذون العقوبات. فالسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية مع أجهزة الإعتقال والتحقيق والمحاكمة وتنفيذ العقوبات تشكل جميعها مجموعة واحدة» .

ويقول «كان ستالين يمارس الأحكام بواسطة التعذيب بدون محاكم. وحتى في الحالات التي كان يتم إحالتها إلى المحاكم بدون تعذيب فالنتيجة تكون واحدة. إذ أن

الشيوعيين يصفون حساباتهم مع معارضيهم ليس على أساس أن يكون هؤلاء المعارضين قد اقترفوا جرائم بل لمجرد كونهم معارضين. ومع أن المحكومين السياسيين الذين تصدر بحقهم أحكام العقوبات قد يكونون (بالرغم من معارضتهم للنظام) بريئين من الناحية القانونية، إلا أنهم من وجهة نظر الحزب الشيوعي معارضين وينبغي أن يخضعوا للعقاب حسب الإجراءات السارية وإن لم يكن هناك أساس قانوني لإدانتهم » . ويقول «ولم تكن السلطات القضائية بأمان من الحكام الطغاة حتى بالنسبة للقضايا غير السياسية. فالطبقة المتسلطة وأعضاؤها كانوا يخلطون بين صلاحيات السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية»

وفي خطابه السري(١٥) في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي الذي عقد في شهر شباط عام ١٩٥٦ يقول خروشيف «لقد أصبح واضحاً بأن العديدين من النشيطين في المجالات الحزبية والإقتصادية ومجالس السوفيتات والذين وصموا خلال عامي ١٩٣٧–١٩٣٨ بالأعداء لم يكونوا أعداء أو مخربين أو جواسيس مطلقاً، بل كانوا شيوعيين مخلصين ألصقت بهم مثل هذه التهم، وأصبحوا لاطاقة لهم على إحتمال التعذيب الوحشي الذي تعرضوا له، فقاموا (بناء على أوامر قضاة التحقيق الذين يزورون الوقائع) بإدانة أنفسهم بمختلف أنواع الجرائم الخطيرة التي لم يكن لها أساس من الواقع»

ويقول «وعندما تم التدقيق والتحقيق في قضايا الذين اتهموا بالجاسوسية والتآمر، تبين بأن هذه التهم ملفقة ولا أساس لها من الصحة، وأن اعترافات غالبية الذين اعتقلوا بنشاطات معادية تمت تحت التعذيب القاسي غير الإنساني» ويقول «أن الشيوعي القديم المناضل رودزوتاك كان قد أرسل كتاباً من سجنه قال فيه: إن كل ما يرجوه هو أن تعلم اللجنة المركزية بالحزب الشيوعي بأن الجهاز البوليس(NKVD) مركز قائم يقوم بتلفيق التهم وإجبار الأبرياء على الإعتراف بها وبصورة لايتسنى معه إثبات عدم إشتراك أطراف آخرين ترد أسماؤهم في هذه الإعترافات. فإن إجرآات التحقيق هي من النوع التي تجبر الذين يدلون بشهاداتهم أن يكذبوا ويتهموا أشخاصاً بريئين جدد لم يكونوا ضمن المتهمين الذين يجري التحقيق معهم». ويستطرد خروشيف «لقد راجعنا قضايا كوسبر ورودزوتاك ويوستوسيف وكوساريف وغيرهم وبرأناهم جميعاً وأعدنا الإعتبار إليهم (بعد أن كان قد تم إعدامهم– المؤلف). وقد أثبتت المراجعة بأنه لم يكن هناك سبب مبرر لاعتقالهم والحكم عليهم. لم يكن الأمر في مثل هذه الحالات يتطلب توجيه إتهام للمتهم أو أمر قبض أصولي بحقه، فما الداعي إلى مثل هذه الإجراءات الشكلية مادام

ستالين كان يقرر كل شيء. يقوم بنفسه بمهام رئيس النيابة العامة ويوافق بل ويصدر أوامر القبض على المتهمين في مثل هذه القضايا».

ويستطرد خروشيف «إن الأسلوب الخبيث المتبع كان ان يقوم جهاز NKVD باعداد قائمة بالقضايا الخاضعة للمحاكم العسكرية والتي تكون الأحكام بحقها قد أعدت مسبقاً. وكان بيجوف(رئيس NKVD) يرسل هذه القوائم إلى ستالين مباشرة فيقوم بدوره بالمصادقة على الأحكام الواردة فيها. وقد جرى في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ إرسال ٣٨٣ قائمة من هذا النوع تشمل أسماء آلاف مؤلفة من أعضاء الحزب الشيوعي والسوفيتات ومنظمة الشبيبة ورجال الجيش والإقتصاديين والعمال وغيرهم. وقد صادق ستالين عليها جميعاً». ويستطرد خروشيف بأن قاضي التحقيق رودس اعترف أمام اللجنة المركزية: «لقد أخبروني بأن كوسوار وتشوبار عدوان للشعب، وإن من واجبي كقاضي تحقيق أن أجبرهما على الإعتراف بأنهما عدوان للشعب. وقد قمت بهذه المهمة بواسطة التعذيب تنفيذاً لتوجيهات صدرت إلى من بيريا. وكنت أظن بأنني أنفذ أوامر الحزب». ويتسائل خروشيف «كيف يمكن للإنسان أن يعترف بجرائم خطيرة لم يقترفها» ويجيب على تساؤله«يتم ذلك بالضغط الجسدي والمعنوي. بالتعذيب القاسي الذي يوصله إلى حالة غيبوبة يفقده قدرة الحكم على الأمور والكرامة الإنسانية. بهذه الوسائل كانت تستخلص الإعترافات.» ويستطرد خروشيف بأن ستالين هدد وزير أمن الدولة ايجناتيف وقال له «إذا لم تحصل على إعترافات الأطباء (في قضية مؤامرة الأطباء) فإننا سنجعل قامتك أقصر بما يعادل رأسك»

وقد خلت لفظة «دكتاتورية البروليتاريا» من أي تطبيق عملي عندما تحولت إلى دكتاتورية الحزب أو الطبقة الجديدة في الحزب. فنقابات العمال التي يفترض أن تكون مستقلة عن مؤسسات الدولة والحزب وتكون من أولى أهدافها وغاياتها الدفاع عن حقوق أعضائها والمفاوضة على زيادة رواتبهم وتحسين ظروف العمل والمكاسب والتأمينات الإجتماعية والإقتصادية الأخرى، انحصرت مهمتها في فرض الضبط بين العمال وزيادة إنتاجهم وتنظيم المسابقات لهذه الغاية، خدمة للحزب(الذي كانت تخضع له كلياً) والطبقة الجديدة. وكما يقول دجيلاس(١٤) «بدون الحق في الإضراب، وإقرار من يملك ماذا، فإن العمال لايملكون الفرصة للتمتع في حصة من الأرباح».

٢–ظاهرة الطبقة الجديدة– الطبقة المتنفذة في الحزب الشيوعي

كما عزيت«دكتاتورية البروليتاريا» إلى الطبقة العاملة من دون أن يكون لهذه الطبقة أي نفوذ فعلي، عزيت السلطة إلى الحزب الشيوعي من دون أن يكون لقاعدتها العريضة نفوذ حقيقي. فالسلطة الحقيقية والنفوذ الفعلي انحصر بالطبقة الجديدة في الإتحاد السوفييتي.

وهذه الطبقة الجديدة(The New Class) حسب الإصطلاح الذي أطلقه عليها ميلو فان دجيلاس في كتابه بهذا الإسم أو حزب الحزب الداخلي(The Inner-Party Party) أو الحزب داخل الحزب(The Party Within The Party) حسب الاصطلاح الذي استعمله في مؤلفاته المؤرخ والمناضل الشيشاني البروفيسور عبد الرحمن افترخانوف، أتفق المؤلفان على أن ستالين هو المؤسس الرئيسي لها. حيث أنه كما يقول عبد الرحمن «قام بتجنيدهم من سياسيين محترفين يجوز أن تتوفر فيهم أية صفات ماعدا وازع الضمير»

ويقول دجيلاس «إن الحزب بدأ بالتحول إلى أقلية حاكمة من الطبقة الجديدة، تجتذب إلى صفوفها من لهم الرغبة بالإنضمام إلى هذه الطبقة المميزة وتقاوم كل من يتمسك بالمثاليات» ويقول «يمكننا أن نقول بأن الطبقة الجديدة مكونة من مجموعة تتمتع بامتيازات وأفضليات إقتصادية بحكم كونها المتسلطة على الإدارة لوحدها»

ويقول «إن الطبقة الجديدة أنانية شرهة طماعة غير قنوعة مثل الطبقات البرجوازية، وهذه الطبقة مغلقة على نفسها مثل الطبقات الأرستقراطية، إلا أنها لاتتصف بما يتصف به الأرستقراطيون عادة من لطف وشهامة خلق» ويقول «إن الطبقة الجديدة مشكلة من كوادر الحزب وتستغله كقاعدة لها. إلا أن الطبقة تزداد قوة بينما الحزب يضعف. وهذا هو المصير الحتمي لجميع الأحزاب الشيوعية الأخرى»

إلا أن دجيلاس توقع نهاية لتسلط هذه الطبقة ويقول..

«وعندما تختفي الطبقة الجديدة من الميدان– وهذا ما سيحدث حتماً– فإن الأسف لإختفائه سيكون أقل من الأسف على إختفاء أية طبقة أخرى في التاريخ. فإنها بخنقها لكل شيئ لايناسب أهدافها وكذلك بأنانيتها حكمت على نفسها بالدمار المهين المشين»

بموجب (المادة ٥) من الدستور السوفيتي فإن الحزب الشيوعي «هو القوة القائدة والموجهة للمجتمع ونواة نظامه السياسي ومؤسسات الدولة والمنظمات الإجتماعية وهو

موجود من **أجل الشعب ويخدم الشعب»** وعمليات تحول الحزب الشيوعي إلى الطبقة الجديدة، وبهذه الصفة حصرت هذه الطبقة الجديدة (بصفتها ممثلة الحزب الشيوعي) بنفسها إدارة **الملكية الإشتراكية** وتوزيع الدخل القومي وتحديد الأجور وتوجيه التنمية والتصرف بالممتلكات المؤممة باسم الأمة والمجتمع. وحيث أن السماح للملاكين بالإحتفاظ بأراضيهم أو السماح للعمال بالمشاركة في الأرباح الناتجة عن عملهم يعني السماح لهاتين الطبقتين بمشاركة الطبقة الجديدة بالإمتيازات المذكورة والسلطة المتأتية من هذه الإمتيازات، قررت الطبقة الجديدة وضع اليد على ممتلكات الطبقات الأخرى مثل الملاكين(صغاراً وكباراً) والمصانع والمؤسسات(صغيرة وكبيرة). وقد أدى ذلك إلى إنخفاض حاد في الإنتاج وفوضى إقتصادية. وكانت الأوساط السوفيتية في السنوات الأخيرة للإتحاد السوفيتي تقر وتعترف وتعلن عن هذه الحقائق، إلا أن الطبقة الجديدة لم تهتم في حينه، فقد كانت–مثل أي ملاك آخر– حريصة على أن تثبت وتقوي ملكيتها، فهي كطبقة مميزة استفادت من الأملاك التي صادرتها، مع أن الأمة بشكل عام تضررت كثيراً.

كانت عضوية الحزب البلشفي قبل الثورة تعتبر تضحية، وأن يكون الشخص ثورياً متمرساً يعني قمة الإعتزاز والفخر. إلا أنه بعد أن وطد الحزب قوته فإن عضوية الحزب أصبحت تعني الإنتماء إلى طبقة تتمتع بامتيازات خاصة. ونخبة الحزب(أي الطبقة الجديدة) هم السادة الذين يتمتعون بأكثر الامتيازات والسلطة، وينظر إليهم بأنهم أغنياء جداً ولا يعملون إذ لا حاجة لهم بالعمل(١٤).

وبالإضافة إلى حق إدارة الملكية الإشتراكية وتوزيع الدخل وتحديد الأجور وتوجية التنمية، يتمتع الحزب/الطبقة الجديدة بالإشراف على جميع أجهزة الدولة والمؤسسات الإجتماعية مثل النقابات والمزارع الجماعية ومنظمة الشبيبة(الكومسومول) والنوادي الثقافية والرياضية، وأجهزة الشرطة والأمن والمخابرات وغيرها.

وقد امتدت سلطة الحزب الشيوعي/الطبقة الجديدة حتى إلى القوات المسلحة السوفيتية. ففي المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الذي عقد عام ١٩١٩ جرت دراسة الأمور العسكرية وصدر التصريح التالي :–(١٣).

«إن الصفة الثورية للجيش يقررها النظام السوفيتي الذي يشكل هذا الجيش ويحدد مهامه، وبذلك يحوله إلى سلاح بيده. ويتم تنظيم استغلال هذا السلاح لخدمة السلطة السوفيتية من خلال القوميسياريين والخلايا الشيوعية وقيادة الحزب لمسيرة

القوات المسلحة وتشكيلاتها» ويتم ذلك من خلال:-

«١- الاستمرار في استخدام المحترفين في المهام الإدارية شريطة أن تفرض عليهم سيطرة الحزب السياسية من خلال القوميسارية، وفصل كل من لايثبت الفائدة منه سياسياً وفنياً».

«٢- أن يوضع نظام شهادة تقييم للكوادر القيادية وأن يعهد إلى القوميساريات مهمة تدقيق وحفظ قيود مثل هذه الشهادات.»

«٣- أن يتم اختيار كوادر القيادة الجديدة من طبقة العمال وشبه العمال.»

وصدر عن المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الذي عقد عام ١٩٢١ ما يلي:-

«ينبغي على النخبة المركزية للحزب الشيوعي ومن خلال الإدارة السياسية للجيش الأحمر وأقسامه السياسية، أن تقوم بتجديد جذري في كوادر القوميساريات وكوادر الأقسام السياسية في الجيش، وذلك لإدخال عناصر جديدة فيها ونقل العناصر القديمة إلى مراكز أخرى في الجيش.»

وفي المؤتمر الحادي عشر للحزب الذي عقد عام ١٩٢٢ صدر القرار التالي:-

«إن أمام الحزب مهمة عاجلة.... وهي تحويل معسكرات الجيش إلى مؤسسات موازية لمدارس الحزب».

وحدد المجلس الحربي مهام القائد العسكري والقوميسار السياسي في الوحدة العسكرية «إن قائد الفرقة هو الرئيس الاداري لوحدته، وأما القوميسار فهو بمثابة الأب والروح لهذه الوحدة».

وعندما تشكلت قيادة موحدة للقوات المسلحة صدر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بتاريخ ١٩٢٥/٣/٦ كتاباً يؤكد بأنه «مع تشكيل القيادة الموحدة للقوات المسلحة فإن دور أجهزة الحزب في القوات المسلحة أصبح أكثر أهمية».

وصدر عن المؤتمر الرابع عشر للحزب

«أن إدارة عمل الحزب في وحدات الجيش الأحمر والبحرية السوفيتية تتم من خلال الإدارة السياسية في هذه القوات بصفتها القسم العسكري للجنة المركزية، وتدير الإدارة السياسية للقوات المسلحة مهامها من خلال أقسام سياسية وقادة عسكريين وقوميسارية حزبيين يتم انتخابهم في مؤتمرات عسكرية على مستوى الخطوط الامامية والمناطق العسكرية والاسطول والجيوش والفرق... الخ».

وأصدرت اللجنة المركزية بتاريخ ١٩٥٧/١٠/٣٠ توصيات متعلقة بعمل

الأجهزة السياسية في القوات المسلحة. «بأن واجبها أن تطبق سياسية الحزب، وأن تقوم يوميا بتثقيف أفراد الجيش والأسطول حول مبادئ ماركس ولينين. فعلى هذه الأجهزة بصفتها أجهزة من الحزب بأن تؤثر على مختلف نواحي الحياة والنشاطات في الجيش وتتغلغل في وحداتها وتتطلع على جميع نشاطاتها وأسرارها».

وكما يقول ميلوفان دجيلاس (١٣) «إن البرلمانات الشيوعية ليست في وضع يمكنها من اتخاذ أية قرارات مهمة، فإن النواب وقد تم انتخابهم مسبقاً من قبل الحزب، ويدينون للحزب بهذا الانتخاب، لا يملكون الصلاحية ولا الشجاعة لمناقشة الأمور حتى ولو رغبوا في ذلك.»

وبالفعل لم تكن انتخابات مجالس السوفيتات بمختلف أنواعها ودرجاتها وعلى مستويات الاتحاد السوفيتي والجمهوريات المتحدة وذات الحكم الذاتي والمقاطعات والمدن والدوائر والمصانع والمزارع الجماعية وغيرها من المؤسسات إلا شكليات رمزية. فحق الترشيح كان محصوراً بالحزب الشيوعي/الطبقة الجديدة، ونتائج الانتخاب مقررة سلفاً. وبعد يوم الانتخاب يعلن نجاح ما لا يقل عن ٩٩,٩٩٪ من مرشحي الحزب بأغلبية لا تقل عن ٩٩,٩٩٪ من أصوات الذين أدلوا بأصواتهم والذين زادوا عن ٩٩,٩٩٪ من أعداد المواطنين الذين لهم حق الانتخاب (على عادة الأنظمة الدكتاتورية).

أظهرت نتائج الانتخابات التي جرت بتاريخ ١٩٦٩/٣/١٦ في جميع أرجاء الاتحاد السوفيتي ولكافة السوفيتات بأنه من مجموع الكتلة الشيوعية — المستقلة التي شكلها الحزب والبالغ عددها ٢٠٧٠٦٨٤ مرشحاً نجح ٢٠٧٠٥٣٩ مرشحاً أي بنسبة ٩٩,٩٩٣٪ ولم يفشل إلا ١٤٥ مرشحاً أي بنسبة ٠,٠٠٧٪ فقط.

وكان ٥٧,٧٪ من الناجحين أعضاء في الحزب الشيوعي أو منظمة الشباب (الكومسومول) التابع للحزب والباقون طبعاً من الذين يتقيدون برغبات الحزب.

إن الطبقة الجديدة لم تكن تتصور بأنها ستتطور وتبدل من سياساتها سلمياً. ففي هذا الشأن نشرت صحيفة الكومونيست (الصحيفة الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب) في العدد رقم ١٥ الصادر عام ١٩٦٧ على لسان الماركسي بوتريسوف الذي كان مؤيداً وصديقاً للينين ثم انتهى عدواً له:—

«إن الأمل في أن البلشفيه قد تلين سلمياً مع رغبات الغير أمل واه لا أساس له. فإن من صفات البلشفية الذاتية أنها لن تسمح لنفسها بأن تلين. إنها صلبة ويمكن أن تتكسر وتتحطم ولكنها لا تنثني».

وعندما أخذ الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥ تحت قيادة غورباشوف بسياسة البرويسترويكا والغلاسنوست وبدأ الحزب يلين ويتفاعل مع رغبات الشعب بدا وكان بوتريسوف لم يكن مصيباً في تقييمه، إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي خلال بضع سنوات من ذلك رجح صواب تقييمه.

٣- ظاهرة التسلط وحكم الفرد وعبادة الذات / ظاهرة ستالين

لعل التاريخ لم يسجل حاكماً حظي بما اسبغ على ستالين من صفات التمجيد أثناء حكمه، وما وجهت إليه من اتهامات بعد وفاته. فهذا الثوري اليساري من شعب جورجيا في القوقاز، شب على عمليات السرقة والنهب في موطنه لا بهدف الاحتفاظ بما يسرق وينهب لنفسه بل ليرسلها لتمويل عمليات الحزب البلشفي. وعندما استولى الشيوعيون على السلطة في روسيا كان من الطبيعي أن يكون ضمن من أصبحوا في قمة السلطة. وبعد وفاة لينين أصبح ستالين على رأس قمة السلطة والمسؤلية وبقي فيها حتى وفاته بتاريخ ١٩٥٣/٣/٥. وقد جاء في نعية الرسمي للشعب السوفيتي «إن رفيق لينين في السلاح، وخليفته وحامل لواء انجازاته العبقرية والقضايا التي تبناها، والقائد الحكيم ومعلم الحزب الشيوعي والاتحاد السوفيتي قد توقف قلبه عن الخفقان».

وجاء في موسوعة أميركانا (طبعة ١٩٧٧) عنه.

«ستالين (١٨٧٩ - ١٩٥٣) زعيم سياسي روسي، كان زعيماً غير منازع للاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٢٩ وحتى وفاته. لقد ساعد على تحويل الشيوعية في الاتحاد السوفيتي من حركة ثورية تدعو إلى المساواة إلى نظام حكم بيروقراطي متسلط.. وساعد على تحويل روسيا إلى بلد صناعي كبير، وعلى هزيمة هتلر في الحرب العالمية الثانية، كما ساعد بعد الحرب العالمية الثانية على انشاء أنظمة شيوعية في أوروبا الشرقية ولكنه في نفس الوقت أنشأ مؤسسات ووضع سياسة للإرهاب وكان مسؤلاً عن قتل وتعذيب ونفي الملايين.

«إن هذه الشخصية الشامخة في عالم السياسة في حياته، لا يزال يكتنفه الكثير من الغموض. ولعل ذلك يعود إلى سياسة التكتم التي تطغي حول قيادات الاتحاد السوفيتي. فإن شخصه وحكمه كانا ولا يزالان موضع اختلاف كبير في الرأي يتدرج من تملق ومديح مفرط غير مقيد في الصحافة السوفيتية الرسمية في عهده إلى تنديد وتشهير به واتهامه بأنه كان حاكماً طاغياً موسوساً».

وسأقوم هنا بذكر بعض ما جاء في مديحة والتملق له وفي تشهيره والتنديد به.

وفي مديحه يمكننا ايراد مقطوعات من قصيدة شيشانية (قبل نفيهم عام ١٩٤٤) كنموذج يمثل ما كان يردد في كل مكان (١٦).

– حتى لو كان البحر مداداً، وكانت السماء مصنوعة من ورق.

– فمن الذي يستطيع أن يسطر سرور الشعب المدفوع بأعلى درجات الحماس؟

– من الذي يقدر أن يعبر بقلمه الكليل عن محبتنا لك يا محط الرغبات؟

– إن السماء والأرض لأصغر من أن تعبر عما يجيش في نفوسنا من أفكار.

– أنت أبونا وأخونا، منحتنا السعادة وفتحت أبواب بهجة المستقبل على مصاريعها.

– طال عمرك يا ستالين المحبوب، هذا هو أملنا ورجاؤنا من أجلك.

– إن الرحم الذي حملك مقدس، وهو يشبه عرق اللؤلؤ الذي يخبئ كنوزه.

– إنها أسعد النساء طراً، تلك التي أصبح ابنها شمسنا الدائمة.

– وكما تتلألأ النجوم فإنك تلمع كالشمس لنا.

– وأمجادك المنتشرة بين جميع الشعوب تسمع أنا شيدها بصوت عال من أرض لأرض.

– لقد وهبنا ستالين السرور ونحن أطفاله، ستالين ذلك الندى في الأرض العطشى.

– إن الازهار تزين التلال والمروج وأزهار قلوبنا ليست دونها انعاشاً.

– أنت أبونا وأخونا، منحتنا السعادة وفتحت أبواب بهجة المستقبل على مصاريعها.

– طال عمرك يا ستالين المحبوب هذا هو أملنا ورجاؤنا من أجلك.

وقد صدر دافيد توتاييف كتابه الذي نشر عام ١٩٤٢ "The Soviet Caucasus" بصورة لستالين وهو يشعل غليونه كتب تحته «أعظم القوقازيين»

وفي خاتمة خطابه السري الذي هاجم فيه ستالين والذي ألقاه بتاريخ ١٩٥٦/٢/٢٥ أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي، قال خروشيف وكأنه يحاول أن يجد مبرراً لتصرفات ستالين، أو يحاول أن يجد عذراً لنفسه وزملائه لسكوتهم عن تصرفات وجرائم ستالين:–

«إننا (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) نعتبر بأنه جرى التملق والمديح والتمجيد

لستالين إلى أبعد الحدود. إلا أنه وبلاشك فإن ستالين أدى في الماضي خدمات جليلة للحزب وللطبقة العاملة والحركة العمالية العالمية.»

واستطرد:

«إن هذا الموضوع معقد من حيث أن جميع ما تم عرضه الآن جرى خلال حياة ستالين وتحت قيادته وبموافقته. لقد كان ستالين مقتنعاً بأن كل ذلك كان ضرورياً لمصلحة الطبقة العاملة ضد مؤامرات الأعداء وهجوم المعسكر الامبريالي. كان يرى أن كل ذلك كان في سبيل تأمين مصلحة الطبقة العاملة والعمال وانتصار المعسكر الاشتراكي والشيوعي. لا نستطيع أن نقول بأن هذه الأعمال كانت تصرفات حاكم مستبد طائش. فقد اعتبر أن هذه الأعمال كانت ضرورية لمصلحة الحزب والجماهير الكادحة وللدفاع عن مكتسبات الثورة. وهنا تكمن المأساة».

وعلى ما جاء في خطاب خروشيف السري المذكور، فإن ستالين لم يبخل على نفسه بالمديح. ويقول خروشيف أن ستالين أضاف بخط يده على نص ملخص لسيرة حياته نشرت عام ١٩٤٨ ما يلي:-

« وفي الصراع بعد موت لينين ضد المتشائمين والمتخاذلين، أمثال التروتسكيين والزينوفيين والبخاريتيين والكامينيفيين، اتحدت نخبة مركزية من الحزب رفعت راية لينين وحشدت الحزب وراء تعليماته، وقادت الشعب السوفيتي في طريق التصنيع، وحققت جماعية الاقتصاد الريفي. إن قائد هذه النخبة والقوة الموجهة للحزب والدولة كان الرفيق ستالين.»

وأضاف أيضاً:-

«ومع أنه كان يقوم بمهامه كقائد للحزب والشعب بمهارة بأعلى درجات الكمال، وكان يحظى بتأييد لا حدود له من الشعب السوفيتي، إلا أن ستالين لم يسمح مطلقاً بأن يشوه عمله بأدنى إيماءة من الزهو أو الافتخار أو الاطراء الشخصي.»

وأضاف أيضاً:-

«وضع الرفيق ستالين بعناية الأسس والمبادئ المناسبة دوماً للتوصل إلى القرارات الجيدة فيما يتعلق بالأمور الحربية بما فيها عمليات الدفاع والهجوم المعاكس، والتعاون والتنسيق بين مختلف فروع القوات المسلحة في الحروب الحديثة، وحشد الدبابات والطائرات والمدفعية. فعبقرية ستالين مكنته من ايجاد الحلول المناسبة لمختلف الظروف والمواقف.»

وأضاف ستالين أيضاً:-

«لقد برزت مواهب ستالين وقدراته العسكرية في عمليات الدفاع والهجوم. فقد مكنته مواهبه من افشال خطط العدو وهزيمته. إن جميع المعارك التي قام ستالين بادارة عمليات القوات السوفيتية فيها تعتبر مثالاً للعمليات العسكرية الذكية».

ويقول خروشيف بأن لجنة شكلتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي كانت أعدت كتاباً عن تاريخ موجز للحزب الشيوعي السوفيتي. وكان قد ورد في مسودة ملخص عن سيرة حياة ستالين بأن هذا الكتاب «قد أعد بتوجيه ومشاركة فعلية من الرفيق ستالين» إلا أن هذا لم يعجب ستالين فغير النص على الشكل التالي:-

«صدر في عام ١٩٣٨ كتاب عن تاريخ موجز للحزب الشيوعي السوفيتي كتبه الرفيق ستالين ووافقت عليه لجنة مشكلة من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي».

ويقول خروشيف بأن النص الذي وافق عليه ستالين واعتمده كنشيد وطني للاتحاد السوفيتي لم يشمل أي ذكر للحزب الشيوعي ولكنه شمل مديحاً لستالين إذ جاء فيه:-

«لقد ربانا ستالين على الاخلاص للشعب
والهمنا على العمل الجاد والانجازات الكبيرة»

هذا عن المديح الذي كان يحظى به ستالين من نفسه ومن الآخرين إلا أن التنديد والتشهير به والهجوم عليه فيما بعد لم يقل عن هذا المستوى.

يقول خروشيف في خطابه السري الآنف الذكر:

«تثبت الوقائع بأن مخالفات كثيرة كانت تقترف بناء على أوامر ستالين وبدون أي اعتبار للشرعية السوفيتية وللمعايير والقيم الحزبية. كان ستالين شخصاً لا يوثق به ولا يثق بأحد، مصاب بمرض التشكك. إننا نعرف ذلك من خلال تعاملنا معه. كان ينظر إلى شخص أمامه ويسأله: ما لعينيك اليوم ترمش؟ لماذا تتلفت هنا وهناك وتتحاشى النظر إلي؟. إن مرض التشكك هذا جعله يفقد الثقة حتى بزملائه العريقين في الحزب. أصبح يرى في كل شيء وكل شخص أعداء وجواسيس ومتآمرين ذو وجهين.»

ويقول خورشيف أن بولغانين قال له ذات مرة «يحدث أن يقوم أحدهم بزيارة ستالين كصديق وبناء على دعوة منه، وعندما يجلس معه لا يكون مطمئناً هل سيعود إلى بيته أم إلى السجن».

ويستطرد خروشيف :

« إن سياسة القمع على مقياس واسع التي اتبعها ستالين ضد الكوادر العسكرية أضرت بالانضباط العسكري. كان يجري تثقيف الضباط من ذوي الرتب الصغيرة وحتى الجنود المنتمين إلى خلايا الحزب ومنظمات الكومسومول بشكل تتولد لديهم قناعة بأن رؤساءهم أعداء متخفون، ومن الطبيعي أنه كان لهذا الأسلوب في التثقيف أثر على روح الانضباط العسكري في الفترة الأولى من الحرب العالمية الثانية».

ويطعن خروشيف ستالين ويتهمه بأنه لم يأخذ بعين الاعتبار التحذيرات التي وردت حول استعدادت ونية ألمانيا بمهاجمة الاتحاد السوفيتي، وأهمل أخذ الاجراءات اللازمة لتحصين الخطوط الدفاعية وتأمين السلاح والذخيرة للقوات المتواجدة في هذه الخطوط. بل أن خروشيف يتهم ستالين بالانهيار والشلل عندما بدأ الغزو الألماني إذ يقول:—

«ولفترة طويلة عند بداية الغزو الألماني، لم يقم ستالين بتوجيه العمليات الحربية، بل توقف عن عمل أي شيء. ولم يعد إلى القيادة الفعلية إلا بعد قيام أعضاء اللجنة المركزية بزيارته واخباره بضرورة اتخاذ اجراءات كفيلة بتحسين الوضع في خطوط القتال الامامية.»

ويستطرد:—

«كان ستالين بعيداً عن استيعاب الوضع الحقيقي في جبهة القتال، لأنه طيلة فترة الحرب لم يزر أية جبهة أمامية أو حتى مدينة محررة، ماعدا سفرة قصيرة قام بها ذات مرة على طريق موجالسيك في فترة كان الهدوء يسود في الجبهة. وقد خلدت هذه السفرة الوحيدة في المطبوعات الرسمية بقصائد ومقالات ورسوم مليئة بالخيال. ومع جهله هذا كان ستالين يتدخل في العمليات الحربية ويصدر الأوامر بدون أن يأخذ الأوضاع الحقيقة في جبهات القتال بعين الاعتبار، فأدى ذلك إلى خسائر كبيرة في الأرواح لحقت بالقوات السوفيتية»

وهذا الطعن بمساهمة ستالين في المجهود الحربي يناقض ما اتفق عليه من قيادة ستالين الحازمة في الحرب، وعدم مغادرته موسكو أثناء حصارها، وتمكنه من نقل الصناعات الحربية إلى المناطق الشرقية من آسيا السوفيتية، وتصنيع كميات كبيرة من الدبابات والطيارات والمدافع والذخيرة وغيرها من اللوازم العسكرية ذو النوعية الجيدة، وتوفيقه في اختيار قادة لامعين لادارة المعارك وبث المعنويات وروح التضحية في سبيل الوطن في صفوف القوات المسلحة والشعب السوفيتي.

ويتهم خروشيف ستالين بالعزلة عن الشعب وجهله للأوضاع الحقيقية في الاتحاد السوفيتي ويقول:—

« لقد عزل ستالين نفسه عن الناس، ولم يعد يذهب إلى أي مكان. وقد استمر ذلك الوضع لمدة تزيد عن عشر سنوات. وكان آخر مرة زار فيها قرية عام ١٩٢٨ عندما زار سيبريا بمناسبة توريد شحنة من الحبوب. فكيف له إذن أن يعرف الأحوال في المقاطعات؟».

ويستطرد :—

«كان ستالين يعرف عن الزراعة من خلال الأفلام فقط. وكان يجري تصوير الأفلام التي تعرض عليه بشكل تعطي فكرة جيدة عن الحالة الزراعية، إذ كانت تصور حياة الكولخوزات وقد اعتمرت موائد الكولخوزيين بديك الحبش والإوز، فيتصور ستالين أن الوضع على هذه الشاكلة فعلاً».

ويستطرد :—

«وفي مثل هذه الحالات لم تكن الحقائق والأرقام مهمة. إذا صدف وأن ذكر شيئاً فينبغي أن يعتبر ما ذكره صحيحاً. لقد كان في رأيه عبقرياً... والعبقري لا يحتاج إلى اجراء عمليات احصاء وتعداد. يكفي أن يلقي نظرة سريعة ليستطيع فوراً تقدير كميات وأحجام ما يراها. إذا عبر عن رأي ما فينبغي على الجميع أن يرددوا رأيه ويتعجبوا لعبقريته وحكمته».

وندد خروشيف بسياسة ستالين تجاه القوميات ونفيه للشعوب (وقد ذكر الشيشان – أنجوش بالاسم) من ديارهم من دون ذنب اقترفوه وقال:—

«أيها الرفاق... دعنا نتطرق إلى بعض الحقائق الأخرى. إن الاتحاد السوفيتي يعتبر بحق نموذجاً للدولة متعددة القوميات، لأننا حققنا بالواقع المساواة والصداقة بين الشعوب التي تعيش في وطننا الغالي.»

«ما أبشع الاجراءات الوحشية التي اتخذها ستالين والتي تتعارض مع مبادئ لينين وسياسة الاتحاد السوفيتي للقوميات. وأعني بذلك نفي شعوب بأكملها... بما فيهم الشيوعيين والكومسومول وبلا استثنا من مواطنهم الأصلية. ولم تكن هذه الاجراءات الوحشية لمتطلبات عسكرية.»

وندد في خطابه السري المذكور بسياسة التطهير والاعتقال والابادة التي اتبعها ستالين وخاصة بحق أعضاء الحزب الشيوعي والكوادر المتنفذة فيها فيقول:—

«لقد ثبت بأن من مجموع ١٣٩ مندوباً اختيروا في الموتمر التاسع عشر كأعضاء في اللجنة المركزية للحزب فإن ٩٨ شخصاً منهم (أي ٧٠٪ من المجموع) اعتقلوا واعدموا في عامي ١٩٣٧ ، ١٩٣٨.

«إنه من غير الطبيعي أن يقوم مؤتمر على هذا المستوى باختيار لجنة مركزية يتضح أن غالبيتهم اعداء للحزب. والسبب الذي جعل ٧٠٪ من الذين اختارهم المؤتمر لعضوية اللجنة المركزية يوصمون بأنهم أعداء للحزب والشعب هو أن الشيوعيين الشرفاء كان يساء إلى سمعتهم وتلفق ضدهم التهم الكاذبة، وأن الشرعية الثورية كانت قد اهدرت.»

ويستطرد:—

«ولم يكن أعضاء اللجنة المركزية وحدهم الذين لاقوا هذا المصير الظالم، بل أن من مجموع ١٩٦٦ مندوباً لهم حق التصويت في المؤتمر التاسع عشر تم اعتقال ١١٠٨ منهم واتهامهم بجرائم ونشاطات ضد الثورة».

ويستطرد:—

«يجب أن أشير إلى أن اعداد الذين جرى اعتقالهم واتهامهم بنشاطات ضد الثورة قد تضاعفت إلى أكثر من عشر مرات فيما بين ١٩٣٦و١٩٣٧»

ويتساءل «ما هو السبب الذي جعل الاضطهاد الجماعي ضد النشيطين في الحزب يتزايد بعد المؤتمر التاسع عشر؟» ويجيب على تساؤله «السبب هو أن ستالين كان في ذلك الوقت رفع نفسه فوق مستوى الحزب والشعب وأصبح لا يعير اهتماماً لا للجنة المركزية ولا للحزب».

إلا أن خروشيف، وهو الشيوعي الملتزم يطالب أن لا ينشر غسيل الحزب القذر أمام الجمهور فيقول:

«أيها الرفاق... حتى لا نكرر أخطاء الماضي اعلنت اللجنة المركزية بأنها ضد التفرد بالحكم وعبادة الشخصية».

ويستطرد:—

«يجب أن نولي ظاهرة عبادة الفرد أهمية كبيرة، إلا أننا لا نستطيع أن نسمح لهذا الأمر أن يتسرب إلى خارج الحزب وخاصة للصحافة. ولذلك فإننا نبحث الأمر هنا في جلسة مغلقة للمؤتمر. يجب أن نعرف حدود ما نعلن ونصرح به للخارج. يجب أن لا نعطي سلاحاً وذخيرة لاعدائنا وأن لا ننشر غسيلنا القذر أمام عيونهم. أظن أن المندوبين لهذا المؤتمر يتفهمون ويقدرون ما أقول».

وخروشيف الذي قاد حملة انتقاد ستالين بعد مماته، كان من أكثر المتملقين له في حياته. ويقول ادوارد كرانكشو في كتابه (روسيا خروشيف)(١٨) بأن خروشيف كان يعرف كيف يتقرب لستالين، وأنه خاطب اجتماعاً عاماً في اوكرانيا عام ١٩٣٧ طالباً من الحضور الوقوف وراء ستالين في نضاله ضد أنصار تروتسكي وقال:

«إن هؤلاء التافهين يريدون تحطيم وحدة الحزب والحكومة المركزية. لقد رفعوا أيديهم ضد ستالين... ستالين أملنا .... ستالين غايتنا... ستالين نور تقدمنا وتقدم الانسانية... ستالين إرادتنا... ستالين نصرنا».

ويعلق كرانكشو بأن أحداً من الذين شهدوا مؤتمر الحزب العشرين واستمعوا إلى خطاب خروشيف لم يجرأ على تذكيره بخطابه في أوكرانيا وقد علق ميلوفان دجيلاس على خطاب خروشيف السري:-(١٤)

«إن خروشيف لم يستنكر وحشية الأساليب التي اتبعها ستالين، ولكنه استنكر تطبيقها على كوادر الطبقة الحاكمة/الطبقة الجديدة».

إلا أن دجيلاس الذي خاطر بمراكزه (نائب رئيس جمهورية، ووزير، وعضو في اللجنة المركزية والمكتب السياسي) ورضى زعيمه تيتو والحزب الشيوعي اليوغوسلافي عنه، وخاطر بحريته إذ دخل السجن مرتين لمعارضته ممارسات الأحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية ودكتاتورية ستالين في كتبه الطبقة الجديدة (The New Class) وأحاديث مع ستالين (Conversations with Stalin)(١٩) كان قد تنبأ بالأحداث الجارية فيما يتعلق بمصير الأحزاب الشيوعية إذ يقول (١٤):-

«لقد بدأت الطبقة الجديدة تنفرط إلى فئات وكتل. في الظاهر كل شيء هادئ والأمور مسالمة، إلا أنه في الباطن وتحت الرماد تتولد أفكار وآراء جديدة تهدد بغليان عاصفي في المستقبل.»

ويقول دجيلاس في كتابه أحاديث مع ستالين عن ستالين:-(١٩)

« لم يتورع ستالين عن اقتراف أية جريمة، ولا توجد جريمة لم يقترفها، وإذا قسناه بأية معايير فإنه سينال درجة أكبر مجرم في التاريخ بلا منافس. كان يتصف فيما يتعلق بالأجرام بجنون القيصر كاليجولا وذكاء الكاردينال بورجيا وقساوة القيصر ايفان الرهيب. ولنأمل جميعاً بأن لا يعيد التاريخ مثيلاً له»

ويستطرد:-

«إذا أخذنا مبادئ الانسانية والحرية بعين الإعتبار، فإن التاريخ لم يعرف مثيلاً

لستالين من حيث قسوته وتنكره لاية عاطفة خير. كان بكل معنى الكلمة مخططاً بارعاً للجريمة الجماعية، متشدداً في تعصبه، قادراً على أن يفني تسعة أعشار الجنس البشري ليرضي العشر الباقي.»

ويستطرد:—

«ومع أنه كان أوجد طبقة اجتماعية جديدة، وكان اداة لها في تغيير الأوضاع والظروف، إلا أنه أصبح في النهاية فريسة لها. ومع أنه لم يبزه أحد من حيث العنف وعدم التردد في اقتراف الجريمة... إلا أنه كان منظماً وقائداً لطبقة اجتماعية خاصة. وهذه الطبقة تعمل الآن للطعن في سمعته والتنديد بأخطائه في محاولة لانقاذ الطبقة والقائمين عليها.»

ويقول جيليو جيليف رئيس سابق لجمهورية بلغاريا في مقالة نشرها في العدد ٤٤ لعام ١٩٩٠ في مجلة (New Times) التي كانت تصدر في موسكو باللغة الانكليزية نقلاً عن كتابه (الفاشية):—

«إن الشعب السوفيتي باتباعه سياسة غوربوتشيف البيريستروكا أعطى لنا مثلاً للتخلص من الحكم الفردي المتسلط، وأتمنى له القدرة والتوفيق في متابعة مسيرته بحكمه».

ويقول:—

«لا يوجد هناك مجال لتغيير نظام الحكم الفردي المتسلط إلى نظام ديموقراطي الا بتدمير النظام السياسي الذي مكن مثل هذا التسلط. فأية وعود بتحقيق الديموقراطية من خلال تطوير وتحسين نظام الحكم الفردي المتسلط ما هي إلا ادعاءات خطابية مشوسة ورخيصة».

ويقول:—

«أورد هنا بعض الأرقام التي توضح بشكل أفضل من أية كلمات المقارنة بين ضحايا نظامين من الحكم الفردي المتسلط، وهما النظام النازي في المانيا والنظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. كان مجموع من قتلهم هتلر حتى نشوب الحرب العالمية الثانية بتاريخ ١٩٣٩/٩/١ أقل من عشرة آلاف ضحية ويشمل هذا ضحاياه من المعارضة الليبرالية ومن اليهود، في حين أن ستالين كان قد قتل لغاية ذلك التاريخ مالا يقل عن عشرة ملايين شخص وتدعي بعض المراجع بأن الرقم يصل إلى ١٥ مليون شخص».

والتقديرات الحديثة رفعت هذا الرقم إلى ٢٧ مليون شخص. وأما أرقام سجلات

جينيس فقد ذكرت بأن من قتلتهم السلطة الشيوعية فيما بين ١٩١٧ لغية ١٩٥٧ كان ٦٦,٧ مليون شخص(٢٠).

يقول الكاتب الأميركي روبرت باين في كتابه (صعود وسقوط ستالين):—

«يوجد احساس بأن المحاكمات التي هزت روسيا بأجمعها في الثلاثينات كانت قرباناً لارضاء شهوات الشيطان ستالين. لو كان ستالين في الثلاثينات من هذا القرن مسجوناً لوحده في زنزانة في مصحة للمجانين لكانت لوثة الهدم التي تنتابه تغلبت عليه. فإن لم يجد شيئاً اخر، لقتل النمل المتواجد في الزنزانة. وإذا لم يبق فيها كائن حي للجأ إلى رسم شخوص على الجدران ثم يقوم بشطبها وكانه يقتلها».

ويقول باين:—

« لقد تخيل ستالين نفسه محاطاً بالأعداء. فأخذ يضرب ضرباً أعمى. وحيث أن هؤلاء الأعداء الخياليين يتضاعفون ويزدادون فقد باشر يبطش بالناس ويضرب يمنة ويسرى مضاعفاً من عنفه وبطشه وتهوره».

وبينما اتهم خروشيف ستالين باستخدام الرعب في حالات لم تكن ضرورية لمصالح الماركسية اللينينية... إلا أنه رأى أنها مبررة إذ كانت تحقق مصالح الحزب والطبقة الخاصة. إلا أن باين يخالفه في ذلك ويقول:—

«إن الأهوال التي أوقعها ستالين على شعبه لا علاقة لها بالنظرية الماركسية... ومن الغريب أنه كان يجهل ذلك. إنها نبعت من طبيعته الاجرامية التي لم يسبق لها مثيل، ومن عدميته التي ابتلاه القدر وقساوة قلبه التي اعتاد عليها ووضعته خارج مصاف الانسانية».

وفي كتابه (ستالين محطم الشعوب Stalin, Breaker Of Nations) يقول روبرت كونكويست:—

«إن المشكلة تكمن في كيفية اجتثاث تأثير ميراث ستالين من عقول الرجال أصحاب النيات الحسنة، وحتى ابطال حركة الانفتاح والتصحيح يرددون هذه الحقيقة. ليف رازقون يقول أن الخنوع للرعب الذي بثه ستالين لا يزال متأصلاً في عظام وعروق أناس لم يعرفوه أبداً، ويقول فيتالي كوروتيفس طيلة حياتي كان ستالين ولا يزال عميقاً في نفسي».

ويقول كونكويست:—

«إذا كانت هناك نقطة لم يجر توضيحها بشكل كاف في هذا الكتاب، وذلك

لأن مثل هذا التوضيح بشكل مناسب وكاف يكاد أن يكون مستحيلاً، فهو الرعب النفساني والتزوير والتحريف الكبير أكثر من فظائع الرعب الجماعي نفسها».

ويقول :-

«إن السؤال حول ما إذا كان ستالين قد أصبح مجنوناً هو موضع نقاش علماء النفس السوفيت.... إلا أنه كونه غير مستقر نفسانياً فأمر واضح»

ويقول:-

«لقد تواجد الطغاة الذين كانوا يستمتعون بالقتل وبث الرعب في مختلف مراحل التاريخ.... ويشغل ستالين مكانة الصدارة بينهم. وتذكرنا توجيهاته وأوامره المتعلقة بعمليات التعذيب بأن الارهاب لم يكن وحده وسيلة حكمه بل والتزوير أيضاً.

«فالهدف من التعذيب كان الحصول على اعترافات كاذبة. ولم ينحصر ذلك في حالات المتهمين الذين حوكموا علناً في مهرجانات سياسية كبيرة، بل طبق أيضاً على الذين تم اعدامهم سراً».

وتصف سفيتلانا ابنة ستالين في كتابها (عشرين رسالة إلى صديق)(٢٢) جو الرعب الذي ساد حياتها والخوف من والدها الذي أمر باغتيال والدتها وعدداً من أقاربها ومعارفها وتقول:-

«كلنا مسؤلون عما حدث. لنترك الحكم لمن سيأتي بعدنا، أناس لم يعيشوا في ذلك الزمان ولم يعرفوا أو يتعايشوا مع الناس المعنيين الذين عرفناهم. لنترك الحكم لأجيال جديدة تكون هذه الأحداث بالنسبة لهم بعيدة يتعذر تفسيرها..، مريعة وغريبة مثل حكم ايفان الرهيب... أشك بأنهم سيعتبرون عهدنا عهد تقدم... أو يوافقون بأن كل ما حدث كان لصالح روسيا».

وتستطرد:-

«إنني آمل أن لاينسوا بأن الخير لا يموت أبداً... فقد عاش في قلوب الناس في أحلك الأوقات. بقي مستوراً ومخبأ في قلوبهم ولكنه لم يختف كلياً. إن كل كائن حي يتنفس أو يزهر ويثمر على كوكبنا المضطرب بفضل وباسم الصدق والخير».

لعل مؤلفات المناضل الشيشاني البروفسور عبد الرحمن افترخانوف ومقالاته وبحوثه تعد أفضل مراجع تحليلية ومفصلة لسياسات وممارسات وانجازات النظام الشيوعي ولجرائم ستالين. ولغزارتها لا يتسع المجال هنا للخوض في الأحكام والمعلومات الواردة فيها، إلا أن نبذاً عنها ترد في مختلف فصول هذا الكتاب.

٤- الملكية الاشتراكية ومصادرة الممتلكات والجماعية الزراعية

تتنوع الأسباب التي حدت بالسلطات الشيوعية لان تتخلى عن الشعارات التي كانت تنادي بها:- «الأرض للفلاحين والمصانع للعمال»

قد تكون المبادئ الأساسية للعقيدة الشيوعية، والنظريات والتعليمات الماركسية، هي التي تتعارض مع شعار الأرض للفلاحين والمصانع للعمال.

أو تكون الحاجة إلى تمويل النفقات الرأسمالية الباهظة اللازمة لتحويل الاتحاد السوفيتي إلى بلد صناعي كبير هي التي بررت مثل هذه المصادرة بهدف تخصيص ايراد الممتلكات المصادرة (أراضي زراعية وعقارات ومتاجر ومصانع ومشاغل حرفيين) لمشاريع التصنيع.

أو لعل ما ذهب إليه ميلوفان دجيلاس بأن أنانية الطبقة الجديدة وشراهتها هي السبب الرئيسي لهذه الاجراءات. فكونها تدير باسم الشعب الملكية الاشتراكية حقق للمنتمين لهذه الطبقة امتيازات مادية ومعنوية كبيرة ظهرت على طريقة حياتهم مثل المنازل الفخمة والأثاث الفاخر والسيارات الكبيرة وحق الاستمتاع بالمنتجعات الشهيرة وغيرها من المكاسب المادية التي تناسبت مع مراكزهم في سلم هذه الطبقة. ولذلك كانت الطبقة تسعى دوماً لتوسيع قاعدة الملكية الاشتراكية والحد من الملكية الخاصة.

وحيث أن احتفاظ طبقات الملاكين والتجار وأصحاب الحرف بممتلكاتهم ووسائل انتاجهم، توفر لها فرصة مشاركة الطبقة الجديدة في بعض الامتيازات والسلطة، فقد قررت هذه الطبقة الأنانية اخضاع الطبقات المنافسة تحت سيطرتها بمصادرة وتأميم ممتلكاتها ووسائل انتاجها، وانشاء الكولخوزات ومحطات التراكتورات والمعدات والآلات الزراعية التي أصبح الفلاحون يعملون فيها كعمال زراعيين. ونقلاً عن مقال بقلم اخمينوف نشر في العدد ٢٥ لعام ١٩٧٠ من مجلة الشؤون السوفيتية باللغة العربية التي كان يصدرها معهد دراسة الشؤون السوفيتية في مدينة ميونيخ في ألمانيا. إذ يقول:-

«عند المباشرة بتنفيذ عمليات المصادرة والجماعية الزراعية في حزيران ١٩٢٩، كان يوجد في الاتحاد السوفيتي مالا يقل عن (٢٤٨٣٠٨٣٠) مزرعة مستقلة. وفي أكتوبر ١٩٣٤، أي بعد مرور فترة تزيد قليلاً عن خمس سنوات نقص عدد هذه المزارع إلى (٥٨٦٨٠٠٠). وخلال الفترة من ١٩٢٩-١٩٣٢ وحدها اختفت

(١٥٤٠٢٨٣٠) مزرعة بعضها بفضل تنفيذ خطة الجماعية الزراعية وبعضها كنتيجة للاستلاء عليها من قبل الكولاك (ملاك الأراضي). وكانت نتيجة تنفيذ الجماعية الزراعية تحويل (٦٠-٦٥) مليوناً من الفلاحين الأحرار إلى كولخوزينك (فلاحي المزارع الجماعية)، وجردوا من أملاكهم التي حصلوا عليها بالعناء وشق الأنفس ليرغموا على العمل في مشروعات التصنيع. أما العملية التي كانت أكثر خشونة فهي تصفية الكولاك كطبقة، تلك العملية التي لم تقف على حد تجريد الفلاحين من ملاك المزارع الكبيرة نسبياً وأحسنهم انتاجاً من أملاكهم وحسب، بل تم ابعادهم مع عائلاتهم إلى مناطق نائية في الاتحاد السوفيتي. ففي يناير ١٩٣٥ أعلن رئيس الوزراء مولوتوف بأن الكولاك الذين كان يبلغ عددهم ٥٦١٨٠٠٠ عام ١٩٢٨ لم يبق منهم حتى أول يناير ١٩٣٥ في ديارهم سوى ١٤٩٠٠. وأدت تصفية طبقة ملاك الاراضي تلقائياً إلى نتيجة أخرى وهي ذبح الدجاجة التي تبيض ذهباً. فاستناداً إلى ما ذكرته المراجع السوفيتية، فإن الكولاك برغم أنهم لم يشكلوا إلا حوالي ٥٪ من مجموع سكان الريف فقد سددوا نسبة ١٧٪ من عائدات الضريبة الزراعية في العام المالي ١٩٢٤/١٩٢٥ و ٢١٪ في العام المالي ١٩٢٥/١٩٢٦.

«وأدى تصفية الكولاك والهبوط الحاد في انتاجية الكولخوزينك، إلى كارثة زراعية تصوره الأرقام التالية:- ففي خلال الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٥ هبط عدد الماعز والخراف في الاتحاد السوفيتي من ١٤٦,٧ مليون رأس إلى ١٦,١ مليون. والخنازير من ٢٦ مليون إلى ١٧ مليون، والمواشي من ٧٠,٥ مليون إلى ٤٢,٤ مليون (والبقر لوحدها من ٣٠,٧ مليون إلى ١٥,٦ مليون) والخيول من ٣٣,٥ مليون إلى ١٥,٦ مليون، وكانت النتيجة نقص حاد في المواد الغذائية في جميع أنحاء البلاد أدى بالفعل إلى مجاعة في المناطق الرئيسية لانتاج المواد الغذائية أي أوكرانيا وكازاخستان حيث استولت الحكومة على كل ما استطاعت الحصول عليه من انتاجها الزراعي. (ومن الجدير بالذكر بأنه نظراً للتعاطف بين الشعبين الشيشاني والاوكراني آوى الشيشان حوالي (٣٠) ألف من الاوكرانيين الذين كانوا يعانون من المجاعة-المؤلف). ومع أن ما تم اكتشافه في الأربعينات عن حقيقة عدد ضحايا هذه المجاعة لا يعطينا تفصيلات دقيقة، إلا أنه من الجدير بالذكر بأنه خلال الفترة فيما بين ١٩٢٦-١٩٣٩ اختفى ما يقرب من ١٥٠٠٠٠٠ من شعب القازاق فرنفر قليل منهم إلى الصين.

«وامتدت ثورة البولشفيك الثانية إلى المدن، وتم تجريد العناصر الرأسمالية

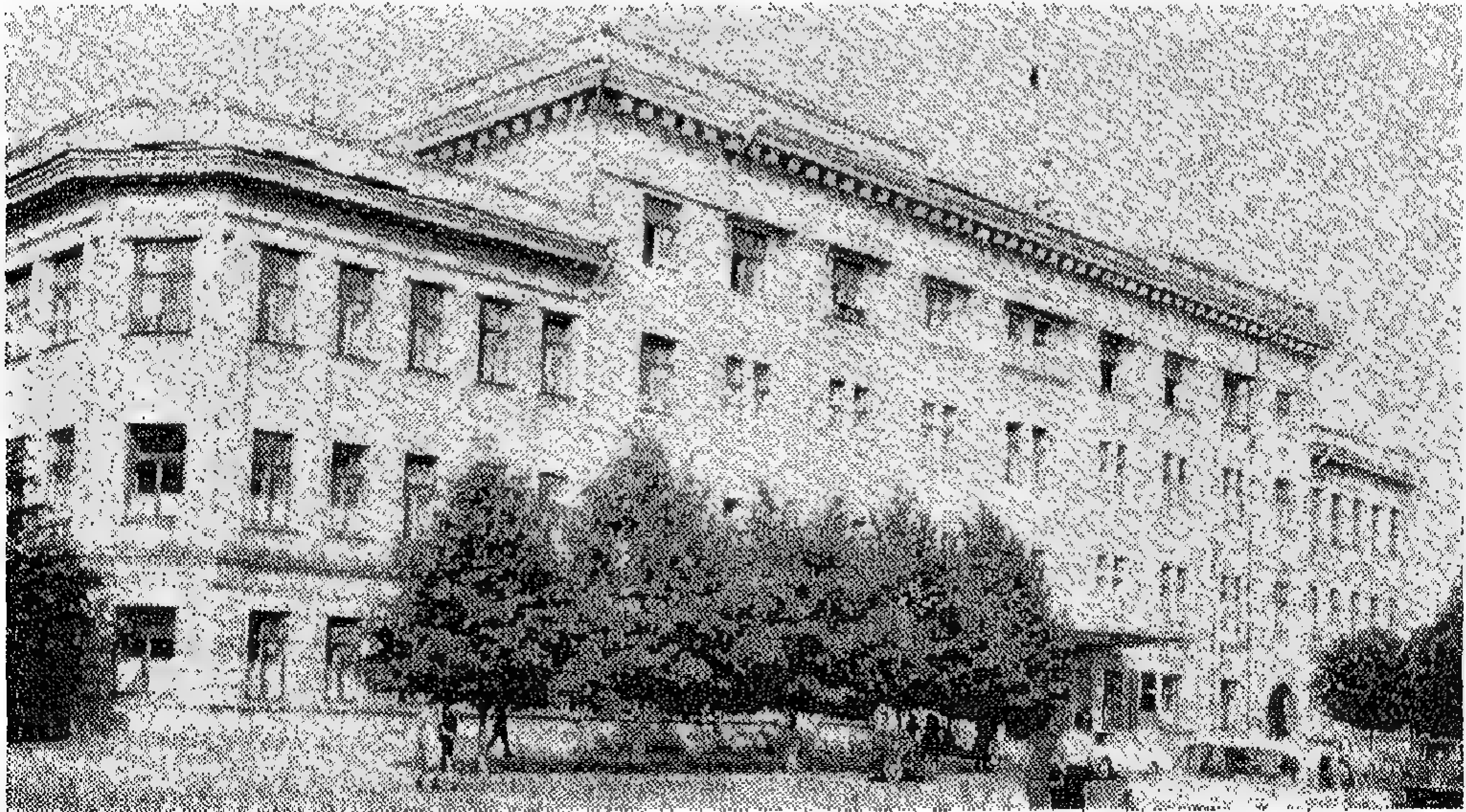
(أصحاب الحرف والتجار... الخ) من أملاكهم. وهم الذين امدوا خزانة الحكومة في عام ١٩٢٥/١٩٢٤ المالي بنصيب كبير من الايرادات. وأدى اغلاق المحلات الخاصة الصغيرة التي لا تعد ولا تحصى، إلى جوار الكارثة الزراعية، إلى نقص خطير في جميع السلع الاستهلاكية».

وحتى الانجازات الصناعية في الاتحاد السوفيتي، فإنها حسب قناعة المراقبين الأجانب وخاصة من كانوا في الاتحاد السوفيتي وشاهدوا الأوضاع بأنفسهم تمت بدون تخطيط سليم، بل بمغامرة طائشة سببت للناس آلاماً كثيرة. وكان الانتاج يتناقص سنة بعد سنة كما تبين الاحصاءات السوفيتية. فبالنسبة لانتاج الفحم مثلاً كان هدف الخطة انتاج ٤٥٠-٥٠٠ مليون طن عام ١٩٣١ وهبط إلى ٢٥٠ مليون طن عام ١٩٣٢ وإلى ١٥٢ مليون طن عام ١٩٣٤ بينما الانتاج الفعلي في عام ١٩٣٤ كان ١٢٨ مليون طن. وكانت كميات الانتاج في الأعوام ١٩٣١، و١٩٣٢، و١٩٣٣، و١٩٣٤ على النحو التالي

١٢٠٠٠٠، ١٠٠٠٠٠، ٣٨٠٠٠، ٣٦٢٠٠ مليون كيلواط ساعة على التوالي للكهرباء

و٦٠، ٢٢، ١٦، ١٤,٥ مليون طن على التوالي للحديد الزهر

و١٥، ٨٠، ٩٠، ٤٧ مليون طن على التوالي للبترول



مقر البرلمان الشيشاني قبل التدمير

الجدول رقم ٧ -١
مقارنة انتاج الثروة الحيوانية في الاتحاد السوفيتي (٢٢)

السنة	بقر مليون راس	خنزير مليون راس	خروف مليون راس	ماعز مليون راس	فرس مليون راس	لحوم وشحوم الف طن	حليب الف طن	صوف الف طن	بيض مليون بيضة
١٩١٣	-	-	-	-	-	٥٠٠٠	٢٤٩٠٠	١٩٢	١١٩٠٠
١٩١٦	٢٤ر٩	١٧ر٣	٨٢ر٥	٢ر٦	٣٤ر٢	-	-	-	-
١٩٢٨	٢٩ر٣	٢٢	٩٧ر٣	٩ر٧	٣٢ر١	-	-	-	-
١٩٢٩	٢٩ر٢	١٩ر٤	٩٧ر٤	٩ر٧	٣٢ر٦	٥٨٠٠	٢٩٨٠٠	١٨٣	١٠١٠٠
١٩٣٠	٢٨ر٥	١٤ر٢	٨٥ر٥	٧ر٨	٣١	٤٣٠٠	٢٧٠٠٠	١٤١	٨٠٠٠
١٩٣١	٢٤ر٥	١١ر٧	٦٢ر٥	٥ر٦	٢٧	-	-	-	-
١٩٣٢	٢٢ر٣	١٠ر٩	٤٣ر٨	٣ر٨	٢١ر٧	-	-	-	-
١٩٣٣	١٩ر٤	٩ر٩	٣٤	٣ر٣	١٧ر٣	٢٣٠٠	١٩٢٠٠	٦٤	٣٥٠٠
١٩٣٤	١٩	١١ر٥	٣٢ر٩	٣ر٦	١٥ر٤	-	-	-	-
١٩٣٥	١٩	١٧ر١	٣٦ر٤	٤ر٤	١٤ر٩	-	-	-	-
١٩٣٧	٢٠ر٩	٢٠	٤٦ر٦	٧ر٢	١٥ر٩	٣٠٠٠	٢٦١٠٠	١٠٦	٨٢٠٠
١٩٣٩	٢٤	٢٥ر٢	٦٩ر٩	١١	١٧ر٢	٥١٠٠	٢٧٢٠٠	١٥٠	١١٥٠٠
١٩٤٠	٢٢ر٨	٢٢ر٥	٦٦	١٠ر١	١٧ر٧	٤٧٠٠	٣٣٦٠٠	١٦١	١٢٢٠٠
١٩٤١	٢٧ر٨	٢٧ر٥	٧٩ر٩	١١ر٧	٢١	-	-	-	-
١٩٤٦	٢٢ر٩	١٠ر٦	٥٨ر٥	١١ر٥	١٠ر٧	-	-	-	-
١٩٤٨	٢٣ر٨	٩ر٧	٦٣ر٣	١٣ر٥	١١	-	-	-	-
١٩٥٠	٢٤ر٦	٢ر٢	٧٧ر٦	١٦	١٢ر٧	٤٩٠٠	٣٥٣٠٠	١٨٠	١١٧٠٠
١٩٥٢	٢٤ر٩	٢٧ر١	٩٠ر٥	١٧ر١	١٤ر٧	-	-	-	-
١٩٥٣	٢٤ر٣	٢٨ر٥	٩٤ر٣	١٥ر٦	١٥ر٣	٥٨٠٠	٣٦٥٠٠	٢٣٥	١٦١٠٠
١٩٥٤	٢٥ر٢	٣٣ر٥	٩٩ر٨	١٤	١٥ر٣	٦٣٠٠	٣٨٢٠٠	٢٣٠	١٧٢٠٠
١٩٥٦	٢٧ر٧	٣٤	١٠٣ر٣	١٢ر٩	١٣	٦٦٠٠	٤٩١٠٠	٢٦١	١٩٥٠٠
١٩٥٧	٢٩	٤٠ر٨	١٠٨ر٢	١١ر٦	١٢ر٤	٧٤٠٠	٥٤٧٠٠	٢٨٩	٢٢٣٠٠
١٩٥٨	٣١ر٤	٤٤ر٣	١٢٠ر٢	٩ر٩	١١ر٩	٧٧٠٠	٥٨٧٠٠	٣٢٢	٢٣٠٠٠
١٩٥٩	٣٣ر٣	٤٨ر٧	١٢٩ر٩	٩ر٣	١١ر٥	٨٩٠٠	٦٢٠٠٠	٣٣٥	٢٥٠٠٠
١٩٦٠	٣٣ر٩	٥٣ر٤	١٣٦ر١	٧ر٩	١١	٨٧٠٠	٦١٧٠	٣٥٧	٢٧٤٠٠
١٩٦١	٣٤ر٨	٥٨ر٦	١٣٢ر٩	٧ر٣	٩ر٩	٨٨٠٠	٦٢٥٠٠	-	-

الجدول رقم ٧ -٢

نمو مزارع الدولة والمزارع الجماعية في الاتحاد السوفيتي(٢٢)

السنة	مزارع الدولة (السوفخوز)			المزارع الجماعية (الكولخوز)		
	عدد المزارع	المساحة التابعة لها مليون هكتار	معدل عدد العمال في السنة مليون عامل	عدد المزارع	المساحة التابعة لها مليون هكتار	معدل عدد العمال في السنة مليون عامل
١٩٢٨	١٤٠٧	–	–	٣٣٣٠٠	٤ر١	٤ر٠
١٩٣٢	٤٣٣٧	–	–	–	–	–
١٩٣٧	٣٩٩٢	–	–	–	–	–
١٩٤٠	٤١٥٩	١١ر٥٥٩	١ر٣٧٣	٢٣٥٥٠٠٠	١١٧ر٧	١٨ر٧
١٩٥٠	٤٩٨٨	١٢ر٨٩٤	١ر٦٦٥	١٢١٤٠٠	١٢١	٢٠ر٥
١٩٥٣	٤٨٥٧	–	–	–	–	–
١٩٥٦	٥٠٩٨	١٣ر٥١٥	٢ر١٦٨	–	–	–
١٩٥٧	–	–	–	٧٦٥٠٠	١٣٢ر٤	١٨ر٩
١٩٥٨	٦٠٠٢	٥٢ر٤٥١	٣ر٨٣٥	–	–	–
١٩٥٩	٦٤٩٦	٥٣ر٨٩٤	٤ر١٧٧٠	٥٣ر٤٠٠	١٣٠ر٣	١٨ر٥
١٩٦٠	٧٣٧٥	٦٦ر٢٠٨	٥ر٤٧٨	٤٤٠٠٠	١٢٣	١٧ر١

ومن تدقيق المعلومات الاحصائية الواردة في الجدول رقم (٧-١) ورقم (٧-٢) نستخلص:-

١- لقد حدث تناقص جذري في انتاج الثروة الحيوانية في الاتحاد السوفيتي منذ أن بوشرت اجراءات الجماعية الزراعية ومصادرة الممتلكات ولم تعد كميات الانتاج إلى مستويات ما قبل الثورة الشيوعية ومستويات ١٩٢٨ حتى عام ١٩٥٣ بالرغم من الزيادة الكبيرة على مساحات الأراضي المزروعة ومكننة الزراعة وانفاق مبالغ كبيرة.

٢- استمرار زيادة أعداد مزارع الدولة (السوفخوز) ومساحة الأراضي التابعة لادارتها واعداد العاملين فيها. وتسارعت هذه الزيادة منذ عام ١٩٥٦ ويعزى ذلك إلى مشروع خروشيف لاحياء الأراضي العذراء في جمهورية كازاخستان حيث اعتمد المشروع أسلوب مزارع الدولة (السوفخوز) وليس المزارع الجماعية (الكولخوز).

٣- بالنسبة للمزارع الجماعية، استمرت اعداد المزارع ومساحة الأراضي التابعة لها واعداد العائلات المنتمية إليها في التزايد حتي عام ١٩٤٠، وبعدها تناقص عددها إلا أن مساحة الأراضي التابعة لها واعداد العائلات المنتمية إليها ظلت ثابتة تقريباً. ويعزى ذلك إلى دمج المزارع الجماعية الصغيرة مع بعضها لتشكل و حدات أكبر ذات كفاءة أفضل.

٤- بالرغم من قلة الجزء الذي اشغلته المزارع الخاصة التي تراوحت مابين ١٪-٣٪ من مجموع مساحات الأراضي الصالحة للزراعة في جمهورية روسيا الاتحادية، فإن هذه المزارع الخاصة وكذلك المزارعين التعاونيين والعمال والموظفين الذين كانوا يعملون في أوقات فراغهم لحسابهم الخاص كانوا يقتنون نسبة ٥٠٪ من الابقار و ٣٠٪ من الخراف و ٩٠٪ من الماعز في الجمهورية المذكورة. ويعزى ذلك إلى الحافز الانتاجي فيما يتعلق بالملكية الشخصية، والاهمال والمقاومة فيما يتعلق بالملكية الاشتراكية.

٥- بعكس الادعاءات الشيوعية. عن خلق الشخصية السوفيتية الملتزمة المخلصة والمؤهلة والمنتجة، فإن انتاجية العامل السوفيتي مقارنة بالعامل الاميركي كانت متدنية جداً في بعض النشاطات الزراعية. والثروة الحيوانية.

يقول اندريل ليبيد(٢٣) بأنه «بالرغم من ان الاتحاد السوفيتي يمتلك ثروات طبيعية غنية لبناء اقتصاد زراعي قوي، فإن الزراعة السوفيتية تعاني من أزمة مستمرة. فمثلاً في عام ١٩٦١ لم تتحقق المخططات المتعلقة بانتاج الحبوب واللحم والحليب. ويعزى ذلك

إلى النظام السوفيتي نفسه. والصراع المستمر بين الحزب وادارات المزارع من جهة، وبين الادارات والفلاحين من جهة أخرى. وكانت مقاومة المزارعين لاجراءات الجماعية الزراعية ومصادرة الأراضي الزراعية على أشكال مختلفة في الفترات المتعاقبة من الحكم السوفيتي كما يلي:

أولاً- فترة الحرب الأهلية واستيلاء الشيوعيين على السلطة على شكل:-

أ) مقاومة مصادرة السلطات للحبوب وقد تم ذلك على شكل انتفاضة واسعة ضد النظام السوفيتي.

ب) تناقص كبير في مساحات الأراضي المزروعة واقتناء الحيوانات.

ثانيا- فترة تطبيق اجراءات المصادرة والمزارع الجماعية على شكل:-

أ) ذبح المواشي على مقياس واسع ورفض بيع الحبوب بالأسعار المحددة من الدولة.

ب) محاولات للاعتداء على حياة كوادر الحزب والموظفين المعنيين بتنفيذ سياسة الحزب الزراعية.

ج) تدمير مراكز التسليم التابعة للدولة.

د) الامتناع عن الانضمام للمزارع الجماعية.

هـ) النزوح من الريف إلى المدن.

ثالثاً- الفترة التي تلت تطبيق سياسة المزارع الجماعية ومزارع الدولة على شكل:-

أ) استمرار النزوح من الريف إلى المدن ومراكز الصناعة.

ب) هبوط حاد في اقتناء المواشي والابقار وغيرها من الحيوانات المنزلية.

ج) تدني روح الانضباط والانتاجية لدى العمال.

د) بعث روح عدم المبالاة والاهمال فيما يتعلق بالممتلكات العامة وخاصة الآلات

والمكائن المختلفة.

هـ) عدم تحقيق الخطط المتعلقة بكميات الانتاج التي تسلم للدولة بالاسعار المحددة من قبلها.

و– الزحف على ممتلكات المزارع الجماعية ومزارع الدولة بقصد زيادة مساحات المزارع الخاصة.

ز– تخفيض مساحات الأراضي المستغلة والمزروعة.»

ومن الاسباب الأخرى التي يعزو إليها اندريل ليبد الأزمة التي تعاني منها الزراعة السوفيتية:–

أ) عدم الاهتمام باتخاذ الاجراءات اللازمة لإنجراف التربة التي تلحق ضرراً بليغاً بالأراضي الزراعية.

ب) التخطيط السيء اللاابالي، حيث تم اغراق مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الغنية في مشاريع محطات كهرومائية ثبت عدم جدواها الاقتصادي.

وباختصار فإن سياسة الحزب الشيوعي بوضع اليد على كل شيء وتوزيعه حسب مزاج الحزب اثرت على روح الانضباطية والأنتاج لدى الطبقة العاملة السوفيتية وتسببت في الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها الاتحاد السوفيتي.

٥) أعمال الاضطهاد والاعتقال والتعذيب والنفي الجماعي والتصفية الجسدية

عندما استولى الشوعيون علي السلطة قال لينين مخاطباً كوادر الجزب «لقد تم لنا الاستيلاء على السلطة في روسيا، وعينا الآن أن نحكمها»

وأعلن أن هذا الحكم سيكون على أساس دكتاتورية البروليتاريا، الذي ما لبث أن اقتصر على دكتاتورية الحزب الشيوعي من خلال لجنتها المركزية ومكتبتها السياسي والسكرتير الأول الذي أصبح وخاصة في أيام ستالين المتنفذ والحاكم المنفرد.

وحتى يتاح للحزب –وبالأحرى الطبقة الجديدة أن ينفرد بالسلطة، والتحرر من قيود الاجراءات القانونية، جرى إلغاء أو تجميد القوانين السارية. وممارسة الحكم بموجب مراسيم أو أنظمة أو قوانين مؤقتة أو تعليمات (وقد تكون سرية) صادرة عن الحزب. فقال لينين:–(٤٢)

«إن السلطة تعتمد على القوة وليس القانون».

وقال:-(٢٤) «إن التفسير العلمي للدكتاتورية، يعني دكتاتورية غير مقيدة بأي قانون أو اجراءات بالية، بل تعتمد بشكل مباشر على الارغام والاكراه» وجاء في نظريته عن القانون كما جاء في كتابه الدولة والثورة:-

١- إن فكرة دولة وطنية بقانون وطني مرفوضة بصفتها حماقة وخروج عن الاشتراكية. فبعد استيلاء الطبقة العاملة على الحكم، فإن الدولة يجب أن تبنى على أساس دكتاتورية البروليتاريا، وعندما تختفي الحاجة إلى مثل هذه الدكتاتورية تكون الحاجة إلى وجود الدولة نفسها قد أنتفت أيضاً.

٢- إن القانون هو ظاهرة للمجتمع البرجوازي، قد تستغله الدكتاتورية البروليتارية بعد تحويره لمدة مؤقته فقط لما يناسب أغراضها.

٣- إن القانون لا فائدة منه بدون آلية لتطبيقه، والدولة هي تلك الآلية.

٤- يمثل القانون حداً أدنى من المبادئ الخلقية. فمبادئ الاخلاق هي ما تسهم في هدم المجتمع الاستغلالي القديم، وفي ضم الصفوف حول الطبقة العاملة التي تسعى لخلق مجتمع شيوعي جديد.

وقال لينين بأن «القانون سياسة - أي اجراءات سياسية، وإن الدكتاتورية البروليتارية غير مقيدة بأي قانون مهما كان نوعه».

وجاء في تعريف الحزب الشيوعي عام ١٩٣٨(٢٤) بأن القانون يتألف من «أنظمة تصدرها الحكومة السوفيتية»، وقد اعتبر القهر والاكراه من صفات القانون، وبهذا الشكل برر الأرهاب الجماعي.

وقال استاذ القانون المشهور ستوتشكوف (Stuchkov)(٢٤) بأن «القانون عبارة عن نظام من العلاقات الاجتماعية المتعلقة بمصالح الطبقة الحاكمة وتحافظ على قوة نظامها».

وقال فيسنسكي(٢٥) «إن التعليمات الماركيسة تعلمنا استعمال القانون كوسيلة في الصراع الاشتراكي لتغيير المجتمع البشري إلى المبادئ الاشتراكية. فالقانون في الاتحاد السوفيتي موجه كلياً ضد الاستغلال والمستغلين. والقانون السوفيتي هو قانون الحكومة الاشتراكية... حكومة العمال والفلاحين، ويستعان به من لحظة تشريعه في مواجهة المشاكل الناتجة عن الصراع مع القوى المعادية للاشتراكية، ومن أجل بناء المجتمع الاشتراكي».

وجاء في دليل الاجراءات القضائية الصادر عام ١٩٤٧ عن الاكاديمية العلمية السوفيتية «تقوم الحكومة السوفيتية أثناء ممارستها السلطة ومن أجل تمكينها من هذه الممارسة بسن القوانين السوفيتية. ويرتفع القانون إلى مستوي يحقق رغبات الطبقة العاملة في الدولة السوفيتية. فكما أن الدولة السوفيتية دولة متميزة... كذلك القانون السوفيتي فهو قانون متميز أيضاً».

وبهذا المفهوم للقانون وغاياته أصبح تنفيذ القانون الجزائي والقانون المدني منذ بداية العهد الشيوعي سلاحاً استعمله لتحقيق أهدافه السياسية. وكان أول قرار متعلق بالقانون اتخذته السلطة السوفيتية المرسوم الذي صدر في ١٩١٧/١٢/٧ بحل مؤسسات القضاء والغاء مهنة المحاماة والقضاء، وتأسيس دائرة التشيكا (CHEKA اللجنة فوق العادة لمقاومة التآمر والتحريض والنشاط المضاد للثورة). وفي عام ١٩٢٢ تم تغيير اسم التشيكا إلى (OGPU المجلس السياسي المشترك للدولة). وفي عام ١٩٣٤ تشكلت قوميسارية الشعب للشؤون الداخلية (NKVD) التي تغير اسمها عام ١٩٤٦ إلى وزارة الداخلية (MVD)، التي تم حلها على مستوى الاتحاد السوفيتي وأوليت مهامها إلى وزارات الداخلية في الجمهوريات المتحدة. أما دائرة (KGB–لجنة سلامة الدولة) فإنها خاضعة لسيطرة الحزب الشيوعي فمهمتها التحقيق في قضايا خاصة وتحال تحقيقاتها إلى المحاكم النظامية لتصدر أحكامها.

وبوجود هذه الدوائر والمؤسسات(٤٥) «إنحصرت مهام القانون السوفيتي إلى وسيلة لكبح العناصر المضادة للثورة. فمارست الارهاب ضد خصوم حقيقيين أو وهميين للنظام، ولتنفيذ سياسة ستالين للتصفية داخل الحزب وضد كوادره. وكانت العقوبات التي تفرضها هذه الأجهزة (التي تعمل خارج الضوابط القانونية) أما عقوبة الموت أو النفي إلى معسكرات السخرة لمدة تصل إلى ٢٠ عاماً».

ويقول ميرونينكو(٢٦):– «في عام ١٩٥٣ كان عدد الموجودين في مخيمات العمل السوفيتية يتراوح بين ٦–٧ مليون شخص على الأقل، وخلال الفترة التي تلت الحرب مباشرة وصل العدد إلى ما يتراوح بين ٨–٩ مليون شخص. وكان حوالي أربع ملايين من المسجونين عام ١٩٥٣ ونسبة كبيرة منهم من النساء والأطفال محكومين لمخالفات جنائية».

ويقول مبرونينكو(٢٧):–

«كان الادعاء والموقف الرسمي للاتحاد السوفيتي، بأن الاجرام في الاتحاد

السوفيتي ما هو إلا بقايا تركة وفساد روسيا ما قبل الثورة. بناء على هذه الفرضية قسم رجال القضاء المذنبين إلى فئتين. فئة ينتمون إلى طبقة معادية للنظام الجديد وتكون عقوبتهم التصفية، وفئة من الطبقة العاملة افسدتهم الظروف التي سادت روسيا القيصرية وهؤلاء يجرى إعادة تثقيفهم لا معاقبتهم.

«وقد تسبب عن الفوضى والحرب الأهلية وتدخل القوى الخارجية والهزات الداخلية في المجتمع إلى زيادة في نسبة الاجرام، فتخلت السلطات البلشفية عن فكرة إعادة التثقيف ولجأت إلى الارهاب الذي طبقه جهاز (CHEKA) الذي تأسس في سبتمبر ١٩١٨. وكان هذا الجهاز يعمل خارج اجراءات القانون ويطبق القانون من خلال عقوبة الاعدام، وقام بالاضافة إلى تصفية الاعداء السياسيين للنظام الجديد بمعاقبة الذين يخالفون القوانين الجديدة. ومارس هذا النظام الارهاب الفردي والجماعي ضد العناصر المعارضة للثورة وهو اصطلاح شمل مختلف طبقات الشعب والمخالفات. ولم تكن العقوبات مبنية على بينات قانونية بل على القناعة الذاتية لدى القضاة.»

ويستطرد:–

«اعتباراً من عام ١٩٢٩ بدأت اعتقالات جماعية مرتبطة مع سياسة مصادرة الأراضي وسياسة الجماعية الزراعية. فخلال عامين أو ثلاث أعوام تم اعتقال والنفي إلى سيبريا ومناطق نائية من الاتحاد السوفيتي أكثر من مليون عائلة من الكولاك أي ملاكي الأراضي، بينما تعرض الآخرون إلى ضرائب باهظة أو فرضت عليهم حصص كبيرة من الانتاج الزراعي. وكان التقصير في دفع مثل هذه الضرائب أو تسليم الحصص يؤدي إلى مصادرة أملاكهم وسجنهم. فبدأ النزوح من الريف إلى المدن هرباً من الجماعية الزراعية، وفيما بين ١٩٣٠–١٩٣٨ نزح أكثر من ٢٠ مليون شخص عن أراضيهم إلى المدن التي امتلأت شوارعها –كما كان الوضع في فترة الحرب الأهلية– بالأطفال التائهين الذين تم تصفية والديهم وأولياء أمورهم أثناء تطبيق الجماعية الزراعية.»

ويستطرد:–

«وكان عام ١٩٢٩ بداية تغيير في التاريخ السوفيتي، إذ ألغيت الخطة الاقتصادية الجديدة (New Economic Program) وبوشر بتطبيق التصنيع بالاكراه. فأصحاب المحلات التجارية والمصانع والحرفيين الذين كان قد سمح لهم على ضوء الخطة الاقتصادية الجديدة بممارسة نشاطاتهم صودرت ممتلكاتهم وتم اعتقالهم من قبل البوليس السري، والحكم عليهم بدون مراعاة الاجراءات القضائية وسجنهم في معسكرات

السخرة أو تصفيتهم. وقد وصل عدد المسجونين في عام ١٩٣٠ إلى ٦-٧ ملايين معتقل في حين أن عدد المسجونين في روسيا القيصرية لم يتجاوز في أية فترة ١٣٠٠٠٠ سجيناً.

«وكان هذا الاضطهاد يتم من قبل الفروع المحلية لجهاز (OGPU) ومحاكم ثلاثية تشكل في مختلف أنحاء البلاد من هذا الجهاز. وكانت صلاحية هذه المحاكم الثلاثية تشمل اصدار أحكام بالسجن تصل إلى خمس سنوات على من سميت بالعناصر الخطرة اجتماعياً. ومع أن القوانين التي كانت قد صدرت خلال فترة الخطة الاقتصادية الجديدة لم تلغ رسمياً، فإن هذه الأحكام كانت تصدر بموجب أوامر سرية صادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. وقد صنف جميع المعتقلين من قبل هذا الجهاز بصفتهم (أعداء للشعب) أو (معارضين للثورة) أو (عناصر خطرة اجتماعياً). ولم تكن الحملة موجهة ضد المجرمين المحترفين بل ضد الذين أصبحوا منبوذين بصفتهم طبقة برجوازية صغيرة خطرة على الدولة. وفي عام ١٩٣٠ وصل عدد المعتقلين إلى حوالي ٨ مليون شخص.»

ويستطرد:-

«وفي عام ١٩٣٣ وضع نظام جوازات المرور على أهالي المدن، وحددت حركة المواطنين من مكان إلى آخر. وأي اخلال لهذا النظام كانت عقوبته السجن».

ويستطرد:-

«الغي حكم الاعدام عام ١٩٤٧ واستعيض عنه بالعمل في معسكرات السخرة لمدة تصل إلى ٢٥ عاماً».

ويستطرد:-

«وفي عام ١٩٥٧ سنت بعض الجمهوريات الاتحادية قوانين للتعامل مع العناصر المناهضة للاشتراكية، حيث أعطي لاجتماع يحضره ما لا يقل عن ١٠٠ شخص من سكان أي قطاع من شارع في مدينة أو قرية أو مستوطنة حق اصدار حكم غير قابل للاستئناف بالنفي مع العمل الشاق لفترة تصل من ٢-٥ سنوات بحق سكان ذلك القطاع الذين يقرر الاجتماع بأنهم يعيشون حياة طفيلية. وقد ألغت المحكمة العليا هذا القانون عام ١٩٦٣».

وكانت من أول الاجراءات التي اتخذتها القيادة الجماعية بعد موت ستالين، اعلان عفو عام بتاريخ ١٩٥٣/٣/٢٧ حيث أفرج عن أكثر من خمسة ملايين معتقل.

وتوقفت الاعتقالات التعسفية والمحاكمات الصورية ووضعت اجراءات أصولية لقضاء يعمل بموجب القانون. وقدر عدد الذين قام النظام بتصفيتهم خلال فترة تولي ستالين السلطة إلى ما يزيد عن ١٥ مليون شخص وحسب تقديرات بعض المصادر السوفيتية إلى ما يزيد عن (٢٧) مليون شخص.

وشملت الفئات الذين تعرضت لهذا المصير:-

١) المسؤلين في عهد الحكم القيصري والحكومة المؤقتة والمعارضين للسلطات الشيوعية خلال فترة الحرب الأهلية.

٢) كوادر الحزب الشيوعي في الصراع الدامي المستمر على السلطة في عهد ستالين «الثورة تأكل أبناءها».

٣) طبقات الكولاك (ملاكي الأرض) وأصحاب المصانع والأعمال والحرفيين الذين وصموا كأعداء للشعب في فترة مصادرة الأملاك وتطبيق الجماعية الزراعية.

٤) أئمة المساجد والوعاظ ورجال الدين المسلمين وكذلك طبقات الكهنوت من الديانات الأخرى.

٥) المثقفين والمهنيين وقيادات القوات المسلحة.

٦) الأدباء والمؤرخين والساسة والمسؤولين من الجمهوريات والشعوب غير الروسية الذين وصموا بميولهم الوطنية القومية ومناهضتهم للأممية تحت المظلة الروسية، وعارضوا سياسة الترويس اللغوي والثقافي والسياسي.

٧) مذنبين أو متهمين بجرائم أخرى كانت تصدر بحقهم أحكام النفي لمعسكرات السخرة لسد الاحتياجات من العمال لمشاريع التصنيع وفتح مناطق شرق آسيا وسيبريا النائية واستغلال ثرواتها.

٦- التمييز العنصري وسياسة ترويس الشعوب والقوميات الصغيرة

كما سبق ذكره، تنص (المادة ٧٠) من الدستور السوفيتي الصادر عام ١٩٧٧:

«اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية هو دولة اتحادية واحدة، متعددة القوميات، قامت على أساس مبدأ الاتحادية الاشتراكية، نتيجة لتقرير مصير الامم بحرية والاتحاد الطوعي بين الجمهوريات السوفيتية المتكافئة في الحقوق.»

وجاء في «اعلان حقوق شعوب روسيا» الذي صدر بعد أسبوع واحد من تسلم الشيوعيين للسلطة:-

«إذا جرى الاحتفاظ بأية أمة بالقوة كجزء من دولة ما، وإذا حرمت قسراً وضد رغبتها المعلنة سواء في الصحف أو المجالس الشعبية أو قرارات الاحزاب السياسية أو عن طريق الثورات والانتفاضات ضد الظلم، وإذا حرمت من الاختيار الحر للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعاً من الضم القسري وقهراً واغتصاباً».

وجاء في النداء الموجه للشعوب المسلمة تحت الحكم الروسي والموقع بتاريخ ١٩١٧/١٢/٧ من لينين وستالين:-

«أيها المسلمون في روسيا، يا تتار الفولغا والقرم، أيها القرغيز وسارت سيبريا وتركستان، ويا أتراك وتتار ما وراء القوقاز، أيها الشيشان وجبلي القوقاز، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزاراتهم، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها. من الآن فصاعداً نعلن بأن عقائدكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصانة من الانتهاك. ابنوا حياتكم القومية بحرية وبدون عائق. إن ذلك من حقكم. اعلموا أن حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسا ستحميها قوة الثورة ومجالس نواب العمال والجنود والفلاحين».

وكان تشيتشرين وزير خارجية الحكومة السوفيتية قد أبلغ حيدر بامات وزير خارجية جمهورية القوقاز الشمالية باعتراف الحكومة الروسية باستقلال الجمهورية وصرح: «اننا نعلن أمام العالم كله بأن الجمهورية السوفيتية الاشتراكية لم تنو مطلقاً احتلال أراضي أجنبية واقامة حكم سوفيتي عليها. إن روسيا تعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فإذا كنتم أيها المسلمون القوقازيين راضين عن شكل ووضع جمهوريتكم فعيشوا بسلام وعمروا بلدكم».

وكتب لينين عشية ثورة أكتوبر وهو يقصد حق الشعوب في وجودها الدولي المستقل:-(٤٨)

«وبعد أن نستولي على السلطة سنعترف فوراً ودون قيد أو شرط بهذا الحق لفنلندة وأوكرانيا وأرمينيا ولاي قوم اضطهدته روسيا العظمى».

إلا أن الذي وقع فعلاً هو أن السلطة الشيوعية في روسيا قامت بإعادة احتلال أراضي جميع المستعمرات الروسية في العهد القيصري بالقوة ووطدت فيها السلطة

الشيوعية وضمت أكثرها مباشرة إلى جمهورية روسيا الاشتراكية، وأرغمت المستعمرات الباقية التي شكلت فيها جمهوريات اشتراكية أيضاً إلى الاندماج في الاتحاد السوفيتي.

وفي بادئ الأمر ضم الاتحاد السوفيتي أربع جمهوريات متحدة هي روسيا الاتحادية وجمهورية ما وراء القوقاز وأوكرانيا وبيلو روسيا وكان ذلك في ١٩٢٢/١٢/٣٠. وكان التطور اللاحق للاتحاد السوفيتي قد أدى بالتدرج إلى زيادة عدد الجمهوريات المتحدة. فمثلاً انبثقت عن جمهورية روسيا الاتحادية جمهوريات أوزبكستان وتركمانيا وطاجكستان وكازاخستان وقرغيزيا، وألغيت جمهورية ما وراء القوقاز الاتحادية وانبثقت بدلها جمهوريات أذربيجان وجوجيا وأرمينيا، وانضمت جميع هذه الجمهوريات إلى الاتحاد السوفيتي الذي أصبح مكوناً من (١١) جمهورية متتحدة. وفي عام ١٩٤٠ ضم إلى الاتحاد جمهوريات ليتوانيا ولاتفيا واستونيا ومولدافيا، فأصبح الاتحاد السوفيتي مشكلاً من ١٥ جمهورية متحدة.

يقول ميلوفان دجيلاس(١٤):- «إن دول أوروبا الشرقية الشيوعية لم تصبح دولاً تابعة لنفوذ الاتحاد السوفيتي وتدور حول محورها لأنها ترغب أو تستفيد من ذلك، بل لأنها أضعف من أن تقاوم وتمتنع عن الخضوع. وعندما تصبح قوية أو تطرأ ظروف مناسبة سيبرز تطلعها للاستقلال ورغبتها في حماية شعوبها من السيطرة السوفيتية» ما أصدق هذا القول الذي أثبتته الأحداث في السنين الأخيرة حيث قامت جميع دول أوروبا الشرقية بدون استثناء بالتخلص من الحكم الشيوعي في بلادها ومن التبعية للسيطرة والنفوذ السوفيتي.

وكذلك الأمر بالنسبة للجمهوريات والشعوب السوفيتية، فإن ضمها للاتحاد كان بالقوة الغاشمة، وبقائها في الاتحاد بالقوة الغاشمة أيضاً لا عن رغبة من شعوبها ولا فائدة لها، ولذلك رحبت جميعها بحل الاتحاد وتجزأته.

إن النص الدستوري عن «دولة اتحادية متعددة القوميات قامت نتيجة لتقرير مصير الأمم بحرية وللاتحاد الطوعي بين الجمهوريات السوفيتية المتكافئة في الحقوق» هو شعار كاذب. إن ضم الأمم للاتحاد لم يكن طوعياً ولا نتيجة تقرير المصير بحرية، بل بالقوة الغاشمة.

والادعاء بأن الجمهوريات السوفيتية المتحدة متكافئة في الحقوق كان شعاراً كاذباً أيضاً. فالسلطة تمركزت في الحزب الشيوعي الذي سيطر عليه العنصر الروسي

والسلافي، وكذلك في الحكومة السوفيتية وحكومة جمهورية روسيا الاتحادية اللتين سيطر عليهما العنصر الروسي والسلافي أيضاً.

يقول البروفسور عبد الرحمن إفترخانوف(٢٨)

«هناك جمهوريات داخل الاتحاد السوفيتي تتمتع بحقوق أكثر من غيرها بالرغم من أن الدستور قد أكد المساواة لها جميعاً. والسبب في هذه التفرقة يعود إلى عوامل وطنية وسياسية كثيرة تنبع من تاريخ وماضي الجمهوريات الوطنية. كما تشغل الجمهورية الروسية الاتحادية مكانة خاصة تميزها عن الجمهوريات الأخرى. وقد حدد الزعماء السوفيت درجة السيادة الذاتية للجمهوريات غير الروسية حسب ثلاث معايير هي:-

١- مقدار الصلة الطبيعية لهذه الجمهوريات وانضمامها لروسيا (سواء كان الانضمام عنفاً أو عن طريق سلمي) وطبيعة علاقاتهما في الماضي.

٢- درجة ثبات جذور الأيدولوجية الشيوعية في هذه الجمهوريات.

٣- النسبة المئوية لأعضاء الحزب الشيوعي من مواطني هذه الجمهوريات وسرعة تأثرهم بالحركات الوطنية.

«وعلى هذا الأساس أصبح من الممكن تقسيم الجمهوريات الوطنية السوفيتية إلى نوعين مختلفين يتمتع أولهما (بالحكم الذاتي) في حدود العمل الاداري الذي يشغل وظائفه وطنيون، بجانب إباحة استعمال اللغة المحلية في كل المناسبات واعتبار اللغة الروسية لغة رسمية فقط يقصر استعمالها غالباً على الجهاز الاداري. ويشتمل النوع الثاني على جمهوريات (محكومة) يشغل إغلب وظائف أجهزتها الحكومية -ما عدا الريفية- موظفون غرباء ليسوا من أهل البلد. واللغة الروسية هي المتسلطة في مدن هذا النوع من الجمهوريات، ولا تستعمل اللغة المحلية إلا مرفقة بالروسية وذلك في المناطق الريفية فقط. وتكوين أجهزة الحزب والحكومة في هذه الجمهوريات (المحكومة) التي يشغلها في أغلب الأحيان موظفون ليسوا محليين (عادة من الروس) يمكن تلخيصه كالآتي:-

في أجهزة الحزب من الأجانب

١- السكرتير الثاني للجنة المركزية في الجمهورية (إذا لم يكن السكرتير الاول أجنبياً)

٢- رؤساء أقسام اللجنة المركزية. (في حالة كون الرئيس أجنبياً)

٣- رئيس القسم الخاص للجنة المركزية.

٤- النائب الأول لرئيس لجنة مراقبة الحزب والحكومة (إذا لم يكن الرئيس أجنبياً).

٥- نواب سكرتير اللجان المحلية (إذا لم يكن الرئيس أجنبياً)

٦- السكرتيريون الأوائل للجان المدن ولجان المقاطعات.

٧- السكرتيريون أو نوابهم من لجان الحزب، المنتدبون في مجالس انتاج المزارع الحكومية والجماعية.

٨- سكرتيرو منظمات الحزب العليا المنتدبون في المصانع الحكومية والمزارع الحكومية.

وفي أجهزة الحكومة من الأجانب

١- النائب الأول لرئيس مجلس السوفيت الأعلى للجمهورية والنائب الأول لرئيس لجنة المنطقة التنفيذية ورؤساء مجالس المدينة.

٢- النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء.

٣- رئيس مجلس أمن الدولة ونوابه في المدن والمقاطعات.

٤- رئيس المجلس الاقتصادي الوطني وهيئة التخطيط الحكومية.

٥- نواب الوزراء (إذا لم يكن الوزير أجنبياً)

٦- نواب رؤساء المجالس القضائية العليا ومكتب حاكم الأقاليم ورئيس البوليس الجنائي.

٧- قائد القوات الحربية بالمنطقة.

٨- مديرو المصانع الهامة وأجهزة ومراقبة المواصلات العامة.

«وعلى ضوء القائمتين السابقتين، أصبح من الممكن تقسيم جمهوريات الاتحاد السوفيتي إلى قسمين:- خمس جمهوريات يتولى الحكم فيها أشخاص من الوطنين هي (أوكرانيا، وبيلوروسيا، وأرمينيا، وجورجيا، وأذربيجان)، وتسع جمهوريات أخرى يحكمها أشخاص ليسو من أهلها وهي (أوزبكستان، وكازاخستان، وطاجكستان، وتركمانيا، وليتوانيا، ولاتفيا، واستوينا، وقرغيزيا، ومولدافيا)»

كان الوضع بالشكل الذي ذكره افترخانوف عندما كتب بحثه عام ١٩٦٦. وكانت جميع الجمهوريات ذات الحكم الذاتي (جمهوريات محكومة) بمستوي وصلاحيات أقل من الجمهوريات المتحدة المحكومة المدرجة أعلاه.

والجدول رقم (٧-٣) يبين مقارنة نسبة الوطنيين والسلافيين في اللجان الحزبية في بعض الجمهوريات المتحدة.

الجدول رقم ٧ -٣
مقارنة بين نسبة السكان وأعضاء لجان الحزب الشيوعي المركزية في الجمهوريات المتحدة غير السلافية

الرقم	اسم الجمهورية	مجموع عدد الاعضاء	النسبة المئوية للسلاف		النسبة المئوية للوطنيين وغير السلاف	
			السكان	أعضاء اللجان	السكان	أعضاء اللجان
١	مولدافيا	١٥٩	٣ر٢٧	٤ر٧٢	٧ر٧٢	٦ر٢٧
٢	لاتفيا	٢١٣	٨ر٣٣	٣٦	٢ر٦٦	٦٤
٣	استونيا	١٧٢	٥ر٢٢	٨ر٣٠	٥ر٧٧	٢ر٦٩
٤	لتوانيا	٢١٠	٨ر١٨	٦ر٢٧	٢ر٨١	٤ر٧٢
٥	كازاخستان	٢٤٤	٤ر٥٢	٥٧	٦ر٤٧	٤٣
٦	قيرغيزيا	١٧٧	٣٧	٤٥	٦٣	٥٥
٧	اوزبكستان	٢٨٢	٥ر١٤	٣٠	٥ر٨٥	٧٠
٨	تركمانيا	١٨٦	٧ر١٨	٢٨	٣ر٨١	٧٢
٩	طاجكستان	٢٤٤	٧ر١٤	٤ر٢٦	٣ر٨٥	٦ر٧٣
١٠	اذربيجان	٢٨٨	٣ر١٤	٧ر١٩	٧ر٨٥	٣ر٨٠
١١	جورجيا	٢٢٥	٥ر١١	٨ر٤	٥ر٨٨	٢ر٩٥
١٢	ارمينيا	١٦٣	٥ر٣	٥ر٣	٥ر٩٦	٥ر٩٦

وفي مجال السياسة الاقتصادية أهملت رغبة الجمهوريات المتحدة لاتمام البناء الاقتصادي المتكامل لكل جمهورية على حدة، واتبعت في التنمية الصناعية خطة ترمي إلى استبعاد أي ميل نحو الاكتفاء الذاتي أو عدم التعاون في بناء اقتصاديات الجمهوريات الشقيقة. ويقول الاستاذ كورجانوف بأن الأساس العلمي الاشتركي لتقسيم العمل لتحقيق هذا الهدف هو «أن بناء الآلات هو أكثر فروع الصناعة حاجة للتعاون المتبادل، وهو الذي يكون حلقة الوصل بين اقتصاديات الجمهوريات الوطنية والاقتصاد العام للاتحاد السوفيتي» وكتب أحد رجال الاقتصاد السوفيت في هذا المجال «أن خلق وحدات صناعية متكاملة في كل جمهورية صغيرة على حدة سيكون غير ذي نفع، خاصة وأن هذه الجمهوريات تنمو وتتطور كجزء اقتصادي من الدولة كلها». وعلى كل لم يكن الغرض من استثمار الأموال في الصناعة في (الجمهوريات المحكومة) هو الفائدة العائدة على الجمهورية المعنية بالذات، بل كان الهدف يكمن في مقدار الفائدة العائدة على الدولة كلها.

وفي مجال السياسة الاسكانية تم التركيز على تشجيع الهجرة الجماعية داخل الاتحاد السوفيتي بحيث تسببت في انقاص عدد السكان الأصليين وخاصة في الجمهوريات الاسلامية، فمثلاً في جمهوريتي كازاخستان وقرغيزيا كان عدد السكان الأصليين في عام ١٩٥٩ حوالي ٣٠٪ و ٤٠،٥٪ على التوالي. ويقيم غالبية السكان الأصليين في الريف ويزاولون أعمالاً يدوية، في حين أن غالبية السكن غير الأصليين (وخاصة السلاف) يقطنون في المدن ويعملون في وظائف غير يدوية أو أعمالاً فنية في صناعات ذات دخل أكبر.

علقت إحدى الصحف السوفيتية على نتائج احصاء السكان عامي ١٩٣٩ و ١٩٥٩ بقولها(٤٩):-

«أصبحت الجمهوريات الوطنية في وصفها الحالي جمهوريات ذات قوميات متعددة، وتخطت نسبة القوميات الغريبة ربع تعداد السكان في عشر جمهوريات من جمهوريات الاتحاد الخمس عشرة. ونسبة السكان الأصليين آخدة في الانخفاض، بينما ترتفع بنسبة ملحوظة نسبة السكان الروس داخل كل جمهورية. وتنظر السلطات المسؤولة إلى خلط القوميات بعضها بالبعض في مكان واحد على أنه حث لاذابة لغاتهم المختلفة»

وفي السياسة الثقافية، كان نظام التعليم في الاتحاد السوفيتي من أهم الوسائل لتعميم اللغة الروسية وخاصة في (الجمهوريات المحكومة). إذ أن نسبة كبيرة من المدارس في تلك الجمهوريات المحكومة يجري التدريس فيها باللغة الروسية. وحتى في المدارس

الأخرى التي يجري التدريس فيها باللغتين الروسية والمحلية فإن التركيز يكون على اعتماد اللغة الروسية كأساس للتدريس.وجرى تغيير أسماء العديد من المدن والمناطق واطلاق أسماء شخصيات روسية او اصطلاحات شوعية وسوفيتية عليها وعلى الشوارع والميادين والمعاهد والمرافق الهامة في مختلف أنحاء الاتحاد السوفيي السابق.

كانت السلطات الشيوعية في الاتحاد السوفيتي تعمل على «دولية ثقافات جميع الاقليات، بمعنى أن تصبح اللغة الروسية اللغة الوحيدة لشعوب الاتحاد السوفيتي، ثم بعد ذلك لغة المجتمع العالمي الشيوعي. وفي هذا الصدد كتب أحد الفلاسفة السوفيت:-

«من الجائز بعد انتصار الاشتراكية في غالبية دول العالم، أو بعد تعميم أنظمتها بين مختلف شعوب الأرض، أن تختار هذه الشعوب أحدى اللغات المستعملة دولياً كلغة واحدة لجميع شعوب الأرض. أن اللغة الروسية... بصفتها لغة الروس الوطنية بجانب كونها اللغة الدولية المتداولة بين شعوب الاتحاد السوفيتي، تخلق الآن مجتمعاً دولياً، ويمكن اعتبار ذلك تمهيداً لمزج جميع الأمم في مجتمع شيوعي واحد».

وبالرغم من أن ستالين كان قد قال في كتابه (القومية والنظرية اللينية) الذي طبع في موسكو عام ١٩٥٠:- «إنكم تعلمون أن سياسة الاذابة ابعدت تماماً عن المجال الماركسي-اللينيني... لأنها سياسة لا توافق المصالح الشعبية وتعمل على الضرار بها، كما وأنها ضد المبادئ الثورية» إلا أنه هو نفسه الذي قال في حفلة تكريم للجيش عام ١٩٤٥. «إنني أشرب نخب صحة الشعب الروسي، لأنه الأبرز بين شعوب الاتحاد السوفيتي. اقترح أن نشرب نخب صحة الشعب الروسي... ليس لأنه الشعب القائد الرائد فقط، بل لأنه يتحلى بعقل صافي ومتميز، وشخصية قوية، وطاقة للتحمل».

وهو نفسه الذي قال أيضاً(٥١) «إن الاستقلال الثقافي والوطني يؤدي إلى حصر الشعوب داخل قوقعة، وتجميدها عند أدنى مستويات التطور ويحول دون ارتقائها إلى مستويات ثقافية أعلى».

وجاء في العدد (١٢) من مجلة الحكم والقانون السوفيتي الصادر عام ١٩٦١

«إن للمشاكل الحالية المتعلقة بالعلاقات العامة بين قوميات الاتحاد السوفيتي أساساً شيوعياً بحتاً، ينحصر في محاولات تحقيق الوحدة التامة بين مختلف أمم الاتحاد السوفيتي، وفي بلوغ الغرض النهائي في الائتلاف الشامل بينها. كما وأنه لم يعد هناك أي داع لاتخاذ مدى الوحدة الفيدرالية لجمهورية ما أو صورة الحكم فيها وشرعية الابقاء على حدودها، مقياساً لمدى الحرية والسيادة القومية التي تتمتع بها هذه

الجمهورية. ولذلك فإنه يمكننا أن نقول -ونحن على ثقة من صحة قولنا- أن تكوين الحكومات الوطنية ونظام الاتحاد الفيدرالي قد قاما بأداء مهمتهما التاريخية». وجاء فيها أيضاً:- «إن إذابة القوميات السوفيتية لا يعني سوى تجريدها وتجريد جمهوريات الاتحاد من خصائصها المميزة وإنهاء استقلالها المحلي مما سيتسبب في جعل الاندماج السياسي الشامل للأمم والمجتمع السوفيتي أمراً يمكن تحقيقه في المستقبل القريب»

إن السلطات السوفيتية شجعت سير عملية إذابة الأمم ودمجها على أساس اشتراكي وفقاً لتخطيط مركزي للدولة. وفي سبيل ذلك لم تتوان عن اتهام المثقفين وكوادر الحزب والدولة وغيرهم ممن كانت تظهر عليهم ميول وطنية شعبية بأنهم «أعداء للشعب ومناهضين للثورة الاشتراكية والأممية» وجرى اعتقالهم وتعذيبهم ونفيهم أو تصفيتهم.

وأظهر غزو تشيكوسلوفاكيا في آب ١٩٦٨ من جانب الاتحاد السوفيتي بالاشتراك مع أربعة من الدول الاعضاء في حلف وارسو بأن الكرملين يرى من حقه التدخل في الشؤون الداخلية لدول «الكومنولث الاشتراكي»، فقد قال كوفاليف أحد ايدولوجي الحزب في مقالة نشرها في صحيفة البرافدا بتاريخ ١٩٦٨/٩/١٦

«إن الشيوعيين كانوا ينظرون إلى الأمر دائماً من زاوية النزاع الطبقي، لأن القرارات النهائية التي تضمن حقوق الانسان والأمم لا تتخذ إلاّ على أسس الاشتراكية»

وقال في مقالة نشرها في صحيفة البرافدا بتاريخ ١٩٦٨/٩/٢٦

«لقد نسي هؤلاء الذين يتحدثون عن تدخل الدول الاشتراكية الحليفة في تشكوسلوفاكيا، إن مجتمعاً طبقياً هناك لا يجوز أن يتحول إلى مجتمع لا تحكمه طبقة ولا يسوده القانون. كما وأن الحقوق والقانون أقل أهمية من الصراع الطبقي الذي يمثل طبيعة التطور الاجتماعي. وهذا واضح في أسس النظرية الماركسية اللينينية».

وقال ماتفيف المراسل السياسي لجريدة الازفستيا في العدد الصادر بتاريخ ١٩٦٨/١٠/٢٩:-

«ليست هناك بالنسبة للاتحاد السوفيتي دول بعيدة أو قريبة إذا كان الأمر متعلق بحماية الاشتراكية من اعتداءات العناصر التهجمية. والدليل على هذا المساعدات الهائلة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي لشعب فيتنام المكافح، وتدخله السريع لانقاذ شعب تشيكوسلوفاكيا الشقيق»

وهاجم جيورجيف في صحيفة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي

الصادرة بتاريخ ١٥/١٠/١٩٦٨ القادة اليوغوسلافيين لأنهم قارنوا بين التدخل في تشيكوسلوفاكيا والاعتداء الدموي الأميركي على فيتنام واستطرد:-

«إن الماركسيين يعلمون أنه ليس باستطاعة الفرد أن يحيا حياة مستقلة تماماً داخل النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه. ونفس الأمر ينطبق على الدولة التي تنتمي إلى مجموعة من دول يسودها نفس النظام الاجتماعي. إن الآراء التي تتحدث عن الاستقلال التام لفرد او لدولة، كانت وستبقى خدعة برجوازية عتيقة».

واستناداً إلى هذه الآراء التي سميت «مبدأ بريجينف»، فإن قوانين الصراع الطبقي تشمل أيضاً أية افعال تكون (من وجهة نظر الكرملين) تتعارض مع الاشتراكية، أو مع أهداف الدول الاشتراكية، أو مع أهداف الطبقة الكادحة الدولية. وفي هذه الحالة فإنه من حق، بل ومن واجب الدول الاشتراكية الأخرى اتخاذ الخطوات اللازمة لاعادة الأمور إلى نصابها، بما في ذلك التدخل العسكري المسلح».

وباختصار فإن السياسة القومية السوفيتية والدول التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي يمكن وصفها بصيغة «قومي في الشكل-اشتراكي في المحتوى» وترجمت بصورة تهكمية لتصبح «من حقك أن تقول ما يريده الكرملين منك قوله... بلغتك القومية».

٧- مبدأ الالحاد والاضطهاد الديني

يجادل البعض من الشيوعيين خارج الاتحاد السوفييتي، إما عن قناعة أو في سبيل الدعوة لمبادئهم في الأوساط المحافظة، بأن الماركسية ما هي إلا علم يمكن مقارنتها بعلوم أخرى مثل الطب والجيولوجيا والرياضيات وغيرها، وبأنها لا تمت بصلة بالعقائد الدينية. فكما يمكن للشخص أن يكون طبيباً ناجحاً في عمله بجانب اعتناقه لديانة معينة يمكن له أيضاً أن يكون شيوعياً يؤمن (أو لا يؤمن) بأي دين يختاره.

أما في الاتحاد السوفيتي فقد أقر الشيوعيون مبدأ الالحاد والمادية. فالماركسية في نظرهم ليست مجرد نظام مادي اقتصادي بل اتجاه عقائدي أيضاً، ويرى الحزب الشيوعي السوفيتي بأن من أهدافه ومهامه محاولة اقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر عليهم وتوجههم. وليس هناك ما يسمى بالبعث والخلود. ولذلك فعليهم الكفاح لتحسين أحوالهم المادية وتحقيق أهدافهم الدنيوية، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث ولا نشور. ويرون أن الديانات ما هي إلا آراء دنيوية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية

واجتماعية غير سليمة، وأنها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية وتربية الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والأفراد. ويرون أيضاً أن التعايش مع المؤمنين بالألوهية ممكن بالنسبة للنواحي السياسة والاقتصادية إلا أنه أمر مستحيل على المستوى الآيدولوجي العقائدي، إذ أن توافق الايمان مع الالحاد يكاد أن يكون متعذراً.

وبالاضافة إلى عقيدة الشيوعيين بأن «الدين هو مخدر الشعب» كما قال ماركس «وأنه مسكر روحي» كما قال لينين، فقد اعتبروا بأنه كان هناك تحالف بين الكنيسة الأرثوذكسية وطبقة الاقطاعيين الروس.، ولذلك رأوا بأنه من الضروري محاربة الكنيسة بصفتها حليفاً للطبقة المعادية للثورة البروليتارية. ففي ١٩١٨/١/٢٣ صدر عن مفوضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوم يتضمن النظام الأساسي للمنظمات الدينية بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع والدين، وأعلن بموجب هذا المرسوم فصل الدولة عن الكنيسة فصلاً تاماً كما أعلن تأميم المنظمات الدينية المسيحية ومصادرة أملاكها.

وقد رأى الشيوعيون في الاسلام خطراً أشد من غيره من الأديان على النظام الشيوعي، لأن عمل المسلمين (وشكلوا حوالي ٣٠٪ من سكان الاتحاد السوفيتي،حسب احصاء عام ١٩٨٩) بأحكام الشريعة واخلاقيات الاسلام تميزهم عن غيرهم، ويقيم بينهم وبين الشعوب السوفيتية غير المسلمة -وبالأخص الروس- حواجز نفسية من الصعب التغلب عليها. لذا وقف الشيوعيون الروس منذ البداية موقفاً معادياً من الاسلام. إلا أن الزعماء الشيوعيين أظهروا في بداية عهدهم بعض الحذر والتروي عند تعاملهم مع المسلمين الذين كانوا تابعين للامبراطورية القيصرية، كما هدفوا من هذا التعامل الدعاية واستمالة المسسلمين في مختلف أنحاء العالم. فصدر في ١٩١٧/١٢/٣ عن لينين وستالين النداء المشهور الذي سبق ذكره «إلى المسلمين في روسيا، تتر الفولغا وشبه جزيرة القرم...إلخ»

وفي عام ١٩١٩ وجه لينين بياناً إلى مسلمي العالم جاء فيه: (٢٩)

«يا مسلمي العالم الذاهبين ضحايا الإستعمار استيقظوا... استيقظوا.. إن روسيا قد اقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية، تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتمشى عليها حكومتنا السابقة. إن روسيا اليوم تمد يدها إليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الاستعباد والاستبداد البريطاني.

«إن روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على اعطاء رقعة من البلاد التركية إلى الأرمن، وتبقى مضايق البوسفور والدردنيل في

أيديكم، وتبقى القسطنطينية عاصمة العالم الاسلامي، ويمنح المسلمون في روسيا الاستقلال التام.

«إن ما نطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين الذين دأبهم ومبتغاهم استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد أوطانكم».

وفي ١٩٢٠/٨/٣١ عقد مؤتمر باكو لمسلمي الشرق... ومن المفارقات الغريبة أن ثلاثة من القياديين الشيوعيين اليهود هم الذين وجهوا الدعوة ونظموا وأداروا هذا المؤتمر إذ ترأسه زينوفيف (رئيس الكومنترن)، وكان رادك سكرتيراً ومقرراً له. وأشترك معهما في التنظيم والادارة بيلاكوهين الذي كان قد ترأس الحكم الشيوعي القصير الأمد في هنغاريا عام ١٩١٩، وعندما سقط حكمه هرب إلى روسيا وعين حاكماً للقرم الاسلامية فاستبد وظلم.

وقام لينين بتسليم مصحف عثمان رضى الله عنه الذي كان في حوزة دولة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروغراد (وهو موجود الآن في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان في مدينة طشقند) كما قام بإعادة وتسليم عدد كبير من الوثائق والآثار الاسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز وتركستان، كما أعاد للمسلمين مسجد كازافان ساريا في اونبرغ وبرج سوميكي في قازان بعد أن كان القياصرة قد صادراهما في السابق.

وسمح للمسلمين حتى عام ١٩٢٤ باتباع عقائدهم، وأنشئت منظمات إدارية إسلامية في روسيا وسيبريا وآسيا الوسطى وغيرها، وعقدت مؤتمرات اسلامية جلس فيها المسلمون جنباً إلى جنب مع أعضاء الحزب الملحدين واستمعوا إلى وعود بالاستقلال وحرية العبادة، وانتشرت المدارس الدينية والمساجد تخدم المسلمين بدون قيود.

إلا أن هذا التساهل مع المسلمين لم يدم طويلاً، إذ بدأ الإضطهاد ضد الدين الاسلامي وأئمته عام ١٩٢٨ عند المباشرة باجراءات «الوسائل الطارئة» في الأرياف والتي دعت إلى تسليم الحبوب من قبل ملاكي الاراضي وأئمة الدين إلى الدولة. ورافقت تطبيق اجراءات مصادرة الأراضي وخطة الجماعية الزراعية فيما بين ١٩٢٩ الى ١٩٣٤ حملة منظمة شرسة لمحو الدين الاسلامي والقضاء على أئمته. وكانت هذه الحملة على عدة مراحل متتابعة:-(٣٠)

ففي المرحلة الأولى أغلقت المطابع التي تطبع المنشورات الدينية أو المعادية للسوفيت واستبدال الاحرف العربيةحيثما كانت تستعمل بالاحرف اللاتينية أو الروسية.

ووصم رجال الدين كطفيليين وفرضت عليهم ضرائب فاحشة وحرموا من حق التصويت.

وفي المرحلة الثانية طلب البوليس من رجال الدين التوقيع على بيانات تنشر في الصحف، يعبر فيها الموقعون عليها بأن الاسلام إنما هو خديعة للشعب ولذلك قرروا خلع جباتهم وأصبحوا ملحدين. وحيث أن أغلبية الأئمة رفضوا توقيع مثل هذه البيانات فقد جرى نفيهم إلى سيبريا، فخلت المساجد والمدارس الدينية من القائمين عليها.

وفي المرحلة الثالثة تمت مصادرة الأملاك الوقفية وكذلك المساجد والمدارس الدينية وتحويلها إلى نواد ومستودعات أو غايات أخرى أو هدمها كلياً. فاقفل فيما بين ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩ حوالي ١٤ ألف مسجد في تركستان و ٦ آلاف مسجد في بشكيريا و ٤ آلاف مسجد في شمال القوقاز وألف مسجد في جزيرة القرم(٣١). واعتبرت جميع المدارس الدينية مؤسسات غير قانونية وتم اقفالها كما دنست المقامات الاسلامية ومنع المسلمون من أداء فريضة الحج، وألغيت المحاكم الشرعية.

إلا أنه عندما اشترك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ في الحرب العالمية الثانية تبدلت السياسة السوفيتية تجاه الأديان بغاية التأثير على السكان وكسب ودهم وحثهم على دعم النظام المتضضع. فسمح بفتح بعض الكنائس والمساجد وتوقفت الحكومة عن تعذيب المؤمنين وأعلن عام ١٩٤٤ عفو ديني عام وخفت العراقيل والعقبات التي كانت تحول دون تعليم الدين. وفي عام ١٩٤٦ سمح لأول فوج برئاسة المفتي عبد الرحمن رسولوف بالحج إلى مكة بعد منع استمر سنوات عديدة. وأنشئت عام ١٩٤١ أربع مديريات روحية اسلامية وهي:

١- المركز الاسلامي في روسيا الأوروبية وفي سيبريا ومركزه مدينة اوفا في بشكيريا. ولغته الرسمية التترية.

٢- المركز الاسلامي لأهل السنة في آسيا الوسطى وفي كازاخستان ومركزه مدينة طشقند في اوزبكستان. وهو أكبر المراكز الاسلامية وأكثرها أهمية ولغته الرسمية الاوزبكية.

٣- المركز الاسلامي السني الشيعي لما وراء القوقاز ومركزه مدينة باكو في جمهورية اذربيجان.

٤- المركز الاسلامي لأهل السنّة في شمال القوقاز ومركزه مدينة بونياكس في جمهورية داغستان.

وعند انتهاء الحرب، وتركيز السلطات الشيوعية لسلطتها الدكتاتورية، تخلت عن سياسة التساهل واللين مع الأديان. ولما كان الاسلام قد أظهر بعد وجوده الرسمي لمدة خمس عشرة سنة بأنه يحوز على قوة روحية قوية جداً تفوق كثيراً قوة الأديان الأخرى، قررت السلطات الشيوعية في عهد خروشيف محاربة الأديان والوقوف بشكل خاص ضد الدين الاسلامي، وشنت حملة منظمة تشبه الحملة التي وجهت إليه قبل الحرب وشملت:-

أولا:- تنظيم حملة عقائدية الحادية واسعة ضد الاسلام: ويمكننا أن نقسم الحجج الي استخدمتها الدعاية الشيوعية ضد الاسلام إلى مجموعتين:-(٣٢)

أ) الحجج المسوغة ضد جميع الأديان بالادعاء بأن الأديان أفيون الشعوب، تلهي الجماهير الكادحة عن الكفاح الثوري وتدخل في روحها الخضوع العبودي. وهي ايدولوجية رجعية ضد العلم، وعائقة أمام التقدم، وأداة بيد الطبقات المستغلة وعقائد خيالية. فهي إذن ضد الماركسية وتعيق مجيء الاشتراكية.

ب) الحجج المستخدمة ضد الاسلام بشكل خاص: وتنقسم بدوها إلى عدة فئات:-

١-حجج تستهدف أصل الاسلام: بالإدعاء بأن الاسلام دين فرضه بالقوة الغزاة العرب على أجداد المسلمين السوفيت في آسيا الوسطى، والسلاطين العثمانيين في القوقاز الغربي، وشاهات إيران فيما وراء القوقاز.

٢- حجج تتعلق بطابع الاسلام المعادي للمجتمع: بالادعاء بأن الاسلام أشد دين رجعي ومحافظ في العالم. إنه يذل المرأة ويخضع الشباب لسلطة أصحاب اللحى البيضاء التعسفية والطغيانية. إن شعائر الإسلام وبخاصة الختان وصيام رمضان إنما هي تصرفات بربرية ومضرة بالصحة، كما أن الصلوات الخمس تصرفات ضد المجتمع تجلب الضرر لمردود عمل الجماهير الكادحة...إلخ.

٣- حجج تتعلق بأخلاق الاسلام الدينية: بالادعاء بأن الاسلام يمحق روح المبادرة، ويدخل أكثر من أي دين آخر في ذهن البشر روح الخنوع والتعصب، وأن أخلاق الاسلام تتعارض مع الأخلاق الاشتراكية والسوفيتية الجديدة.

٤- حجج موجهة ضد الثقافة الاسلامية: بالادعاء بأن الفن الاسلامي جامد متحجر في أشكاله العتيقة البالية، إن أدبه التقليدي يخلد التقليد البالي في العصور الاقطاعية. إن التقاليد الثقافية الاسلامية عوائق أمام مجيء ثقافة سوفيتية.

وكانت منظمة «الملحدين الذين لا إله لهم» ومنظمة الكومسومول وغيرها من منظمات الحزب الشيوعي تقوم بمهام تنظيم المقاومة والدعاية ضد الأديان.

ثانياً: وضع المحاذير على اتباع الطقوس الدينية.

ثالثاً: وضع الضغط الإداري على أئمة الدين المحليين وعلى المساجد والمدارس الدينية.

وبعد سقوط خروشيف دخلت العلاقات بين الحكومة السوفيتية والأديان وبشكل خاص المسلمين بمرحلة جديدة. إذ خف الهجوم العنيف على الدين الاسلامي. وابتداء من عام ١٩٧٨ بوشر بفتح بعض المساجد، وقد تسارع ذلك بعد أن اعتمد غورباتشوف سياسة البرويستريكا والغلاسنوست فباشر المسلمون بناء وفتح المساجد في مختلف المدن والقرى، كما فتحت مدارس لتعليم اللغة العربية، ونشأت حركات سياسية واجتماعية اسلامية العقيدة. وبات حتى أعضاء الحزب المخضرمين يعلنون ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ويستنكرون الممارسات الشيوعية السابقة في اضطهاد الدين التي أدت إلى نفور واستنكار الجماهير لها.

٨- المركزية في التخطيط واتخاذ القرارات

اعتمد الشيوعيون عندما استولوا على السلطة مبادئ الالحاد والمادية، وانكار وجود الله عز وجل والبعث، وعلى ذلك فإن الأهداف التي يفترض أنهم سعوا لتحقيقها هي رفع مستوى معيشة جماهير الشعب مادياً، وأن الأخلاق والقيم التي دعوا إليها يفترض فيها أن تخدم هذه الغاية. بل أن منشوراتهم وادعاءاتهم كانت تركز في أنهم حققوا أو في سبيل تحقيق هذه الغاية وجاء في مقدمة ترجمة عربية لدستور الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٧٧ الفقرات التالية:-

«وبني في الاتحاد السوفيتي مجتمع اشتراكي متطور، وفي هذه المرحلة التي أصبحت الاشتراكية تتطور على أساسها تنكشف أكمل فأكمل قوى النظام الجديد البناءة، وأفضليات نمط الحياة الاشتراكي، ويستفيد الشغيلة باتساع متزايد من ثمار المكتسبات الثورية العظيمة.

«إنه المجتمع الذي تم فيه إنشاء قوى منتجة جبارة، وعلم طليعي، وثقافة طليعية، ويرتفع فيه باستمرار مستوى معيشة الشعب، وتتكون فيه ظروف ملائمة أكثر فأكثر لتطوير الفرد من جميع النواحي.

«إنه مجتمع التنظيم الرفيع، والأخلاص الفكري العالي، والوعي السامي لدى الشغيلة ذوي النزعة الوطنية والأممية.

«إنه المجتمع الذي قانون حياته هو عناية الجميع بخير كل فرد، وعناية كل فرد بخير الجميع» .

ويظهر أن المسؤولين السوفيت كانوا متفائلين بأن في وسعهم تحقيق المجتمع الموصوف أعلاه، وكان خروشيف يتحدى الولايات المتحدة -القوة العظمى المقابلة- بأن الاتحاد السوفيتي سيتفوق على الغرب في جميع الميادين العسكرية والاقتصادية والعلمية وغيرها. وقد صرح في المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي الذي عقد في عام ١٩٥٩ بما يلي:-(٣٣)

«لم يعد بلادنا الآن محاصراً من قبل الرأسمالية. هناك نظامان اجتماعيان في العالم، النظام الرأسمالي المريض الذي يحتضر والنظام الاشتراكي القوي المنتعش. إن ميزان القوة في الوقت الحاضر يتيح لنا الرد على أي هجوم من قبل العدو. لا توجد هناك قوة تستطيع أن تعيد النظام الرأسمالي في بلادنا وتهزم المعسكر الاشتراكي. إن خطر إعادة النظام الرأسمالي في الاتحاد السوفيتي قد زال».

واستطرد:-

«إن مهمتنا الآن أن نحقق تفوق النظام الاشتراكي على النظام الرأسمالي فيما يتعلق بالانتاج العالمي، وأن نتفوق على أكثر البلدان تقدماً في مجمل الانتاج ومعدل انتاج الفرد، وأن نحقق أعلى مستوى معيشة في العالم.»

واستطرد متفائلا:-

«إذا لجأنا إلى حساب انتاجية الفرد الواحد، فربما نحتاج إلي خمس سنوات إضافية بعد انجاز خطة التنمية السباعية الحالية حتى نلحق ونتفوق على الولايات المتحدة من حيث الانتاج الصناعي. وبمعنى آخر فإنه عند انقضاء هذه الفترة -وربما في وقت أبكر- يكون الاتحاد السوفيتي قد حل في المرتبة الأولى سواء من حيث مجموع الانتاج أو معدل انتاج الفرد الواحد. وسيكون هذا انتصاراً عالمياً تاريخياً للاشتراكية في منافستها السلمية مع الرأسمالية. فنتيجة لتحقيق أهداف خطة التنمية السباعية -بل وتجاوزها- ونتيجة نسبة النمو العالي لاقتصاديات بلدان الديموقراطيات الشعبية، فإن بلدان المعسكر الاشتراكي سيقوم بانتاج أكثر من نصف الانتاج الصناعي العالمي».

واعتمدت مخططات الشيوعيين في تحقيق الطموحات المذكورة على تربية

«الانسان السوفيتي الجديد» التي تتوفر فيه علامات مميزة منها:-

١- تفهم علمي بحت للعالم.

٢- نظرة جديدة تجاه العمل.

٣- أخلاق شيوعية جديدة.

٤- دولية بروليتارية ممتزجة بوطنية اشتراكيلة.

٥- اختفاء بقايا التفكير الرأسمالي في عقله.

٦- حصانة تامة ضد تأثير الايدولوجية البرجوازية الغربية.

وكان في مخططهم أن يكون أعضاء منظمة الكومسومول نواة هذا الانسان الجديد. واعتمدت المخططات أيضاً على التخطيط المركزي للتنمية الصناعية والزراعية، ومصادرة وسائل الانتاج، والملكية الاشتراكية (ملكية الشعب بأسره) لها، والجماعية الزراعية (مزارع الدولة والمزارع التعاونية)، والتصنيع الثقيل.

وبعد مرور أكثر من سبعين عاماً من استيلاء الشيوعيين على السلطة فإن هذه الطموحات والخطط لم تتحقق، بل نجد الاتحاد السوفيتي على وشك شبه انهيار اقتصادي يعاني من الخلافات والمنازعات العرقية والعقائدية والاقتصادية بين شعوبه، مهددة بالتفكك والتقسيم الذي وقع فعلاً في نهاية عام ١٩٩١.

يتبين بأن الادعاء بأن النظام السوفيتي «نجح في خلق الانسان السوفيتي الجديد بنظرته الجديدة إلى العالم وبقيمه الأخلاقية الجديدة، يذهل العالم بما تخلقه يداه وعقله، يشعر بالمسؤوليه، يحب العمل ويتقيد بالنظام ويتمتع بكل فضائل الشيوعية» ادعاء مبالغ فيه. وتبين من الدراسات الاجتماعية بأن الغالبية العظمى من الشعب السوفيتي، مثلها كشعوب العالم الأخرى، مازال الحافز المادي هو المحرك لها. وينطبق هذا على شباب الكومسومول «نخبة المجتمع وأمل المستقبل». بل أن الشباب اتهموا بالانحراف بشكل مخيب لآمال المسؤلين في الحزب. فمن التعليقات التي كانت تصدر عنهم في الصحف:-

«إن الشباب يفتقر إلي الأفكار، وأن كل هم وطموحات هؤلاء (الأبطال) هو كسب المال لانفاقه على الخمر والملذات».

«إن الشباب لا يفهم قيمة عمله الشخصي في تحقيق النصر، ولا يقدر المسؤولية تجاه كل شيء يحدث في البلاد.»

«إن الشباب يظهر سلبية شديدة تجاه الحياة العامة، وعدم نضج سياسي، كما يظهر

لا مبالاة وعدم اكتراث بالتاريخ البطولي لوطنهم».

« إن الشباب يهزأ من كل شيء، والانسان الذي يهزأ من شيء ما لا يمكنه أن يحترمه، إن السخرية يمكنها أن تقتل أنبل المشاعر عند الانسان. إن أعمال الكومسومول لم تنجح في احراز نتائج مرضية في هذا السبيل، فأعضاء هذه المنظمة يعيشون حياة مزدوجة. يقولون في الاجتماعات الرسمية آراء تتفق وأراء الحكومة والحزب، وإذا خلوا إلى عشيرتهم والمقربين من أصدقائهم قالوا أراء مضادة تماماً.»

وباختصار لم يحقق الانسان السوفيتي الجديد معدلات الانتاج التي يدعيها الشيوعيون، بل أن هذا الانتاج باعتراف الباحثين السوفيت أنفسهم يقل كثيراً من حيث الكم والنوع عن انتاج مثيله في البلدان المتقدمة.

وفي بلد يغطي سدس يابسة الكرة الأرضية، ويشمل مساحات زراعية ذات تربة وبيئة مناخية متنوعة ومصادر مائية غزيرة، كان من الطبيعي أن تولي السلطات السوفيتية أهمية كبيرة للتنمية الزراعية. ومع أن العقيدة الشيوعية مبنية على تأميم الأرض إلا أن الحرب الأهلية كانت قد تركت آثاراً سلبية في القطاع الزراعي حيث انخفضت مساحة الأراضي المزروعة بنسبة ٢٥٪ والانتاج الزراعي بنسبة ٤٠٪-٤٥٪ والتسويق الزراعي بنسبة ٧٥٪ (مجلة ايكونوميكا سيكسكوجو خوزيايسيتافا - العدد ١ عام ١٩٦٧ ص ٢١). فأدى هذا التطور الخطير إلى حدوث اضطرابات بين الفلاحين، واقتنع لينين بأن العادات المتأصلة تتعارض مع دفعة حركة التأميم بأسرع مما ينبغي، وعليه ينبغي السير خطوة خطوة وفقاً للقبول الطوعي للفلاحين وموافقتهم على أفضلية أساليب الانتاج الزراعي الجماعي. فطالب بابدال نزع الملكية مؤقتاً بنظام ضرائب تصاعدي والسماح للفلاحين بتسويق منتوجاتهم الزراعية بأنفسهم.

فارتفع فوراً عدد المشتغلين بالزراعة من ١٥ مليون إلى ٢٥ مليون وارتفع الانتاج الزراعي بحيث أنه عاد وبلغ عام ١٩٢٦ نفس الحجم الذي كان عليه قبل الثورة.

إلا أن ستالين الذي لم يكن مقتنعاً بسياسة لينين الواردة ذكرها بدأ عام ١٩٢٨ بالتأميم القسري للأراضي الزراعية، وتطبيق الجماعية الزراعية على شكل المزارع الجماعية ومزارع الحكومة. فبدأ الانتاج الزراعي بالهبوط فوراً، ولحقت بهذه المزارع بالرغم من الاستثمارات الرأسمالية العالية خسارة كبيرة. وكان عدم تحقيق الربحية في مزرعة جماعية يودي إلى تحويلها إلى مزرعة حكومية، أما عدم تحقيق الربحية في مزرعة حكومية فكان يؤدي إلى زيادة الاستثمارات (الخاسرة) فيها. وبذلك ارتفعت عدد

المزارع الحكومية ومساحاتها على حساب المزارع الجماعية، وتم اهمال المزارع الجماعية مقارنة بالمزارع الحكومية من حيث الاستثمار وتوفير الماكنات والدوافع والامتيازات المادية للعاملين وغير ذلك. وتدني الانتاج الزراعي عن المستوى الذي توقعه أكثر المسؤولين السوفيت تشاؤماً.

فمثلاً جاء في العدد ٣٠ الصادر عام ١٩٩٠ من مجلة نيوتايمز التي تصدر في موسكو باللغة الانكليزية بأن انتاج الفلاح الدانمركي الذي يكفي معدل انتاجه لأطعام ١٦٠ شخصاً يزيد عن ١٦ ضعف معدل انتاج عامل الكولخور السوفيتي. وعن خطة خروشيف لاستصلاح واستغلال الأراضي العذراء في جمهورية كازاخستان الاتحادية والاكتفاء الذاتي للاتحاد السوفيتي من الحبوب... هذه الخطة التي لم تحقق أهدافها فاضطرت لشراء الحبوب من الولايات المتحدة، انتشرت في الاتحاد السوفيتي نكتة تقول «بأن خروشيف استحق مدالية لينين التي انعمت عليه للمرة الثالثة لأنه حقق انجازاً علمياً كبيراً... فقد زرع الحبوب في كازاخستان وحصدها في ولاية ايوا في الولايات المتحدة».

لم تنحصر أسباب تدني الانتاج الزراعي في الاتحاد السوفيتي إلى قلة المحصول بل تعدت إلى الاهمال والاابالية من قبل «الانسان السوفيتي الجديد» على شكل النسب العالية للضياع عند جني وجمع المحصول والعطب والتلف عند نقله وتخزينه ومناولته. وبالرغم من قناعة المسؤولين بفشل الخطة الزراعية وخسارة المزارع الجماعية ومزارع الدولة، فإن الطبقة الجديدة من الحزب الشيوعي تمسك بهذا النظام على أساس عقائدي، وتتلخص بعض عناصره الأكثر أهمية فيما يلي:-

١- تمثل المزارع الجماعية ومزارع الدولة استثمارات اقتصادية هائلة، فالخرائط السوفيتية والسجلات وشبكات الطرق ومواطن الفلاحين وماكينات الزراعة والمراكز الادراية قد صممت كلها بالشكل الذي يدعم وجهة النظر في أفضلية المزارع والحقول الواسعة، والمحتم أن أي تغيير في ذلك النظام إلى نظام آخر يختلف جذرياً عنه، ويقوم على وحدات انتاج أصغر، سوف يكون تخبطاً باهظ الثمن. والتصدع الذي سيصيب الانتاج في فترة الانتقال لا بد وأن يؤدي إلى كارثة.

٢- تهيء المزارع الجماعية ومزارع الدولة للقادة السوفيت الوسيلة لممارسة رقابة محكمة على المؤن الغذائية للأمة، ورقابة سياسية محكمة على الفلاحين.

٣- تشكل المزارع الجماعية ومزارع الدولة عملاً استثمارياً ايدولوجياً عاطفياً،

فإن أبطال هذا النظام واقعة لا سابق لها يرتكب بها الحزب خطأ مهلكاً.

٤- الجماعية تناسب المتطلبات الايدولوجية لادخال الشيوعية إلى الريف.

٥- ورأي ينطوي على سخرية... بأنه بالرغم من الحملة الدعائية الواسعة عن قصور النظم الزراعية السوفيتية، فإن المزارع الجماعية والحكومية تعطي نموذجاً لتنظيم ثوري لفلاحي الدول النامية، والتخلي عن الجماعية الزراعية يعتبر تخليا عن أقوى حجة يقدمونها للثوار الوطنيين في الأمم النامية التي يتكون أغلب سكانها من الفلاحين»

إن الاستثمار السوفيتي الكبير في المجال الصناعي، والدفع القوي للتصنيع الذي فرضه ستالين، أدخل الاتحاد السوفيتي في نادي الدول الصناعية الكبيرة. ويحق للاتحاد السوفيتي أن يعتدّ بانتاجه الصناعي في بعض المجالات (كانتاج التسليح وغزو الفضاء) كماً ونوعاً. إلا أنه فشل في انتاج المواد الاستهلاكية المصنعة كماً ونوعاً بشكل يحقق احتياجات الجماهير. فهذا الانتاج على وجه الاجمال قليل (وإن كان بعضه فائضاً لعدم الاقبال على شرائه) وسيء شكلا وكفاءة وسريع العطب.

ويعزى السبب في هذا الفشل إلى سياسة التخطيط المركزي وإلى أن مدراء المصانع لم يتمتعوا بدرجة كافية من حرية التصرف والاستقلال في التخطيط والانتاج والتسعير على ضوء حاجات وأذواق المستهلكين، وكلفة الانتاج والتسويق. والسبب في حجب هذه الصلاحيات عن مديري المصانع يعود إلى خوف الحزب من أن يفقد زمام الأمور ولا يتمكن من الاشراف الفعلي على التخطيط والانتاج إذا ما أدخل نظام اقتصادي حر يعطي مثل هذه الصلاحيات للمدراء.

أقر مؤتمر الحزب الشيوعي الثالث والعشرون عام ١٩٦٦ ادخال اصلاح جديدفي الاقتصاد الصناعي السوفيتي اتخذ طريقاً وسطاً بين الابقاء على نظام التخطيط المركزي الذي كان يؤيده المحافظون المتشددون في الحزب، وبين مبادئ السوق الحرة والتقليل من التخطيط المركزي الذي كان يدعو إليه البروفسور ليبرمان ومؤيدوه.

وبموجب خطة الاصلاح هذه أعطي مديري المصانع والشركات حرية البرمجة وسلطات أوسع في تحديد كميات ومواصفات الانتاج على أساس حاجات السوق وأذواق الجماهير وتحديد الأجور والأسعار، وحلت مجالس الاقتصاد القومي المحلية واستبدلت بوزارات تشرف على المشاريع الكبيرة والمتوسطة. إلا أن المديرين المذكورين، عندما حاولوا استعمال سلطاتهم هذه، وجدوا أن البيروقراطية ما تزال تضيق على صلاحياتهم وسلطاتهم، فمع أن المسؤولين في الاتحاد السوفيتي كانوا يهدفون إلى زيادة

الكفاءة الانتاجية في البلاد وتحسين الحالة الاقتصادية، إلا أن الحزب كان في نفس الوقت يرفض بشدة التنازل عن سلطاته في فرض الرقابة والاشراف على المشروعات الانتاجية وادارة المصانع. فهو من ناحية يدخل نظماً واجراءات جديدة من شأنها رفع الكفاءة الانتاجية ولكنه من ناحية أخرى يدعم البيروقراطية المركزية التي تعارض آثار التحرر الذي قد ينشأ عن اعطاء مديري المصانع حقوقاً اضافية.

يورد قسطنطين كريلوف في مقالة كتبها في نشرة صادرة عن معهد الدراسات السوفيتية صدرت عام ١٩٦٨ :(٣٤)

«إن الأمثلة التالية مأخوذة من مصادر سوفيتية وتبين الوضع في الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق باستغلال المواد الخام ومواد التصنيع وكذلك نوعية وقيمة المصنوعات السوفيتية مقارنة بالولايات المتحدة وغيرها.

«في عام ١٩٦٢ استهلكت روسيا ٣٣,٢٪ من المحروقات على انتاج وحدة صناعية أكثر من أميركا لمثيلتها. واستعملت ٧٠٪ أكثر من أميركا من الوقود لوحدة نقل بالسكك الحديدية.

«في الحالات التي كان يجري فيها نقل الفحم الحجري لمسافات طويلة كانت نسبة الضياع حوالي ٤٠٠ طن/كيلومتر في السنة، وأما في حالات النقل لمسافات قصيرة فقد وصل الضياع الى ٩٥٠ طن/ كيلو متر في السنة.

«يشكل الضياع نسبة كبيرة من انتاج البترول و ٣٥٪ من الانتاج الكلي للغاز الطبيعي.

«تقدر كمية ضياع المعادن في صناعة المكائن لوحدها حوالي ١٠ مليون طن في السنة.

«إن كمية استهلاك الحديد والفولاذ المستعمل في انتاج وحدة صناعية في روسيا تزيد بنسبة ٢٥٪ عن مثيلتها في أميركا -وهذا الرقم مشكوك فيه لأن الاستهلاك في قطاع صناعة المكائن والآلات الزراعية لوحدها تزيد عن ٤ أضعاف مثيلتها في أميركا.

«إن ما لا يزيد عن نصف كميات الأخشاب المنتجة في روسيا والتي تقدر حوالي ٣٥٠-٤٠٠ مليون متر مكعب في السنة تصل إلى مرحلة تصنيع بضائع استهلاكية. والعائدات من ١٠٠٠ متر مكعب من الخشب تقدر حوالي ١٧٤٠٠ روبل في روسيا مقابل ٤٦٥٠٠ روبل في أميركا.

«قدرت الكميات الضائعة من مادة الاسمنت أثناء النقل والتخزين والاستعمال

حوالي ١٥ مليون طن في السنة وتمثل حوالي ١٥٪ من مجموع انتاج الاتحاد السوفيتي.

«من مجموع الانتاج السوفيتي من زجاج الشبابيك المقدر ١٨٠ مليون متر مربع، قدر التكسير أثناء المناولة والنقل من المصنع وحتى المستهلك بنسبة ٢٨٪ في حين أن النسب المعقولة عالمياً تترواح بين ١١٪-١٢٪.

«إن سوء النوعية يقلل من قيمة الاستفادة من الانتاج الصناعي السوفيتي وتصل الاستفادة في بعض الحالات الى درجة العدم لأن السلعة بكل بساطة لا تستعمل أو لا تشترى. وقد ورد في التقارير أنه في جمهورية روسيا الاتحادية لوحدها انعدم الطلب على السلع التي تقوم بانتاجها ٢٥٧ مؤسسة صناعية. مع العلم أن انتاج هذه السلع كان بموجب الخطط المعتمدة.

«يجرى تزويد المزارع الجماعية بقطع تبديلية لا حاجة لها بها، ومع ذلك تدخل هذه القطع في احصائيات الانتاج الوطني العام واحصائيات القطاع المختص.

« في كثير من الحالات لا تكون الاستفادة من بعض السلع معدومة إلا أنها تكون منخفضة بسبب سوء النوعية.

«فمثلاً يستهلك ٢٥ طناً من المعادن لانتاج ثلاث سيارات نوع (Ural-375) ذات حمولة اجمالية ١٥ طن فقط وتنخفض الاستفادة من هذه السيارة لسوء نوعية المعادن المصنعة منها.

«يقدر أنه لو رفع أوكتان البنزين من ٦٦ إلي ٨٠-٨٥ لزادت كفاءة موتور السيارة بنسبة ١٥٪، وأن التحسين في نوعية الزيوت والشحوم سيضاعف من عدد الكيلومترات التي تقطعها السيارة قبل عمل اوفرهول عام بنسبة الضعف أو الثلاث أضعاف.

«إن عمر الاجزاء المصنعة من المواد المطاطية في الآليات في روسيا يقل عن نصف عمر مثيلاتها الأميركية.

«يقدر عمر التراكتور السوفيتي حوالي ٦-٨ سنوات في حين أن عمر مثيلها الأميركي يقدر حوال ١٦-٢٠ سنة. ويمكن جمع ١٨٠٠٠٠ تراكتور إضافي كل عام من القطع التبديلية المستعملة لاصلاح التراكتورات الروسية ويمثل هذا الرقم ٥٠٪ من الانتاج السوفيتي عام ١٩٦٥.

«إن قسماً كبيراً من الأدوات واللوازم السوفيتية تصبح غير صالحة للاستعمال بعد مرور ٦-١٠ أشهر في حين أن مثيلاتها الأميركية تخدم حوالي ٣-٥ سنوات.

«يجري صرف مبالغ كبيرة (قد تزيد على كلفة تصنيعها) على إصلاح الماتورات الكهربائية التي تظهر بها عيوب تصنيع. وحتى بعد هذا الاصلاح المكلف لا تخدم إلا نصف مدة العمر المقدر لها.

«إن أضوية الفلوسنت السوفيتية تعطي إضاءة ٥٣-٥٥ وحدة لومنز لكل وات واحد من الطاقة الكهربائية وتخدم حوالي ٥٠٠٠ ساعة فقط في حين أن مثيلاتها الاجنبية تعطي ٧٥-٨٠ لومنز لكل وات واحد من الطاقة وتخدم حوالي ١٠٠٠٠ ساعة».

وصدر في مقالة نشرها نيكامب في عدد يونية ١٩٩١ من مجلة التمويل والتنمية التي تصدر عن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير يقول:-

« إن المصاعب الاقتصادية الحالية للاتحاد السوفيتي ترجع في معظمها للنظام القائم. فهي انعكاسات للمشكلات المتأصلة في نظام التخطيط المركزي والعيوب الملازمة لاستراتيجية النمو التقليدية القائمة على كثافة استخدام الموارد (التي تعتمد على التزايد المطرد في كميات العمل ورأسي المال والمواد الخام لتعويض الاهمال النسبي للكفاءة التقنية والاقتصاد). وقد تفاقمت هذه المشكلات بالمحاولات غير المصاغة على نحو سليم لتحسين أداء النظام القائم من خلال اصلاحات تتم في أجزاء متفرقة.

«وبعد فترتين من النمو السريع نسبياً في الثلاثينات، وخلال إعادة التعمير التي تلت الحرب العالمية الثانية، بدأ النمو السوفيتي يشهد انخفاضاً طويل الأجل بحلول السبعينات. فقد اقتربت معدلات استخدام قوة العمل من حدودها القصوى، وأصبح الحصول على احتياجات الوقود والمواد الخام أشد صعوبة وأكثر تكلفة. وأخذت القوى العاملة في الانخفاض على نحو متزايد نتيجة للنوعية الرديئة للسلع الاستهلاكية وضآلة المعروض منها مع حدوث أزمات ندرة متفرقة ومزمنة في بعض الحالات في المعروض من سلع معينة، وضعفت الحوافز للعمل الجاد والابداع والكفاءة. ومما عرقل امكانية تعويض هذه العوامل عن طريق التقدم التقني، تركيز النظام على الوفاء بأهداف الانتاج المطموحة دائماً، والتي ثبطت الاقدام على تحمل المخاطر والتجديد من جانب مديري المشروعات».

وتولد توجه عام للتحول من سياسة التخطيط المركزي إلى سياسة اقتصاد السوق. وقد نشرت في العدد الصادر بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٢ من المجلة الاسبوعية الاقتصادية السوفيتية (Commetsant) التي تصدر باللغة الانكليزية البنود الرئيسية لبرامج العمل لجمهورية روسيا المتحدة لتنشيط الحركة الاقتصادية هذه ترجمتها:-

«من أجل تنشيط الحركة الاقتصادية سيجري اتخاذ الاجراءات التالية:-

- وضع حد أعلى بنسبة ٣٠٪ لكل أنواع الضرائب والرسوم.
- تخفيض الضرائب على الأرباح إلى ١٥٪.
- منح اعفاءات ضريبية على الأرباح الناتجة من الاستثمار في الانتاج.
- الغاء جميع القيود الادارية على الأجور والعمل الاضافي والنشاطات العمالية الأخرى.
- اتخاذ اجراءات تدريجية للعمل في فترة تتراوح فيما بين ٦-٨ أشهر لتحرير أسعار الجملة والمفرق بما فيها أسعار المحروقات والطاقة.
- أن يصبح الروبل عملة قابلة للتحويل، وأن يتاح للانتاج الأجنبي الدخول إلى السوق المحلي.
- رفع جميع القيود على الاقتصاد بما في ذلك:

أ) الغاء المادتين ٨٨ و ١٥٣ من القانون الجزائي لجمهورية روسيا المتحدة اللتين تحظران خدمات الوساطة التجارية والتعامل بالنقود.

ب) الغاء الضرائب الفاحشة على النشاطات التجارية والعمولة والسمسرة.

ج) الغاء رسوم الاستيراد على المواد الاستهلاكية والأغذية.

- من المهم تسهيل عمليات الاستثمار والنشاطات الاقتصادية بتبسيط اجراءات التسجيل وطرق المحاسبة.
- من المهم الغاء جميع القيود على حركة انتقال السلع وكذلك الغاء نظام البطاقات والحصص في جمهورية روسيا المتحدة.
- من المهم خلق الجو المناسب لجذب رؤوس الأموال والاستثمار الأجنبي.
- ومن أجل الحماية من تصرفات السلطات المركزية (الاتحادية) فإنه من الضروري:-

أ) الغاء اجراءات المصادرة في عمليات تداول العملة في أراضي جمهورية روسيا الاتحادية.

ب) وضع ميكانيكية مناسبة منفصلة عن السلطات المركزية (الاتحادية) لعمليات تداول العملة.

ج) السماح لجميع المؤسسات في الجمهورية بفتح حسابات لدى البنوك الأجنبية.

ء) اتخاذ الاجراءات لضمان لا مركزية الاشراف على الميزانية، وتوسيع

الصلاحيات المالية للسلطات المحلية.

–سيجري التعويض عن النقص الحاصل من الغاء وتخفيض الضرائب بزيادة الرسوم على المشروبات الكحولية والتبغ وغيرها من الكحاليات.

– الاستعاضة عن ضريبة المبيعات بضريبة القيمة المضافة.

– التوقف عن تمويل المشروعات غير الكفؤة وكذلك التوقف عن دعم المؤسسات الخاسرة.

– أن يشترط في ترخيص البنوك احتفاظها لسيولة مناسبة وفي سبيل تشجيع الملكية الخاصة تسهيل إنشاء الشركات المساهمة والشركات القابضة من الحجم المتوسط والكبير لتحاشي توزيع رأس المال.

– أن يتم خلال عام ١٩٩١ تحويل ٤٦٠٠٠ مؤسسة تجارية وخدمات إلى الملكية الخاصة وتوزيع مليون هكتار من الأراضي على الذين يرغبون في زراعتها واستغلالها.

توزيع جميع العائدات من نشاطات الملكية الخاصة بنسبة ٢٠٪ لميزانية الجمهورية و ٨٠٪ لميزانية السلطات المحلية.»

وهذا البرنامج كان يمثل ثورة على نظرية وممارسة الاقتصاد الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي، والتوجه نحو سياسة اقتصاد السوق.

الجدول رقم ٧ –٤

مقارنة انتاجية العامل السوفيتي والعامل الامريكي عام ١٩٥٩

الوقت (رجل/ساعة) المستهلك في انتاج ١٠٠ كيلو غرام

الرقم	صنف الانتاج	العامل السوفيتي ساعة عمل	العامل الامريكي ساعة عمل	نسبة العامل السوفيتي / العامل الامريكي
١	الحبوب	٧ر٣	١	٧ر٣
٢	البطاطا	١ر٥	١	١ر٥
٣	الحليب	١٤ر٧	٤ر٧	١ر٣
٤	تسمين الخراف	١١٢	٧ر٩	١٤ر٢
٥	تربية الخنازير	١٠٣	٦ر٣	١٦ر٣
	المعدل			٩ر٢

٩- المؤسسة البوليسية والمؤسسة العسكرية

اعتمد النظام السوفيتي على ثلاث مؤسسات كانت تشكل القواعد والأعمدة الرئيسية التي تسند النظام.

أ- المؤسسة الحزبية.... الحزب الشيوعي.
ب- المؤسسة البوليسية.
ج- المؤسسة العسكرية.

وكانت هذه المؤسسات تحظى داخل الاتحاد السوفيتي وفي الخارج بتقييم عام عالي، باعتبارها منضبطة ومنتمية للنظام، تتوفر فيها نخبة الكوادر تأهيلاً وتدريباً، ومزودة بأحدث المعدات وأحسن تكنولوجيا، قادرة على حسن التخطيط والتنفيذ. وكان الانطباع السائد بأن هذه المؤسسات كفيلة بدوام منعة الامبراطورية السوفيتية ودوام حكمها.

إلا أن المتعمقين في أساليب الممارسة الشيوعية للحكم، كان رأيهم بأن هذه المؤسسات هي من العوامل التي ستعجل في انهيار النظام الشيوعي، لأنها رموز التعسف وكبت الحريات والاغتيال والنفي والتصفيات وكبت الحريات وحرمان ممارسة الشعائر الدينية وكذلك السلب والنهب وهدر الموارد مما أدى إلى حرمان الشعب من الاحتياجات المعيشية المناسبة.

فبالنسبة للحزب الشيوعي، فإنه وكما استعرضت في السابق، تحولت مراكز القوى فيه إلى «الطبقة الجديدة» التي اتصفت بالانانية وأصبح همها المحافظة على امتيازاتها على حساب الشعب المقهور.

وأما المؤسسة البولسية... بمختلف تشكيلاتها وتسمياتها، فقد كانت رمز الرعب ومركز الحقد والحسد الشعبي العام، إذ كانت آلية تنفيذ عمليات التجسس حتى بين أفراد العائلة الواحدة وحثّ الأطفال أن يشوا بالبالغين من أهاليهم، والاتهام والاعتقال واستخلاص الاعترافات الكاذبة ومن ثم السجن أو النفي أو التصفية. وكانت كوادر هذه المؤسسة تتمتع بامتيازات كبيرة. ونظراً لحجمها وامتيازاتها كانت تستنزف جزءاً كبيراً من موارد الدولة بدلاً من استثمارها في رفع مستوى الشعب وتأمين احتياجاته المعيشية الضرورية.

ورد في كتاب (KGB, State Within a State)(٣٦) وهو عن وكالة البوليس السري الروسي الذي أطلق عليه خروشيف في خطابه السري أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي اسم «دولة داخل دولة» وسيطرته على روسيا «في الماضي والحاضر والمستقبل» بعض المعلومات عن حجم كوادر هذه المؤسسة التي تقول المؤلفة بأن غورباتشوف ويلتسين كانا وعدا بحلها إلا أنهما كانا غير قادرين أوغير راغبين في ذلك.

تقدر مؤلفة الكتاب بأن كوادر وكالة (KGB) أيام الاتحاد السوفيتي كان حوالي (٧٠٠) ألف عنصر أي بمعدل عنصر واحد لكل ٤٢٨ نسمة من سكان الاتحاد (حوالي ٣٠٠ مليون نسمة) وأما الآن في الفدرالية الروسية فيقدر كوادر الوكالة حوالي (٥٠٠) ألف عنصر أي بمعدل عنصر واحد لكل ٢٩٧ نسمة من سكان الفدرالية (حوالي ١٥٠ مليون نسمة) أي أن الوكالة تضخمت بالنسبة لعدد السكان.

ويقدر عدد ضباط الوكالة في مركزها في موسكو حوالي ٦٥٠٠٠ عنصر (مقابل ٢١٠٠٠ عنصر في مركز وكالة FBI الأميركية) ويتواجد في العاصمة موسكو حوالي ٨٩٠٠٠ عنصر.

وهذه الأرقام تعطى فكرة عن العبء المالي الذي تشكله الوكالة على الاقتصاد الروسي.

وأما المؤسسة العسكرية، فإن الهزائم المهينة التي الحقها المجاهدون الشيشان بالقوات العسكرية الروسية التي غزت جمهوريتهم المستقلة، كشف للعالم بأن الجيش الروسي ليس على المستوى الذي تصوره العالم من حيث معنوياته وتدريبه وحتى تجهيزه.

فالجيش الروسي يتكون من فئة الضباط والمحترفين الذين كانوا يحظون برواتب وامتيازات جيدة مقارنة بعامة الشعب الروسي. وهناك الأفراد (غالبية الجيش) الذين جرى تجنيدهم كخدمة العلم، كانت (ولا تزال) أحوال أعاشتهم وأقامتهم دون المستويات المناسبة.... والرواتب التي كانت تعطى لهم كمصروف جيب لم تكن تكفي حتى لتغطية كلفة كوب واحد من الشاي في اليوم. ويتعرض الأفراد للتعسف والاهانة وحتى الضرب من رؤسائهم من الضباط والمحترفين.

ولهذا فإن معنوياتهم منهارة ويكنون شعور الحقد والحسد تجاه رؤسائهم وتجاه السلطة الحاكمة التي أوصلت الشعب السوفيتي (والروسي حالياً) إلى حالة نفسية سيئة ومستوى معيشة متدنية. وعليه فإن هذه الفئة لا يهمها الحفاظ على النظام الحاكم، وتنفيذ

مخططاته. والمقاتلون الشيشان الذي سبق لهم أن خدموا في القوات السوفيتية يعون هذه الحقيقة.

وكذلك حجم المؤسسة العسكرية والامكانيات والموارد التي خصصت لها، كانت (ولا تزال) تستنزف جزءاً كبيراً من الانتاج القومي والموارد المتاحة مما حرم الشعب من استثمارها لتحسين مستوى المعيشة.

ففي الكتاب السابق ذكره وردت المعلومات والأرقام التالية:-

أ) كان في المؤسسة العسكرية (الجيش ومؤسسة الصناعة العسكرية) في ديسمبر ١٩٩١ (عندما إنحل الاتحاد السوفيتي) حوالي ١٤,٤ مليون عنصر منهم حوالي ٤ مليون جندي.

ب) معدل الانتاج السنوي لمؤسسة الصناعة العسكرية في السنوات الأخيرة للاتحاد السوفيتي مقارنة بالانتاج الأميركي كانت

١٧٠٠ دبابة (٢,٣ ضعف انتاج أميركا).
٥٧٠٠ عربة مدرعة (٨,٧ ضعف انتاج أميركا).
١٨٥٠ مدفع ميدان (١١,٥ ضعف انتاج أميركا).
٣,٥ ضعف انتاج أميركا من الغواصات النووية.
١,٥ ضعف انتاج أميركا من المدمرات البحرية.
١٥ ضعف انتاج أميركا من الصواريخ عابرة القارات.
٦ ضعف انتاج أميركا من الصواريخ قصيرة المدى.

ج) كانت موازنة مؤسسة الصناعات العسكرية تتراوح فيما بين الثلث الى النصف من الموازنة الكاملة للدولة. وفي عام ١٩٨٩ زادت عن مجموع كلفة الدعم الاقتصادي والعلوم والشؤون الاجتماعية والثقافة ومؤسسات العدالة وتطبيق القانون ومعالجة كارثة تشيرنوبل وتنظيف التلوث في بحيرة آرال.

د) كانت مؤسسة الصناعات العسكرية تستهلك ما نسبته ٢٥٪ من مجموع الانتاج القومي و ٨٠٪ من الجهد العلمي و ٨٠٪ من الانتاج الصناعي و ٤٢ مليون هكتار من الأراضي كاسكان القوات والقواعد والمطارات وغيرها و ٢٢ مليون هكتار أخرى لتجارب واطلاق الصواريخ ومركبات برنامج الفضاء و ٦٠٪ من انتاج الفولاذ.

هـ) قدر أن ٨٧٪ من جميع المصانع السوفيتية كانت في شباط ١٩٩١ تعمل لصالح المؤسسة العسكرية.

وبالرغم من هذه الامكانيات كانت معنويات المؤسسة العسكرية متدنية بسبب ممارسة النظام الشيوعي في التعامل معها. كانت الاستخبارات العسكرية المضادة التابعة لوكالة (KGB) تراقب القوات المسلحة. وقبيل الحرب العالمية الثانية كان ستالين قد أعدم ثلاثة من مجموع خمس مارشالات الجيش السوفيتي وصفى جميع قادة المناطق والفرق والألوية و ٥٠٪ من قادة الكتائب والسرايا. وقدر أن ما نسبته ٢٠٪ من القوات السوفيتيه كان قد تم تصفيتهم قبيل الهجوم النازي على الاتحاد السوفيتي.



من مريدي الطريقة النقشبندية في الأردن

الفصل الثامن

ممارسة الحكم الروسي في شيشانيا

« إذا جرى الاحتفاظ بأية أمة بالقوة كجزء من دولة ما، واذا حُرمت قسراً وضد رغبتها المعلنة سواء في الصحف او المجالس الشعبية او قرارات الأحزاب السياسية او عن طريق الثورات والانتفاضات ضد الظلم، واذا حُرمت من الاختيار الحرّ للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعاً من الضمّ القسري وقهراً واغتصاباً »

اعلان حقوق شعوب روسيا
الصادر عن الحكومة السوفيتية





غروزني مدينة الأشباح - الأسلوب الروسي لحلّ النزاعات

ممارسة الحكم الروسي في شيشانيا

نظرت السلطات الروسية القيصرية والسوفيتية إلى شمال القوقاز كبركان يحتمل أن يثور، ووكر دبابير شرسة يحتمل أن تهيج وتهاجم في أية لحظة. وانطبقت هذه النظرة على الشيشان بشكل خاص باعتبارهم:-

١- أكثر شعوب الامبراطورية الروسية مقاومة للاحتلال بالرغم من الخسائر البشرية واستنزاف الموارد والامكانيات المحدودة. وقد جاء في كتاب (قتلة الأمم)(١٦) عن أحد الكتاب الروس في الخمسينات من القرن التاسع عشر:-

«أثناء أخضاع شيشانيا تدنى سكان شيشانيا الصغرى السهلية بين عام ١٨٤٧ وعام ١٨٥٠ إلى نصف عددهم السابق، وبحلول عام ١٨٦٠ أصبح عددهم ربع ما كانوا عليه. وعندها استسلم الشيخ شامل»

٢- أشد الشعوب الاسلامية في الامبراطورية الروسية تمسكاً بدينهم وعقيدتهم. وكانوا نخبة جيش حركة المريدين الصوفية التي تصدرت مقاومة الاحتلال الروسي ببسالة لم يسجل التاريخ مثلها. وسمتهم الكاتبة البريطانية ليزلي بلانتش سيوف الجنة (The Sabres Of Paradise)(٣٦) وهو عنوان كتابها.

٣- يتحلون بصلابة شديدة وقوة تحمل كبيرة وبسالة نادرة، وعناد يصل إلى حد التهور.

٤- يتصف مجتمعهم بالديموقراطية والمساواة في الحقوق والواجبات وانعدام نظام الطبقات وطبقة الحكام.

وكانت السيطرة على شمال القوقاز بالنسبة للروس أيضاً مهمة صعبة، على شكل حروب استمرت حوالي قرنين، جند الروس في بعض مراحلها حوالي (٣٠٠) ألف مقاتل وتكبدوا خسائر بشرية ومادية كبيرة. إلا أنهم تمسكوا بهذه المنطقة الجميلة الغنية والتي كانت بنظرهم البوابة التي يعبرون من خلالها لتحقيق طموحاتهم في التوسع نحو الجنوب والشرق والوصول إلى البحار الدافئة. يقول جون بادلي في كتابه (الأحتلال الروسي للقوقاز)(١):-

«هكذا هي هذه المنطقة... وهكذا شعوبها. هؤلاء الأبطال الذين بدون أية مساعدة خارجية، أو عدة حربية سوى التي غنموها من العدو، لا يؤمنون بشيء بقدر ايمانهم بالله ورسوله وحقهم بحياة حرة كريمة، ولا ينتظرون سنداً إلا من سواعدهم القوية وسيوفهم الحادة... قاوموا روسيا الجبارة في حرب عنيف متواصل أكثر من نصف قرن، كانوا خلالها يبيدون الجيوش الروسية ويهدمون قلاعهم، وينزلون إلى الحضيض بكرامة وكبرياء أكبر امبراطورية في العالم، ويسخرون من غناها ومواردها التي لا تنضب من عدد وعدة. إن كفاحهم المجيد هذا ذو أهمية كبيرة للقراء الانكليز، فإن حروبهم وإن كانت في الحقيقة دفاعاً عن وطنهم وحريتهم ودينهم، إلا أنهم كانوا ومن حيث لا يدرون (ولا ندري نحن) يدافعون عن الحكم البريطاني في الهند. فكما قال السير هنري رولنسون(٣٧)، «طالما كان هؤلاء الجبليون يقاومون التوسع الروسي ببسالة لا مثيل لها، فإنهم حالوا دون التقدم أكثر من حدود بلادهم. وعندما غلبوا على أمرهم أخيراً لم يبق هناك مانع طبيعي أو قوة حربية تمنع التقدم الروسي من نهر أراكسيس وحتى نهر السند في الهند».

واتبعت روسيا القيصرية والشيوعية في سبيل دوام سيطرتها على القوقاز سياسة الجزرة والعصا.

فسياسة الجزرة كانت بوجه عام تتمثل على شكل وعود لا يلتزم بها ورشوات للعملاء وذوي النفوس الضعيفة.

وأما سياسة العصا فكانت تتمثل في:-

١- مصادرة أراضي السكان الأصليين وتوزيعها على الحكام والمتنفذين الروس والمقربين منهم (مثل عشاق الامبراطورة كاترين الكثر من الضباط من أصل ألماني)

وكذلك قبائل القوزاق الذين جرى ترحيلهم من مواطنهم البعيدة على ضفاف نهر الدون وتوطينهم في مستعمرات أنشئت علي امتداد نهر ترك لتشكل الخط الحربي الأمامي لعمليات احتلال القوقاز.

٢- اخماد حركات التمرد والثورات والانتفاضات بقسوة بالغة مع تدمير وحرق القرى وقلع الأشجار واتلاف المزروعات وغيرها من تصرفات وحشية لا انسانية.

٣- تنفيذ عقوبات صارمة والنفي إلى سيبريا بحق العناصر الوطنية أو الدينية التي تبدى مقاومة مسلحة أو غير مسلحة ضد روسيا.

٤- اجلاء بعض القبائل الوطنية من ديارهم التاريخية المنيعة أو أراضيهم الخصبة مثل سواحل البحر الأسود إلى مناطق مستنقعات أو شبه قارية كالسهوب الواقعة في المناطق الحدودية بين شمال القوقاز وجنوب روسيا.

٥- بث الدعوة وتهجير جاليات كبيرة من الشعوب الاسلامية في شمال القوقاز إلي الدولة العثمانية (بالاتفاق مع الحكومة العثمانية) وتوزيعهم في مناطق نائية ومتباعدة.

يقول روبرت كونكويست(١٦) بأنه عندما تغلب الروس على آخر مقاومة باسلة شرسة لقبائل الشراكسة (الاديغة) عام ١٩٦٤ «قام الروس بطرد (٦٠٠) ألف شركسي من بلادهم، واستوطن فيها بدلاً منهم رعايا من الروس والقوزاق وغيرهم من غير المسلمين»، فأصبح عدد الشراكسة المهاجرين والمهجرين إلى أرجاء الدولة العثمانية أكثر من عدد الذين استطاعوا الصمود في ديارهم التاريخية في القوقاز، «وانخفض عدد المسلمين في شمال القوقاز من ٣.٢ مليون عام ١٨٦٠ إلى ١.٦٦ مليون عام ١٨٩٧ وذلك بموجب الاحصاءات الروسية». (٣٨)

الحكم القيصري

عندما استسلم الإمام الشيخ شامل للقوات الروسية بقيادة المارشال بارياتنسكي نائب القيصر والحاكم العام وقائد القوات الروسية في القوقاز في قرية غونيب في داغستان بتاريخ ١٨٥٩/٨/٢٥، رفضت الكوكبة الشيشانية بقيادة النائب الشهيد بيسغر الاستسلام، بل اخترقت الحصار الروسي وعاد إلى بلدته بينه في مقاطعة اتشكيريا في شيشانيا وقاد المقاومة الشيشانية التي استمرت عامين آخرين.

وأمام هذه المقاومة المستمرة وجه المارشال بارياتنسكي الرسالة التالية التي اعتبرها معاهدة وتعهد شرف بشروط مشرفة لم يعرضها على غير الشيشان من الشعوب القوقازية جاء فيها(٣٩):-

«إلى الشعب الشيشاني:

«أعلن باسم صاحب الجلالة قيصر روسيا ما يلي:-

١- تقرر الحكومة الروسية السماح لكم بممارسة معتقداتكم وشعائركم الدينية الموروثة عن اجدادكم بكل حرية.

٢- تقرر الحكومة الروسية اعفائكم من جميع الضرائب لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من تاريخ توقيع هذا التعهد. وبعد انتهاء الفترة المذكورة ستتم جباية ثلاث روبلات فقط عن كل مسكن كمصاريف ادارة ورعاية. وسيتم تشكيل لجان محلية لهذه الغاية.

٣- لن يجري الزامكم بالخدمة العسكرية ولاصهركم مع شعب القوزاق.

٤- سيتم تعيين الحكام الاداريين من الأشخاص الذين ينتمون لعاداتكم وشريعتكم.

٥- إن حق الملكية حق مقدس. وسوف يتم تثبيت ملكيتكم على أراضيكم وابنيتكم بالطرق المساحية الفنية وتسجيلها حسب الأصول. وفي حالة تمردكم وخيانتكم لجلالة القيصر فيستم مصادرة هذه الملكيات.

٦- يمنع منعاً باتاً الأخذ بالعادات السيئة التي تؤثر على استقرار ورفاهية السكان مثل عادة الأخذ بالثأر. وسوف تتم محاكمة من يقوم بها حسب القوانين الروسية ويتم ايقاع العقوبة بموجبها.»

إلا أن الممارسة الفعلية للسلطات الروسية كانت نقيض هذا التعهد الصادر باسم القيصر:-

١- كان هناك بطش و تعسف تجاه المسلمين، ومحاولات إجلائهم عن مواطنهم الأصلية الخصبة إلى مناطق سهوب غير جيدة، كما وضعت خطط لمحاولة تسفيرهم بالترغيب أو الترهيب .

٢- لم يجر تأجيل جباية الضرائب، بل كان هم اللجان المشكلة زيادتها والتشدد في تحصيلها.

٣- تم تشكيل وحدات عسكرية من الشعوب القوقازية، زجت بها في الحروب الروسية حتى خارج حدود الامبرطورية مثل اخماد ثورات التحرير في بولندا، وفرقة

الفرسان القوقازية (الفرقة الشرسة) التي سأتطرق إليها فيما بعد مثال على ذلك.

٤- لم يتم تعيين الحكام الاداريين من الاشخاص الذين ينتمون إلى عادات وشريعة المسلمين، بل انيطت الادارة بحكام عسكريين كان أكثرهم يتصف بالحقد والتعصب ضد الشعوب القوقازية المسلمة، ومحاولة اجلائهم عن مواطنهم الاصلية إلى مناطق نائية أو تهجيرهم خارج حدود الامبراطورية. ومن أمثال هؤلاء الجنرال لويس ماليكوف الارمني الذي خطط لهجرة حوالي ثلاثة آلاف أسرة من الشيشان والانجوش والاوسيت عام ١٨٦٥ إلى الاناضول. وأما بالنسبة للمحاكم فلم يتم انتخاب القضاة من قبل الاهلين، بل أن محاكمة المتهمين الروس والقوزاق وغيرهم من الجاليات المسيحية كانت تجري أمام المحاكم المدنية في حين أن المسلمين المتهمين بمخالفات مماثلة كانوا يحالون إلى محاكم عسكرية محلية التي كثيراً ما كانت تصدر أحكاماً بالاعدام.(٤٠)

٥- أما بالنسبة لحق الملكية فقد أعلنت كافة الأراضي الجبلية والغابات ومواقع المصحات والمياه المعدنية ملكاً للدولة، وصودرت من أهالي البلاد المسلمين الأراضي الخصبة وتركت لهم بعض الاراضي الخالية من الاشجار، بحيث أن معدل الاراضي المتبقية للمسلمين من الشيشان والانجوش والبلقر والكاراتشاي والاوسيت كانت بمعدل ١/٢ ١ - ٢ ديساتين (الديساتين يعادل حوالي ١٣٠٠٠م٢) لعائلة مكونة من ٧-٨ أشخاص. أما في داغستان فكانت الحصص من الاراضي الصالحة للزراعة أصغر بكثير.(٤٠) وقد ورد في التقرير(٣٩) الذي قدمه الجنرال موسى كوندوخ بتاريخ ١٩٦٣/٨/٢٥ إلى رئيس الاركان الجنرال بيتروفيتش كارتسيف بأن ما يسمح للمواطنين المسلمين من سكان السهول بالاحتفاظ لا يزيد عن خمسة ديساتين من أراضيهم للاسرة الواحدة، في حين أن الاراضي المصادرة منهم وزعت على المستوطنين القوزاق بمعدل ٣٠ ديساتين للاسرة. وكانت مساحات كبيرة من الاراضي تفوض لكبار الضباط ورجال الدولة، فمثلاً الجنرال موسى كندوخ نفسه كان يمتلك (٣٨٠٠) ديساتين من الاراضي الخصبة في السفوح الجنوبية لجبال قبرطاي وعرض عليه نائب القيصر الغراندوق ميشيل اختيار (٦٠٠٠) ديساتين من الأراضي الخصبة في منطقة بياتيغورسك بالاضافة إلى مكافآت مالية مجزية إذا قام بالاشراف على هجرة الشيشان. ومنح نائب القيصر الجنرال باسكيفتش اريفانسكي نديمة الامير بيكوفيتش شركاسكي (مسيحي ارثوذكسي اصله من عشيرة القبرطاي) كامل أراضي كبارديا الصغرى والبالغة

مساحتها ١٠٠ إلف ديساتين (١٣٠٠٠٠٠ دونم) مرفقة بمخطط رسمي وسند تسجيل(٣٩).

٦- وبالنسبة للعادات السيئة مثل الاخذ بالثأر فإن الأمير بارياتنسكي نفسه ذكر في تقرير رفعه إلى القيصر الكسندر الثاني(٣٩)

«إن الاسلام دين يصهر جميع السكان والقبائل بدون تمييز في بوتقة واحدة، ولذلك فإنه يرى اتخاذ تدابير عاجلة لوقف المد الاسلامي المتمثل في الطريقة النقشبندية التي تشكل قوة روحية كبيرة تلغي الامتيازات والطبقات بين الناس وتحولهم إلى كتلة قوية وصلبة لا تعترف بالعلمانية وتعارض حكم الكفار. ولذلك فإنه ينبغي احياء الزعامات القومية وتطبيق الاحكام حسب العادات والأعراف المحلية مما يسهل لنا السيطرة وزيادة نفوذنا وفصل الدين عن الأعمال الحياتية».

بسبب هذه المظالم والتعسف والاستبداد ونهب الثروات كانت الشعوب الاسلامية في القوقاز بشكل عام (والشيشان بشكل خاص) تتحين الفرص للانتفاضة ومحاولة التحرير بالرغم من علمهم بقوة وجبروت عدوهم المستعمر وافتقارهم إلى أية مساعدة مادية أو معنوية من الخارج.

ففي عام ١٨٦٠ ذهب العقيد البيبك(٤١) مع قوة من الجيش إلى بلدة بينه عشيرة البينوي (جمع بينو أي أهالي بلدة بينه) وطلب المساعدة في القاء القبض على بويسغر بينو المتمرد نائب الشيخ شامل.

فأجابوه، إننا لا نطارد بويسغر... فإذا كنت تريده فابحث عنه بنفسك. وهنا هددهم العقيد بترحيلهم إلى السهول إذا لم يتعاونوا معه. وعندها بدأت ثورة امتدت إلى مناطق عديدة في بلاد الشيشان. فكما قال الشيخ شامل لابنه غازي محمد(٤١).

«إن البينوي اشداء لهم طباع جنونية، تبدأ الثورات وحركات النضال من عندهم ولا تلبث أن تنتشر كالنار في الهشيم في معظم أنحاء شيشانيا وداغستان».

ولا يزال يطلق على البينوي في القوقاز اسم (العودل بينوي أي البينوي المجانين) لانهم كانوا دائماً في مقدمة الثائرين والمعارك بدون أخذ العواقب بعين الاعتبار.

واستمرت الثورة المذكورة عام ١٨٦٠-١٨٦١ وتوقفت بعد أن تم القبض على بويسغر مصاباً بجراح بليغة في احدى المغر القريبة من بلدة بينه. وبالرغم من جراحه قامت السلطات الروسية باعدامه في الميدان الذي تقوم عليه الآن كنيسة مدينة خساف يورت.

كان بويسغر اسطورة العزة والاباء. فقد احدى عينيه واحدى ساعديه واحدى ساقيه في المعارك التي خاضها. ومع ذلك كان يصر على أن يربطوه على ظهر جواده ليشترك في المعارك التي يحضرها. وقد حاول أن يثني الشيخ شامل عن الذهاب إلى مخيم المارشال الأمير بارياتنسكي نائب القيصر للاستسلام. وعندما فشلت محاولته هذه قام مع كوكبة من الفرسان الشيشان بشق الحصار والانسحاب إلى بلدته بينه. وتخليداً لذكراه تقرر في المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي عقد في تشرين الثاني ١٩٩٠ تغيير اسم قرية يرمولوف (اشهر قائد روسي في القوقاز) إلى قرية بويسغر اشجع المقاتلين الشيشان.

وفي عام ١٨٦٧ قامت بين الشيشان ثورة كونته حجي كشي (حاج كونته) فتم اعتقاله ونفيه إلى سيبريا. وقتله الروس في السجن عام ١٨٦٧. وكونتا حجي هو أول مرشد للطريقة الصوفية القادرية في القوقاز. وكان يعيش في قرية ايلسخن يورت في محافظة ويدنه. وكان في مطلع عام ١٨٥٠ قد أدى فريضة الحج وأثناء عودته للقوقاز مكث فترة في بغداد حيث أخذ الطريقة القادرية عن شيوخها.

إن الطريقة القادرية في القوقاز لم تضعف بنفي ومقتل مرشدها، بل أنها انتشرت بين الانغوش والشيشان بسرعة، ولا تزال للآن مع الطريقة النقشبندمة ذو أثر كبير في حياتهم. وتفرعت إلى أربع ورود هي(٤٢):-

١- الورد النظامي الذي يحمل اسم طريقة كونتة حجي المنتشرة بين الشيشان والانغوش والداغستان.

٢- طريقة بطل حجي بلهورييف، وبدأت بين الانغوش وثم انتشرت بين الشيشان والداغستان. وتطبق هذه الطريقة مثل الجهاد العليا بكل حزم.

٣- طريقة بامات حجي ميتاييف، وبدأت أيضاً بين الانغوش ثم انتشرت بين الشيشان.

٤- طريقة تشيم ميرزا ميرتوب، ظهرت في منطقة شيلة في شيشانيا. وهي أقل انتشاراً من الطرق الأخرى. ويصاحب ذكرهم قرع الطبول.

وعندما اندلعت الحرب في عام ١٨٧٧ بين روسيا وتركيا قامت في شيشانيا وداغستان ثورة كبرى بقيادة عليك حجي الزنداقي استمرت عامين والحقت بالروس خسائر فادحة. وكان يقود هذه الثورة مريدو الطريقتين النقشبندية والقادرية. وعندما انتهت الحرب بهزيمة تركيا قامت روسيا بحشد قوات كبيرة وجرى قمع الثورة بوحشية

وكما جاء في كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي(٣٢)

«قاست كلتاهما -أي شيشانيا وداغستان- من القمع الشديد الذي كان من نتيجته نفي الآلاف من المريدين وشنق المشايخ الذين لم يقتلوا في المعركة. ومن غريب المفارقة أن كارثة عام ١٨٧٨ الشبيهة بمجزرة الشيشان في عام ١٩٤٣-١٩٤٤ لم تؤد إلى انحسار الصوفية القوقازية، انما كانت نقطة انطلاق لتجددها. فقد كتب المؤرخ الشيشاني المعاصر أ.أ. سلاموف عام ١٩٦٤ بأنه بين أعوام ١٨٧٧ وثورة ١٩١٧ كان معظم الشيشان والانغوش البالغين ينتمون إلى احدى الطريقتين النقشبندية أو القادرية».

وعلى أثر نشوب الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥ قامت في شيشانيا ثورة أخرى استمرت أكثر من عام، حاول الشيشان خلالها استرداد الأراضي التي كانت قد صودرت منهم، إلا أنها قمعت بوحشية شديدة وتمخض عن ذلك مزيد من الاعدامات ونفي آلاف الأسر إلى سيبريا(١٦).

وفي أوائل القرن العشرين برز على ساحة القوقاز شخصان، لاحقتهما السلطات الروسية على اعتبار أنهما خارجين على القانون واتهمتهما بأعمال السلب والنهب. أن الاتهام الموجه إليهما كان صحيحاً الا أن أياً من الشخصين لم يهدف أن يحتفظ بالغنائم لنفسه أو لعائلته بل كانا يصرفانها على غايات يعملان على تحقيقها.

الأول هو الجورجي جوزيف ستالين الذي ولد بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢١ في بلدة غوري الصغيرة قرب تفليس ومات في موسكو بتاريخ ١٩٥٣/٣/٥ ودخل في التاريخ كاحد المؤسسين للحزب الشيوعي والسلطة الشيوعية. وبعد موت لينين أصبح الحاكم المطلق في الاتحاد السوفيتي، فمارس البطش والارهاب والنفي والقتل الجماعي. وتقدر مصادر سوفيتية بأن عدد الذين هلكوا في الاتحاد السوفيتي بناء على أوامره قبل بدء الحرب العالمية الثانية يزيد عن ٢٧ مليون شخص، كما وأن نسبة كبيرة من العشرين مليوناً الذين تدعي السلطات السوفيتية بأنهم ماتوا خلال فترة الحرب المذكورة قتلوا بناء على تعليمات ستالين وليس نتيجة العمليات الحربية. وهكذا أصبح ستالين رمزاً لمساوئ العقيدة الشيوعية وممارستها في الحكم، فكفرت بهذا الحكم الطاغي الشعوب التي وقعت تحت يده وحاولت التخلص منه ومن آثاره. وكان الشيشان والانجوش والبلقر والكراتشاي والتتر والمسخيتين وغيرهم من الشعوب الاسلامية من ضحايا هذا الطاغية حيث نفاهم جماعياً من ديارهم القومية التاريخية إلى مجاهل سيبريا وآسيا الوسطى فهلك نسبة كبيرة تزيد عن ٤٠٪ من أعدادهم نتيجة ذلك. أما نشاطه على ساحة

القوقاز خلال العقدين الاول والثاني من هذا القرن فكانت على شكل التخطيط والمشاركة أحياناً في عمليات السرقة أو النهب لأموال مؤسسات الحكومة والكنيسة وما شابهها، وكان يحول المبالغ والغنائم لتمويل نشاطات الحزب الشيوعي والتآمر على الحكم القيصري.

والثاني والذي كان في تلك الفترة أكثر شهرة من الأول في جميع أنحاء القوقاز بما فيها جورجيا نفسها فهو الابرك زيلمخان (سليم خان) من بلدة خارتشو يورت الشيشانية. واسم الابرك عند الشيشان، يطلق على الخارج على القانون الروسي، يسلب من الأغنياء ليعطي الفقراء، ويحمي الضعيف ضد القوي (مثل روبن هود في القرن الرابع عشر في بريطانيا). وإذا كان روبن هود على الأغلب بطل قصص غير حقيقية فإن زيلمخان والابركش (جمع ابرك باللغة الشيشانية) الآخرين في شيشانيا كانوا أشخاصاً حقيقيين يمثلون الانتفاضة والمقاومة ضد السلطات الروسية. وعندما جرى النفي الجماعي للشيشان عام ١٩٤٤ تمكن بضع مئات من الشيشان الالتجاء إلى الغابات والجبال وتحولوا إلي ابركش ازعجت السلطات السوفيتية لعدة سنوات وألحقت بها خسائر كبيرة. إنهم كانوا يمثلون الثورة المستمرة ضد السلطات الروسية.

وزيلمخان هو(٥) «أعظم وأشهر ابرك في الجبال ومصدر رعب للسلطات الروسية. إن أعماله بديعة وعظيمة. لم يكن هناك مصرف في القوقاز إلا وسلبه، ولا مليونيراً إلا وخفف من ثروته، ولا ضابط روسي إلا وكان يرتجف هلعاً عند ذكر اسمه. كان يقتل ويسلب ويوزع غنائمه علي الفقراء. وكان مهذباً في سلوكه فمثلاً كان ينحني احتراماً للأمراء ورجال الدين الذين يقابلهم ويبعث رسائل تتصف بروح الدعابة إلى الجنرالات الذين يعجزون عن القبض عليه.»

وفي كتابه «من القيصر إلى تشيكا»(٤٣) يصف المؤلف سيرة زيلمخان: «كانت الأعوام تتابع واسم زيلمخان على جميع الألسن. لم يكن جشع مرابي يمر بدون انتقام. ولم تكن ارسالية بريد تنجو من السلب إلا إذا حمتها كتيبة كاملة من الجيش. وأي بقال انتها زي جشع لم يشعر بالامان في سريره. وكذلك الاديرة المكدسة بالحبوب والنبيذ وصناديق الذهب والمجوهرات التي كان الكهنة الفاسدون يجمعونها من المواطنين بالغش والخداع لم تكن في مأمن من غاراته. ولم يجرأ جنرال استعراض وحدات قواته الا تحت حراسة شديدة. وكان القضاة المرتشون أو الذين يحكمون بالظلم يرتعشون خوفاً وهم على منصات القضاء.

«كانت الصياح تتعالى في جورجيا... بأن زيلمخان هنا، وتقرع الاجراس وينفخ في الابواق، محذرة بوجود زيلمخان في الجوار. وفي كل ليلة تسمع أصوات الانفجارات وتضيء تفجيرات الذخائر الحربية الليالي المظلمة. وحتى الذئاب في غابات داغستان كانت تعوي، والرعاة في جبال اوسيتيا ينفخون في ابواقهم بأن زيلمخان الابرك الخارج على القانون بالجوار.»

بينما كان نائب القيصر (الحاكم العام) الأمير اناتول اورلوف يعقد اجتماعاً في تفليس مع الجنرال هوركو قائد الجيش وقادة آخرين ويتباحث في طريقة للقبض على زيلمخان، دخل مرافق يحمل رسالة موجهه للحاكم العام.

قرأوها فكانت:—

«إلى الحاكم العام الامبراطوري اناتول مكسمليا نوفتس اورلوف.

يا صاحب الفخامة. إنكم وبناء على أوامر رجل يدعو نفسه حاكم جميع روسيا، والذي قام اسلافه باحتلال القوقاز بالخديعة، أصدرتم التعليمات بمصادرة أملاك العائلات العريقة ونبلاء هذا البلاد، واقترفتم بذلك ما يخل بمبادئ العدالة والشرف وأصول التعامل. لقد أرسلتم شرطتكم إلي أيضاً... فطردتهم بعد أن أجفلتهم رعباً. إنني الآن في جبالي وأرسل إليكم هذه الرسالة مع رسول أمين لتكونوا على اطلاع بموقفي. إنني زيلمخان أعلن الحرب على حكومتكم كما فعل الامام شامل والحاج مراد من قبل. لعل امكانياتي لا توازي امكانيات أسلافي الذين غلبتوهم قبل ستين عاماً، إلا أنها كافية لتجعل حياتك جحيماً لعدة سنوات قادمة. ومهما كانت النتيجة، وحتى ولو تم سوقي في نهاية الأمر إلى المقصلة إلا أنني أقسم بأنه مقابل أي قتيل من شعبي سأقتل عشرة من رجالك، ومقابل كل روبل تبتزونه من مواطني سآخذ مائة من مؤسساتك، ومقابل كل بيت تحرقونه لعشيرتي سأحرق عشرة من المستوطنين الذين جلبتهم، ومقابل بكاء كل أرملة في شعبي ستبكي عشرة أرامل من قومك.

هذه الرسالة موجهة اليك من الأبرك (الخارج على القانون) الذي أعلنتم مكافأة عشرة آلاف روبل مقابل رأسه.

التوقيع:

الأبرك زيلمخان».

تحمس الشاب الجورجي المغرور الكولونيل الأمير اندرونيكوف وتطوع على أن يكون على رأس كتيبة الطليعة التي ستخرج للقبض عليه. وعند خروجه من المعسكر

اعترضت طريقه على قارعة الطريق امرأة عجوز وقالت «لتحميك العذراء أيها الأمير» فأجابها ارجعي إلي بيتك أيتها العجوز وأخبريهم في جورجيا بأنني قادر على حماية نفسي.... وعلى كل أشكرك لدعائك» وقذف إليها بروبل فضي باستخفاف وتكبر. وبعد فترة ناوله مرافقة ورقة قال أنها تميمة من العجوز لحماية الأمير، وعندما فتحها الأمير قرأ:

«أيها الأمير ارجع أنت ورجالك إلى بلدتك التي أتيت منها. لأنك إذا تابعت سيرك ستقتل قبل بزوغ القمر فوق جبل كازبك. إن خصومتي ليست مع القوقازيين بل مع الروس المغتصبين... التوقيع الابرك زيلمخان»

أمر الأمير سرية من جنوده أن يجلبوا له العجوز إلا أنها كانت قد اختفت. وسمعت السرية من بين الاشجار قهقهة ساخرة.

وفي اليوم التالي تلقى الجنرال هوركو تقريراً من الكابتن يوسوغلوف بأن كتيبة الطليعة تعرضت لكمين وقتل ستة عشر وجرح اثنان وأربعون من رجالها. وكان أول القتلى الكولونيل الأمير اندرونيكوف الذي أصابته رصاصة في قلبه منقوش عليها باللغة العربية اسم زيلمخان.

آراد الجنرال هوزكو مع مرافقه اندريه ايفانوفتش أن يلحقا الكتيبة التي تعرضت للهجوم بدون تأخير... وأثناء مسيرتهم بدأت السماء ترعد وتبرق، وانهمرت الأمطار بكثافة، فارتأيا أن يلجآ إلى برج مهجور غير بعيد خاصة وأن الظلام كان قد خيم. وعندما دخلا البرج شاهدا في احدى أركان البرج نور جمرات مشتعلة.

قال الجنرال وهو يسحب مسدسه «يظهر أننا لسنا وحدنا هنا»

فجاءه الجواب من غياهب الظلام «نعم يا صاحب السعادة... اعد مسدسك إلى غمده وأنتم أيها الرجال اشعلوا النار فقد أرسل الله الينا ضيوفاً وعلينا اكرامهم. مرحباً بك وبصحبك يا صاحب السعادة فأنت ضيفي في عش العصاة، وستكون آمناً أينما وحيثما يقودك الله تحت سقف بيتي. شاركني هذا المساء الزاد البسيط المتوفر لدى وعندما تتوقف العاصفة يرعاك الله في رحلتك ولن يمسك أحد بسوء. لنكن الليلة أصدقاء... وغداً إذا شئت سنعود إلى خصومتنا».

إلا أن زيلمخان لم يكن مثل هذا الاحترام لجنرال قوزاقي آخر أرسلته روسيا على رأس جيش كامل في محاولة للقبض عليه. فقام هذا بتدمير واحراق قرى كاملة وقتل الابرياء. فاستغرب زيلمخان من هذا التصرف الذي كان يتعارض مع طبيعته... كيف

يقدم انسان على هدم بيت بناه صاحبه ليأوي إليه؟.

وامتلا غيظاً وكتب إلى الجنرال يقول:—(٥)

«هل تعرف أيها الجنرال لماذا لا تستطيع أن تقبض علي؟ ذلك لأنك رجل شرير. لا شك أن والدك كان مرتشياً، وأنت في صغرك كنت وسيلة متعة لكاهن يعاني من الكبت، وابنتك مومس تضاجع الفرنسيين. فكيف تتوقع أن يعينك الله علي؟

«إنني الابرك زيلمخان، لم الحق بالمدنيين خلال السنوات العشر الماضية جزءاً صغيراً من الدمار الذي الحقته بالابرياء في هذه الجبال. لماذا تقتل الابرياء؟ تعال واقتلني أنا. إنني اقترح عليك أن تكف شرك عن قومي وأنا لن أمس جنودك. وبدلاً من مثل هذا التدمير بدون مبرر أو هدف أو تمييز دعنا نحدد موعداً ومكاناً لنتبارز حتى يقتل أحدنا».

وفي المبارزة جرح الجنرال إلا أن زيلمخان لم يقتله وفي اعتقاده أنه سيكف عن شروره. إلا أنه كان مخطئاً فما كاد الجنرال يشفى من جروحه حتى عاد إلى سيرته الاولى إلى أن قتله زيلمخان بنفسه في احدى المعارك.

وكان هناك جنرال روسي آخر يكن زيلمخان له الاحتقار وهو كورنيلوف مدير البوليس في تفليس. كان الحاكم العام الأمير أورلوف وإلى جانبه زوجته الأميرة هيلين في طريقهما إلى قاعة الاحتفالات في مقر الحاكم لاحياء حفلة راقصة يحضرة الغراندوق ميخائيل (شقيق القيصر) الذي كان في زيارة لتفليس، والقادة والضباط وأمراء جورجيا واعيانها، عندما سلمه مرافقه رسالة فتحها وإذا بها مذكرة من زيلمخان يخبره بأنه سيشاركهم في احتفالات ذلك المساء.، استشاط الأمير غضباً واستدعى الجنرال هوركو والجنرال كورنيلوف. فقال الجنرال كورنيلوف بأنه اتخذ جميع الاجراءات الأمنية لمنع أية محاولات اغتيال. فعلق الجنرال هوركو بأن الاغتيال ليس اسلوب زيلمخان الشهم.

جرى الاحتفال من دون أن يحدث هناك ما يعكر من ابهتها. إلا أن الامير استلم في اليوم الثاني طرداً يحوي صندوق مجوهرات يخص الأميرة هيلين ورسالة هذا نصها:—(٤٣)

«يا صاحب السعادة... إنني بالرغم من جميع الاحتياطات التي اتخذتها، والجواسيس والعملاء الذين جندتهم، حضرت أمس كما وعدت إلى الحفلة الراقصة الكبرى. إنني لم أرقص لأن الرقصات الروسية لا تعجبني، ولم أشرب الخمرة لأنني مسلم تقي، ولكنني شاهدت كل شيء أردته. وكاثبات لحضوري أعيد إليكم صندوق

مجوهرات الأميرة هيلين التي تشرفت وتمتعت بمبادلة الحديث معها. أرجو أن تبلغها تحيات واعجاب الكابتن كاراميشوف.

التوقيع

الابرك زيلمخان».

ما أن قرأ الجنرال كورنيلوف هذه المذكرة حتى أصيب بنوبة قلبية وتوفي على الفور، إلا أن الأمير أورلوف والاميرة هيلين والجنرال هوركو تذكروا أنه كان في الاحتفال ضابط رشيق بلباس كابتن في وحدات حرس الحدود. ومع أنه لم يكن معروفاً من الحضور إلا أنه كان لا يتردد عن الاختلاط ومبادلة الحديث وتقديم نفسه باسم الكابتن كاراميشوف، وقد أعجبت الأميرة هيلين بلباقته ودماثته.

لم تكن الاميرة هيلين وحدها المعجبة بزيلمخان، بل كان هذا الاعجاب عاماً. ففي جميع أنحاء القوقاز كانت الفتيات في أفراحهن والامهات أثناء هزهن لسرير أطفالهم يتغنين بمغامرات الابرك زيلمخان. كان اسم زيلمخان على كل لسان(٤٣) في جورجيا ومنغريليا، وفي شيشانيا وانغوشيا، وفي كاخيتيا وداغستان وفي أوسيتيا وقبرطايا. الامراء في قلاعهم والنبلاء على ممتلكاتهم والفلاحون في حقولهم كانوا يتداولون سيرته بكل تقدير واحترام. وفي تفليس عندما كان الاسكافي المسيحي يدق المسمار في الحذاء أو ربة البيت المسيحية تنفض الغبار عن بساط بيتها يرددون «حماك الله ورعتك العذراء يا زيلمخان، أيها الرجل الشجاع»، بينما المسلم الورع كان يتمم وهو يمشي «الله أكبر... حفظك الله ورعاك أيها البطل. ولتكن جهنم مصير الطغاة والشريرين من مسؤولي السلطات الروسية انشاء الله».

لم يسجل أبداً على زيلمخان أو أعوانه أنهم سلبوا حلية النساء أو اعتدوا على شرفهن. فعندما كان يضع كميناً للقوافل كان يؤمن نقل النساء تحت حماية أعوانه إلى أقرب بلدة أو معسكر روسي.

كانت تمارا تعد العشاء لأبيها وشقيقها وزوجها من نبلاء أبخازيا عندما قدم جورجي شاب يصيح «أسرعوا إلي خيولكم...إن زيلمخان في هذا الجوار». فقال الولد «إن زيلمخان الذي زيدت المكافئة على رأسه إلى ثلاثين ألف روبل سبق أن قتل ابن شقيقي...هيا بنا لنأخذ ثأره».

ومع أن شقيق تمارا كان معارضاً خرج ثلاثتهم لملاحقة زيلمخان، بينما تمارا التي

كانت تعرف بأنهم لن يعودوا في تلك الليلة، وكانت تشارك شقيقها في معارضة ملاحقة زيلمخان، جلست أمام النافذة وهي تستعرض في خيالها الأساطير الشيقة عن هذا الفارس النبيل. طرق الباب رجل تبللت ملابسه وتبدو عليه علامات الإرهاق يطلب الإستضافة في تلك الليلة. وكعادة القوقازيين رحبت به ودعته للدخول. وطلبت منه أن يناولها معطفه المبلل، ولاحظت عليه ثقباً رتقته وعلقت المعطف بشكل يسهل تجفيفه. ثم قدمت له من الطعام الذي كانت أعدته، ولاحظت أنه بالرغم من علامات الإنهاك والجوع البادية عليه لم يكن نهماً في أكله. وبعد أن شبع واستراح طلب منها أن تسمح له بالتدخين.

رأى الضيف عوداً معلقاً على جدار الغرفة، فاستأذن ربة البيت أن يعزف، ولما سمحت ضبط أوتار العود وعزف وهو يغني أغنية حزينة يشكو هموم المشردين المطاردين الذين لا مستقر لهم.

سالت الدموع من عيني تمارا عندما حزرت شخصيته، ونظرت إلى ضيفها نصف وجلة ونصف معجبة وهمست :

«ياإلهي... إنه زيلمخان»

تحرك قلب زيلمخان الذي كان قد حرم من عطف المرأة منذ فترة طويلة، فامسك يدها برفق. همست تمارا «أيها البطل زيلمخان... إنني زوجة رجل آخر وام ولده». وهنا أفلت زيلمخان يدها، ووضع يده على صدره وانحنى لها بتواضع وقال: «اغفري لي لحظة الضعف التي بدرت مني... رعاك الله ايتها الاخت القوقازية»، ثم تناول معطفه وسلاحه وغادر بعد أن شكرها على كرمها وحفاوتها ودعا لبيتها الخير والوئام.

هذه نماذج من سلوك زيلمخان، فقد كان هو وتيمي بيبولت ومدي جامرزة وغيرهم من المناضلين القوقازيين ومجموعات الابرك في شيشانيا تتمثل فيهم صفات وتقاليد وشهامة طبقة الفرسان (Knights)(٥)، وكانت عملياتهم تمثل ثورة مستمرة ضد السلطة الروسية في القوقاز. وقد استشهد زيلمخان في شهر نيسان ١٩١٣ في معركة كان فيها منفرداً ضد سرية من القوات الروسية وميليشيا القوزاق التي حاصرته في بيت كان التجأ إليه بعد أن انهكه المرض أثر جراحات بليغة.

فترة الحرب الأهلية والثورة الشيوعية (١٩١٧- ١٩٢٢)

هكذا كانت الأوضاع عندما نشبت الحرب العالمية الأولى واشتركت روسيا إلى جانب الحلفاء. استطاعت الجيوش الروسية في بادئ الأمر أن تتقدم في أوروبا حتى وصلت النمسا. إلا أن الضعف في بيئة وتركيبة الامبراطورية الروسية، والفساد المستشري في البلاط الامبراطوري ومؤسسات الدولة والطبقات الارستقراطية والمترفة، والمظالم التي كان يعاني منها الفلاحون والطبقات العاملة ما لبثت أن أثرت على الأوضاع في جبهات القتال وفي مختلف أنحاء الامبراطورية بشكل عام. ففي جبهات القتال لحقت بالقوات الروسية هزائم متوالية أدت إلى انهيار المعنويات والانضباط العسكري وكثرت حركات التمرد والفرار من جبهات القتال. وفي روسيا نفسها فقد بلغ الاستياء أوجه بسبب الجوع والحرب الطويلة التي صار أبناء الفلاحين والطبقات الكادحة وقودها. اندلعت الثورة في شباط ١٩١٧، وطالب الشعب البرلمان (الدوما) بالاستيلاء على السلطة. وفي ١٩١٧/٣/١٢ تم تشكيل سلطة محلية انتخب تسيخدزي رئيسا لها وكيرنسكي نائباً للرئيس.

وفي ١٩١٧/٣/١٥ تنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش لصالح شقيقة الغرندوق ميخائيل الذي تنازل بدوره عن حقه في صعود العرش بناء على نصيحة أغلبية مجلس الدوما. وتشكلت حكومة مؤقتة برئاسة الأمير جورجي لوفوف وكان فيها بولمكوف رئيس حزب الأحرار وزيراً للخارجية والكسندر كيرنسكي الذي كان من مؤسسي الحزب الاشتراكي الديموقراطي ثم انضم إلى حزب العمال وزيراً للعدلية.

وكان كيرنسكي الذي اشتهر في السابق بالدفاع عن قضايا المسبحونين ظلماً وعدواناً يتمتع بشعبية واسعة بين الجماهير، وكان صاحب النفوذ الأكبر في الحكومة المؤقتة. وفي تعديل للوزارة في شهر مايس تولى كيرنسكي وزارتي الحربية والبحرية. وفي ٢١ تموز استقال لوفوف من رئاسة الوزراء وحل محله كيرنسكي الذي عين الجنرال كورنلوف وزيراً للحربية. ومالبث أن دب النزاع بين كورنلوف الذي كان يرى طريق الخلاص لروسيا بالابقاء على الجبهة البورجوازية الديموقراطية بينما أراد كيرنسكي أن يبقى على نفوذ الجبهة الاشتراكية جنباً إلى جنب مع الجبهة البورجوازية. وكانت نتيجة الصراع بينهما اعتقال كورنلوف واعلن كيرنسكي نفسه رئيساً فخرياً للجيش. وفي ١٩١٧/٩/١٤ أعلن تأسيس الجمهورية في روسيا وأصبح كيرنسكي رئيسا لها.

وبعد ثورة اكتوبر فر من روسيا واستقر اخيراً في الولايات المتحدة ومات فيها.

كان الشعب الروسي يأمل من الحكومة المحلية والجمهورية التي خلفتها ومن كيرنسكي بالذات أنهاء الحرب، كما كانت الشعوب الاخرى في الامبراطورية الروسية تتطلع إلى المساواة والحكم الذاتي، إلا أن هذه الآمال والطموحات لم تتحقق. استطاع كيرنسكي عندما كان وزيراً للحربية أن يقنع القوات الروسية المتواجدة في الجبهة الجنوبية على شن هجوم على قوات المحور بدأ بتاريخ ١٩١٧/٧/١. وقد فشل هذا الهجوم واندحرت القوات الروسية وتراجعت أمام الهجوم الالماني المعاكس إلى داخل الاراضي الروسية بعد أن تخلت عن جميع معداتها وفقدت كل ضبط وربط، ما عدا فرقة الفرسان القوقازية (الفرقة الشرسة) التي تراجعت بانتظام مع جميع معداتها وحافظت علي الضبط والربط وكانت تحمي أهالي القرى التي يمرون منها أثناء تراجعهم من النهب والسلب والاعتداء من قبل القوات الروسية المنهارة.(٤٤)

وخاب أمل الشعوب غير الروسية في أن يقف كيرنسكي الذي كان يمثل التيار الاشتراكي الديموقراطي إلى جانب الحقوق المشروعة والمساواة والحكم الذاتي لهذه الشعوب. فالحكومة المؤقتة والجمهورية التي أعلنها كيرنسكي وكذلك الجنرال دينيكين قائد قوات الروس البيضاء نادوا بإعادة بناء «وحدة لا تنفصم لجميع أنحاء الامبراطورية الروسية القيصرية». كما وإن مشروع «الاستقلال الداخلي لمسلمي روسيا ضمن كيان روسيا الفيدرالية» الذي قدمه محمد رسول زاده ووافق عليه بأغلبية ساحقة مؤتمر مسلمي روسيا الذي عقد في موسكو فيما بين ١-١١ مايس ١٩١٧ لم يلق قبولاً من قبل السلطات والمؤسسات والأحزاب والمنظمات التي يشكل الروس الأغلبية فيها، ما عدا البلشفيك حيث صرح لينين وآخرون من قادة الحزب البلشفيكي بحق شعوب الامبراطورية الروسية بحكم أنفسهم بل والانفصال إذا رغبت في ذلك.

وعندما انفجرت الثورة الديموقراطية في روسيا في شباط ١٩١٧، راود القوقازيين الأمل في التحرير. وتألفت بتاريخ ١٩١٧/٣/٨ في مدينة ولادي قفقاسيا حكومة مؤقتة لاتحاد شعوب شمال القوقاز (الشيشان والانجوش والدغستان والاوسيت والشراكسة والكاراتشاي والبلقر). وفي الفترة الواقعة فيما بين ١-٧ مايس ١٩١٧ عقدت الحكومة المذكورة أول مؤتمر عام لشعوب شمال القوقاز حضره مندوبون عنها جميعا واتخذت قرارات عديدة أهمها المطالبة مما يلي:(٢٠)

١- إعادة تنظيم الامبراطورية الروسية على شكل فيدرالي، تنضم إليها جمهورية

شمال القوقاز كدولة ذات سيادة ولها برلمانها الخاص.

٢- إعادة الأراضي التي سبق للحكومة الروسية أن صادرتها لملكية الحكومة الوطنية.

٣- المساواة والعدالة في تفويض الاراضي لمختلف المواطنين.

٤- إن تكون حقوق استثمار الثروات المعدنية والمياه والبحار والغابات لمؤسسات الحكومة الوطنية.

كما قرر المؤتمر انشاء مدارس وطنية ووضعت خطة لتدريس اللغات القومية.

ومع أن هذه القرارات لم تصل إلى درجة اعلان الانفصال الكامل الا أنها عبرت عن رغبة هذه الشعوب في حكم أنفسهم، وحيث أن سيطرة الحكومة المؤقتة في بيتر سبورغ كانت لا تزال قوية فإن هذه المطالب كانت أقصى ما يمكن توقعها في تلك الفترة.

وعقد مؤتمر ثاني في تموز ١٩١٧. وفي ١٩١٧/٩/١٤ عقد في مدينة ولادي ققفاسيا مؤتمر ثالث خصص لبحث موضوع اعلان جمهورية ديموقراطية مستلقة في شمال القوقاز ومعالجة الفوضى وفقدان الأمن والنظام في المنطقة تسبب عن تصرفات الفارين من الوحدات العسكرية المنهارة والاصطدامات بين الوحدات القوزاقية والروسية واستغلال الشيوعيين لهذا الفوضى. وقرر المؤتمر تفويض اللجنة المركزية للحكومة المؤقتة باتخاذ الترتيبات اللازمة لتشكيل ميليشات تابعة لقيادة السلطات الوطنية المحلية لحماية الاهلين واعلان الاستقلال في الوقت المناسب خاصة وان الفوضى كان قد عم في روسيا نفسها.

ولمساعدة الحكومة المؤقتة في شمال القوقاز على ضبط الأمن في المنطقة أصدرت اللجنة المركزية بتاريخ ١٩١٧/٦/٣٠ القرار التالي:-(٢١)

«حيث أنه استقر في منطقتنا عشرات الالوف من الجنود المسلحين الهاربين من الجبهة الامامية بحالة فوضى وعدم انضباطية ويعانون من الجوع، وحيث أن المليشيا الوطنية وكذلك احتياطي لواء الاوسيت البالغ عدهم مائتي جندي فقط غير كافيين لحفظ النظام خارج مدينة ولادي ققفاسيا، فإن اللجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز قررت الاتصال مع وزارة الحربية والقيادة العامة لاعادة فرقة الفرسان القوقازية لوطنها. وتعارض اللجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز أن تكون الفرقة المذكورة سلاحاً بيد أية جماعة أو أفراد في روسيا وتعارض اشتراكها في قتال بين هذه الاطراف».

ينهي الآمير سيرجي كورناكوف الذي كان ضابطاً في لواء القبرطاي من فرقة الفرسان القوقازية كتابه «الالوية الشرسة»(٤٤) بالفقرة التالية بعد أن كانت الفرقة قد تراجعت إلى داخل الحدود الروسية:-

«في ظهيرة يوم في أواخر آب ١٩١٧ قال الكولونيل تشافتشافادزه (قائد لواء القبرطاي)... أيها السادة أن القائد العام الجنرال كورنيلوف أمر فرقتنا أن تتقدم نحو الشمال. أن وجهتنا الحقيقية هي بيترسبورغ. إن حكومة غبية (يعني حكومة كيرنسكي) قد تسببت في انهيار عسكري لروسيا، وسنقوم باجبار هذه الحكومة على أن تستمع إلى صوت العزة والغيرة الوطنية. علينا أن لا نتجاهل بأن هذا يعني حرباً أهلية. وأنني مستعد أن أعطي كل من لا يرغب الاشتراك فيه اجازة مفتوحة. لا تنسوا بأننا مقبلين على مرحلة جديدة، صراع رهيب وحرب فيه الموت وليس المجد».

وهكذا أراد الجنرال كورنيلوف أن يستغل الفرقة الوحيدة في جيش روسيا القيصرية التي احتفظت بالضبط والربط وتراجعت بكامل سلاحها وأفرادها في صراعه مع كيرنسكي والتيارات الديموقراطية. وقد أزعج هذا الأمر الشخصيات الاسلامية في بيترسبورغ. فأرسل رئيس مجلس جميع المسلمين برقية إلى اللجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز يطلب تدخلها للحيلولة دون ذلك. فأرسلت اللجنة المركزية برقية إلى ممثلها في بيترسبوغ تطلب منه أن يقابل الفرقة قبل تقدمها إلى المدينة ويبلغها قرار اللجنة بعودتها إلى أوطانها وعدم التدخل في القتال بين الفئات الروسية المتنازعة.

لم تتقدم الفرقة إلى بيترسبورغ بل عادت في أواخر أكتوبر إلي القوقاز ولكنها لم تعد كوحدة عسكرية متماسكة بل عادت كل فئة إلى قراها وبيوتها.

وكان هذا خطأً كبيراً حرم الحكومة المؤقتة والجمهورية التي أعلن عن تشكيلها في العام التالي من قوة عسكرية نظامية تساندها. فجمهورية اتحاد شعوب شمال القوقاز التي حاولت أن تمثل الشرعية في المحيط الاقليمي والعالمي ظلت مفتقرة للقوة العسكرية التي توفرت للفئات الآخرى التي نشطت على الساحة القوقازية في الحرب الاهلية التي تلت ثورة اكتوبر البلشفية.

كانت فرقة الفرسان القوقازية مشكلة من عدة الوية وطنية من شعوب شمال القوقاز نظمتها هذه الشعوب على نفقتها. وكان أول قائد لها الغراندوق ميخائيل شقيق القيصر الذي استنكف عن قبول العرش بعد تنازل القيصر نيقولا الثاني. وقد اشتهرت بالضبط والربط والشجاعة ومهارة الفرسان القوقازيين حتى أصبح الاسم الدارج لها

سواء بين القوات الروسية أو القوات الالمانية «الفرقة الشرسة».

وفي احدى المعارك في عام ١٩١٥ قامت قوات المانية وبينها فرقة شديدة البأس أطلق عليها اسم «الفرقة الالمانية الحديدية» بمحاصرة وحدات روسية من بينها اللواءان الشيشاني والانجوشي تحت قيادة الغراندوق ميخائيل. وكان وضع القوات الروسية حرجاً فاتصلت مع القوات الالمانية للتفاوض على شروط الاستسلام. فذهب كبار ضباط اللوائين الشيشاني والانجوشي إلى الغراندوق ميخائيل واخبروه بأن اللوائين يرفضان الاستسلام وسيقومان بهجوم خاطف للخروج من الحصار ويأملون أن يرافقهم الغراندوق. فوافق على ذلك وتم هجوم الفرسان باتجاه المنطقة التي كانت تتمركز فيها الفرقة الالمانية الحديدية. وكانت النتيجة ليس فك الحصار عن القوات الروسية فقط بل وتدمير الفرقة الالمانية تدميراً كاملاً.

فأرسل القيصر نيقولا البرقية التالية

«إلى الفيلد مارشال فليشر – قائد منطقة القوقاز العسكرية .

مثل الانهيارات الكبيرة في الجبال هجم اللواءان الشيشاني والانجوشي على الفرقة الالمانية الحديدية. وبعد أربع ساعات من القتال لم يعد للفرقة الالمانية وجود، عدد قتلاها أربعة آلاف والأسرى ثمانماية والباقون جرحى.

أرجو باسم القيصر والبلاط الامبراطوري أن تبلغوا تحياتنا القلبية إلى امهاتهم وآبائهم وأخوتهم وعائلاتهم. أن روسيا لن تنسى لهم ذلك.

التوقيع:

الامبراطور نيقولا الثاني»

(ويظهر أن روسيا كانت نسيت ذلك حتى قبل أن يجف حبر الرسالة – المؤلف)

بعد استيلاء البلاشفة على الحكم في اكتوبر ١٩١٧ انقطعت الصلات عملياً بين شمال القوقاز وبيترسبروغ. وتحملت اللجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز مسؤليات الحكم عن طريق مجالس شعبية تشكلت من شعوبها. إلا أنه في بداية عام ١٩١٨ بدأ البلاشفة بواسطة الحاميات الروسية المحلية باحتلال المدن التي كان أغلبية السكان فيها من الروس والقوزاق، في حين أن البقاع الجبلية التي يكثر فيها القوقازيون الأصليون ظلت تحت سيطرة المجالس الشعبية المحلية التابعة للجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز والتي كان مقرها في مدينة تامرخان شورى في داغستان التي كان قد تم طرد الروس البيض والبولشفيك منها. وعقدت اللجنة المركزية موتمراً في هذه المدينة في

نيسان ١٩١٨ وجرى تأكيد الصلاحيات التي كانت قد انيطت باللجنة المركزية في المؤتمرات السابقة.

وفي هذه الأثناء سعت تركيا لتطبيق شروط معهدة (برست—ليتوفسك) فيما تتعلق بالمناطق التي تحتلها روسيا في القوقاز. وعقد في مدينة طرابزون في تركيا اجتماع بين مندوبين عن الحكومة التركية ومندوبين عن اللجنة المركزية لاتحاد شعوب شمال القوقاز ومندوبين عن الاحزاب السياسية في اذربيجان وجورجيا وأرمينيا في جنوب القوقاز. وادرك المجتمعون بأنه لو كان ممثلو الشعوب القوقازية ممثلين لدول مستقلة ذات سيادة لأصبح من السهل على تركيا تبني قضيتهم. وبناء على ما توصل إليه في هذا الاجتماع تم اعلان تشكيل واستقلال جمهورية اتحاد شمال القوقاز بتاريخ ١٩١٨/٥/١١ وجمهورية جورجيا بتاريخ ١٩١٨/٥/٢٦ وجمهوريتي اذربيجان وأرمينيا بتاريخ ١٩١٨/٥/٢٨. فبادرت تركيا بالاعتراف باستقلال دول القوقاز كلها اعترافاً رسمياً وتبعتها الدول المتحالفة معها. واختير الكولونيل عبد المجيد تشريموف الشيشاني والذي ترأس وفد اتحاد شعوب شمال القوقاز في اجتماع طرابزون رئيساً للجمهورية، والبروفسور وسنكيري جباغي (انجوش) وزيراً للمالية، والبروفسور حيدر بامات (داغستاني) وزيراً للخارجية، وكوتشوك بشماف (شركسي) وعلى قانتمير (اوسيتي) وغيرهم وزراء.

تم اعلان جمهوريات القوقاز في ظروف صعبة جداً. فمع أن الحكومة السوفيتية كانت قد أصدرت بعد اسبوع من تسلمها الحكم «اعلان حقوق شعوب روسيا» الذي جاء فيه:—(٢٥)

«إذا جرى الاحتفاظ بأية أمة بالقوة كجزء من دولة ما، وإذا حرمت قسراً وضد رغبتها المعلنة سواء في الصحف أو المجالس الشعبية أو قرارات الاحزاب السياسية أو عن طريق الثورات والانتفاضات ضد الظلم، وإذا حرمت من الاختيار الحر للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعاً من الضم القسري وقهراً واغتصاباً».

ووجهت الحكومة السوفيتية بتاريخ ١٩١٧/١٢/٧ نداءها المشهور الموقع من لينين وستالين وموجه إلى الشعوف المسلمة تحت الحكم الروسي وجاء فيه:—

«أيها المسلمون في روسيا، يا تتار الفولغا والقرم، أيها القرغيز وسارت سيبريا وتركستان، ويا أتراك وتتار ما وراء القوقاز، أيها الشيشان وجبلي القوقاز، ويا جميع من

دمرت مساجدهم ومزاراتهم، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها. من الآن فصاعداً نعلن بأن عقائدكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصانة من الانتهاك. ابنوا حياتكم القومية بحرية ودون عائق. إن ذلك من حقكم. اعلموا أن حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا ستحميها قوة الثورة ومجالس نواب العمال والجنود والفلاحين».

وأبلغ تشيتشرين وزير خارجية الحكومة السوفيتية حيدر بامات وزير خارجية جمهورية القوقاز الشمالية باعتراف الحكومة السوفيتية باستقلال الجمهورية وصرح:-(٢٦)

«اننا نعلن أمام العالم كله بأن الجمهورية السوفيتية الاشتراكية لم تنو مطلقاً احتلال اراضي أجنبية واقامة حكم سوفيتي عليها. إن روسيا تعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فإذا كنتم أيها المسلمين القوقازيين راضين عن شكل ووضع جمهوريتكم فعيشوا بسلام وعمروا بلدكم».

إلا أن الحكومة السوفيتية احتجت على اعتراف تركيا ودول المحور بجمهوريات القوقاز وصرح ستالين:-(٢٧)

«وهكذا... هذا هو أصل الحكومات الباطنية الصوفية في جنوب روسيا، إنهم مجموعة من المغامرين يعلنون أنفسهم حكومة تتمتع بكافة الصلاحيات».

وأرسلت الحكومة السوفيتية في أواخر نيسان ١٩١٧ قوة عن طريق استراخان عبر بحر قزوين، وقام مشاة الاسطول تؤيدهم السفن الحربية باحتلال مفاجئ لبلدة بتروفسك (شامل غاله) فاضطرت اللجنة المركزية ومجلس الشعب لاتحاد القوقاز الشمالية إلى الانتقال إلى بلدة غونيب الجبلية التي أعلن استقلال الجمهورية فيها. ووقعت الجمهورية في شهر أيلول ١٩١٨ معاهدة صداقة وتعاون مع الحكومة التركية التي أرسلت إلى شمال القوقاز تنفيذاً لتلك المعاهدة الفرقة التركية الخامسة عشر بقيادة الجنرال الشركسي الاصل يوسف عزت باشا (مؤلف كتاب «تاريخ القوقاز»(٤٥) المطبوع باستانبول عام ١٩١٢، وكان رئيس أركان الفرقة اسماعيل برقوق الشركسي الأصل (الجنرال اسماعيل برقوق مؤلف كتاب «القوقاز»(٤٦). وصلت هذه القوة إلى شمال القوقاز في تشرين الأول ١٩١٨، وساعدت في تطهير واسترداد كل من باكو ودربند وبتروفسك من السيطرة البلشفية. إلا أن هذه الفرقة اضطرت بعد شهرين إلى العودة إلى تركيا بموجب بنود هدنة مونرو بعد احتلال القوات الحليفة لاستانبول.

وبعد ذلك بفترة وصلت إلى باكو القوات العسكرية للحلفاء بقيادة الجنرال البريطاني تومبسون الذي اعترف ببيانه بحقيقة وجود جمهوريتي اذربيجان وشمال القوقاز شريطة اقرار ذلك في مؤتمر باريس للصلح بين الدول التي اشتركت في الحرب العالمية. وبناء على ذلك استقال عبد المجيد تشريموف من منصب رئاسة الجمهورية ليرأس وفد الجمهورية المشكل برئاسته وعضوية كل من وزير الخارجية حيدر بامات الذي كان موجوداً في أوروبا وكذلك السيد ابراهيم حيدر. وتولى نائب الرئيس وزير الداخلية كوتشوك بشماف منصب رئاسة الجمهورية.

لجأت القوات البريطانية إلى مساندة قوات الروس البيض الخاضعة لقيادة الجنرال دينيكن وتزويدها بالأسلحة لمحاربة القوات البلشفية. وبدلاً من أن تساند القوات الوطنية طلبت من حكومة القوقاز الشمالية أن تحل نفسها. فاضطر كوتشوك بشماف إلى تقديم استقالته بتاريخ ١٩١٩/٦/١٢ وكلف الجنرال ميخائيل خليل بتشكيل الحكومة على اعتبار أن هذا الجنرال القوقازي الروسي انسب من يمكنه التفاهم مع الجيش الروسي الزاحف. إلا أن المساعي التي بذلتها الحكومة الجديدة لم تعط النتائج المرغوبة أيضاً، وجرى تعليق نشاط حكومة وبرلمان جمهورية القوقاز الشمالية، ولجأ بعض أفرادها إلى جورجيا لمواصلة نشاطهم باسم «مجلس القوقاز الشمالية». وهكذا فإن عدم عودة فرقة الفرسان القوقازية «الفرقة الشرسة» إلى القوقاز كوحدة قتالية نظامية، بل عودة أفرادها إلى مناطقهم كمدنيين حرم الجمهورية من قوة عسكرية نظامية يعتد بها.

كانت حكومة اتحاد القوقاز الشمالية التي شكلها المثقفون والبيروقراطيون والتكنوقراطيون (الذين تصفهم السلطات الشيوعية بالطبقة البورجوازية القوقازية) تمثل الواجهة الشرعية للتحدث باسم شمال القوقاز أمام المحافل الدولية، إلا أنها لم تكن المؤسسة الوحيدة التي نشطت في ساحة شمال القوقاز خلال فترة الحرب الأهلية في الامبراطورية الروسية. بل برزت مؤسسات وجماعات أخرى تنازعت وتقاتلت في سبيل السيطرة على هذه المنطقة ومن أهمها:-

١- قوات الجنرال دينيكين البيضاء وكانت تساندها أغلبية القوزاق والتي نادت إلى عودة الحكم القيصري على جميع أنحاء الامبراطورية الروسية الموحدة.

٢- قوات الحكومة البلشفية وقد ساندتها أغلبية الجاليات الروسية والاوكرانية التي كانت تشكل طبقة العمال في صناعة استخراج وتصفية وتسويق النفط في باكو وغروزني وباطوم، وكذلك في بعض المدن والتجمعات الصناعية الأخرى في المنطقة.

وقد ساندت قطاعات من الشيشان وخاصة بعض الشباب الذين خدعتهم وعود وبيانات السلطات البلشفية بالمساواة وحرية تقرير المصير لشعوب الامبراطورية الروسية. ومن أبرز الشيشان الذين ساندوا القوات البلشفية ونسقوا العمليات الحربية مع أوردجونيكيدزي اسلام بك شريفو، والدرخانوف وغيكالو، وزازيكوف وأرستخانوف واخرييف وغيرهم. وقد ساهمت الوحدات الشيشانية الموالية للقوات البلشفية تحت قيادة اسلام بك شريفو في القتال ضد القوات البيضاء المتواجدة في غروزني في شهر تشرين الثاني ١٩١٨ وكذلك تحت قيادة غيكالو في آذار ١٩٢٠.

٣- طبقة رجال الدين ومريدي الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية الصوفيتين التي كانت تهدف إلى تشكيل دولة اسلامية في القوقاز. وكان يقودها شيخا الطريقة النقشبندية نجم الدين غوتسينسكي الذي نودى به أماماً في داغستان واوزن حجة (الحاج اوزن) في شيشانيا الذي أطلق عليه لقب «أمير المسلمين في شمال القوقاز». وكان هناك تنسيق وتعاون في أول الأمر بين الشيخين الذين كانا يعارضان أي تواجد روسي في شمال القوقاز. إلا أن العلاقات بينهما فترت فيما بعد عندما مال نجم الدين إلى جانب الجنرالات البيض فقال عنه اوزن حجى قبيل وفاته «لقد أردت أن أصنع منه أماماً ولكنه صار ايفاناً»

كما اتصل باوزن حجة عبد المجيد تشيرموف وأعوانه، وكذلك شريفو وغيكالكو زعيما الفئات الشيشانية التي كانت تساند القوات البلشفية من أجل تشكيل جبهة ضد قوات الجنرال دينيكين. وانتهت حركة اوزون حجة بوفاته في مايس ١٩٢٠. أما حركة نجم الدين فقد استمرت في داغستان حتى أيلول ١٩٢٥ عندما أسرته السلطات السوفيتية وأعدمته مع رفيقه سيد أمين.

ويعتبر قبر الشيخين المجاهدين مزاراً للمسلمين في شمال القوقاز.

وكان أوزون حجة شيخاً يقارب ١٠٠ عام من عمره عندما بدأ ثورته. ومع ذلك استطاع أن يؤسس حكومة (امارة) لها مؤسسات ودوائر ونقد خاص بها، واستطاع على رأس جيش صغير مكون من حوالي عشر آلاف من مريدي الطريقة النقشبندية أن يقهر حملة الجنرال دينيكين في خريف وصيف ١٩١٩.(٤٧)

ووصفه الزعيم الشيوعي الدغستاني نجم الدين سامورسكي (الذي تولى رئاسة جمهورية داغستان السوفيتية إلا أن السلطات السوفيتية أعدمته فيما بعد بتهمة ميوله الوطنية)

«كان اوزن حجة المتعمق في اللغة العربية، متطرفاً في قناعته بوحدة الأقطار الاسلامية وتطبيق أحكام الشريعة. لم يتقبل أبداً السيطرة القيصرية وحارب طيلة حياته لتحرير القوقاز من النير الروسي. وقد رأى في ثورة أكتوبر امكانية لتحرير الجبلين القوقازيين. كان جميع الروس بنظره أعداء إلا أن الروس البيض كانوا أكثر عداوة من البلشفيك. كان رجلاً قصير القامة إلا أنه تميز بأقصى حدود الشجاعة وقوة الشخصية والارادة. وبهذه الصفات المميزة استطاع أن يسيطر ويبسط حكمه في شيشانيا وأواريا.

«وبعلمه وذكائه وبمفهومة للديموقراطية (ديموقراطية الشريعة الاسلامية) كان اوزون حجة يتطلع إلى هدف صعب شبه مستحيل وهو أن يعيد العجلة إلى الوراء ويؤسس في القرن العشرين دولة تحكم حسب سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.»

إلا أن بسالة القوقازيين ونضالهم من أجل التحرير والاستقلال، وبعد أن كبدوا الروس حمراً وبيضاً، وتكبدوا بدورهم خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات، انتهت الحرب الأهلية بانتصار الحكومة البلشفية وسيطرتها على جميع أنحاء الامبراطورية الروسية القيصرية. وكانت القوات البلشفية قد سيطرت على غروزني بتاريخ ١٧/٣/١٩٢٠.

ومن الجدير بالذكر بأن تركيا كانت قد جندت متطوعين من الجاليات القوقازية في الدولة العثمانية للجهاد ضد القوات الروسية خلال الحرب العالمية الأولى. وقد تطوع أكثر من مائة من شيشان الأردن واشتركوا في معارك ضد القوات الروسية في شرق الاناضول، كما رافق السيدان سلطان مراد وزكريا من أهالي السخنة سعيد كامل حفيد الامام شامل الذي سمحت السلطات التركية له وللجنرال سلطان قيليج كيراي الشركسي الوصول إلى شمال القوقاز. ويظهر أن تواجدهم لم يكن ذا أثر على سير القتال والاحداث وعادوا إلى تركيا عبر أراضي جورجيا المحتلة عندما وطد الشيوعيون سلطتهم في جنوب القوقاز.

الحكم الشيوعي

بعد سيطرة القوات البلشفية على شمال القوقاز، أعطت الحكومة السوفيتية في بادئ الأمر بعض التنازلات لأهل البلاد بما فيها منح شمال القوقاز الحكم الذاتي. إلا أنها

ما لبثت أن جزأت المنطقة واتبعتها لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية كما ورد في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وكانت الحكومة السوفيتية وعدت بمنح حقوق معقولة لشعوب شمال القوقاز، وتحدث ستالين في المؤتمر غير العادي لممثلي شمال القوقاز الذي عقد في مدينة ولادي قفقاسيا في ١٩٢٠/١١/١٧ وقال باسم الحكومة السوفيتية:-

«يتحقق معنى الاستقلال القومي بتكفل القوقازين الشماليين بالشؤون الادارية في بلادهم. وهناك ضرورة لجلب رجالكم إلى جميع الساحات الادارية، فلفظ الاستقلال الذي نحن في صدد البحث فيه، يجب أن يفهم بمعنى توظيف رجالكم الذين يعرفون لغتكم وأساليب حياتكم في جميع مكاتب الجهاز الاداري. والاستقلال المحلي يجب أن يعلمكم كيف يكون العمل الحر... وهذا هو المقصود من الحكم الذاتي».

إلا أنه استطرد بعد ذلك موضحاً بعض النقاط الهامة بشأن الحكم الذاتي وقال:-

«لن يحصل الناس على ثمار الحكم الذاتي فور اعلانه. كما أنه ليس من الممكن خلق عناصر ادارية ذات خبرة من المحليين في يوم وليلة. وإنما يمكن ذلك بعد سنتين أو ثلاثة من جهودكم المركزة في ادارة شؤون البلاد. وعندئذ سيصبح منكم معلمون واقتصاديون وزراعيون وقانونيون وعسكريون ورجال الحزب وعمال سوفيت. وبعد ذلك سترون أنكم قادرون على حكم بلادكم».

إلا أنه وبعد مرور سبعين عاماً على أقوال ستالين هذه بقي شمال القوقاز محكوماً من موسكو بواسطة عناصر من غير أهل البلاد. وجعلت الحكومة السوفيتية من أقاليم شمال القوقاز حقل تجارب لسياستها المتعلقة بالقوميات... سياسة فرق تسد، وسياسة الترويس (الروسنة) الثقافي، وتجزئة البلاد، ومحاربة الاسلام والتقاليد والعادات الوطنية، وتم اغلاق المساجد ومدارس الشريعة واللغة العربية، ومصادرة الأوقاف الاسلامية، وفرض المزارع الجماعية (الكولخوز) والمزارع الحكومية (السولخوز)، والتمييز العنصري وخاصة ضد الشعوب الاسلامية. وخلال تطبيق هذه السياسة قتل عشرات الالوف من المثقفين المتهمين بميول وطنية قومية ورجال الدين والملاكين الذين أطلق عليهم الشيوعيون اسم (الكولاك).

كانت التفرقة الدينية والعنصرية ضد غير الروس من شعوب الامبراطورية الروسية قد خفت إلى حد كبير في الأعوام الأولى من استيلاء الشيوعيين على السلطة.

ففي نظر الشيوعيين الذين اعتمدوا مبدأ الالحاد، كانت الديانة المسيحية

الارثوذكسية ومثلها الديانات السماوية الأخرى «أفيون يخدر الشعوب ويعيق تطورها وتقدمها»، فاختفى بذلك التعصب لها علي حساب الديانات الأخرى. كما كان للعناصر العرقية غير السلافية تواجد ونفوذ كبير بين الشيوعيين الذين استولوا على السلطة. والحقيقة أن هذا التواجد والنفوذ تمثلت في الأقلية اليهودية التي لم تكن تتجاوز المليونين في الامبراطورية الروسية. إذ استطاعت هذه الأقلية من اليوم الأول لاستيلاء الشيوعيين على الحكم أن تسيطر على معظم النشاطات السياسية والاقتصادية والاعلامية بل وحتى العسكرية. فكارل ماركس نبي المركسية كان يهودياً، ولينين مؤسس الدولة الشيوعية كان نصف يهودي، ووحش النظام الشيوعي ستالين الجورجي الأصل كان متزوجاً من يهودية. وفي الرحلة التي نظمتها الحكومة الألمانية القيصرية أثناء الحرب العالمية الأولى لنقل لينين ورفاقه إلى روسيا لاشعال الثورة فيها كان ١٧٠ من مجموع ٢٢٤ من رفاقه يهوداً. وعندما أعلنت الثورة الشيوعية كان وراءها قولا وعملاً عتاة اليهود أمثال تروتسكي، وزفرديلوف، وكامينيف، وسكولنكوف، واورنسكي، ولتفينوف، وزينوفيف، ورادك. وكاجانوفتش وغيرهم. وأول مكتب سياسي كان برئاسة لينين وعضوية الجورجي ستالين وأربعة من اليهود وروسي واحد فقط. وكان مجلس ادارة الحزب برئاسة اليهوري تروتسكي وعضوية لينين وخمسة من اليهود وسبعة من غير اليهود أثنان منهما متزوجان من يهوديات. وبعد سنة من استيلاء الشيوعيين على الحكم كان ١٧ من مجموع ٢٢ وزيراً من اليهود. وكان أثرياء يهود أميركا مثل جاكوب شيف، وفيلكس واربورغ، واوتوكوهين، وجيروم، وماركس بريتنغ وغيرهم يمولون نشاطات الشيوعية الدولية. وكان للتمويل اليهودي الأميركي والاوروبي الفضل في تمكن الشيوعيين من الاستيلاء على الحكم والثبات فيه(٣٧). وبسبب نفوذ العناصر غير السلافية في الكوادر المتنفذة لجأت السلطات الشيوعية في بداية عهدها إلى :—

١) سبغ مسحة قومية (شكلاً) على الادارات الاقليمية للشعوب المختلفة، وذلك باطلاق أسماء هذه الشعوب على الجمهوريات القومية المتحدة والجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي، والادعاء بأن الاتحاد السوفيتي هو دولة اتحادية واحدة متعددة القوميات، قامت نتيجة لتقرير الأمم بحرية للاتحاد الطوعي، ولها حق الانفصال أن رغبت.

٢) تطوير اللغات البدائية لبعض الشعوب لتصبح لغات أدبية مكتوبة.

٣) اتباع سياسة اللين مع المسلمين بالنسبة لممارسة الشعائر الدينية استمرت حتى عام ١٩٢٧.

٤) نهضة صناعية وثقافية في مختلف أنحاء الاتحاد السوفيتي.

إلا أن فترة مراضاة المسلمين لم تطل، وانفصم التحالف بين عناصر الشيوعيين المسلمين مع الشيوعيين الاممين الذي كان له أثر كبير في انتصار الشيوعيين خلال الحرب الأهلية. فالشيوعيون المسلمون كانوا يهدفون إلى:-(٣٢)

١) حماية أراضي المسلمين الزراعية من الاستعمار الريفي الروسي، وكانت كازاخستان وبشكيريا وبعض مناطق شمال القوقاز تعاني من هذا الاستعمار أكثر من غيرها.

٢) حماية مراكز النخبة من المسلمين الذين هم ليسوا من أصل بروليتاري والذين يحميهم الشيوعيون المسلمون ليمنعوا حصر الوظائف بالروس وحدهم. وقد جرت هذه القضية وراءها قضية أكبر منها وأخطر، إلا وهي قضية الكفاح الطبقي في المجتمع الاسلامي الذي كان الشيوعون المسلمون يحرصون على تجنبه.

٣) حماية الثقافة القومية من التأثير الخارجي حتى ولو كانت هذه الثقافة اقطاعية أو دينية في شكلها وجوهرها.

٤) العزم على الابقاء على الوحدة الروحية والسياسية بين مختلف الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفيتي.

أما الشيوعيون الأمميون فكانوا يهدفون من الحلف إلى:-

١) استمالة الشعوب الروسية إلى جانبهم في صراعهم مع الروس البيض والقوات المعادية الاخرى خلال الحرب الاهلية.

٢) إن تخدمهم سياسة مراضاة المسلمين والادعاء بمناصرة الاسلام والمسلمين في استمالة مسلمي الشرق لثورتهم وعقيدتهم.

وبعد أن تحقق لهم الهدف الأول وتمكنوا من توطيد سلطتهم، وخاب أملهم في تحقيق الهدف الثاني، كشف الشيوعيون القناع عن سياستهم الاستعمارية التي كانت تهدف إلى:-

١) التمسك بالاحتلال والسيطرة على جميع الشعوب والاقاليم التي كانت خاضعة للامبراطورية القيصرية بل والتوسع في جميع الاتجاهات.

٢) فرض نوع واحد من الاشتراكية على جميع الشعوب، وهي الاشتراكية الروسية.

٣) إن تكون الدولة الاتحادية ذات مركزية ضيقه يسيطر عليها الكرملين.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف قاموا بتصفية الانتلجنيسيا (الطبقة المثقفة) القديمة التي كانت أثناء الحرب الأهلية والصراع على السلطة انضمت إلى جانب الشيوعيين. كما اتبع الشيوعيون سياسة (فرق تسد).

ففي جنوب القوقاز جري حل جمهوزية اتحاد جنوب القوقاز وشكلت بدلاً منها جمهوريات منفصلة هي جمهوريات أذربيجان وجورجيا وأرمينيا الاتحادية الاشتراكية.

وفي شمال القوقاز جرى حل جمهورية اتحاد شمال القوقاز وشكلت بدلاً منها بتاريخ ١٩٢١/١/٢٠ جمهورية داغستان ذات الحكم الذاتي وجمهورية شمال القوقاز الجبلية ذات الحكم الذاتي. ثم عادت السلطات الشيوعية وجزأت جمهورية شمال القوقاز الجبلية، وأجريت تغييرات عديدة متتابعة على هذه التجزئة استقرت أخيراً على ثلاث جمهوريات ذات حكم ذاتي هي الشيشان/انجوش، والقبرطاي/بلقر، واوسيتيا الشمالية ومقاطعتين ذات حكم ذاتي هما مقاطعة الاديغة التي الحقت باقليم كراسنودار ومقاطعة الكاراتشاي/شركس التي الحقت باقليم ستافروبول.

وروعي في تقسيمات جمهورية القبرطاي/بلقر ومقاطعتي الكراتشاي/شركس واديغة تشتيت شعب من خلفية عرقية واحدة ومزج شعوب من خلفيات عرقية مختلفة. فالمنطق العملي كان جمع قبائل القبرطاي والشركس والاديغة وهم جميعاً من شعب الاديغة (سكان القوقاز الاصليين) وتجمعهم لغة واحدة في تقسيم اداري واحد، وجمع البلقر والكاراتشاي وهم من العرق التركي ولغتهم شبيهة باللغة التركية في تقسيم اداري ثاني. إلا أن سياسة (فرق تسد) وامكانية أحداث خلافات ونزاعات في المناطق الادارية بما يساعد على دوام السيطرة المركزية من موسكو أخذت بعين الاعتبار في هذه التقسيمات.

وجرى فصل اوسيتيا الجنوبية عن اوسيتيا الشمالية بضمها إلى جورجيا كمقاطعة ذات حكم ذاتي. وقسمت منطقة الاباظة إلي قسمين، قسم شمالي صغير باسم الاباظة ضمن منطقة الكاراتشاي/شركس ذات الحكم الذاتي وقسم جنوبي أكبر باسم جمهورية ابخازيا ذات الحكم الذاتي ضمن جمهورية جورجيا الاتحادية.

وهكذا تمت تجزئة وتوزيع الشعوب الاسلامية في شمال القوقاز على عديد من التقسيمات الادارية. فمثلاً الشراكسة (الاديغة) وزعوا على أربع جمهوريات ومقاطعات ذات حكم ذاتي لتصبح وحدات مجزأة صغيرة ويصبحوا أقلية سكانية في بعضها.

وتدخل جميع الجمهوريات والمقاطعات الإسلامية في القوقاز (وفي كامل الاتحاد السوفيتي) ضمن الصنف الذي سماه البروفسور عبد الرحمن افترخانوف «الجمهوريات والمقاطعات المحكومة» وعلى الشكل والصلاحيات التي ورد ذكرها في الفصل السابق. وظل التناقض بين الواقع المركزي وبين الحكم المحلي النظري قائماً بالشكل الذي عبر عنه الزعيم الشيوعي الجورجي ماخاراج في المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الذي عقد عام ١٩٢٣:-

«ثمة حديث عن الجمهوريات المستقلة والمتمتعة بالحكم الذاتي. وهنا لابد من ابداء أقصى درجات الحذر لتفادي أي نوع من المبالغة. أيها الرفاق... أي نوع من الحكم الذاتي وأي نوع من الاستقلال الذي نسمع عنه؟ لدينا على أي حال حزب واحد وهيئة مركزية وحادة، وهما يقرران في نهاية الأمر كل شيء يتعلق بالجمهوريات بما فيها الجمهوريات الصغيرة الحجم. ويشمل ذلك جميع التوجيهات العامة بما في ذلك تعيين القادة المسؤولين فيها... كل ذلك ينبثق عن هيئة مركزية واحدة. والحديث عن الحكم الذاتي والاستقلال في هذه الظروف لا يتعدى شعارات لا نتصور امكانية تحقيقها».

فمثلاً بالنسبة لجمهورية الشيشان/انجوش ظلت مناصب السكرتير الاول للحزب الشيوعي (صاحب النفوذ الأعلي) ومدير المخابرات ووزير الداخلية والمدعي العام وغيرها من المناصب الحساسة محصورة بالروس من خارج الجمهورية حتى عام ١٩٨٩ عندما انتخب السيد دوكة زوفجايوف الشيشاني سكرتيراً أول للحزب في الجمهورية في حركة شبهت بانقلاب كبير. كما تم تعيين شيشاني آخر وزيراً للداخلية لأول مرة بعد القرارات التي صدرت عن المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي أعلن استقلال وسيادة الجمهورية في شهر نوفمبر ١٩٩٠. وكانت توضع العراقيل أمام الضباط الشيشان لمنعهم من الوصول إلي مراتب عالية (رتبة جنرال) في القوات المسلحة أو الامن العام.

وحتى مخطط السلطات السوفيتية لتطوير لغات الشعوب لتصبح لغات أدبية مكتوبة لم يخل من هدف التجزئة والتباعد بين الشعوب غير السلافية، وربطها باللغة والثقافة السلافية.

كانت اللغة العربية قبل العهد الشيوعي دارجة حديثاً وكتابة ومستعملة في المعاملات والتعامل بين الناس في داغستان، بل كانت لغة التفاهم المشتركة بين شعوبها. كما كانت اللغة العربية مستعملة على مجال أضيق في شيشانيا وبين بعض قبائل شركسيا. وكانت في الامبراطورية الروسية عام ١٩١٧ أكثر من ١٥٠٠٠ مدرسة

ثانوية وابتدائية وكتاتيب تعلم اللغة العربية والشريعة الاسلامية. وقد أغلقت جميع هذه المدارس عامي ١٩٢٩-١٩٣٠ وظلت مغلقة إلى أن بوشر بفتح بعضها بدءاً بمدرسة ميري عرب التي فتحت عام ١٩٤٥ في بخاري ومدرسة اسماعيل البخاري التي فتحت عام ١٩٧١ في طشقند.

إن شعوب آسيا الوسطى، وتتار الاورال وشبه جزيرة القرم، والازريين في اذربيجان، والمسخيتيين في جورجيا، والقوموق والبلقر والكارتشاي في شمال القوقاز وغيرهم تنحدر لغاتهم من أصل طوراني واحد. وكان المثقفون من هذه الشعوب يدعون إلى تطوير لغة تركية واحدة مشتركة معتمدة ومفهومة لديهم جميعاً. إلا أن السلطات الشيوعية التي تقاوم أي تقارب أو تنسيق بين الشعوب الاسلامية قاومت هذه الحركة وقامت بتصفية الطبقة المثقفة بتهمة أنهم «قوميون تحريفيون» وعملت على احياء لهجات محلية لا تصلح لأن تكون لغة تفاهم مشترك بين هذه الشعوب.

ولغة الويناخ «الشيشان-انجوش» التي هي لغة واحدة مع اختلاف بسيط في اللهجة ولفظ بعض المفردات، جزأوها رسميا إلى لغتين أدبيتين منفصلتين رسمياً باسم الشيشانية والانجوشية.

وبالنسبة للسياسة الاقتصادية السوفيتية يقول عبد الرحمن افترخانوف:-(٢٨)

«أهملت قرارات الخطة الخمسية الأولى التي أصدرها المؤتمر الخامس عشر للحزب المنعقد في عام ١٩٢٧ الرغبة الملحة لاتمام البناء الاقتصادي الكامل لكل جمهورية على حدة وأصدر المؤتمر بدلاً من ذلك أوامره بتركيز المجهودات على تطوير الصناعة في الجمهورية الروسية الاشتراكية بوجه خاص. لم يكن الغرض الرئيسيْ من استثمار الأموال في نوع من الصناعة في احدى الجمهوريات هو الفائدة العائدة علي تلك الجمهورية بالذات، إنما كان الهدف يكمن في مقدار الفائدة العائدة على الدولة كلها. وقد تلا هذا -في السنوات الأخيرة من العقد الثاني والسنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن- تغيير كبير في سياسة التطوير الثقافي للجمهوريات غير الروسية في الاتحاد السوفيتي، وكانت موسكو تأمل من ورائه:

أولاً- بناء فرع من فروع الصناعة في كل جمهورية على حدة وبالتالي أبقاءها معتمدة اعتماداً كلياً على المخطط الصناعي لمجموع الاتحاد السوفيتي.

وثانيا- خلط مختلف القوميات بمجموعات غريبة عليها عن طريق اعادة اسكان الطبقة العاملة بشكل منظم وعلى نطاق أوسع.

ويقول أحد رجال الاقتصاد السوفيت بهذا المجال: «إن خلق وحدات صناعية متكاملة في أية جمهورية صغيرة على حدة سيكون غير ذي نفع خاصة وأن هذه الجمهوريات تنمو وتتطور كجزء اقتصادي من الدولة كلها».

ويستطرد افترخانوف بأن احدى الصحف السوفيتية نشرت شرحاً للطريقة التي تنوي موسكو اتباعها لتنمية الصناعة في الجمهوريات غير الروسية فقالت بأنها مبنية:-

«على أساس علمي اشتراكي لتقسيم فروع العمل مع استبعاد أي ميل نحو الاكتفاء الذاتي أو عدم التعاون في بناء اقتصاديات الجمهوريات الشقيقة.»

ويستطرد افترخانوف بأنه ينظر إلى محاولات قادة الجمهوريات غير الروسية لتحقيق توازن اقتصادي لبلادهم على أنها «ميول اقليمية» عبر عنها أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بقولة «إن التفكير القومي ذا الأفق الضيق -خاصة في الظروف الراهنة- يعود إلى طموح بعض القادة لتحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي، أي خلق بناء اقتصادي مستقل ومتكامل داخل حدود جمهورياتهم ومقاطعاتهم».

ويستطرد افترخانوف:-«ادعى لينين أن إحدى خصائص الاستعمار الهامة هي تصدير رأس المال إلى منابع المواد الخام في المستعمرات، وأما الصفة الرئيسية للاستعمار السوفيتي فهي تصدير رأس المال والقوة البشرية إلى الجمهوريات غير الروسية». وقد أدى ذلك إلى التذويب القومي في المدن. ونشأت هوة عميقة بين المدن التي امتلأت بالمهاجرين القادمين من مناطق أخرى من الإتحاد السوفيتي يشغلون جميع المناصب الهامة، وبين الريف الذي مازال يحتفظ بسكانه الأصلين.

وينطبق ماسبق على جمهورية الشيشان/أنجوش، التي تعتبر عاصمتها غروزني من مراكز الصناعات الثقيلة الهامة في الإتحاد السوفيتي مثل استخراج وتكرير النفط والغاز الطبيعي وصناعة الماكينات والصناعات البتروكيماوية. إلا أن معظم العاملين فيها كانوا من غير الشيشان والأنجوش الذين كانت نسبة سكان المدن منهم عام ١٩٥٩حوالي ٢٥,٢٪ فقط. كما وأن ٩٧٪ من عائدات الصناعات الثقيلة وكذلك الخراج كانت تذهب إما للاتحاد السوفيتي أو لجمهورية روسيا الإتحادية الإشتراكية.

وأصاب شعب الوينياخ (الشيشان والأنجوش) نصيب أكبر من أي شعب سوفيتي آخر من الاضطهاد والتصفيات بلغ أقصاه وأشده عام ١٩٤٤ عندما جرى نفي جماعي لهم من ديارهم التاريخية إلى مناطق نائية في كازاخستان وقيرغيزيا ولم يسمح لهم بالعودة إلى ديارهم إلا عام ١٩٥٧ .

يقول البروفسور عبد الرحمن افترخاتوف(٤٨)

«خلال عشر سنوات من حكم ستالين قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٠-١٩٤٧) تمت تصفية من الشيشان والأنجوش ما يزيد على عشرة أضعاف العدد الذي قامت روسيا القيصرية بتصفيتهم.خلال ٢٥سنة من حروب الاحتلال الروسي للقوقاز. وقد عانت المناطق الجبلية من بلادهم أكثر من غيرها من هذه المجازر الوحشية. فبعد كل انتفاضة يخطط لها عملاء التشيكا (CHEKA) كان يتم احراق قرى بكاملها ونفي أهلها إلى سيبيريا.ففي فترة الارهاب والتصفية الكبرى التي سميت :

(Grand Ezhov - Beria Purge) بالنسبة لرئيسي جهاز التشيكا المرعب اعتقل أكثر من ٣٠٠٠٠ من الشيشان والأنجوش. وتمت تصفية قادة الفكر منهم الذين كانوا قد ساعدوا في تثبيت الحكم السوفيتي وتطبيق خطة الجماعية الزراعية وخطط التنمية الخماسية، وتم محو كامل للأدب الشيشاني والنهضة الثقافية لهم. كما تم نفي واعتقال أو تصفية كامل كوادر الحزب وقادة السوفيتات بما فيهم المتنفذين الذين لم ينكر إخلاصهم وتفانيهم في خدمة الحزب الشيوعي أمثال: حاسي وأكاييف، وعبد الحميد سلاموف، وعلي غور تشخانوف، وحامد غويفوف، وابراهيم ناسخ، وسعيد كازالتاييف، واسرافيل كوربانوف، وداهود ارسانوكاييف، وأحمد شاخفريف. كما عذب حتى الموت أثناء التحقيق رئيس الجمهورية داهود ماجوكاييف، وسكرتير اللجنة اللوائية للحزب ادريس زيازيكوف، ورئيس مؤسسة الدولة للتخطيط م.اسلاموف، والمتنفذين الحزبيين بكتميروف وعيساييف».

عند نفي الشيشان والأنجوش من ديارهم عام ١٩٤٤، جرى تقسيم جمهوريتهم وضم أجزاء منها إلى جمهورية جورجيا الاتحادية وجمهوريتي داغستان واوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي في حين أن الجزء الأكبر من أراضي الجمهورية ضمت اليها جزء من أراضي شمال جمهورية داغستان حتى شواطئ بحر قزوين وأصبحت وحدة إدارية تابعة لموسكو مباشرة تحت اسم اقليم غروزني، كما وزعت عقارات وممتلكات المهجرين على مستوطنين جدد من الروس ومن الجمهوريات المجاورة.

وعندما بدأ الشيشان والأنجوش عام ١٩٥٧ بالعودة من المنفى إلى ديارهم وقعت مشاكل بينهم وبين الذين كانوا استولوا على ممتلكاتهم. إذ عارضوا في التخلي عنها لأصحابها الشرعيين وأدى ذلك إلى اصطدامات دموية. وقد وقعت أشد الإصطدامات في غروزني في آب ١٩٥٨ عندما قامت الجاليات الروسية والقوزاق بالمطالبة بعدم إعادة

الشيشان والإنجوش إلى ديارهم، وقاموا بمظاهرات وإضرابات واعتداءات على العائدين استمرت ثلاثة أيام واسفرت عن قتل بعضهم ولم تتوقف هذه الاعتداءات إلا بعد وصول قوات عسكرية من خارج المنطقة.

وواجه العائدين مقاومة من السلطات المحلية في تشغيلهم. فمثلاً في لواء شيلة كانت في شباط ١٩٥٧ حوالي ٤٠٠ عائلة شيشانية عادت إلى بلدتهم من المنفى. ومن مجموع ٦٦٩ شخصاً منهم تقدموا بطلب العمل قبل منهم فقط (١٠) أشخاص في الكولخوز و(٢٠) شخصاً في المصانع والمكاتب.(٤٩)

ولقي الشيشان الذين كانوا قبل النفي يقيمون في المناطق الجبلية معارضة وممانعة من السلطات الحكومية في عودتهم إلى منازلهم ومزارعهم، إذ حاولت هذه السلطات توطينهم في الأواضي المنخفضة وفي منطقة السهوب الصحراوية الواقعة شمال نهر ترك. وكانت هذه الأراضي قد ضمت إلى جمهورية الشيشان/انجوش بعد اعادة تشكيلها عام ١٩٥٧ كتعويض عن أجزاء من جمهوريتهم السابقة كانت عند نفيهم ضمت إلى جمهوريتي داغستان واوسيتيا الشمالية وجمهورية جورجيا ولم تعد إلى جمهورية الشيشان/انجوش بعد اعادة تشكيلها، وأهمها لواء (الاقوي) موطن العشيرة الشيشانية المعروفة بهذا الاسم الذي بقي ضمن جمهورية داغستان، ولواء بريغورودني موطن بعض عشائر الانجوش الذي بقي ضمن جمهورية اوسيتيا الشمالية. وقد تمخض مطالبة الانجوش باعادة هذا اللواء إليهم عن خلافات واصطدامات أدت إلى قتل المئات وتشريد أكثر من (٦٠) ألف من الانجوش من قراهم وممتلكاتهم عام ١٩٩٢.

كما أن الجزء من جمهورية داغستان الذي كان قد ضم عام ١٩٤٤ إلى اقليم غروزني فاصبح الاقليم متصلاً ببحر قزوين أعيد إلى جمهورية داغستان، فوضع بذلك فاصل بين جمهورية الشيشان/انجوش التي أعيد تشكيلها وساحل بحر قزوين.

ورد في كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي):-(٣٢)

«لقد أثر نشاط الجماعات الصوفية إلى حد عميق بالمسلمين الشيشان والانجوش. هذا النشاط الذي تميز بطابعه المتصلب العنيد والمعادي للروس الاجانب. ويعترف جميع المراقبين السوفيت أن جمهورية الشيشان / انجوش هي أقوى معقل للاسلام التقليدي وأن سكانها هم أكثر المسلمين تديناً في الاتحاد السوفيتي. ولذلك حاولت السلطات السوفيتية أن تطبق تجربتها الجذرية لتدمير الاسلام فيها، واستمرت هذه السياسة حتى نفيهم عام ١٩٤٤».(٤٢)

ويقول الدكتور محمد علي الباز في كتابه (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) نقلاً عن عدد شهر ديسمبر ١٩٨٢ من مجلة (ارابيا) السوفيتية «بأن نفي الشيشان والانجوش إلى جمهوريات آسيا الوسطى أعطى نتيجة لم تكن في الحسبان. حيث أدى ذلك إلى وثبة جديدة للحركات الصوفية، ذلك لأن الصوفية كانت الرمز الوحيد للأمة في معسكرات المنفى في سيبريا والسهوب الكازاخية. وكانت الصوفية دافعاً أساسياً لحب البقاء عند جميع المنفيين ويعترف بهذه الحقيقة كل الاختصاصيين الروس».

وكما ورد في الفصل السابق، كانت السياسة السوفيتية تجاه الاديان قد تبدلت إلى اللين عند اشتراك الاتحاد السوفتي في الحرب العالمية الثانية بغاية التأثيرعلى السكان وكسب ودهم وحثهم على دعم النظام المتضعضع. فسمح بفتح بعض الكنائس والمساجد وأقلعت الحكومة عن تعذيب المؤمنين وأعلن عام ١٩٤٤ عفو ديني عام وخفت العراقيل والعقبات التي كانت تحول دون تعليم الدين. إلا أنه بعد إنتهاء الحرب وتركيز السلطات الشيوعية لدكتاتوريتها تخلت عن سياسة التساهل واللين مع الأديان، وقررت في عهد خروشيف محاربة الأديان والوقوف بشكل خاص ضد الدين الإسلامي. وكانت منظمة «الملحدين الذين لاإله لهم» ومنظمة الكومسومول وغيرها من منظمات الحزب الشيوعي تقوم بمهام تنظيم المقاومة والدعاية ضد الأديان.

واختارت السلطات السوفيتية مرة أخرى جمهورية الشيشان/أنجوش التي أعيد تشكيلها في ١٩٥٧/٩/١ كمحطة اختبار لنجاح مخططها لمكافحة الدين الإسلامي. فأغلقت فيها جميع المدارس الدينية وشنت حملة دعاية مكثفة ضد الدين الإسلامي. إلا أن هذه الحملة أيضاً أدت كالحملة التي كانت قد شنت قبل الحرب العالمية الثانية إلى نتيجة لم تكن في الحسبان، وإلى دفعة قوية للحركات الصوفية. جاء في كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي:-(٣٢)

«والجماعات الصوفية ليست مجموعات صغيرة قوامها ممن يلقنون أسرار طرقها وتتحزب لنفسها. فرغم طابعها الشبه سري، تظل مجموعات جماهيرية. مثال ذلك خلال عامي ١٩٧٨-١٩٧٩ كان ٥٠,٩٪ من المسلمين المؤمنين في جمهورية الشيشان/أنجوش مريدين ينتمون لإحدى الجماعات الصوفية (المصدر:الطابع الديني ومشكلة الإلحاد. غروزني ١٩٧٩ص٥١). وفي هذه الجمهورية التي يبلغ سكانها المسلمون أكثر من مليون نسمة، تبلغ النسبة المئوية للمؤمنين عن قناعة أو تقليد ٦٠٪ كحد أدنى من مجمل السكان المسلمين ومن بينهم ١٥٠٠٠٠-١٦٠٠٠٠ مريد

ينتمون إلى إحدى الطرق الصوفية، بينما لم يكن في هذا الإقليم قبل ثورة أكتوبر غير ٦٠٠٠٠ مريد و٣٨ شيخ».

وما أن توفرت حرية العبادة وفتح المساجد(ضمن شروط محددة) في أواخر عهد غورباتشوف حتى اكتسبت النهضة الاسلامية في جمهورية الشيشان(وغيرها من الأقاليم الإسلامية في الإتحاد السوفيتي) دفعة قوية. فمنذ عودة الشيشان من النفي كانت السلطات أمرت بإغلاق جميع المساجد في الجمهورية حتى عام ١٩٧٨ عندما سمحت بافتتاح مسجد في قرية بريغورودنوي قرب غروزني ومسجد آخر في قرية سورهوهي في أنجوشيا. وفي عامي ١٩٧٩-١٩٨٠، افتتح مسجد واحد في كل من قرى آتغ يورت، ودوبي يورت، واتشخوي مارتان، واورس مارتان، وزنا منسكوي. ثم تسارعت حركة فتح المساجد القديمة وبناء مدارس جديدة حتى وصل مجموعها عام١٩٩١ إلى أكثر من ٢٥٠ مسجداً.

ومثال على الحملة الشيوعية ضد الاسلام في شيشانيا بعد عودتهم من المنفى، أذكر بأنني عندما زرت القوقاز للمرة الألى عام ١٩٦٦ كان في قرية (يبنوي ويدنه) التي هاجر منها جدي وأولاده عام ١٩٠١ مسجد مازال قائماً ولكنه مغلقاً. وعندما زرت البلدة للمرة الثانية عام ١٩٦٩ كان المسجد قد هدم وأزيلت آثاره. وقالوا أن مدير مدرسة الضاحية الذي كان شيوعياً ملتزماً هو الذي قاد حملة هدم المسجد. وعندما سمح عام ١٩٨٩ ببناء المساجد قام أهل تلك الضاحية ببناء مسجد جميل وكبير في نفس موقع المسجد السابق. وقد تم إنشاء المسجد وتأثيثه وفرشه وافتتاحه للصلاة خلال ٣٥ يوماً من بدء العمل. وقد تم العمل من قبل الأهالي المتطوعين وليست مؤسسة مقاولات أو إنشاءات. ومن الطريف أن مدير المدرسة السابق ذكره والذي كان قد تقاعد من وظيفته هو الذي قاد حملة اعادة إنشاء المسجد والمساهمة شخصياً بالعمل المستمر حتى في أيام العطل والراحة. وعندما زرت البلدة عام ١٩٩١ كانت في القرية أربع مساجد مفتوحة للمصلين.

وكمثل على سذاجة الدعاية الشيوعية ضد الإسلام، أذكر أثناء زيارتي لشيشانيا عام ١٩٦٩ تألمهم وأسفهم للهزيمة التي لحقت بالدول العربية عام ١٩٦٧ وخصوصاً احتلال اليهود للقدس الشريف. إلا أن السلطات الشيوعية كانت استغلت هذه الهزيمة للطعن بشكل غير مباشر بالدين الإسلامي، إذ لجأ النشيطون الشيوعيون إلي إلقاء محاضرات في الجماهير٠(وخاصة أهل الريف كانت مادتها تتلخص في أن:-

«الجيوش العربية أكثر عدداً وأحسن تدريباً وأفضل تجهيزاً(الاسلحة السوفيتية) وأشجع من القوات اليهودية. والجندي العربي مسلم تقي، فاستغل اليهود ذلك ولجأوا إلى خطة قذرة لئيمة.... إذ كانوا يضعون في مقدمة الصفوف الأمامية لوحداتهم فتيات عاريات فيلجأ الجنود العرب المسلمون الأتقياء إلى إغلاق عيونهم وغض الطرف حتى لايقع نظرهم على عورات الفتيات العاريات، فينتهز الجنود اليهود الفرصة للفتك بهم».

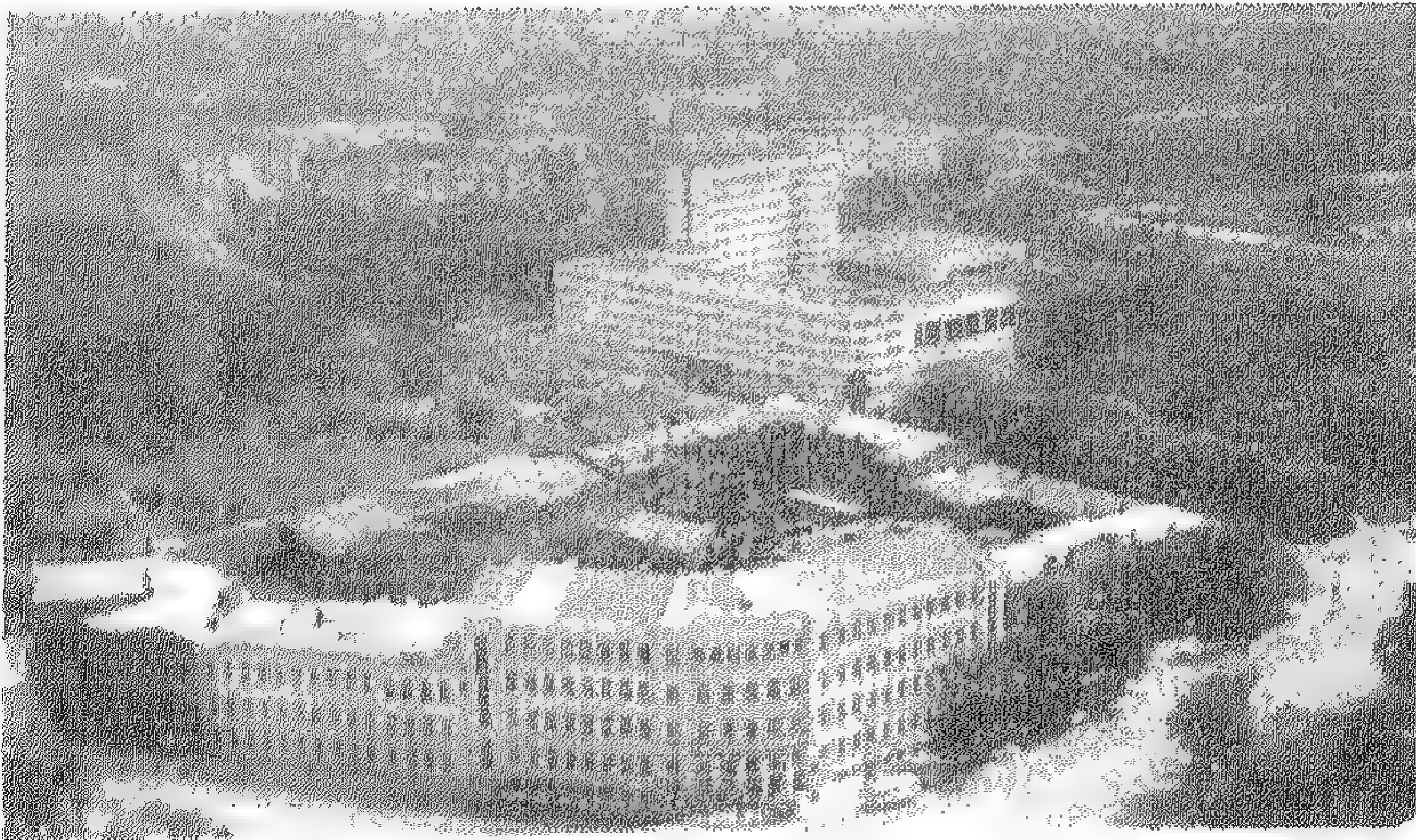
قد يبدوهذا الأسلوب في الدعاية ضد الإسلام من السذاجة إلى درجة لاتصدق....ولكن هذا ما ذكر لي في أكثر من موقع.

وكانت ظاهرة تمسّك الشيشان بالدين الاسلامي واعتزازهم بعقيدتهم واضحين في المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي عقد في غروزني في شهر نوفمبر ١٩٩٠ حيث صدر قرار اعلان استقلال وسيادة جمهوريتهم. إذ افتتح بقراءة آيات من القرآن الكريم وبدعاء ديني واختتم بحقلة ذكر ودعاء، والنشيد الذي اعتمده المؤتمر كنشيد وطني للجمهورية تتردد في نهاية كل مقطوعة منه جملة «لا اله إلا الله».

إن التمييز وممارسات النظام الشيوعي ضد الشعب الشيشاني كانت ظاهرة ليس فقط مقارنة بالشعوب السوفيتية السلافية وغير المسلمة بل وحتى مقارنة بشعوب اسلامية مجاورة لم تتعرض للنفي والتهجير الجماعي عام ١٩٤٤.

الجدول رقم (٨-١) يبين نسبة الشيشان إلى غيرهم من قوميات غير مسلمة في لجان الحزب الشيوعي في جمهورية الشيشان/انجوش.

والجدول رقم (٨-٢) يبين المقارنة لهذه النسب بين جمهرية الشيشان/انجوش وجمهورية داغستان (مسلمون) المجاورة.



منظر في مدينة غروزني قبل التدمير

جدول ٨ – ١
تشكيل لجان الحزب الشيوعي في جمهورية الشيشان / انجوش عام ١٩٨٥

الرقم	الصنف	شيشان وانجوش	روس وغير مسلمين
١	اعضاء اللجنة المركزية للجمهورية :		
	آ المجموع	٥٣	٤٧
	ب – اعضاء احتياط في اللجنة المركزية	١٨	١٢
	جـ – السكرتير الأول	–	روسي
	د – السكرتير الثاني	شيشاني	–
	هـ – هيئة السكرتارية	٢	١
	و – رؤساء اللجان	٧	٦
	ز – رؤساء دوائر اللجان	٤	٧
٢	لجنة مدينة غروزني:		
	ا – المجموع	٢٥	٦٥
	ب – السكرتير الأول	–	روسي
	جـ –السكرتير الثاني	شيشاني	–
	د – السكرتير الثالث	–	روسي
	هـ – اللجنة المركز للجنة المدينة	٥	٦
	و – رؤساء الدوائر	٤	١
٣	لجنة مدينة غودرمس		
	ا– السكرتير الأول	–	روسي
	ب–السكرتير الثاني	–	اوستي
	جـ– السكرتير الثالث	شيشاني	–
٤	لجنة مدينة مالغوبيك		
	ا– السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب–السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ– السكرتير الثالث	–	روسي
٥	محافظة اتشخوي مارتن		
	ا– السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب–السكرتير الثاني	شيشاني	–
	جـ– السكرتير الثالث	–	روسي
٦	محافظة ضواحي غروزني		
	ا– السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب–السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ– السكرتير الثالث	–	ارمني

تابع جدول ٨ – ١
تشكيل لجان الحزب الشيوعي في جمهورية الشيشان / انجوش عام ١٩٨٥

الرقم	الصنف	شيشان وانجوش	روس وغير مسلمين
٧	**محافظة لينين (وسط مدينة غروزني)**		
	ا- السكرتير الأول	–	روسي
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	–
٨	**محافظة ناد تيرتشيني**		
	ا- السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	–
٩	**محافظة نادر**		
	ا- السكرتير الأول	–	روسي
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	–	روسي
١٠	**محافظة نزران**		
	ا- السكرتير الأول	انجوشي	–
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	انجوشي	–
١١	**محافظة نجي يورت**		
	ا- السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	–
١٢	**محافظة اوكتوبر (في ضواحي غروزني)**		
	ا- السكرتير الأول	–	روسي
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	–
١٣	**محافظة شيلة (شالي)**		
	ا- السكرتير الأول	شيشاني	–
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	–	ارمني
١٤	**محافظة شيلكي**		
	ا- السكرتير الأول	–	روسي
	ب-السكرتير الثاني	–	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	–

تابع جدول ٨ - ١
تشكيل لجان الحزب الشيوعي في جمهورية الشيشان / انجوش عام ١٩٨٥

الرقم	الصنف	شيشان وانجوش	روس وغير مسلمين
١٥	**محافظة ستارووبروموسل (في غروزني)**		
	ا- السكرتير الأول	-	ارمني
	ب-السكرتير الثاني	-	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	انجوشي	-
١٦	**محافظة سوفيتسكي (شاتوي)**		
	ا- السكرتير الأول	انجوشي	-
	ب-السكرتير الثاني	شيشاني	-
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	-
١٧	**محافظة سونجا**		
	ا- السكرتير الأول	انجوشي	-
	ب-السكرتير الثاني	-	روسي
	جـ- السكرتير الثالث	انجوشي	-
١٨	**محافظة اوروس مارتان**		
	ا- السكرتير الأول	شيشاني	-
	ب-السكرتير الثاني	شيشاني	-
	جـ- السكرتير الثالث	شيشاني	-
١٩	**محافظة فيدنسكي (ديدنة)**		
	ا- السكرتير الأول	-	روسي
	ب-السكرتير الثاني	شيشاني	-
	جـ- السكرتير الثالث	داغستاني	-
٢٠	**محافظة زافودسكي (في غروزني)**		
	ا- السكرتير الأول	-	روسي
	ب-السكرتير الثاني	-	اوسيتي
	جـ- السكرتير الثالث	-	روسي

المصدر: Special North Caucasus Issue . Michael Rywkis . Central Asian Survey Vol. 10, No. 1/2 , 1991.

جدول رقم ٨- ٢

مقارنة تشكيل لجان الحزب الشيوعي عام ١٩٨٥/١٩٨٦ في جمهوريتي الشيشان/ انجوش وداغستان

	الصنف	جمهورية الشيشان /انجوش تعرضت للنفي الجماعي	جمهورية داغستان لم تتعرض للنفي الجماعي
١	عدد السكان تعداد ١٩٧٩	١٥٦ر١ مليون نسمة	٦٢٨ر١ مليون نسمة
٢	نسبة غير المسلمين من السكان تعداد ١٩٧٩	٥ر٢٣ ٪	٧ر١٤ ٪
٣	عدد السكان تقدير ١٩٨٧	٢٣٥ر١ مليون نسمة	٧٦٨ر١ مليون نسمة
٤	اللجنة المركزية للجمهورية		
	ا - مجموع الأعضاء	٥٥ وطني و٤٧ غير وطني	٩٧ وطني و ٢٨ غير وطني
	ب - السكرتير الأول	روسي	وطني
	جـ - السكرتير الثاني	وطني	روسي
	د - هيئة السكرتارية	٢ وطني ، ١ روسي	٣ وطني
	هـ - رؤساء اللجان	٦ وطني ، ٧ روسي	١١ وطني ، ٣ روسي
	و -رؤساء الدوائر	٥ وطني ، ٦ روسي	١٠ وطني ، ٢ روسي
	ز - المسؤول عن تنظيمات الحزب	روسي	وطني
	حـ - المسؤول عن الأجهزة الإدارية	روسي	روسي
	ط - المسؤول عن الشؤون العامة	روسي	وطني
٥	المحافظات التي جميع اعضاء هيئة سكرتاريا الحزب (٣) من الوطنيين .	٤ محافظات من مجموع ١٦	٢٤ محافظة من مجموع ٣١
٦	المحافظات التي فيها عضوان او اكثر من هيئة السكرتارية بما فيهم السكرتير الأول من الروس	٤ محافظات من مجموع ١٦	٣ محافظات من مجموع ٣١

المصدر: Special North Caucasian Issue. Michael Rywkis, Central Asian Survey, Vol. 10 1/2, 1991

وظهرت ميزات الصلابة والحيوية لدى الشعب الشيشاني عندما أتاحت لهم الظروف في ضوء سياسة اعادة البناء والمصارحة التي أعلنها غورباتشوف اثبات وجودهم على مستوى الاتحاد السوفيتي. إذا كان الشيشان أول شعب على مستوى جمهورية أو مقاطعة ذات حكم ذاتي يعلن الاستقلال والسيادة عام ١٩٩٠ (ولم تسبقهم في مثل هذا القرار الا جمهوريات دول البلطيق وكانت جمهوريات اتحادية). وكان منهم آخر وزير للصناعات البتروكيماوية (المسلم الوحيد) في الاتحاد السوفيتي عند انحلاله في نهاية عام ١٩٩١. وكان منهم رئيس برلمان الفيدرالية الروسية الذي وقف بحزم أمام الاساليب الدكتاتورية التي يمارسها يلتسين مما أدى إلى قصف مدفعي شديد لبناء البرلمان الذي احتمى فيه النواب المعارضون، كما وأن رئيس لجنة حقوق الانسان في ذلك البرلمان كان شيشانيا أيضاً.

وهذا الشعب هو الذي ألحق بالجيش الروسي هزائم مهينة أظهرت للعالم هشاشة وضع الجيش الروسي والامبراطورية الفدرالية الروسية- الرجل المريض في العقد الأخير من هذا القرن.

إعلان التهجير الجماعي للشيشان والأنجوش

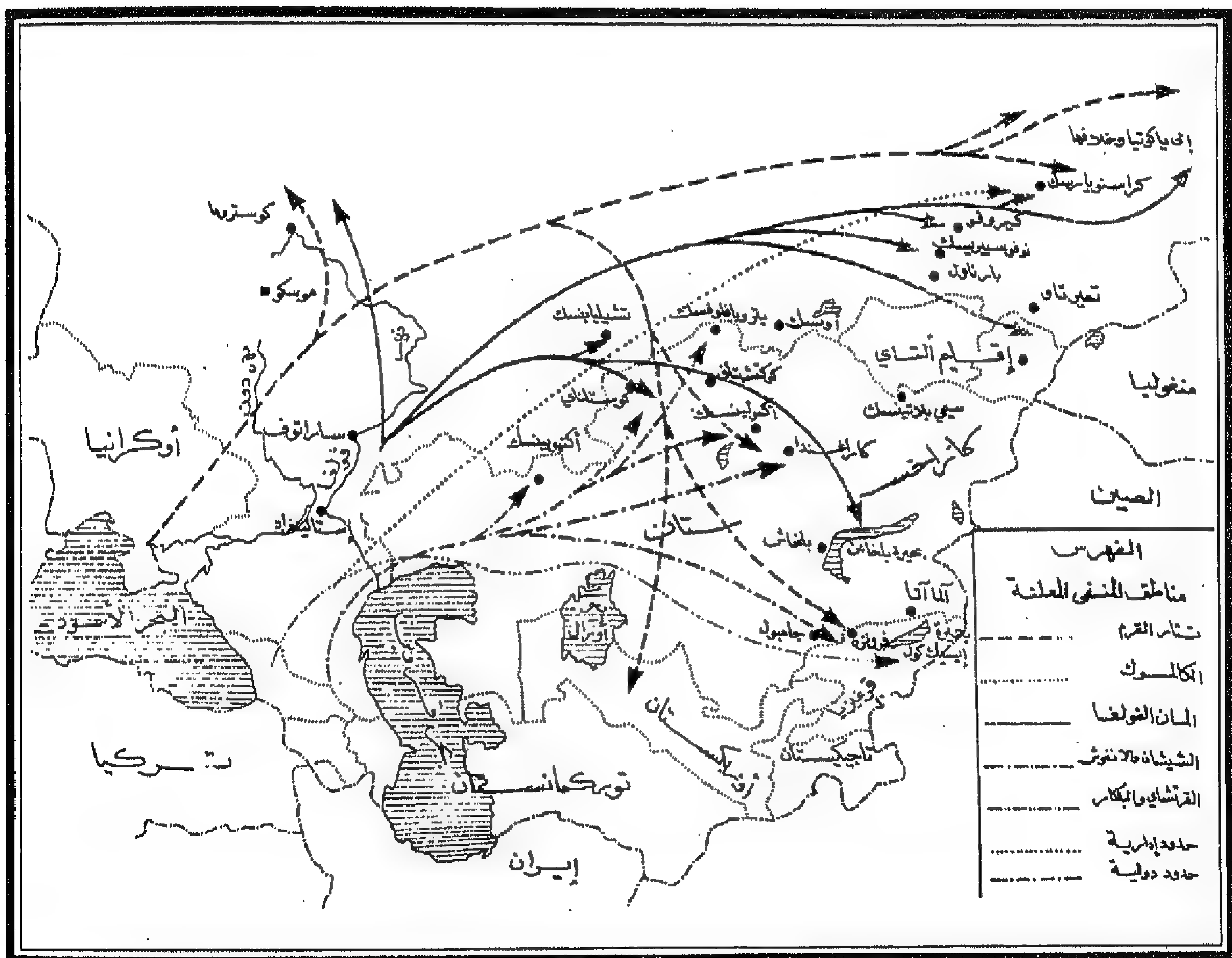
قام النظام الشيوعي بتاريخ ١٩٤٤/٢/٢٣ بتهجير جماعي لكامل الشعب الشيشاني من جمهوريتهم الى آسيا الوسطى، وألحق بهم من كانوا يقيمون خارج الجمهورية، او يخدمون في القوات السوفيتية (ومن بينهم قائد أول سرية سوفيتية دخلت برلين) ولم يعلن عن هذا الاجراء إلا عندما نُشرت جريدة الازفستيا السوفيتية بتاريخ ١٩٤٦/٦/٢٦ قانون إلغاء جمهورية الشيشان/أنجوش وتحويل جمهورية القرم الى مقاطعة القرم بحجة:

«خلال الحرب الوطنية العظمى، عندما كانت شعوب الاتحاد السوفيتي تدافع ببطولة عن شرف أرض الآباء واستقلالها في الكفاح ضد الألمان الفاشيين الغزاة، انضم كثيرون من الشيشان وتتار القرم بتحريض من العملاء الألمان في كفاح مسلح ضد وحدات الجيش الأحمر. كما قاموا وبأمر من الالمان بتشكيل عصابات للعمل في المؤخرة ضد السلطات السوفيتية، وفي الوقت نفسه لم تقم جماهير شعب الشيشان/الجوش بأية إجراءات مضادةتجاه خونة أرض الآباء.

«ونتيجة لذلك، فقد أعيد توطين الشيشان وتتار القرم في مناطق أخرى في الاتحاد السوفيتي، حيث منحوا أرضاً ومساعدات حكومية ضرورية لإقامة بنائهم الاقتصادي من جديد. وبناء على اقتراح اللجنة التنفيذية لمجلس السوفيت الاعلى للجمهورية الروسية

السوفيتية الاشتراكية الفدرالية فإنه جرى إلغاء جمهورية الشيشان/الجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي، وكذلك تحويل جمهورية القرم الى مقاطعة القرم»

من المعروف ان الزحف الالماني توقف عند حدود جمهورية الشيشان ولم يتوغّل فيها، وكان النظام الشيوعي الى ما قبل التهجير بأشهر يردد البيانات السوفيتية عن اخلاص الشيشان والانجوش وسعادتهم. وكان كالينين أعلن عام ١٩٤٢ بأن «القوقاز هو أسطع مثال على التأثير الاصلاحي المفيد للنظام السوفيتي، وذلك بالنسبة لنفسية وخلق الشعب الذي واجه الخطر على حياته في كل مكان». وفي تشرين الاول عام ١٩٤٢ كان الشيشان قد حصلوا على ٤٤ وساماً في الجيش الأحمر، وهو عدد أكبر مما حصلت عليه شعوب أكبر منهم حجماً وعدداً.



خريطة عمليات التهجير (النفي الجماعي)

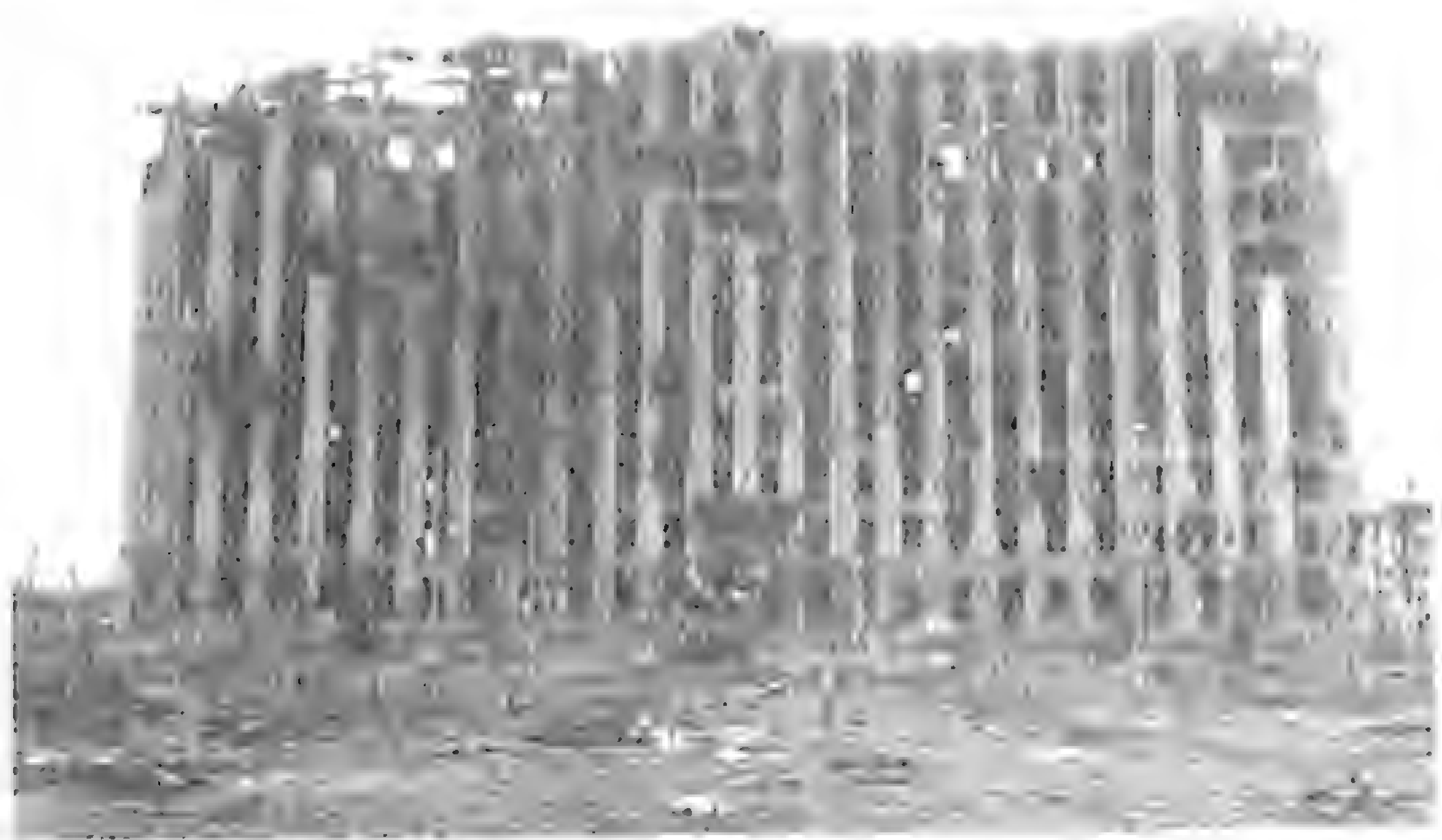
الفصل التاسع

إعلان الاستقلال

«انطلاقاً من حقوق الشعب الشيشاني المقدسة، وغير القابلة للمساس في تقرير مصيره، وتعبيراً عن الإرادة المقدسة للشعب الشيشاني، فإن مجلس السوفيت الأعلى في جمهورية الشيشان/أنجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي يعلن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية دولة مستقلة وذات سيادة، سلطتها كاملة وغير مجزأة ضمن الحدود التاريخية الثابتة لأراضي الشعب الشيشاني»

من اعلان الاستقلال ١٩٩٠/١١/٢٧





مقر رئاسة جمهورية الشيشان - قبل وبعد التدمير

إعـــــلان الاســتقــلال

كانت السياسة الاستبدادية التي تهدف إلى (الروسنة – الترويس) الثقافي، ومحاربة الدين والعادات والتقاليد القومية، والاستغلال ونهب المواد، والتمييز العنصري، تلقى مقاومة من الشعوب الاسلامية في شمال القوقاز تصل أحياناً إلى مرحلة ثورة وانتفاضة عامة، إلا أن السلطات السوفيتية كانت تخمدها بوحشية شديدة وصلت أوجها عام ١٩٤٤ حيث جرى نفي وتهجير جماعي لشعوب الشيشان والانجوش والبلقر والكراتشاي والمسخيتيين وتتار القرم من ديارهم القومية إلى أقطار آسيا الوسطى حيث هلك منهم حوالي النصف بسبب البرد القارس والجوع والامراض وتصفية السلطات لقادة الفكر والمثقفين والقوميين النشيطين. ومع أنه سمح للشيشان والانجوش العودة إلى وطنهم وأعيد تشكيل جمهوريتهم عام ١٩٥٧ إلا أن التمييز ضدهم (وغيرهم من الشعوب الاسلامية وخاصة التي تعرضت للنفي والتهجير الجماعي) لم يخف. ومع أنه كان قد صدر بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٦ قانون إعادة تأهيل الشعوب المنفية وفحواه:–

١– تبرئة الشعوب التي تعرضت للنفي من الاتهامات التي كانت قد وجهت إليها.

٢– اعتبار الفترة التي قضاها جميع المهجرين في المنفى وكأنها خدمة خاضعة للتقاعد.

٣- تعويض المنفيين عن الاضرار التي لحقت بهم من جراء النفي واعادة ممتلكاتهم اليهم.

٤- اعادة الاراضي التي كانت قد اقتطعت من أراضي جمهوريات الشعوب المنفية إلى الجمهوريات التي أعيد تشكيلها. وكان هذا البند ذو أهمية خاصة للشيشان والانجوش وذلك فيما يتعلق بلواء الأقوي التي بقيت ضمن جمهورية داغستان ولواء بريغوروودني التي بقيت ضمن جمهورية اوسيتيا الشمالية.

إلا أن أياً من أحكام هذا القانون لم تنفذ.

كما ذكرت سابقاً، فإن سياسة إعادة البناء والمصارحة التي أعلنها غورباتشوف أتاح لشعوب وقوميات الاتحاد السوفيتي (بما فيهم الشيشان) فرصة لاثبات وجود لها والمطالبة بحقوقها. وفي شيشانيا استغلّت جماعات قومية نشيطة موافقة السلطات المحلية على مشروع إنشاء مجمع لانتاج مواد بيوكيماوية (كيماويات حيوية) قرب مدينة غودرمس، فنظمت مظاهرات احتجاج على انها ستؤدي الى تلوّث البيئة والمياه الجوفية بدون عائد مناسب على الجمهورية لأن ٩٧٪ من ايرادات الصناعات كانت تُخصص لصالح الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية الاتحادية. وكان هذا المصنع (كما قيل لي) سيصبح ثالث أكبر مصنع من نوعه في العالم، وسبق لكازاخستان وتتارستان ان رفضتا إقامة هذا المصنع في أراضيها.

أدت الحركة الاحتجاجية الى تراجع السلطات المحلية عن موافقتها السابقة، وجرى تشكيل جبهة وطنية متحدة للشيشان والانجوش للمطالبة بحقوق لهم واردة في دساتير الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية المتحدة وجمهورية الشيشان/أنجوش إلا انهم ظلوا محرومين منها. وتشكلت في الجمهورية أحزاب سياسية أبرزت بعضها اتجاهاً اسلامياً، كما نشطت حركة بناء المساجد في مختلف أنحاء الجمهورية.

وأسفرت نشاطات القوميين على ما يمكن ان نسميها «ثورة في القصر» إذ جرى في تموز ١٩٨٩ لأول مرّة في تاريخ جمهورية الشيشان/أنجوش وصول شيشاني الى مركز السكرتير الأول للجنة الحزب الشيوعي المركزية في الجمهورية وهو المنصب الأهم والأكثر نفوذاً فيها.

كانت العادة ان تقوم موسكو بتنسيب روسي من خارج الجمهورية لتولي هذا المركز، فتصدع لجنة الجمهورية بدون نقاش وتوافق على انتخابه بالاجماع. إلا انه في تموز ١٩٨٩ قامت الجبهة الوطنية والحركات القومية بضغط كبير على لجنة الجمهورية

لعقد اجتماع اللجنة وانتخاب السكرتير الثاني السيد دكة زفجاييف سكرتيراً اول لها. وهذا ما تمّ بالفعل. والطريف ان مرشح موسكو وصل الى مطار غروزني وهو غير مطّلع على ما جرى في الصباح، وبدلاً من استقباله بالترحيب وباقات الزهور والوعود بالانصياع لتوجيهاته أُخبر ان انتخاب السكرتير الأول قد تمّ، وطُلب منه العودة الى موسكو على نفس الطائرة.

وعلى ضوء هذه الخلفية عقد في أيام ٢٥،٢٤،٢٣ من شهر نوفمبر ١٩٩٠ في مدينة غروزني المؤتمر القومي للشعب الشيشاني. وتم تمثيل شعب الجمهورية بمختلف فئاتهم العرقية والدينية بمعدل مندوب واحد عن كل الف نسمة انتخبوا من قبل المواطنين مباشرة في بلداتهم وقراهم في الجمهورية، كما وجهت الدعوة لممثلين عن الشيشان المغتربين في مختلف أنحاء العام لحضور المؤتمو كمراقبين، (وقد اتيح لي شخصياً المشاركة في هذا المؤتمر وقدمت ورقة عمل بعنوان (اقتراح تشكيل لجنة وطنية لجمع المصادر والمراجع والوثائق المتعلقة باقطار وشعوب الويناخ وشمال القوقاز).

وكان برنامج المؤتمر يشمل الامور التالية:-

١- تقرير رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر المهندس ليتشة عمخايوف.

٢- عرض التقارير المتعلقة بالمواضيع التالية:-

أ) التاريخية.

ب) الاجتماعية والاقتصادية.

ج) البيئة.

د) الثقافة.

هـ) العلاقة بين الشعوب والقوميات.

و) الأستقلال والسيادة.

ز) احياء المؤتمرات الشعبية (مخكا كخيل) الشيشانية وتأسيس مجلس تشريعي بما يتناسب مع التقاليد القومية للشعب الشيشاني.

٣- المناقشة والموافقة على قرارات المؤتمر.

وكانت قرارات المؤتمر التي ووفق عليها بالاجماع وصدرت مساء ١٩٩٠/١١/٢٥ على الشكل التالي:-

«كانت القومية الشيشانية خلال عشرات السنين الماضية محرومة من الامكانيات المادية الضرورية من أجل التطور الطبيعي، وتعرضت حتى على أرضها وفي ديارها

التاريخية للتمييز.

«إن الظلم البعيد عن أبسط مبادئ العدالة الذي أصاب الشيشان خلال سنوات التهجير والنفي نتج عنه هلاك ما يقارب نصف الشعب الشيشاني. وحتى بعد اعادة تشكيل جمهورية الشيشان/انجوش، كان ممثليهم في دوائر الدولة والمؤسسات الاقتصادة والثقافية والاجتماعية أقل بكثير من نسبتهم إلى المجموع العام لسكان الجمهورية، كما وأنه لم تتم زيادة كوادرهم وتنميتها في المهارات والنشاطات الصناعية والهندسية والفنية.

«إن مماطلة الحكومة المركزية في حل المشاكل المتعلقة بالشيشان، ومسألة اعادة تشكيل مقاطعة الانجوش ذات الحكم الذاتي، ووجود (٢٣٠) ألف شيشاني مضطرين للعيش خارج حدود دولتهم، والأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر على الجمهورية، ووجوب بعث واحياء اللغة والثقافة القومية، والاستمرار في الضغط والملاحقة في الامور الروحية وممارسة الشعائر الدينية، واحترام العلاقات بين القوميات في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي... كل هذا يضع أمام الشعب الشيشاني مجموعة من المشاكل الوطنية الخاصة التي بدون حلها يتعذر له التطور كقومية متميزة.

«وبناء على كل ما سبق، فإن المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني يقرر ما يلي:-

١- تجسيداً لرغبة الشعب الشيشاني، يرى المؤتمر الوطني العام ضرورة اعلان استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية (نوختشي تشوي). مقررين بذلك أن جميع حاملي الجنسية الوطنية هم شعب الجمهورية الشيشانية المستقلة.

٢- إن سيادة الجمهورية الشيشانية تشمل جميع أراض جمهورية الشيشان/انجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي القائمة الآن ماعدا الأراضي التي كانت تقع ضمن حدود مقاطعة الانجوش ذات الحكم الذاتي قبل انضمامها مع الشيشان عام ١٩٣٤.

٣- إن أية أعمال موجهة ضد وحدة وسلامة أراضي الجمهورية الشيشانية ستقابل برد حاسم من قبل الشعب الشيشاني.

٤- يعلن المؤتمر بأن الاراضي والثروات الطبيعية والمجال الجوي والمنتجات الصناعية والزراعية تعتبر جميعها ملكاً خاصاً لشعب الجمهورية الشيشانية.

٥- التقدم باقتراح إلى السوفيت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان/انجوش السوفيتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي للنظر في قرارات المؤتمر الوطني العام للشعب

الشيشاني عن اعلان استقلال وسيادة جمهورية الشيشان.

٦- وآخذين بعين الاعتبار الخسائر والاضرار التي لحقت بالجمهورية ومحدودية المساحة وفرص العمل، فإنه ينبغي على برلمان جمهورية الشيشان/انجوش ذات الحكم الذاتي أن تأخذ اجراءات مستعجلة من أجل الحد وتنظيم دخول سكان من الخارج ماعدا الاشخاص الذين ينتمون إلى القومية الشيشانية، على أن تتوفر في نفس الوقت حرية توزيع واقامة السكان في أنحاء الجمهورية.

٧- على جمهورية الشيشان أن تتوصل إلى حل لعودة الشيشان الاوخيين (الذين لم يرجعو بعد من مناطق نفيهم في كازاخستان وقرغيزيا)، وإن تنطلق في حل مشكلتهم بالوسائل السلمية والمبادئ الشعبية الدبلوماسية مع مراعاة جميع الحقوق المادية والمدنية وغيرها من الحقوق التي تتمتع بها المجموعات السكانية التي تعيش في تلك المناطق.

٨- إن جمهورية الشيشان تدعم تطلع الشعب الانجوشي في اقامة مقاطعته ذات الحكم الذاتي ضمن حدود سنة ١٩٣٤.

٩- اعلان الحرب على المافيا وعلى المجموعات الفاسدة التي تعشش داخل مؤسسات الشؤون الداخلية والتجارة والخدمات والحزب ومجالس السوفيت التي تنهب الشعب وتشكل حواجز بيروقراطية تعطل انجاز معاملات المواطنين وكذلك حقوقهم في الحصول على السكن وقطع الاراضي ومواد البناء وكذلك العلاج الطبي والتعليم. ومحاربة احتكار المواد والبضائع النادرة وسوء التوزيع غير القانوني للبضائع التجارية.

١٠- اعلان اراضي شيشانيا منطقة منكوبة بيئياً واتخاذ الاجراءات لاحياء التقاليد البيئية للشعب الشيشاني.

١١- اعطاء الدعم اللازم لايجاد الموارد المادية لمنظمة «الحركة الخضراء» التي تهتم بالمحافظة على البيئة.

١٢- يرى المؤتمر ضرورة اعلان اللغة الشيشانية كلغة رسمية للدولة في جميع أراضي شيشانيا. والقيام باتخاذ جميع الاجراءات لتوفير الوسائل اللازمة لتطوير هذه اللغة.

١٣- العمل بكل الوسائل اللازمة من أجل اعداد كوادر من المثقفين الوطنيين عالي الخبرة والثقافة. وفتح مراكز للاطفال الموهوبين، وجلب معلمين متخصصين وذو كفاءات عالية في الثقافة والعلوم والفنون.

١٤- ايجاد صندوق وطني لتأمين الموارد اللازمة لتطوير ثقافة الشعب، ويعهد

للجنة المؤتمر مسألة ايجاد مدير متفرغ وكفوء لهذا الصندوق.

١٥- يجب العمل على ايجاد الظروف التي تيسر للمؤمنين أداء واجباتهم الدينية، بما في ذلك ايجاد الظروف والاماكن المناسبة في جميع الموسسات والمصانع من أجل اقامة الصلوات كما يجب احياء الاحتفال بعيد الفطر وعيد الاضحى وأن تكون أيام هذه الاعياد عطلة رسمية في جميع أنحاء الجمهورية.

١٦- التقدم بطلب إلى مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان) ومجلس الوزراء في جمهورية الشيشان/انجوش ذات الحكم الذاتي لالغاء قرار مجلس الوزراء الصادر بتاريخ ١٦/٨/١٩٩٠ بشأن وضع بناية المتحف الجمهوري تحت اشراف الحزب الشيوعي في الجمهورية.

١٧- ينبغي على الشعب الشيشاني التخلص من جميع النتائج التي ترتبت عن الحكم الاستبدادي عام ١٩٤٤ آخذة بعين الاعتبار الأمور التالية:-

أ) تشكيل مجلس للتحقيق في جرائم عهد ستالين على أراضي جمهورية شيشانيا.

ب)تشكيل محكمة في الجمهورية على شكل «محكمة نورنبرغ» لمحاكمة الذين اقترفوا تلك الجرائم (ولو غيابياً)، مع دعوة ممثلي جميع الشعوب التي كان قد جرى نفيها عن اراضيها خلال العهد الستاليني للمشاركة في هذه المحكمة.

جـ) التعويض الكامل وغير المشروط عن الأضرار التي أصابت الشعب الشيشاني خلال فترة النفي ابتداء من عام ١٩٤٤ وحتى عودتهم الى الوطن ١٩٥٧.

د) اعادة الاعتبار لكل المواطنين المنكّل بهم في شيشانيا.

١٨ - يعلن المؤتمر بأن يوم ٢٣ شباط (تاريخ النفي الجماعي عام ١٩٤٤) في كل عام يعتبر يوم ذكرى وحزن وحداد شعبي عام.

١٩ - إعادة الجنسية للأديب الشيشاني الكبير عبد الرحمن افترخانوف.

٢٠ - دعم المطلب الشعبي بتجريد «ف.ب.فينو غرادوف» من جميع الأوسمة والميداليات والألقاب التي حصل عليها بواسطة الافتراء على تاريخ الشعب الشيشاني والأنجوش ، والتقدم بطلب الى مجلس السوفييت الأعلى في جمهورية الشيشان /أنجوش ذات الحكم الذاتي بعدم منحه جنسية جمهورية الشيشان المستقلة (نوختشي تشوي).

٢١ - التنديد الشعبي العام بكل رعايا شيشانيا الذين اشتركوا في الدعاية لنظريات فينو غرادوف الكاذبة.

٢٢ - اقرار تشكيل لجان متابعة لتنفيذ قرارات المؤتمر الوطني العام للشعب الشيشاني، وتناط بهاالاختصاصات والأمور التالية:

أ - القانونية والتشريعية.

ب - المؤسسات الحكومية.

جـ - الأمور الاجتماعية والاقتصادية .

د - الاتصالات الخارجية.

هـ - البيئة.

و - العلاقات بين الشعوب والقوميات.

ز - الاعلام الشعبي والنشر.

حـ - الثقافة والعلوم.

ط - الرقابة والاشراف.

٢٣ - يعتبر المؤتمر ان تعيين رئيس جهاز لجنة أمن الدولة/ المخابرات (كي . جي . بي) ووزير الداخلية ، والمدعي العام للجمهورية، من اشخاص لا تنتمي جذورهم القومية للجمهورية أمراً مرفوضاً.

٢٤ - تمديد تفويض المندوبين لهذا المؤتمر لحين الدعوة الى المؤتمر القادم.

وقد رفعت هذه القرارات الى مجلس السوفييت الاعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان/انجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي الذي اجتمع صباح ١٩٩٠/١١/٢٦ لدراستها. وبعد مناقشات استمرت عشرين ساعة متواصلة أصدر فجر يوم ١٩٩٠/١١/٢٧ وبموافقة ١٤١ نائباً من مجموع ١٦٥ وبدون أية معارضة البيان التالي:

« بيان عن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية»

« انطلاقاً من حقوق الشعب الشيشاني الطبيعية المقدسة، وغير القابلة للمساس في تقرير مصيره، وتعبيراً عن الارادة المقدسة للشعب الشيشاني ، فان مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) في جمهورية الشيشان/أنجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي،

- مدركاً للمسؤولية التاريخية عن مصير الشعب الشيشاني.

وبهدف ايجاد الظروف الملائمة من أجل تطوره في جميع المجالات.
ومظهراً عنايته واهتمامه بحفظ وتطوير العرق الشيشاني.
– ومحترماً سعي السكان الأنجوش الى إعادة انشاء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي ضمن حدود عام ١٩٣٤ ومتمنياً الاسراع في حلّ هذه المسألة .
– ومحترماً لحقوق وأماني جميع الشعوب الأخرى التي تعيش في الجمهورية.
يعلن استقلال وسيادة الجمهورية الشيشانية كدولة مستقلة وذات سيادة ، سلطتها كاملة وغير مجزأة ضمن الحدود التاريخية الثابتة لأراضي الشعب الشيشاني، ويعلن عزمه على إنشاء دولة الشرعية، ذات الاتجاه الاشتراكي والعدالة الاجتماعية على الاسس التالية:
١ – الجمهورية الشيشانية هي دولة مستقلة ذات سيادة للشعب الشيشاني.
ان سيادة الدولة هي الضمانة الدستورية لعدم المساس بحق الشعب الشيشاني في تقرير مصيره ، وتعتبر السيادة شرطاً بديهياً وطبيعياً وضرورياً لوجود وتطوّر الدولة القومية للشعب الشيشاني الذي يعتبر من أقدم شعوب القوقاز والذي يمتلك تاريخاً وثقافة وتقاليد تمتدّ لقرون طويلة.
٢ – المصدر الوحيد لسلطة الدولة في الجمهورية الشيشانية هو شعب الجمهورية المكوّن من كافة مواطني الجمهورية.
٣ – تؤدي الجمهورية الشيشانية بصفتها دولة شرعية مهامها على أساس مبدأ فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية .
٤ – الرقابة العليا على التطبيق الدقيق لقوانين الجمهورية الشيشانية تتمّ عن طريق المدعي العام للجمهورية ، والذي يعيّن من قبل مجلس السوفييت الأعلى (البرلمان) لجمهورية الشيشان.
٥ – ان الضمانة للسلطة الكاملة للشعب والديموقراطية الحقيقية في الجمهورية الشيشانية كدولة ملتزمة بالشرعية والقانون والتقاليد الديموقراطية للشعب تتمثّل في النظام التالي للحكم الشرعي القانوني من خلال المؤسسات التالية للجمهورية الشيشانية:
أ) المؤتمر الشعبي
ب) السوفييت الأعلى (البرلمان) للجمهورية الشيشانية الذي يتكوّن من مجليسن:
١ – مجلس الشورى للشيوخ « مجلس الشيوخ»
٢ – مجلس نواب الشعب.

جـ) رئيس الجمهورية الشيشانية .
د) المحكمة العليا (الدستورية) للجمهورية الشيشانية.

٦ – ان تاريخ الشعب الشيشاني الممتد لقرون طويلة يثبت بأن هذا الشعب كان دائماً يرغب في الوحدة والتضامن من أجل توطيد المبادئ الانسانية والعدالة بين الشعوب. ولهذا فإن الشعب الشيشاني يثمّن غالياً اتحاد الجمهوريات القومية ، ومستعدّ لأن يكون عنصراً مستقلاً ومتساوياً في الحقوق وعاملاً فعّالاً في معاهدة تحالف او اتحاد الجمهوريات المستقلّة.

٧ – توقّع الجمهورية الشيشانية معاهدة الاتحاد وفق الشروط التالية فقط :–

أ – بعد اتخاذ الضمانات القانونية لاستبعاد تكرار إبادة الشعب الشيشاني في المستقبل.

ب – وبعد اتخاذ الضمانات القانونية بأن الأضرار المعنوية والخسائر المادية التي وقعت بأراضي الشعب الشيشاني من قبل النظام الاستبدادي، وكذلك جميع الأضرار التي أصابت الشعب والجمهورية الشيشانية سوف يتمّ التعويض عنها بالكامل.

ويأمل الشعب الشيشاني بأن جميع اطراف مثل هذا الاتحاد ستتفهم وتدعم هذه الشروط المقدّمة من قبل الجمهورية الشيشانية، وبخلاف ذلك فإنه لا يوجد أمام الشعب الشيشاني خيار سوى ان يعلن الجمهورية الشيشانية دولة محايدة وان يحاول استقطاب الدعم العالمي من اجل الحفاظ على وجوده آمناً في المستقبل.

٨ – لكي يكون التوقيع على اتفاقية الاتحاد من قبل الجمهورية الشيشانية قانونياً، ونافذا ولا يعارض الارادة الحرّة للشعب الشيشاني ، فانه يجب ان يسبقه وضع وقبول دستور للجمهورية الشيشانية كدولة مستقلّة ذات سيادة.

٩ – يعتبر هذا البيان أساساً لوضع وصياغة القانون الاساسي (الدستور) للجمهورية الشيشانية.

ومن الجدير بالذكر هنا ولفائدة غير المطلعين على تاريخ الشيشان وقضاياهم، توضيح الخلفية لبعض البنود الواردة في قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني، وكذلك بيان مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان/أنجوش السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي.

١– يصرح الشيشان – وهم على حق – بأنهم بالرغم من الشهرة التي اكتسبوها كأشدّ المقاتلين في حروبهم ضد الاحتلال الروسي للقوقاز، واكثر شعوب الامبراطورية

الروسية القيصرية والشيوعية عناداً واصراراً على مقاومة التحكّم الروسي، إلا ان الشيشان شعب مسالم بطبعه، وكانت جميع حروبهم دفاعاً ضد الغزاة لديارهم ولم تكن اعتداء على الغير خارج حدود هذه الديار. ويفتخر الشيشان ايضاً بأن الوحدات العسكرية الشيشانية في الجيش الروسي القيصري لم تشترك ابداً في الحملات الروسية على شعوب قوقازية أخرى (اسلامية او مسيحية) ولا على تركيا المسلمة.

٢ - يصرّح الشيشان بأنهم لا يحملون أي شعور تعصب عرقي أو تفرقة ضد مواطني جمهوريتهم من الشعوب الأخرى. بل أنهم عندما أبدت بعض عناصر الأنجوش (وهم أخوتهم من شعب الويناخ) رغبة في إعادة إحياء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي، فإن الشيشان بالرغم من أسفهم وتخوفهم من نتائج هذه الحركة لم يعارضوا انفصال مقاطعة الأنجوش بالحدود التي كانت عليها عند انضمامها للشيشان عام ١٩٣٤ إذا كانت هذه رغبة الأكثرية من الأنجوش. ولذلك فإن البند الثاني من قرارات المؤتمر الوطني استثنى أراضي مقاطعة الأنجوش ذات الحكم الذاتي قبل عام ١٩٣٤ من حدود جمهورية الشيشان (نوختشي تشوي) التي أعلن استقلالها. كما أن البند الثامن من قرارات المؤتمر جاء بدعم تطلع الشعب الأنجوشي في اقامة مقاطعته ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤. أي أن جمهورية الشيشان تدعم مطالبة الأنجوش بإعادة الأراضي الأنجوشية (لواء بريغورودني) التي كانت قد سلخت من جمهورية الشيشان/أنجوش عند إعادة تشكيلها عام ١٩٥٧ وضمت إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية.

كما وان مجلس السوفييت الأعلى لجمهورية الشيشان / انجوش ذات الحكم الذاتي احترم ايضاً في مقدمته سعي الأنجوش الى اعادة انشاء مقاطعتهم ذات الحكم الذاتي ضمن حدودها عام ١٩٣٤.

وحتى بالنسبة للروس الذين شكلوا معظم القوات القيصرية والشيوعية التي حاربت الشيشان، وكوادر السلطات التي حكمت فاستبدّت بالحكم ، فان الشيشان لا يحملون حقداً عليهم كشعب، بل يعارضون ما كانوا يمثلونه كسلطات احتلال واستبداد وتمييز. ولذلك فانه في الوقت الذي يجري فيه اعادة الاسماء الشيشانية القديمة للمدن والقرى والمواقع المهمّة، ويجري إزالة أسماء يرمولوف ولينين وستالين وغيرهم ممن أساءوا الى الشعب الشيشاني، فان هناك تقبّلاً على اطلاق اسماء بعض كبار الأدباء الروس مثل تولستوي وبوشكين وليرمنتوف الذين تغنّوا بسحر القوقاز وجماله وأشادوا بشعوبه.

٣- وقد صرح ناطق باسم المؤتمر الوطني بأن الطلب بإعادة الجنسية للأديب الشيشاني عبد الرحمن افترخانوف ، والتنديد بفينوغرادوف، لا علاقة له بتعصّب او تفرقة عرقية لكون الأول شيشاني والآخر يهودي، فعبد الرحمن الذي نشر العشرات من المقالات والأبحاث وألف العديد من الكتب عن النظام والحكم الشيوعي نظرية وممارسة، يُعدّ من أشهر المثقفين القوقازيين والعقائديين السوفييت الذين عارضوا ممارسات السلطات الشيوعية وعمليات التصفية والابادة التي قام بها ستالين ضد شعوب الاتحاد السوفييتي، فكان عقابه الاعتقال والتعذيب إلا انه تمكّن من الفرار الى خارج الاتحاد السوفييتي لمواصلة كفاحه. واما فينوغرادوف فإن اوصاف الكذب والافتراء التي وُصف بها تنطبق عليه فعلاً. فهذا الدعي الذي نصبه الحزب الشيوعي استاذاً للتاريخ في جامعة غروزني ، هو الذي خرج بنظرية « مرور مائتي عام على الصداقة الروسية الشيشانية الحميمة المستمرة الابدية » فبموجب نظريته ، فان نضال الشيشان وحروبهم الطويلةضد الاحتلال الروسي لبلادهم ، وثوراتهم وانتفاضاتهم المستمرة ضد السلطات الروسية القيصرية والشيوعية ، وما عانوه من اضطهاد واعتقال ونفي جماعي من ديارهم (وهي أمور وقعت جميعها خلال القرنين الماضيين) وكأنها لم تقع او لا قيمة او تأثير لها. مع العلم بان تنديد المؤتمر لم ينحصر بفينوغرادوف بل طال جميع رعايا شيشانيا الذين شاركوا في الدعاية لنظرياته.

٤- وبالرغم من ان الشيشان لا يعارضون الرغبة والخيار الحرّ لأية أقلية في الانفصال عن جمهوريتهم، إلا أنهم يتفهمون فوائد وضرورة التعاون بين الشعوب ، والدخول مع دول اخرى في اتحاد بموجب معاهدات تعقد بين دول مستقلة ذات سيادة، متساوية في الحقوق والواجبات، لا تتسلط فيها دولة او فئة على أخرى. وهذه الدول تشمل طبعاً الاتحاد السوفييتي كمجموعة متكاملة، أو أياً من جمهورياتها على شكل انفرادي . وكانت هناك تطلعات خاصة لتشكيل اتحاد فيدرالي او كونفدرالي مع شعوب شمال القوقاز التي كانت اتحدت عام ١٩١٨ في جمهورية اتحاد شعوب القوقاز. وشكل المؤتمر لجنة خاصة لمتابعة هذا الموضوع.

٥- بالاضافة إلى حق الشعوب بالحرية وتقرير المصير، إذ خلق الله الناس احراراً، يرى الشيشان ان مسلك السلطات الروسية (القيصرية والشيوعية) يبرر قرارهم التاريخي باعلان استقلال وسيادة جمهوريتهم. فهذه السلطات لم تراعِ ابداً الوعود الرسمية التي قُدّمت لهم بالنيابة عن السلطات الروسية المركزية.

فالسلطات الروسية أخلّت بجميع الوعود والالتزامات التي وردت في رسالة قائد جيش القوقاز/ نائب القيصر المارشال الأمير بارياتنسكي التي وجهها الى الشعب الشيشاني باسم (صاحب الجلالة قيصر روسيا) عند استسلام الشيخ شامل عام ١٨٥٩ واعتبرت بمثابة معاهدة بين روسيا وشيشانيا.

كما وان السلطات لم تراعِ الوعود التي وردت في النداء المشهور الموقّع من لينين وستالين والموجّه الى الشعوب المسلمة تحت الحكم الروسي، ولم تراعِ السلطات الروسية ايضاً البيان الذي ألقاه ستالين في المؤتمر غير العادي لممثلي شمال القوقاز الذي عقد في مدينة ولادي قفقاسيا بتاريخ ١٩٢٠/١/١٧، بل مارست الاستبداد والتمييز والتفرقة والتعذيب والقتل والنفي (بما في ذلك النفي الجماعي) ونهب الموارد والثروات بحيث ان حصة الجمهورية من مصادرها الطبيعية (بما فيها النفط والاخشاب اللذين يشكلان مصدراً رئيسياً للدخل) ومن الانتاج الصناعي لم تزد عن ٣٪ من العائدات.

٦- جاء في «اعلان حقوق شعوب روسيا » الذي صدر بعد اسبوع من تسلّم السلطات السوفييتية للحكم:

« اذا جرى الاحتفاظ بأية امة بالقوة كجزء من دولة ما، واذا حرمت قسراً وضدّ رغبتها المعلنة سواء في الصحف ، او المجالس الشعبية ، او قرارات الاحزاب السياسية، او عن طريق الثورات او الانتفاضات ضد الظلم، واذا حرمت من الاختيار الحرّ للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبرنوعاً من الضمّ القسري وقهراً واغتصاباً».

وجاء في هذا الاعلان ايضاً :

« اعلان المساواة والسيادة لشعوب روسيا، وحق تقرير المصير الى حدّ الانفصال، وإلغاء جميع الامتيازات القومية والدينية، وتأمين التطور الحرّ للأقليّات القومية والجماعات السلالية القاطنة في اراضي روسيا».

وكتب لينين يقول:

« نريد دولة على أكبر مساحة، وتحالفاً على اوثق ما يمكن، واكبر عدد من الامم القاطنة في جوار الروس . نحن نريد ذلك لصالح الديموقراطية والاشتراكية وصالح اجتذاب اكبر عدد من شغيلة مختلف الامم الى نضال البروليتاريا . اننا نريد وحدة ثورية بروليتارية. نريد التوحيد وليس التفرقة . نريد التوحيد الحرّ، ولذلك فنحن ملزمون بالاعتراف بحرية الانفصال، فبدون حرية الانفصال لا يمكن نعت التوحيد بأنه حرّ »

وجاء في المادة (٧٠) لدستور الاتحاد السوفييتي الصادر عام ١٩٧٧:

« اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو دولة اتحادية واحدة متعددة القوميات، قامت على اساس مبدأ الاتحادية الاشتراكية، نتيجة لتقرير مصير الامم بحرية، وللاتحاد الطوعي بين الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المتكافئة في الحقوق»

كما أخذ الاتحاد السوفييتي على عاتقه «حماية حقوق السيادة للجمهوريات المتحدة، واحتفاظ كل جمهورية متحدة بحق الخروج الحرّ من الاتحاد».

نرى ان جميع هذه الوعود والاعلانات والمبادئ الدستورية تؤكد طوعية الاتحاد وحق الخروج الحرّ منه. وحيث ان الشعب الشيشاني قرر من خلال مؤتمره الوطني العام ومن خلال مجلس السوفييت الأعلى لجمهوريته، ومن خلال الصحف والمؤسسات القومية عن تطلعهم الى الاستقلال والسيادة، فان هذا حق طبيعي ودستوري لهذا الشعب . وتعتبر معارضة السلطات السوفييتية (سواء سلطات الجمهورية الروسية الاتحادية او الاتحاد السوفييتي) تحقيق هذا الرغبة ضماً قسرياً وقهراً واغتصاباً غير شرعي. ومن حقّ الشعب الشيشاني معارضة مثل هذا الضمّ والقهر والاغتصاب، واعلان حقه في تقرير مصيره واعلان سيادة واستقلال جمهوريته.

٧- من مظاهر التوجّه السلمي عند الشعب الشيشاني، وعدم ميله او توقعه نزاعات مسلحة في الداخل او مع روسيا، او مع اي من الشعوب المجاور، ان قرارات المؤتمر الوطني ومصادقة البرلمان خلت من إشارات بناء قوات مسلحة او اجهزة امنية في حين انها تطرقّت الى النواحي التعليمية والثقافية والبيئة.

فبالنسبة للتعليم فان التمييز الذي مورس ضدّ الشيشان، والنفي الجماعي الذي حرم ابناءهم على كافة مستويات التعليم لمدة عامين ، ومن التعليم العالي لمدة ثلاثة عشر عاماً، جعلهم يفتقرون الى الكفاءات العلمية المتخصصة حيث كانت نسبة من صنفوا كعلماء الى مجموع السكان بين الشعب الشيشاني الاقل في الاتحاد السوفييتي.

واما بالنسبة للنواحي الثقافية فقد كانت هناك مقاومة ومعوقات من قبل السلطات السوفييتية لأية بحوث او حفريات او مراكز ومؤسسات تهدف الى كشف الخلفية الحضارية والتاريخية للشعب الشيشاني (وغيره من الشعوب الاسلامية) وكانت هناك معوقات وموانع لاستعمال لغتهم وتطوير آدابهم وإحياء تراثهم.

ولعل البند رقم (١٦) من قرارات المؤتمر المتعلق ببناء المتحف الجمهوري كان وروده نتيجة مداخلة مني شخصياً. اذ ان البناء الذي يشغله المتحف الشعبي كان صغيراً

وغير مناسب ومعرّضاً للتصدّع. وعندما تمّ بناء قصر الرئاسة (الذي دمّره الجيش الروسي عام ١٩٩٥) انتقلت الاجهزة الحزبية الى البناء الجديد وتقرّر تخصيص البناء الكلاسيكي الذي كانت تشغله كمتحف شعبي للجمهورية.الا ان الحزب كان قد قرر قبيل نقل المتحف الى ذلك البناء وضع اليد عليه من جديد ،وكانت مديرة المتحف في زيارة لها في الاردن تعبّر عن أسفها لهذا القرار الخاطئ. فانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر وأثرت الأمر أمام مندوبي الشعب الشيشاني.

واما بالنسبة للبيئة .. كان هناك تركيز لصناعات تكرير النفط والصناعات البتروكيماوية والبيوكيماوية في الجمهورية . وكانت التكنولوجيا المطبقة وانواع معدات المصانع وصيانتها دون المستويات المقبولة عالمياً. ولذلك وقع تلوّث خطير في جوّ وهواء ومصادر مياه الجمهورية وخاصة في المراكز الصناعية، بحيث ان مدينة غروزني اصبحت تعتبر الأسوأ من النواحي البيئية بين ٧٣ مدينة صناعية كبرى في الاتحاد السوفييتي السابق. وكان أثر ذلك على الصحة العامة ملموساً.

شكل المؤتمر لجاناً عديدة لمختلف المهمات ، أهمها اللجنة الدائمة للمؤتمر الذي اعتبر في حالة انعقاد مستمر. وكان الجنرال جوهر دوداييف في ذلك الوقت (وهو اول شيشاني سمحت له السلطات الشيوعية ان يصل الى رتبة جنرال) ضابطاً عاملاً في الجيش السوفييتي ويتولى قيادة السرب الجوي الاستراتيجي في جمهورية أستونيا الاتحادية، وقد حضر المؤتمر وألقى كلمةيحثّ على عدم التراجع عن قرار الاستقلال . وتقاعد من الخدمة العسكرية فيما بعد وأختير في الاجتماع العام للمؤتمر الذي عقد في حزيران ١٩٩١ رئيساً للجنة الدائمة للمؤتمر.

لم تتخذ سلطات الاتحاد السوفييتي ولا سلطات الجمهورية الروسية السوفييتية الاتحادية اي قرار معلن حول قبول او رفض استقلال جمهورية الشيشان. كما وان حكومة وبرلمان جمهورية الشيشان المنتخبين في ظلّ الحكم السوفييتي بقيا في الحكم بدون تعديل ما عدا وزير الداخلية والمدّعي العام ومدير المخابرات الذين استقالوا نتيجة قرارات المؤتمر الوطني وتمّ استبدالهم بغيرهم.

وعندما قامت في موسكو في آب ١٩٩١ الحركة الانقلابية ضد غورباتشوف، وحيث ان الانطباع العام السائد كان بأن الفئة التي قامت بهذه الحركة تمثل الشيوعيين المتشددين الذين يخططون للعودة الى أساليب كبت الحريات والاستبداد والبطش ، فان غالبية الشيشان حيثما وجدوا كانوا ضدّ هذه الحركة، وقاموا بدور فعّال في موسكو

لافشال هذه الحركة ، اذ ان مجموعات من الشباب الشيشان المقيمين في موسكو والوحدة العسكرية التي كانت تحت قيادة الجنرال أصلان بك اصلاخانوف الشيشاني هي التي كانت تقوم بحماية يلتسين المعتصم في مبنى البرلمان الروسي من اعتقال محتمل كما وان البروفسور روسلان خاسبولات النائب الأول (في حينه) لرئيس البرلمان يلتسين وقف ضد الحركة.

وفي غروزني، كان عامة الشعب الشيشاني معارضاً للحركة الانقلابية ويرون بأن جمهوريتهم التي استقلّت بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧ لم تعد جزءاً من الاتحاد السوفيتي او الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية، ولا يحقّ لها التدخل في الشؤون الداخلية للاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية. الا ان برلمان وحكومة شيشانيا تعاطفا مع الحركة الانقلابية وتجاهلا عواطف الرأي العام الشيشاني . فقامت في الجمهورية انتفاضة شعبية واسعة واعتصام في الساحات العامة ومؤسسات الدولة أدت الى استقالة اكثرية اعضاء برلمان الجمهورية فانحلّ البرلمان واصبح مركز رئيس الجمهورية شاغراً.

أعلن المؤتمر الوطني الشيشاني إجراء انتخابات رئاسية وللبرلمان بتاريخ ١٩٩١/١٠/٢٧. ورشّح المؤتمر الجنرال جوهر دوداييف رئيس اللجنة الدائمة لمنصب الرئيس وفاز من بين اربعة مرشحين بأغلبية ٨٥٪ من عدد الاصوات التي ادليت كما ذكرت المصادر الشيشانية . كما وان البرلمان والرئيس الجديدين اتخذا بتاريخ ١٩٩١/٩/٢ قرارا أكّد استقلال وسيادة جمهورية الشيشان، وصدر بتاريخ ١٩٩٢/٣/١٧ دستور الجمهورية الشيشانية المستقلة المعمول به في الوقت الحاضر.

حاول الرئيس يلتسين اعادة ضمّ جمهورية الشيشان الى الجمهورية الروسية السوفيتية فأصدر في نوفمبر ١٩٩١ مرسوماً ببطلان الانتخابات واعلان الاحكام العرفية ومنع التجول في شيشانيا، وارسل وحدات عسكرية لتنفيذ احكام المرسوم بالقوة، الا ان المقاومة الشعبية الشيشانية تمكنت من حجز وأسر كامل هذه القوة بدون اشتباك فعلي مما حدا ببرلمان الجمهورية الروسية الى توجيه لوم شديد ليلتسين وارغامه على إلغاء المرسوم . وتوسط البرلمن الروسي مع السلطات الشيشانية لإخلاء سبيل القوات الأسيرة . وكانت بادرة لبقة من الجنرال دوداييف ان سمح لهذه القوات بمغادرة الجمهورية مع اسلحتهم الشخصية إذ لم يرغب ان يمسّ الكرامة الشخصية، لزملائه السابقين في السلاح بصفته ضابطاً سابقاً في الجيش السوفيتي.

وفي عام ١٩٩١ قام الرئيس يلتسين من طرف واحد وبدون استفتاء شعبي او قرار

من برلمان جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية بانفصالها عن الاتحاد السوفيتي. ومن ثم قام مع زملائه رؤساء جمهوريات اوكرانيا وبيلوروسيا وازبكستان السوفييتية باعلان حل الاتحاد السوفييتي السابق الذي تمّ رسمياً بنهاية عام ١٩٩١.

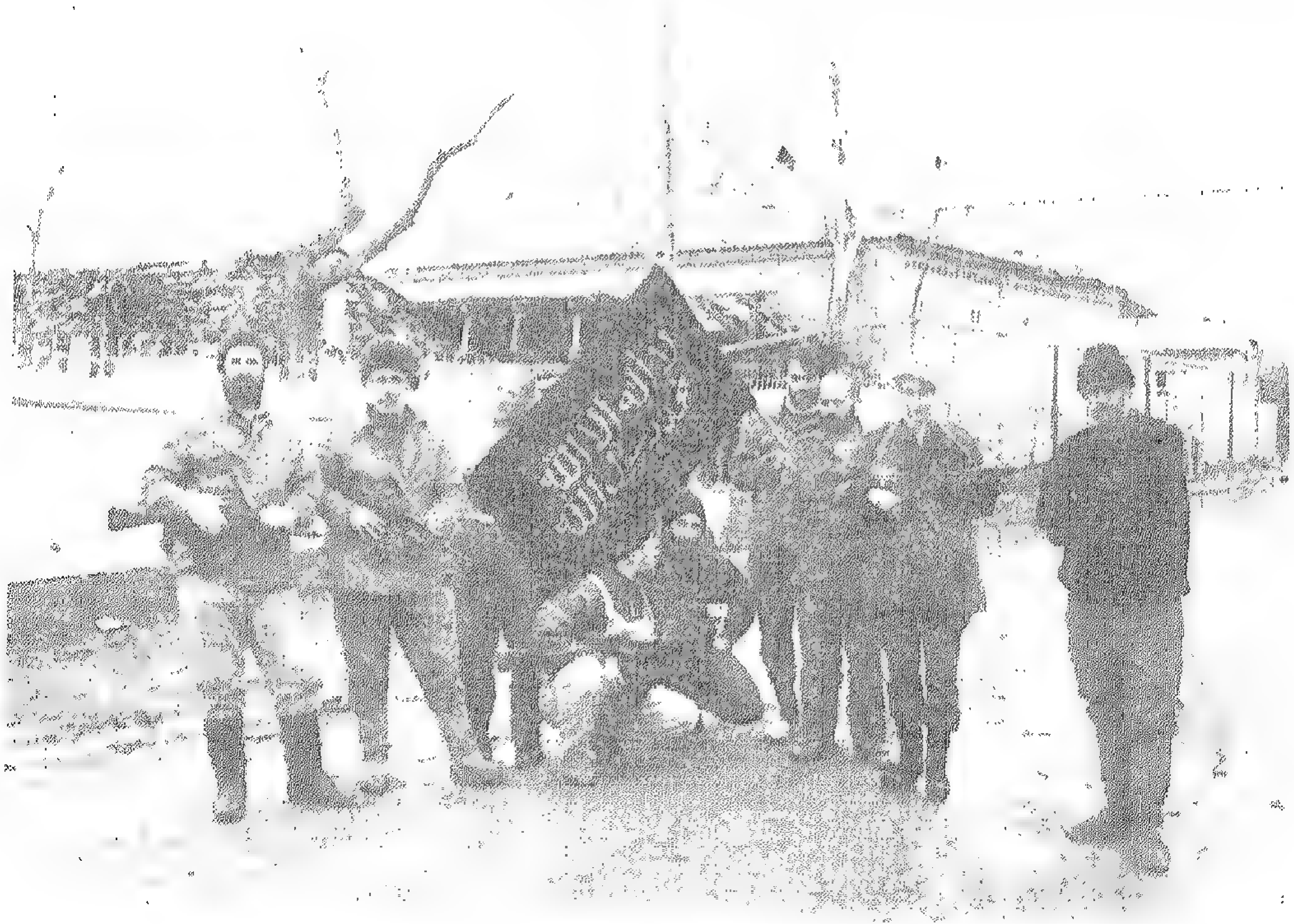
وعندما قام يلتسين بالضغط لتجمع جميع مناطق الجمهورية الروسية السوفيتية الاتحادية السابقة في جمهورية جديدة باسم الجمهورية الفدرالية الروسية بموجب معاهدة الفدرالية التي وُقعت بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣ امتنعت جمهوريات الشيشان وتتارستان وبشكيريا توقيع المعاهدة والانضمام الى الجمهورية الجديدة. وقد انضمت جمهوريتا تتارستان وبشكيريا الى الفدرالية فيما بعد بموجب شروط معاهدة معدلة، الا ان الجمهورية الشيشانية رفضت ذلك وأبت ان تقع تحت السيطرة الروسية من جديد.

لجأت روسيا الى مختلف اساليب ووسائل الضغط لاجبار جمهورية الشيشان للانضمام الى الفدرالية، تمثلت في المادة ٦٥ من دستور الفدرالية الروسية الذي صدر عام ١٩٩٣ حيث أدرجت جمهورية الشيشان ضمن تقسيمات الفدرالية الروسية. كما تآمرت السلطات الروسية على تجزئة جمهورية الشيشان وذلك بحثّ الأنجوش على الانفصال عن جمهورية الشيشان والانضمام الى الفدرالية الروسية مقابل إعادة لواء بريغورودني المسلوب لهم. وقد نجحت هذه المؤامرة حيث تمّ بتاريخ ١٩٩٢/٦/٤ تشكيل جمهورية أنجوشيا كجزء من الفدرالية الروسية ولكن بدون تحديد حدودها. وبدلاً من إعادة اللواء الى جمهورية الأنجوش اقترفت في اكتوبر ١٩٩٢ مجزرة مريعة بحق الأنجوش اشتركت فيها قوات روسية خاصة جلبت من خارج المنطقة (حيث ان القوات المتواجدة في المنطقة كانت مترددة وغير متحمسة للاشتراك في هذه الجريمة) حيث قُتل المئات وشرّد حوالي (٦٠) ألفاً من الأنجوش القاطنين في ذلك اللواء، ولم يُسمح لهم لتاريخ اليوم بالعودة الى ديارهم.

الا ان الشعب الشيشاني بقي صامداً، وتسارعت وتصاعدت الضغوط الروسية من حصار اقتصادي ومقاطعة تجارية واغلاق الحدود ومحاربة دبلوماسية واعلامية، وتطورت الى خلق حركات معارضة عميلة ساندتها مادياً واعلامياً وبمشاركة عسكرية إلا أنها فشلت جميعها في تحطيم ارادة التمسك بالاستقلال لدى الشعب الشيشاني، وعند ذلك قامت بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١ بغزو عسكري كبير للجمهورية، وظنّ قادتها المغرورون بأن باستطاعة هذه القوات ان تخضع شيشانيا خلال ساعات او ايام على الاكثر، إلا أنه بعد حرب دام حوالي عامين ومعارك شديدة، استعمل الروس فيها جميع

الاسلحة الحديثة المدمرة بما فيها المحظورة دولياً، وقاموا بقتل عشرات الألوف وجرح وتشريد مئات الالوف وأغلبهم من المدنيين العزّل ، وقاموا بتدمير شامل للبنية التحتيية ومرافق الخدمات والاسكان والمستشفيات والملاجئ ودور العلم والعبادة، لم ينجح الروس ايضاً في اخضاع شيشانيا وتحطيم ارادة الشعب الشيشاني الحرّ، ولحقت بالقوات الروسية هزائم مهينة لسمعة قوة عظمى، وتعرض الاقتصاد الروسي لخسارة ، وقتل الألوف من المجندين الشباب الذين زجوا في أتون المعركة بدون تدريب مناسب او غذاء وكساء كافٍ ، مما أثار الرأي العام الروسي ضدّ هذا الحرب، فأدى كل ذلك الى قناعة المسئولين الروس بأن الحل السلمي عن طريق المفاوضات هو المخرج الوحيد من هذه الأزمة المدمّرة، وتوصل الفريقان الى اتفاقية أدت الى ايقاف القتال وانسحاب الجيوش الروسية من شيشانيا والاتفاق على التفاوض حول العلاقات المستقبلية بين روسيا وشيشانيا .

وانني إذ آمل ان يعمّ السلام وان تنمو علاقات تعاون لمنفعة جميع الاطراف، آمل اذا أمدّ الله في عمري وتمكنت من جمع المعلومات الموثّقة الكافية أن اؤلف كتاباً عن هذه المرحلة الجديدة المباركة في تاريخ الشعب الشيشاني.



كلنا مجاهدون





جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان في الأردن تحتفل بإعلان استقلال الجمهورية

الفصل العاشر

نبذة عن الشيشان

«وهم قوم (حسب وصف الروسيين)، رجالاً ونساء، غاية في الجمال والرشاقة، طوال الأجسام، حاضرو الجواب، أذكياء، مرحون. وقد لقبهم الروس(فرنساويي القوقاز).

«وهم شديدو المراس، حديدو المزاج، سريعو الاحساس، وربما كانوا في بعض الأحيان خشنين زيادة عن المطلوب. واما من جهة شجاعتهم وفروسيتهم فانهم من أشجع أمم قفقاسيا قاطبة، وكانوا من أشد خصوم روسيا في الحروب الأخيرة»

يوسف عزت باشا – تاريخ القوقاز ١٩١٢



حفلة زواج شيشانية في الأردن

نبذة عن الشيشان

يقول الدكتور برونوبلا تستشكي في كتابه الشيشان (Die Tschets-chenen)(٥٦):-

«كان اختياري لتلك المناطق (شيشانيا) بالذات مقصوداً، إذ أن منطقة الشيشان هي بلا ريب المنطقة الأكثر غموضاً في القوقاز حتى هذا التاريخ (١٩٢٨)، وذلك يعود إلى أسباب مختلفة:-

«أولاً، لا نجد في شرق القوقاز تلك الجبال الهائلة المكسوة بالجليد الموجودة في النصف الغربي للقوقاز، مع أن جبال داغستان تلفت بمهابتها الانظار. وعلى كل فإن السياح والعلماء من الأوروبيين والروس كانوا يتنقلون (بغض النظر عن بعض الاستثناءات) بشكل رئيسي بين السلاسل الجبلية المركزية الممتدة بين جبلي كازبك والبروز. وحتى من ذهب منهم باتجاه الشرق فإن اهتمامه كان منصباً بشكل رئيسي على الجبال العالية في الغرب. وقد نجم عن ذلك أن السلاسل الجبلية المتوسطة الارتفاع لم تحظ إلا بجهود إكتشافية ضئيلة، مع العلم بأن هذه الجبال المتوسطة تشكل القسم الأعظم من منطقة الشيشان، والمقصود هنا الجبال التي لا تصل في حدودها إلى حدود الثلج الدائم. والسلسلة الجبلية العالية الوحيدة المشاهدة في منطقة الشيشان، هي سلسلة

بيركيتلي التي تحدد بلاد الشيشان جنوباً وتتبع بمنحدراتها الشمالية فقط منطقة الشيشان.

«وسبب آخر لعله منع البعض من ارتياد بلاد الشيشان، هو السمعة القاسية التي اشتهر بها الشيشان من بين جميع شعوب القوقاز إن لم يكونوا الأشد شراسة»

ويستطرد الكاتب:-

«أما أنا فلم أعان من أي سوء معاملة من قبل السكان المحليين فيما حادثة واحدة. فقد قوبلت أينما كان بالترحاب والمودة. ويعود السبب إلى أنني كنت قد تعرفت أثناء إقامتي السابقة في القوقاز أثناء سنوات الثورة (١٩١٨-١٩٢٠) على الكثير من الجبليين الذين قدموا لي أثناء إقامتي الثانية الكثير من العون والمساعدة. ورغم أن إقامتي السابقة لم تكن بهدف علمي - بل كنت أمارس النشاط العسكري إلى جانب الجبليين - إلا أنها أكسبتني معرفة جيدة بالبلاد وسكانها الأمر الذي وفر علي الوقت في زيارتي العلمية الحالية».

ويقول ب . س . بالاس مستشار الدولة لجلالة امبراطور روسيا القيصرية:- (٥٧)

«ومع أن الشيشان يتكلمون ذات اللغة كالأنجوش، إلا أن طابعهم الوطني يختلف كلية. فهم يعتبرون أكثر سكان الجبال شغباً وعداء وتخريباً لدرجة انهم يعتبرون أسوأ جيران على خط حدود القوقاز بدون استثناء».

ويستطرد:-

«ومن المؤسف أنه لا يمكن القبض عليهم بسهولة، فيعاقبون العقاب الذي يستحقونه على سلوكهم الخارج على القانون، ذلك لأن لهم جبالاً مكسوة بالغابات ووعرة، ولا يكاد الغرباء يستطيعون الوصول إليها. وهؤلاء هم نفس القوم الذين قدموا أكبر المساعدة للشيخ منصور خلال الحرب الأخيرة، وهو النبي الجديد الذي ادعى النبوة (وهذا غير صحيح - المؤلف). ومنذ تلك الفترة لم يكن ممكناً اخضاع الشيشان».

ويقول جون بادلي في كتابه (سفوح القوقاز الوعرة)(٥٨):-

«إن نشاطات قطاع الطرق والسلب منتشرة في شيشانيا. إلا أن هناك ظاهرة عامة وهامة... وهي أن نفس قاطع الطريق، الذي قد يكون من منطقة جبلية بعيدة ومنعزلة، والذي قد لا يتورع بدون تأنيب ضمير عن القيام بأعمال سلب في جوار مدينة ولادي قفقاسيا وغروزني وغيرها... يمتنع عن اقتراف مثل هذه الجرائم في منطقته الجبلية البعيدة. قد يعود ذلك إلى أن سكان تلك المناطق، التي تدعهم روسيا وشأنهم بدون تدخل إلا في حالات الثورات لا يرغبون جلب اهتمام الروس بعمليات اعتداء على

الأجانب في مناطقهم. إلا أن هذا العامل هو نصف الحقيقة فقط، إذا أن العامل الأهم هو تقاليد وقوانين الضيافة غير المكتوبة عند الشيشان. فنتيجة مراعاة هذه التقاليد يكون المسافر وعابر السبيل أكثر تعرضاً للسلب وربما القتل كلما كان أقرب إلى المدن، بينما عندما يتوغل في المناطق الجبلية البعيدة والمنعزلة يكون أكثر أماناً منه في أية مدينة متمدنة في أوروبا، وخاصة إذا كان على المام بالعادات والتقاليد المحلية».

وليس هذا الانطباع المتحفظ عن شيشانيا والشيشان هو العامل الوحيد ولا الأهم للنقص الكبير في المعلومات والبحوث والمراجع عن الشيشان وتاريخهم وحضارتهم وثقافتهم. فهناك عوامل وظروف أعاقت محاولات البحث والتدوين والتوثيق أدرج هنا أهمها:-

١- إن الحفريات والبحوث والدراسات عن الأصول العرقية لشعوب القوقاز تربط شعوب (الناخ) ومنهم الشيشان والأنجوش وبعض عشائر داغستان مع الأورارتيين الذين كانت لهم قبل المسيح حضارة مميزة ووجود قوي وعدة ممالك (كانت إحداها تسمى مملكة الناخ)(٥٩) في أجزاء من أراضي جمهوريات أرمينيا وجورجيا وأذربيجان الحالية.

ويعتقد أن اسم منطقة ناختشيفان ذات الحكم الذاتي التي تتبع جمهورية أذربيجان ولكنها واقعة ضمن أراضي جمهورية أرمينيا لها علاقة بهذه الرابطة مع شعوب (الناخ).

عندما أصاب الضعف ممالك الاورارتيين، ولم يعد بطاقتهم مقاومة الغزاة القادمين من الجنوب والغرب، آثروا النزوح إلى شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى وتحصنوا في المناطق الجبلية من شيشانيا الحالية.وآثروا اعتماد سياسة مقاومة الاحتلال وعدم الرضوخ لحكم أجنبي ولو أدى ذلك إلى عزلتهم، وهذا ما جرى بالفعل، إذ أن جميع القوى والامبراطوريات التي غزت القوقاز واحتلت أجزاء منها أو مرت بها لم تستطع احتلال المنطقة الجبلية من شيشانيا حتى كان الاحتلال الروسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد بقوا على شبه عزلة، ولم يقيموا علاقات تجارية وحضارية مع العالم الخارجي، بل أنهم اهملوا كتابة لغتهم (وكان الاورارتيون يستعملون الكتابة المسمارية) وتدوين تاريخهم، حتى بدأ الدين الإسلامي الحنيف ينتشر بينهم فاعتمدوا الاحرف العربية لكتابة لغتهم.

٢- إن شيشانيا بلد داخلي بعيد عن البحار المفتوحة، وكانت علاقتهم مع الشعوب التي تفصل بينهم والبحار المفتوحة يشوبها التوتر مما حدّ من اتصالهم بالعالم الخارجي.

٣- اتبعت السلطات الروسية القيصرية والشيوعية خطة تهدف إلى عزل الشعوب

التي استعمرتها عن بعضها وعن العالم الخارجي، وطمس حضاراتها وثقافتها والتعتيم على اخبارها، وربطها واتباعها بالقومية الروسية بل وحتى نشر المذهب الأرثوذكسي بينها.

٤- أدت عملية النفي الجماعي للشيشان فيما بين ١٩٤٤-١٩٥٧ إلى عزلهم كلياً عن العالم الخارجي، والتعتيم على أي شيء يشير إلى مصيرهم أو إلى تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم. بل أن اسم الشيشان والأنجوش واسم شيشانيا حذف من الموسوعات والمراجع الروسية التي صدرت في تلك الفترة. فمثلاً، فإن العالم الخارجي الذي كان قد علم بعمليات النفي الجماعي لبعض القوميات خلال العامين ١٩٤٣، ١٩٤٤ إلا أن المناطق التي جرى نفيهم إليها بقيت مجهولة حتى عام ١٩٥٥ بعد موت ستالين.

٥- وعندما أعيد تشكيل جمهورية الشيشان/أنجوش عام ١٩٥٧، أعتبرت منطقة عسكرية مغلقة محظور على الأجانب زيارتها أو حتى المرور منها إلا بتصاريح خاصة يصعب الحصول عليها.

هذه من العوامل التي حدت من البحوث والدراسات والتدوين عن أصل الشيشان وتاريخهم وحضارتهم وثقافتهم. وهذه النبذة عن الشيشان وإن بدت وكأنها خارج عنوان هذا الكتاب ولا تغطي هذه النواحي بشكل كاف، إلا أنني وجدت فائدة في تقديمها.

يعتبر الويناخ (الشيشان والأنجوش) والأديغة (مختلف عشائر الشراكسة) والجورجيون وبعض عشائر داغستان مثل الاوار والليزغيين والدارغيين من سكان القوقاز الأصليين، في حين أن الاوسيت والقوموق والبلقر والكاراتشاي وحتى الأرمن والأذربيين (سكان أذربيجان) وغيرهم يعتبرون وافدين إلى القوقاز في عصور متأخرة.

ويطلق الشيشان والأنجوش والعشائر المنتمية إلى مجموعتهم على أنفسهم اسم «وَيْ ناخ» ومعناه باللغة الشيشانية قومنا. فهو اسم مركب من ضمير جمع المتكلم (وَيْ) ويعادل بالعربية (نحن ونا) والاسم ناخ ومعناه باللغة الشيشانية قوم.

ويطلقون على فروع مجموعتهم الأسماء التالية:-

١) نوختشوي: للفرع المعروف عالمياً باسم الشيشان. ومعناه باللغة الشيشانية (سكان أرض الناخ) ويشكلون القسم الأكبر من مجموعة الويناخ من حيث تعدادهم.

٢) غَالْغوي: للفرع المعروف عالمياً باسم الأنجوش. ومعناه باللغة الشيشانية سكان القلاع (غالة تعني قلعة) ويأتون بعد الشيشان من حيث تعدادهم.

٣)آرسْتخوى: وهم الفرع الذي يطلق عليهم الروس والجورجيين اسم الكيست واسم الكارابولاك. ومعناه باللغة الشيشانية سكان المناطق الخارجية والحدودية. ويقول المؤرخون بأنهم كانوا يقطنون بجوار الممرات والمنافذ التي تربط ديار الشيشان مع الشعوب المجاورة ويتولون حراستها وحمايتها. ويتميزون بجمال تكوينهم الجسمي وبياض البشرة والعيون الزرقاء والشعر الأشقر. وهم أقل عشائر الويناخ من حيث تعدادهم وهاجر معظمهم عند الاحتلال الروسي للقوقاز إلى الامبراطورية العثمانية.

وأما الروس فيطلقون على فرع (النوختشوي) اسم تشاتشان الذي أصبح دارجاً في العالم. ويعتقد بأن الروس أطلقوا هذا الإسم نسبة إلى سكان بلدة تشيتشن القريبة من غروزني، وكانوا أول من وقع تماساً معهم عندما بدأت حملات الاحتلال الروسي للقوقاز.

وأطلقوا اسم أنجوش على فرع (الغالغوى) وهذه التسمية أيضاً نسبة إلى قرية بهذا الاسم في تلك المنطقة. وأطلقوا اسم كيست على فرع (الارستخوى) كما يطلق على هذا الفرع اسم الكارابولاك نسبة إلى المنطقة الجغرافية المعروفة بهذا الاسم.

وأما الجورجيون فيطلقون اسم تشاتشان على الشيشان واسم (كيستي أو كيستورى) على الأنجوش والكيست.

ويطلق الشراكسة اسم (شيشان) والاوسيت اسم (تساتسان) على الشيشان. وأما الاوار فيطلقون على الشيشان اسم (بورتيتشي) والقوموق اسم مستشيكيش وميتشغوش.

ومن ناحية جذورهم العرقية فهناك نظريات وتفسيرات متعددة، بعضها تربطهم بالجنس الآري وأخرى بالحثيين وغيرها بالحوريين والاورارتيين والسومريين. وبعد اعتناقهم الدين الاسلامي الحنيف برزت تفسيرات تربطهم بالساميين بشكل عام والعرب بشكل خاص. فمن النظريات التي تربطهم مع العرب ورد فيها:—

١) بأنهم نسل عشيرة من الاوزديين هاجرت إلى القوقاز بعد إنهيار سد مأرب.

٢) كان هناك شيخان عربيان شقيقهما الأكبر هو (عَنَزْ) الذي تنحدر منه عشائر العنيزة المتواجدة في نجد وغيرها من البلاد العربية، والأصغر كان اسمه (مَعَزْ) قام بسبب جفاف في دياره، بالنزوح إلى الشمال حتى استقر في مناطق القوقاز واليه ينتسب الشعب الشيشاني.

٣) إن ثلاثة أخوة أبو الخان ورشيدخان وحمزة خان وهم أبناء سيد على الشامي سيد

الأمراء وسلطان زمان عصره خرجوا بعد وفاة والدهم الذي عاش في دمشق أكثر من مائة عام إلى بلدة نخجوان (في منطقة ناختشيفان الحالية) واستوطن أبناؤهم فيما بعد في أنحاء مختلفة من القوقاز بما فيها ديار الشيشان الحالية.

٤) إنهم يمتون بالنسب إلى جماعة من أولاد حمزة عم الرسول عليه الصلاة والسلام، هاجرت مع ألفي رجل من جماعتهم عام ٢٠٠ هجرية من مكة المكرمة، قاصدين نشر الاسلام في ديار الكفار. وقد جرى التزاوج بين هذه الجماعة وأهالي الديار التي هاجروا إليها (ومنها أجزاء من شيشانيا الحالية)، ومن نسلهم بعض عشائر الشيشان. وكانت الفتوحات العربية الاسلامية قد وصلت إلى القوقاز واحتلت وحكمت أقساماً من جنوب القوقاز (أذربيجان وجورجيا الحالية) وكذلك جنوب داغستان، إلا أن الحملات والفتوحات الإسلامية لم تصل إلى شمال داغستان أو أجزاء أخرى من شمال القوقاز ومنها شيشانيا الحالية.

إن أقرب النظريات وأكثرها تقبلاً بالنسبة لجذورهم العرقية هي التي تربط بينهم وبين الحوريين والاورارتيين، وتستند هذه النظريات على الحفريات والاستكشافات والبحوث التي جرت خلال النصف الثاني من هذا القرن بعد عودة الشيشان عام ١٩٥٧ من المنفى الجماعي. وقد تأيدت هذه النظرية بالتشابه الكبير بين اللغتين الشيشانية الحالية والاورارتية القديمة التي كانت تكتب بالحروف المسمارية.

عثر علماء الآثار في العشرينات من هذا القرن في منطقة حدودية بين أرمينيا وجورجيا على مسلة حجرية عليها كتابة مسمارية. قدر العلماء عمر المسلة حوالي ٣٠٠٠ عام إلا أنهم لم يستطيعوا تحليل الكتابة. وقع جدال حاد بين علماء الشعبين المذكورين (لم يلبث أن انتقل إلى العامة) كل طرف يدعي بأن الكتابة المذكورة هي بلغتهم القومية القديمة. وانتقل الجدال من المجلات والنشرات العلمية إلى الصحف السياسية. فقامت السلطات السوفيتية بارسال وفد لفحص المسلة ولم تستطع تحليل الكتابة. إلا أنها حلاً للخلاف أعلنت أن الكتابة باللغة الآشورية، ونقلت المسلة إلى روسيا وحفظتها بدون عرضها للجمهور. وعلى ضوء النظريات حول الرابطة بين لغة الأورارتيين القديمة ولغات (الناخ) الحالية أعيد تحليل الكتابة واستطاعوا تفسيرها مقارنة باللغة الشيشانية الحالية. وقد وجدوا أن ستين كلمة من مجموع ٣٠٠ كلمة اورارتية متطابقة معنى ولفظاً مع اللغة الشيشانية.

تنقسم اللغات المستخدمة في القوقاز إلى مجموعة اللغات القوقازية الأصلية

ومجموعة من لغات أخرى مستخدمة في القوقاز ولكنها لا تعتبر لغات قوقازية أصلية(٥٩).

اللغات القوقازية الأصلية هي:-

١- **مجموعة أديغة - ابخاز:** وتشمل أباظة، أديغة، قبرطاي، اوبيخ، ابخاز. وهي من عائلة لغات شمال غرب القوقاز.

٢- **مجموعة الويناخ:** وتشملَ شيشان، أنجوش، باتسو وهي من عائلة لغات شمال شرق القوقاز.

٣- **مجموعة الداغستان** وتشمل ٢٨ لغة أو لهجة مختلفة لا يتجاوز عدد الذين يعرفون البعض منها عدة مئات. وهي من عائلة لغات شمال شرق القوقاز.

٤- **المجموعة الكارتفيلية** وتشمل منغريليا، لاز، سفان وغيرها من لغات ولهجات جورجيا وهي من عائلة لغات جنوب القوقاز.

أما اللغات الأخرى المستخدمة في القوقاز ولكنها لا تعتبر لغات قوقازية أصلية فتشمل: روس، أذر، أرمن، أوسيت، كاراتشاي، بلقر، قوموق، ناغواي، كرد، يونان وغيرها.

تقول البروفسورة جوهانا نيكولاس (Johanna Nicholas) من جامعة كاليفورنيا - بيركلي:(٦٠)

«تشكل لغة الشيشان والأنجوش والباتس (اقلية عرقية في جورجيا) مجموعة الناخ من عائلة لغات الناخ - داغستان في شمال القوقاز وهناك أكثر من ٣٠ لغة في عائلة لغات شمال القوقاز معظمها في داغستان الواقعة شرقي شيشانيا. وقد جرى انفصال مجموعة لغة الناخ عن باقي العائلة قبل حوالي ٥٠٠٠-٦٠٠٠ سنة وهكذا فإن عائلة لغات الناخ - داغستان تماثل من حيث القدم عائلة اللغات الهندو - أوروبية التي تفرعت عنها اللغات الانكليزية والفرنسية والروسية واليونانية والهندية وغيرها. أما الإختلاف بين اللهجتين الشيشانية والأنجوشية فلعله بدأ في القرون الوسطى».

ومن الجدير بالذكر بأن روسيا (وخاصة السلطات السوفيتية) خططت لإبراز الفروق بين اللهجتين بل وسمتهما لغتين مختلفتين مع أنهما لغة واحدة والفرق بين اللهجتين أقل من الفرق بين اللهجة المصرية واللهجة العراقية مثلاً.

ومع أن عائلة اللغات القوقازية الأصلية منفصلة عن عائلة اللغات الهندو - أوروبية إلا أن هناك تشابهاً في التركيب الأساسي للجمل وكذلك العشرات من الكلمات الأساسية

(وليست الأسماء والمصطلحات التي تقتبسها الشعوب عن بعضها وتكاد أن تصبح مصطلحات عالمية) مع اللغة الإنكليزية وهي اللغة الوحيدة التي أعرفها من عائلة اللغات الهندو – أوروبية.

وهناك العديد من الكلمات والمصطلحات في اللغة الشيشانية التي تشابه لفظاً ومعنى اللغة العربية، ولكنها كلمات ومصطلحات واردة في القرآن الكريم وإقتبسها الشيشان عندما انتشر الدين الإسلامي الحنيف بينهم.

وبعد انهيار دويلات الاورارتيين ، ونزوح شعوب الناخ إلى شمال سلسلة هضبة جبال القوقاز الكبرى، وتحصنهم في منحدراتها وأوديتها الوعرة، بقوا على شبه عزلة عن العالم الخارجي وتوقفوا عن الكتابة بلغتهم وتدوين تاريخهم وحضارتهم لمدة تزيد عن ألف عام. إلا أنهم بدأوا في مرحلة لاحقة ينتشرون في المناطق الأقل وعورة والسهلية واعادة الاتصال وبناء العلاقات مع الشعوب المجاورة. وعندما بدأ الدين الاسلامي الحنيف ينتشر بينهم بواسطة مبشرين ووعاظ من القوموق والداغستان اعتمدوا الأحرف العربية لكتابة لغتهم. وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٢٥ عندما قررت السلطات السوفيتية إلغاء استعمال الاحرف العربية واستبدالها بالاحرف اللاتينية. وفي عام ١٩٣٩ قامت مرة أخرى بإلغاء استعمال الاحرف اللاتينية واستبدالها بالاحرف الروسية المستعملة في الوقت الحاضر.

وفي كلتا مرحلتي تبديل الكتابة كانت السلطات السوفيتية تقوم بجمع الكتب والمراجع المكتوبة بالاحرف المنوي إلغاؤها، تنقل المهم منها وتحفظه في أرشيفات روسيا وتتلف الباقي أو تحرقه وذلك لقطع الرابطة التي كانت تربطهم بحضارتهم وتراثهم، والادعاء بأن لغتهم الأصلية لا جذور كتابية لها الا ما تفضل به الروس وأوجدوا أسلوباً لكتابتها باستعمال الاحرف الروسية .(منية المستعمرين على المستعمرات – المؤلف)

إلاّ انه بعد سبعين عاماً من الحكم الشيوعي، ومحاولات إحلال اللغة الروسية كلغة أولى في الاتحاد السوفيتي، بقيت شعوب الاتحاد ملتزمة باستعمال لغاتها القومية، سواء داخل جمهورياتهم ومقاطعاتهم او في باقي أنحاء الاتحاد السوفيتي . وكانت نسبة الملتزمين بلغتهم القومية من الشيشان هي الأعلى.

الجدول رقم ١٠ –١ يبيّن هذه النسب بين بعض شعوب القوقاز.

الجدول رقم ١٠ -١

ستعمال اللغة بين شعوب القوقاز / نتائج تعداد السكان عام ١٩٨٩

الرقم	الشعب	النسب المئوية داخل الجمهورية القومية		النسب المئوية لكامل الاتحاد السوفيتي	
		اللغة القومية	اللغة الروسية كلغة ثانية	اللغة القومية	اللغة الروسية كلغة ثانية
١	الارمن	٩٩ر٦	٤٤ر٣	٩١ر٦	٤٧ر١
٢	الاذربيين	٩٩ر١	٣١ر٧	٩٧ر٦	٣٤ر٤
٣	الجورجيين	٩٩ر٧	٣١ر٨	٩٨ر٢	٣٣ر١
٤	الابخاز	٩٧ر٢	٤١ر٠	–	–
٥	اوستيا الجنوبية	٩٨ر٢	٥٩ر٧	–	–
٦	اوستيا الشمالية	٩٨ر٢	٨٦ر٩	٨٧ر٠	٦٨ر٩
٧	الاديغة	٩٨ر٤	٨٣ر٢	٩٤ر٧	٨١ر٧
٨	البلقر	٩٨ر٥	٨٢ر٧	٩٢ر٩	٧٧ر٢
٩	الشيشان	٩٩ر٧	٧٣ر٤	٩٨ر٠	٧٤ر٠
١٠	الشركس	٩٧ر٩	٧٨ر٢	٩٠ر٤	٧٦ر٣
١١	الانجوش	٩٩ر٦	٧٩ر٦	٩٦ر٩	٨٠ر٠
١٢	القبرطاي	٩٨ر٩	٧٨ر٦	٩٦ر٩	٧٧ر١
١٣	الكالمون	٩٦ر١	٨٩ر٧	٨٩ر٩	٨٥ر١
١٤	الكاراتشاي	٩٩ر٢	٧٩ر٧	٩٦ر٧	٧٩ر١
١٥	الاوار	٩٨ر٩	٦٤ر٥	٩٦ر٩	٦٠ر٦
١٦	الاجول	٩٨ر٥	٦٨ر٩	٩٤ر٤	٦٥ر٨
١٧	الدارغيين	٩٨ر٩	٦٦ر١	٩٧ر٥	٦٨ر٠
١٨	القوموق	٩٩ر٠	٧٤ر٣	٩٧ر٤	٧٤ر٥
١٩	اللاك	٩٧ر٧	٧٨ر٣	٩٣ر٥	٧٦ر٤
٢٠	اللزغيين	٩٨ر٠	٦٨ر٢	٩١ر٥	٥٣ر٤
٢١	النوغاي	٨٤ر١	٧٧ر١	٨٩ر٩	٧٩ر٣
٢٢	الروتول	٩٨ر٤	٦١ر٧	٩٤ر٥	٦٣ر٠
٢٣	التاباسراي	٩٨ر٤	٥٩ر٨	٩٥ر٧	٦٢ر٦
٢٤	التساعور	٩٨ر٨	٥٢ر٤	٩٥ر١	٢٣ر٦

جميع الويناخ (ماعدا أقلية الباتسيين في جورجيا) مسلمون سنة ويقتدون المذهب الشافعي.

جاء في كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي(٣٢) «بأن قيام الاسلام في الاقاليم التي شكلت الامبراطورية السوفيتية قد تم في ست مراحل»:-

١- الفتح العربي من القرن السابع وحتى القرن التاسع: حيث دخل الاسلام بعض بلدان ما وراء القوقاز (جنوب الهضبة الكبرى) وآسيا الوسطى، وكانت الجيوش العربية استولت على اذربيجان عام٦٣٩ وتوغلت في داغستان عامي ٦٤٢-٦٤٣ واحتلت مدينة دربند للمرة الإولى عامي ٦٥٢ - ٦٥٣. ثم اضطروا للتراجع إلا انهم ما لبثوا ان احتلوها مرة اخرى عامي ٦٨٥ - ٦٨٦. ولكنهم لم يستطيعوا التوغّل في السهوب الواقعة ما واء تلك المدينة ، وانتشر الاسلام في هذه المرحلة في أذربيجان وداغستان الجنوبية إلا أنه كان أكثر بطئاً في جبال داغستان التي لم يسلم سكانها نهائياً إلا في القرن الثاني عشر حين اختفت آخر المجموعات اليهودية والمسيحية في بلاد الأوار. وأما الشيشان فلم يتأثروا ولم يصلهم الإسلام في هذه المرحلة.

٢- انتشار الإسلام سلماً بامتداد الطرق التجارية من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر،وذلك بامتداد الطريقين الكبيرين للتجارة الدولية... من الجنوب إلى الشمال بامتداد نهر الفولغا وهو (طريق الفراء) ومن الغرب الى الشرق من البحر الاسود الى الصين وهو (طريق الحرير) حيث انتشر الاسلام بفضل التجار المسلمين من عرب وايرانيين وأتراك آسيا الوسطى وكذلك بفضل التجار والسفراء العرب في مملكة بلغار الفولغا الأوسط وفي الاورال وسهوب قازاق وجبال قرغيزيا وغيرها. إلا أن تأثير هذه المرحلة على اسلام الشيشان كان محدوداً أيضاً.

٣- اسلام امبراطورية المغول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر،حيث كان ملوك المغول من العشيرة الذهبية وخانات تشغتاي قد اهتدوا إلى الإسلام الذي ما فتئ يتقدم، ودخل الاسلام على يد النوغاي القوقاز الأوسط (ويشمل الشيشان) في القرن الثاني عشر. وفي نهاية القرن الخامس عشر اعتنق دين الإسلام معظم البلقر والكراتشاي والقبرطاي والشركس الشرقيون.

٤- التوسع الروسي والهجوم المضاد على الإسلام في القرن السادس عشر،حيث توسعت دولة مسكوفيا (إمارة موسكو) وضمت قازان واستراخان عام ١٥٥٢ و١٥٥٦ وسيبريا الغربية عام ١٥٩٨ ووصلت في نهاية القرن السادس عشر إلى شمال القوقاز في

كبارديا وحدود بلاد الشيشان. وقامت روسيا بجهود كبيرة في محاربة الإسلام وتنصير المسلمين. وجاء رد الإسلام من خانات القرم والإمبراطورية العثمانية حيث لجأوا إلى احلاف دبلوماسية وعسكرية وانتشر الإسلام بين قبائل الشركس الغربيين والابخاز بجهودهم وأوقفوا تقدم المسيحية في القوقاز الأوسط.

٥- انتشار الإسلام في ظل الإمبراطورية الروسية في القرن الثامن عشر حتى القرن التاسع عشر،حيث أن الغزو الروسي لم يوقف انتشار الإسلام ولم يحد من جماحه بل بالعكس فقد سجل الإسلام تقدماً جديداً في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وظهرت الجماعات الصوفية من الطريقة النقشبندية التي سجلت الموجه الثانية من انتشار الإسلام في الإمبراطورية الروسية. وظهر في داغستان وشيشانيا دعاة النقشبندية القادمون من شيرفان وآسيا الوسطى وكانت المقاومة الشديدة والمستمرة التي خاضها جبليو القوقاز وتصدوا بها للزحف الروسي هي ثمرة دعوة مريدي النقشبندية، وإليهم يرجع الفضل في نشر الاسلام نهائياً بين الشيشان في مطلع القرن التاسع عشر والشركس الغربيين والاباظا في منتصف القرن التاسع عشر.

٦- المراحل الأخيرة من انتشار الإسلام بين أعوام ١٩٠٥-١٩٢٨:

حيث أعلنت الحرية الدينية التامة في روسيا عام ١٩٠٥، فكانت فرصة للاسلام لكي ينصرف فوراً إلى مرحلة انتشار جديدة. وفي هذه المرحلة عاد معظم التتر الذين كانوا ارتدوا بسبب الضغوط الروسية إلى الأرثوذكسية إلى اعتناق الإسلام من جديد. كما انتشر الاسلام بين الفنلنديين الشرقيين والاودمورت والماريي والموردف والتشوفاس، إلا أن هذه المرحلة انتهت عام ١٩٢٨ حين تدخلت الحكومة السوفيتية وبدأت سلسلة طويلة من الاضطهادات الدينية.

تأسست الطريقة الصوفية النقشبندية على يد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند المتوفي عام ١٣٨٩م في مدينة بخارى في القرن الرابع عشر، ودخلت في بلاد الشيشان في أواخر القرن الثامن عشر، وتصدرت حركة (المريدين) في شيشانيا وداغستان مقاومة الاحتلال الروسي للقوقاز في القرن التاسع عشر.

وبالاضافة إلى الطريقة النقشبندية انتشرت بين الشيشان الطريقة القادرية التي تنسب إلى الشيخ عبد القادرالجيلاني المتوفي عام ١١٦٦م. وأول مرشد قادري في القوقاز هو كونتا حجي الذي أخذ الطريقة حوالي عام ١٨٥٠ أثناء إقامته في بغداد في طريق العودة من الحج. وانتشرت هذه الطريقة بين الشيشان والأنجوش بسرعة كبيرة. ولم تتأثر

باعتقال الروس لكونتا حجى حجي عام ١٨٦٤ ووفاته في السجن عام ١٨٦٧ من حيث حيويتها واجتذابها للمريدين إلا أنه تفرع عنها في شيشانيا ثلاث طرق.

وفي فترة النفي الجماعي (١٩٤٤-١٩٥٧) قام رجال الطرق الصوفية وخاصة الطريقة التي أسسها عويس حجي زاغييف الشيشاني بجهود جبارة لإبقاء جذور الحماسة الدينية والمحبة بين الأفراد الذين يواجهون الموت في سيبيريا، ويقول بينيغسن وكيلكجاي(٣٢):-

«لقد أعطى النفي إلى مجاهل سيبريا نتائج لم تكن بالحسبان إذ أدى إلى وثبة جديدة للحركة الصوفية التي كانت الرمز الوحيد للأمة في معسكرات سيبيريا ومنفى سهوب كازاخستان وكان دافعاً أساسياً لحب البقاء بينهم».

وجاء في نفس المصدر:

«لقد أثر نشاط الجماعات الصوفية إلى حد عميق بالمسلمين الشيشان والأنجوش. هذا النشاط الذي تميز بطابعه المتصلب العنيد والمعادي للأجانب ويعترف جميع المراقبين السوفييت أن جمهورية الشيشان/أنجوش هي أقوى معقل للاسلام التقليدي وأن سكانها هم أكثر المسلمين تديناً في الاتحاد السوفيتي ولذلك حاولت السلطات السوفيتية أن تطبق تجربتها الجذرية لتدمير الاسلام عن تعمد بإغلاقها جميع المساجد والجوامع. وظلت هذه السلطات تبيد وتدمّر حتى عام ١٩٤٤ عند نفيهم من ديارهم فدمرت جميع المساجد وفي عام ١٩٧٨ لم يبق في الجمهورية أي مكان رسمي للعبادة».

إلا أن كلمة الله هي العليا، وكلمة الكفرة الملحدين هي السفلى. فقد استطاع الشيشان تحت شعار «الله أكبر» وإيمانهم وروح الجهاد في سبيل الله والوطن أن يلحقوا هزيمة مذلة بالقوات الروسية (ثاني أكبر قوة عسكرية في العالم) التي غزت جمهوريتهم المستقلة. يصعب على أي محلل استراتيجي أن يفسر نصر فئة صغيرة عزلاء على فئة كبيرة مزودة بأحدث الأسلحة وأكثرها تدميراً إلا أن نقتنع بأنه عون ومدد رباني لعباده المؤمنين.

وبالإضافة إلى إيمانهم وتمسّكهم بمُثُل الإسلام يتميز الشيشان بتقاليد قومية، تبنى الروح النضالي وعدم الاستسلام والاعزاز بالنفس وبقوميتهم ومنها:-

١- المساواة وغياب نظام الطبقات.

كان العديد من الشعوب القوقازية يسودها نظام طبقات بتسميات مختلفة مثل أمراء

ونبلاء وفلاحين وعبيد وغيرها، تحدد المكانة الاجتماعية وامتيازات وواجبات وحقوق كل طبقة. إلا أن هذا النظام لم يكن بين الشيشان والأنجوش وباقي فروع شعب الويناخ. الجميع متساوون في الحقوق والواجبات. وتعتمد مكانتهم الاجتماعية على أعمالهم ومسلكهم ومؤهلاتهم الشخصية. وجميع المؤرخين الذين درسوا وبحثوا عن الشيشان وكتبوا عنهم اتفقوا على هذه الناحية، ولا تخلو الأمثال التي يوردونها من بعض الطرافة.

يستطرد أسعد بك في كتابه(٥):

«لا يوجد الأمراء وطبقة الارستقراطية لدى كل الشعوب ،فالشيشان مثلاً مع أنهم شعب كثير العدد ولكن لا توجد بينهم طبقة ارستقراطية، القناعة باعتزاز عند الشيشان «كلنا أمراء». إنهم شعب لا يقرون ولم يعرفوا في الماضي التفوق وعلو المنزلة قياساً على الرتبة التي يشغلها الفرد، ومن الصعب التعبير عن نية «الأمر» في لغتهم، إذ أن هذه الكلمة غير موجودة في لغتهم. فمثلاً عندما يصدر حكم بحق أحد منهم خاضع للحكم الروسي تكون صيغة الحكم مثلاً (القيصر يرجو السيد فلان الفلاني قضاء عشر سنوات في السجن لأنه ...).

ويذكر ديفيد توتابيف(١٧) عن الجنرال يرمولوف الذي عُيّن حاكماً عاماً ونائباً للقيصر وقائداً أعلى للجيوش الروسية في القوقاز.

«باشر يرمولوف مهماته بمحاولة اخضاع الشيشان، وهم قوم يعتبرون بأن شعبهم بكامله مشكل من الأمراء. حاول أول الأمر أسلوب الإقناع وأن يؤثر عليهم بقوته وأبهته (وكان من أشهر قادة الروس وكان على رأس الوحدات الروسية والبروسية التي دخلت باريس أثر انهزام نابليون وكان يلقب بشيطان موسكو الأكبر - المؤلف).

«وعندما قدم إليهم وباشر بمخاطبتهم بقي الشيشان جالسين ولم يقفوا احتراماً له، فبالنسبة لهم لم يكن أهم رجل على الأرض كما كان هو يظن أو يتظاهر.

«وعندما لاحظوا دهشته من عدم تبجيله وتعظيمه سأله شيخ مسنّ من الشيشان.... أخبرنا من يأتي في المرتبة بينك وبين الله.

«أجاب الجنرال: لا أحد سوى القيصر.

«وهنا رد عليه الشيشاني: في هذه الحالة فمن واجبك أنت أن تبجّلنا وتحترم مكانتنا ومركزنا، فليس بين الله وبيننا أحد.

«وهنا تذكر يرمولوف بأنهم كانوا قد اخبروه بأن الشيشان لا يطيعون أمراً وكل شأن يجب أن يعرض عليهم بشكل رجاء».

وأما جون بادلي فيذكر الواقعة التالية:-

«كان ذلك في قرية (تارغيم) عندما أصاب الأنجوش الجبليين ما اعتبروه نوعاً من الجنون عندما اجتمعوا لإنتخاب أمير من بينهم ليحكمهم. وإلى ذلك الحين كانوا شديدي التمسّك باستقلالهم وديموقراطيتهم.

«حضر الجميع إلى مكان الاجتماع ما عدا الشخص المميز الأكثر تأهلاً بينهم والذي كان وقع الاختيار عليه بالاجماع. أرسلوا إليه ثلاثة وفود ليحضر الاجتماع حتى يبلغوه قرار انتخابه الا أنه استنكف.وأخيراً وأمام إلحاحهم حضر، وقد لبس احسن الثياب الحريرية إلا أنه تمنطق بحزام يستعمل لسرج الحمار. وعند سألوه عن تصرفه هذا قال «لم لا؟ وما المانع ؟» وهنا شرحوا له بأن الجميع يرى بأن حزام سرج الحمار لا يتناسب مع الروب الحريري الثمين. فأجاب «وكذلك أمير بين الأنجوش أمر غير مناسب» وهكذا لم تتحقق محاولة تشكيل نظام حكم أميري. وفي الواقع فإن الشيشان والأنجوش مارسوا أقصى درجات الديموقراطية، وتجاهلوا امتيازات الرتب ونظام الطبقات إلا أنهم كانوا يقدرون الانجازات المفيدة والسلوك النبيل».

هذه النفسية أعاقت تشكيل أنظمة حكم مركزية (وراثية أو انتخابية) عند الشيشان، وتنظيم الشعب في مؤسسات منتظمة ومنتجة. فمجلس الشيوخ (مخكة كخيل) كان يجتمع لاقرار مبادئ عامة والنظر في الأمور الهامة ولكنه لم يكن جهاز ادارة وتنفيذ الأمور الحياتية العادية. إذن كيف كان الشيشان يتوحدون عند الملمات وينسقون جهدهم بالشكل الذي أمكنهم مقاومة الغزو الروسي لمدة تزيد عن ١٥٠ عاماً، ودحر جميع المعتدين الآخرين (بما فيهم التتار) الذي حاولوا احتلال بلادهم؟ الفضل للعادات والتقاليد الشيشانية، التي تبدو للغريب صعبة وقاسية وفيها الكثير من القيود، إلا أنها تساعد على بناء الشخصية القوية المقدامة لدى الفرد الشيشاني واللحمة المتينة بين الشعب. ومن أهم هذه العادات:-

٢ - الاحترام المتبادل

ومن أهم مظاهره احترام الأصغر سناً لمن هو أكبر سناً حتى ولو كان الفرق في العمر قليلاً. وينطبق هذا على الجنسين ذكوراً وإناثاً إلا أن مظاهر الاحترام تجاه المرأة أقوى وأكثر بروزاً. فالشيشاني (والشيشانية) الذي يحترم نفسه ويقدره غيره، ينبغي عليه أن يخاطب من هو أكبر منه سناً بتأدب وبصوت خافت ولا يلفظ أمامه بكلام فيه مسّ بالحياء حتى ولا على سبيل المزاح والفكاهة. وإذا كان في مجلس وقدم من هو أكبر منه

عليه أن يقف احتراماً، ويترك للقادم مكان الصدارة. وإذا سارا معاً يسير الأصغر على يسار الأكبر. وإذا كان راكباً وقابل شيخاً كبيراً أو امرأة بالغة عليه أن يبادر بالتحية وإن يترجل عن حصانه إذا لم تكن هناك موانع تعيق ذلك. ويحظر عليه أن يدخن أو يشرب الخمرة أمام من هو أكبر منه من أقاربه وأمام الشيوخ والعجائز وإن كانوا بعيدين. وكان يفترض في الفارس إذا كان خارج قرية أو مستوطن وشاهد امرأة تسير وحدها أن يتبعها عن بعد إلى أن تصل قريتها أو مكان إقامتها وذلك كنوع من حمايتها في ظروف الحروب والاضطرابات. ولسير الراجلين تقاليده، فالعرف أن يسير الأصغر على يسار أو خلف من هو أكبر منه أو المرأة البالغة، إلا إذا كان هناك احتمال بأنه سيحتاج إلى استعمال سلاحه حيث يكون على يمين أو أمام مرافقه حتى لا يكون هناك عائق أمام حركة يده اليمنى. وإذا كان يسير في منحدرات يسير الأصغر أمام مرافقيه أثناء الهبوط وخلفهم أثناء الصعود حتى يتمكن أن يتلقاهم ويسندهم في حالة انزلاقهم.

وواجبات احترام المرأة أكثر الزاماً. فمثلاً إذا حدث أن كان هناك عراك وقتال (مهما كان سببه ومستواه) بين خصمين وقامت أية امرأة (وإن لم تكن تمت بصلة قرابة أو معرفة بأي منهما) برمي منديل أو الشال الذي يغطي رأسها بينهما فعليهما أن يتوقفا عن العراك فوراً. قد لا يكون هذا حلاً للخلاف والنزاع إلا أنه وقف للعراك والقتال في حينه.

وكمثل على احترام المرأة، كان عمي أيوب أكبر أشقائه ذا شخصية قوية يحترمه الجميع و مختاراً للعشيرة. وهو الذي أنشأ قرية صويلح عام ١٩٠٤ بتصريح من هاشم الأتاسي (رئيس الجمهورية السورية الأسبق) الذي كان يشغل مركز مدير قضاء السلط في ذلك الحين. كان عمي لا يقوم لأشقائه عند قدومهم لأنهم أصغر منه سناً إلا أنه كان يقوم عند قدوم زوجاتهم احتراماً لهن، وخاصة والدتي أرملة شقيقه المتوفي إذ كان يستقبلها خارج الغرفة إذا لاحظ قدومها ويودعها إلى البوابة.

وكمثل على احترام الأكبر سناً، كان سائقي عندما كنت وكيلاً ثم وزيراً للأشغال العامة لفترة من الزمن ابن خال (واخ بالرضاعة) لي يكبرني عاماً واحداً. أثناء الدوام ومهام الوظيفة كانت علاقتنا رسمية كعلاقة أي رئيس ومرؤوس في دائرة حكومية، وأما خارج الدوام وفي مجتمعنا العشائري فكان وهو الأكبر يسبقني ويجلس في مكان الصدارة.

٣- الاستضافة

إن حسن الاستضافة والكرم وتقديم أحسن الموجود للضيف من خصال معظم المجتمعات الريفية والنائية التي تفتقر إلى الفنادق والمطاعم ووسائل المواصلات التي تتيح

للمسافر والزائر أن يؤمن احتياجاته. والشعوب القوقازية اشتهرت بهذه الخصال مما حدى بالمكتشفين والرواد أن يشيدوا بها.

والشيشان من أكثر المتمسكين بهذه الخصال. وكان بإمكان المسافر وعابر السبيل في حالة حلول الظلام، أو في الأحوال الجوية الباردة والماطرة، أن يلجأ إلى أي مسكن (وإن لم تكن له أية معرفة بأصحابه) حيث توفر له الإقامة والغذاء والتدفئة. وكان على أصحاب الدار أن يستقبلوا الضيف حتى في غياب رجل البيت. وكما يقول الأديب الشيشاني الكبير المرحوم أحمد سليمان كان جميع من في البيت بما فيهم الأطفال يرحبون بالضيف ويشعرونه وكأنه عمل معروفاً معهم بنزوله ضيفاً عليهم، وليس جميلة أو فضلاً منهم بقبولهم استضافته. ويقول: وحتى كلابهم كانت تميّز الضيف وتصدر حركات وأصواتاً وكأنها ترحب بهم.

هذه من الخصال التي كانت توطد الثقة بين الشيشان وتبني روابط التعارف والتعاون بينهم، فاستطاعوا أن يوحدوا جهدهم ويحشدوا امكانياتهم في الملمات وعند تعرضهم لخطر خارجي. وكمظهر للكرم والاستعداد لاستقبال الضيف، فإن للموقد والجمرات الدائمة الاتقاد، وسلسلة تعليق القدور عليه، أهمية كبيرة في التراث الشيشاني. ويذكر الأديب أحمد سليمان قصة عروس طلبت من موكب عرسها في طريقه إلى بيت العريس العودة إلى منزل أهلها لأنها نسيت حاجة عزيزة جداً عليها. وعندما عاد الموكب دخلت المنزل ثم خرجت بعد لحظات وفي يدها إناء يحوي جمرات متقدة من موقد عائلتها، وعاهدت على أن تحرص على دوام اتقادها في بيتها الجديد.

٤- الزواج

لم يعرف المجتمع الشيشاني الحجاب الذي يغطي الوجه وكامل جسد المرأة. فهناك سفور ولكن بدون تبرج ويوجد اختلاط بين الجنسين، فالمرأة الشيشانية لها شخصيتها وكيانها الخاص تشارك في العمل داخل منزلها وفي الخارج. تستقبل الضيوف حتى في غياب رجل بيتها، وتشترك في البناء والقتال، وتتصرف بأملاكها وأموالها على الوجه الذي تريد، ولها الحق في أن يكون لرأيها ورغبتها الوزن الأكبر والأهم في اختيار زوجها وشريك حياتها.

وحيث أن الاختلاط بين الجنسين مسموح، ففرص التعارف متوفرة سواء في المناسبات الاجتماعية، أو مكان العمل أو (العونة) لمساعدة بعضهم أو عند الورود إلى عين الماء و غير ذلك.

وللزواج عند الشيشان مراسيم شيقة، تبدأ عند التعارف وتبادل الود والاتفاق والخطبة وأخذ العروس إلى بيت العريس حيث تقام الأفراح. وفي حين أن العروس يتاح لها بل تكون محطّ الاهتمام في هذه المراسم، يكون العريس بعيداً عنها. لا يسمح له أن يشترك مع جاهات الخطبة، وعند أخذ العروس إلى بيته وإقامة الأفراح يظل بعيداً عن البيت ضيفاً على صديق له يسمى (رفيق العريس). وعودته إلى منزله تكون بعد انتهاء فترة الأفراح بمراسم خاصة يظهر فيها مع عروسه أمام المسنّين من أهله وأقاربه، فيبدآن بعد ذلك ممارسة الحياة العادية.

ففي حالتي مثلاً (ويظهر أن المرء يحب أن ينتهز الفرص للتكلم عن نفسه) بقيت بعيداً عن داري طيلة أسبوع الأفراح. أذهب في النهار إلى عملي في وزارة الأشغال العامة وفي المساء لمشاهدة فيلم سينمائي وفي الليل أذهب إلى بيت (رفيق العريس). واجتمعت بالعروس عندما سلّمني إياها أخي أمين مع سيارتي الفولكس واجن عند قرية صافوط لنسافر لقضاء شهر العسل في سوريا وتركيا ولبنان. وهنا أيضاً خرقنا التقاليد، إذ أن أمين أكبر مني سناً (ستة أعوام) وكان المفروض أن لا أظهر أمامه إلا بعد إقامة مراسيم الظهور أمام المسنّين كما ذكرت.

وكان زواج الأقارب (ولا يزال في القوقاز) نادراً جداً ومستنكراً. ولا ينحصر ذلك بابنة العم والعمة والخال والخالة فقط بل يتعدى إلى درجات من القرابة أكثر بعداً. فهن في نظر الشيشاني بمثابة الأخت... بل ويسري ذلك إلى أخت الصديق الحميم التي تعتبر أختاً، ويستنكرون في الشخص أن يكون (صديق الأخ وحبيب الأخت).

ولحصر الزواج بين الأباعد عند الشيشان، بالاضافة إلى حماية النسل من الأمراض والاعاقات التي تنتج من زواج الأقارب، فوائد اجتماعية وقومية. ففي حالات وقوع خلافات أو انفصال بين الزوجين لا تتولد هناك نزاعات بين الأقارب والعائلة الواحدة. وفي حالات الوفاق تنشأ روابط ألفة وتقارب وتعاون عند الحاجة بين مختلف العشائر مما ساعد على توحيد كلمتهم في الملمات.

ولزوجة ابن العائلة (وكانت عادة عائلة موسعة تضم أكثر من جيل واحد) مقام خاص. فقد ضحت وقبلت أن تنفصل عن عائلتها القديمة وتنضم إلى عائلتها الجديدة، وهي التي تلد وتربي الجيل القادم فيها، كما أنها تساهم في إنشاء وتمتين العلاقات بين عشيرتها القديمة وعشيرتها الجديدة.

وللجنس تقاليد في التراث الشيشاني سمّته عالمة الانثرولوجيا الأميركية سولا بينيت

(متعة في خصوصيته وعيب في علنيته Joy In Private, Shame In Public)
وتقول بينيت في كتابها:-(٥٣)

«وكما لكل الممارسات في حياتهم مراسم وآداب سلوك وكذلك الجنس. ففي نظرهم فإن إظهار المشاعر الجنسية في العلن يفقدها نوعيتها المميزة وكأنك تنزع عن الزهرة أوراقها وتتركها عارية. العشق ينبغي أن تحفظه في قلبك.

«الرجال والنساء لا يثرثرون عن علاقاتهم الجنسية. فالمرأة لا تتحدث مطلقاً عن علاقتها الجنسية مع زوجها، وكذلك الرجل فإنه لا يمزح أو يتبادل اويسرد النكت مع أصدقائه حول هذا الموضوع».

وتقول:

«الذين لا يعرفون قيود العلاقات بين الجنسين في القوقاز قد يستغربون لماذا تعتبر ملامسة خفيفة غير مقصودة من الراقص لشريكته في الرقص إيذاء لها ولعائلتها. إن لعب وممارسات المراهقين التي نعتبرها مرحلة في اعداد تدريجي للشبيبة لحياة جنسية ناضجة غير موجودة بينهم حتى في المدن. لا توجد هناك عادات الخروج في مواعيد لقاء بين الجنسين (dating) أو العناق أو الملامسة أو الاحتضان أثناء الرقص إذ يعتبرونها مفجرة للرغبات الجنسية.

«وكإثبات لعذرية حبه، قد يعد الشيشاني حبيبته أن ينتظر فترة عام أو أكثر بعد الزواج بدون أن يجامعها. فإذا حاول ذلك قبل انقضاء الفترة التي وعدها قد تعيره وتعنفه (إنك وعدت أن لا تلامسني لمدة عام ولكنك أخلفت وعدك وتفتقر قوة الإرادة) ويعتبرون محاولة الزوج أن يفرض نفسه على زوجته بدون إشارات تقبل منها عملاً مشيناً».

وتقول:

«وعذرية الفتاة قبل الزواج ضرورة حتمية. فإن فقدان عذريتها قد يعني قطع أملها في زواج مناسب، وقد يؤدي إلى ثارات دموية ضد المعتدي على العذرية».

٥ - الثأر

يقول أسعد بك في كتابه(٥):-

«اليونان والرومان والعرب والفرس والأتراك والروس وأخيراً الشيوعيون احتلوا القوقاز وطبقوا فيها قوانينهم. وشعوب القوقاز أستسلمت وعاهدت مراعاة القوانين ودفع الضرائب، ولكنها أصرت أن يسمح لها بممارسة عاداتها وتقاليدها. وقد اضطر

جميع المحتلين مراعاة هذا المطلب وإلا لاندلعت الثورات وسالت الدماء التي قد تستمر قروناً. وعليه فجميع المحتلين قرروا (دعهم يعيشون كما يرغبون).»

ومن هذه التقاليد عند الشيشان الثأر

تقول سولا بينيت في كتابها(٥٣):-

«إن التقليد القوقازي القديم (الثأر الدموي) يمثل تعاضد العشيرة، ويساهم في تخفيف العداوات القائمة. وفي حين أن حوادث القتل في داخل العائلة (كأن يقتل شخص ابنه أو أخاه) يتم الحكم والقرار حولها من قبل رأس العائلة، إلا أن حوادث القتل خارج العائلة كانت تؤدي إلا ثارات دموية. وعلى كل فإن حوادث القتل داخل العائلة نادرة جداً. ففي حين أن معظم جرائم القتل في المجتمعات الأخرى تكون عادة في داخل العائلة، فانها تكاد أن تكون معدومةداخل العائلة والعشيرة القوقازية الملتحمة.

«وإذا رغب القاتل في أن يتصالح مع عائلة ضحيته، فقد يلجأ للإختباء بقرب مسكن منزل الضحية، ويستغل اللحظة المناسبة ليتقدم بسرعة ويلمس بشفتيه ثدي امرأة عجوز من عشيرة الضحية مشيراً إلى رغبته في أن يصبح فرداً من العشيرة بالرضاعة. وعندها لا يسمح لأحد أن يتعرض له وتعتبر حادثة القتل وكأنها وقعت داخل العائلة. كما أن زواجاً بين العشيرتين المتقاتلتين قد يؤدي إلى هدنة. وهكذا فإن تعاضد العشيرة يولّد المشكلة ويقدم حلاً لها.»

إن تقاليد الأخذ بالثأر (بسبب حوادث القتل أو المتعلقة بالعرض والشرف) لا تزال سارية وقوية بين الشيشان. ومع انها ليست حضارية في ظل مجتمعات تسود فيها القوانين والتشريعات الرسمية وتتوفر فيها المؤسسات القضائية، إلا أنها في المجتمعات القوقازية (ومنهم الشيشان) كانت عاملاً حاسماً في الحد من جرائم القتل والاعتداءات التي تمثل اعتداء على العرض والشرف. ومن مظاهر عراقة التراث الشيشاني، وحكمه العقلاء بينهم، اتفاق عشائر الشيشان وبلداتهم وقرارهم واعلانهم عدم ممارسة تقاليد الثأر فيما يتعلق بالأحداث التي تسببت عن حربهم ضد الاعتداء الروسي الغاشم الأخير على جمهوريتهم وشعبهم.

٦ - تهذيب النفس وضبط العواطف والاعتداد بالنفس

تقول سولا بينيت في كتابها(٥٣):-

«يربي القوقازيون أولادهم منذ الطفولة على الجلد والصبر لتحمل الضغوط الناتجة عن الفقر أو الحروب أو الأحداث الطبيعية بدون انهيار. ينعشون في أنفسهم روح التفاؤل

بالرغم من معاناتهم لقرون بصعوبات اقتصادية وعدم تيقّنهم بمصير مستقبلهم»

وتستطرد:-

«إن التربية لتنمية خصال الصبر والجلد تبدأ في المراحل الأولى من الطفولة. وحيث أن البيت كثيراً ما يضم إلى ما يصل إلى خمسة أجيال، فأمثلة السلوك الصحيح متوفرة. فالطفل يوضع في جوّ يكون ما يتوقع في مسلكه واضح تماماً وممارس من جميع أفراد العائلة. ومن المفروض في الطفل أن تصبح هذه القيم عميقة في نفسه ويتصرف وفقها.

«إن الطفل لا يضرب ولا يوبّخ ولا يهان أمام الآخرين، إذ أنه لا يستطيع أن يمتلك تهذيب النفس إذا حطمت روحه. وقال لي صديقي الشيشاني. إذا أنزلت بالطفل عقوبة جسدية فإن يفقد كبرياءه ويشعر وكأنه عبد».

وتستطرد:-

«إن احترام الوالدين لخصوصية واستقلالية أطفالهم قد يكون سبباً لغياب ظاهرة (التوتر وعدم التفاهم بين الأجيال.) لم أسمع والداً أو والدة يحث ابنه أن يأكل أكثر أو يلبس لباساً اضافياً أو أكثر دفئاً أو يعنّفه فيما إذا خرج من داخله ما يبلل ويلوث ثيابه.

«ويعلّم الصبيان الشيشان الصغار أن يمتنعوا عن قبول أو تناول حلويات أو وجبات مفضلة عندهم لمدة أسبوع كامل مثلاً على سبيل تعليمهم الضبط وتهذيب النفس».

بهذا الأسلوب من التربية منذ الطفولة يشب الشيشاني على تهذيب النفس، وضبط العواطف، والجَلَد والصبر عند الملمات، والاعتداد بالنفس إلى درجة العنفوان والتحدي كما نرى اليوم عندما يتصدون (وهم قلة عزلاء) في وجه اعتداء من دولة عظمى والقوة العسكرية الثانية في العالم، ويلحقون بها هزيمة عسكرية وانهياراً اقتصادياً ويجبرونها على الجلوس على طاولة المفاوضات وسحب القوات الغازية من جمهوريتهم.

أشار إلى هذه الصفات الكاتب الروسي الشهير الكسندر سولجينيتسن الذي كان في كازاخستان في نفس الفترة التي نفي إليها الشيشان (١٩٤٤-١٩٥٧) في كتابه The Gulag Archipelago 1918-1956 (٦١)

إذ يقول:

«من خبرتي في كازاخستان، وجدت الشيشان متعجرفين وقاسين وليس من السهل التعايش معهم، وهم لا يخفون كرههم للروس (الكاتب روسي - المؤلف) وما كان على رجال كنجير (Kengir) إلا أن يظهروا قدراً من الاستقلالية والشجاعة حتى اكتسبوا تعاطف الشيشان وتأييدهم.ففلسفتهم و وجهة نظرهم التساؤل (إذا كنا لا نحظى

بالمستوى المناسب من الاحترام، ينبغي أن نتساءل فيما إذا كنا نعيش كما ينبغي أن نعيش؟)».

(Keniger) هو من مخيمات السخرة والاعتقال السوفيتية في كازاخستان قامت فيها عام ١٩٥٤ انتفاضة كبيرة ضد تصرفات السلطات الرسمية - المؤلف)

ويقول الكاتب

«إن المجموعات القومية المختلفة المنتشرة في المنفى أبرزت خواصها وميزاتها القومية وطريقة معيشتها وأذواقها واتجاهاتها».

ويسرد كيف أن ألمان حوض الفولغا الذين تم نفيهم عام ١٩٤١ إلى كازاخستان انسلخوا عن معيشتهم الماضية ومواطنهم السابقة بتصميم أكبر من الآخرين. غرسوا الآن جذورهم في الأرض القاحلة التي وضعهم فيه ستالين، ووجهوا كل اهتمامهم إلى أن يجعلوا من منفاهم هذا موطناً دائماً لهم. لم يكن استقرارهم على شكل موطن مؤقت بانتظار عفو عنهم بل استقرار للأبد. لم يستسلموا لليأس بل أنكبوا على العمل المنتظم المثمر كما هو ميزة الألمان في كل مكان. وعند حلول الخمسينات كانوا مقارنة بغيرهم من الشعوب المنفية وحتى السكان المحليين يمتلكون أوسع المنازل وأكثرها ترتيباً، وأكبر الخنازير حجماً، وأكثر الأبقار إدراراً للحليب.

وكذلك اليونان، وإن لم يتوقفوا عن التغني والأحلام عن منطقة كوبان، إلا أنهم أنكبوا على العمل بحماس من دون ضغينة بسبب مصيرهم، وهم وإن عجزوا عن مجاراة الألمان إلا أنهم أصبحوا ينتجون أفضل أنواع الجبنة والزبدة والفواكة في كازاخستان.

والكوريون كانت حياتهم في كازاخستان قد تحسنت، إذ أن نفيهم كان منذ فترة أسبق، وخفت القيود عليهم، ولم يعودوا مطالبين بإثبات وجودهم لدى البوليس.

وأما القالموق فلم يستطيعوا أن يتحملوا هذا المصير فاستسلموا لليأس والحزن والأسى إلى درجة الموت والفناء التدريجي.

ويستطرد الكاتب:

«ولكن كان هناك شعب واحد قرر أن لا ييأس، وأن لا يقبل عقلية الاستسلام وتقبل الوضع. وهذا لم ينحصر بأفراد متمردين بينهم بل شمل كامل الشعب وكل فرد منهم. إنهم الشيشان. لم يقبلوا أن يصبح منفاهم المستقر الدائم لهم بل كانوا عازمين على العودة إلى وطنهم».

ولهذا السبب كما يقول الكاتب لم يهتموا ببناء منازل كبيرة أو إنشاء مشاريع فيها طابع الاستقرار أو وظائف إدارية مكتبية، بل فضلوا أعمالاً فيها حركة وتجوال مستمر مثل سائقي العربات. ولم يهتموا بالتوفير بل كانوا يصرفون دخلهم على الأكل واللباس.

ويستطرد الكاتب:

«لم يحاولوا أن يتملقوا لرؤسائهم، بل كانت تصرفاتهم تجاههم تتصف بالكبرياء والتحدي. يحبون التنقل. ينهبون الماشية والبيوت أو بكل بساطة يأخذون ما يريدون بالقوة. فبنظرهم فان المواطنين المحليين والمهجرين المنفيين الذين يستسلمون لإرادة السلطات ويتملقون للحكام هم على نفس المستوى من الانحطاط والمنزلة مثل الحكام. يحترمون فقط المتمردين على تصرفات السلطات.».

ويستطرد:

«هناك شيء غير عادي حولهم. كان الجميع يهابهم، لم يكن بوسع أحد أن يمنعهم من التصرف بالشكل الذي يريدونه. والنظام الذي حكم البلاد أكثر من ثلاثين عاماً فشل في جعلهم يحترمون القوانين التي سنها هذا النظام.

«كان الشيشان يرتادون أراضي كازاخستان بعنفوان وعنجهية. كان أهل البلاد وغيرهم وحتى الحكام يحترمونهم، إذا رأوهم مقبلين يخلون لهم الطريق. وفي المجالس يتركون لهم مكانة الصدارة.»

٧ – ملاحظات انثروبولوجية

لا ينحدر جميع أفراد الشعب الشيشاني من سلالة واحدة، إلا أنه يسوده نموذج شكلي يتألف من مجمل صفات جسمية خاصة به ويمكن تصنيفه تحت جنس الآسوي الغربي، أو صنف البحر الأبيض المتوسط من العرق القوقازي. ويصفهم علماء الانثروبولوجيا بأنهم ينتمون إلى نفس الجنس الذي تنتمي إليه بقية شعوب القوقاز، وهو جنس ذو ملامح معروفة، يتميز أصحابها بالبنية القوية والقامة المتراوحة بين الطول والاعتدال مع رأس قصير قائم وأنف قوي معقوف، وشعر داكن وعيون قاتمة اللون، ويتمتعون برشاقة جسمية. وبشكل عام يسود الشعر الداكن والعيون القاتمة في جنوب القوقاز وخاصة في أذربيجان وخليط من الشعر الأشقر والعيون الفاتحة اللون في الشمال.

يقول الدكتور برونو(٥٦):

«ويجب أن نذكر بأن الشعوب القوقازية وخاصة شعوب شمال القوقاز تفوق في

جمال القوام الجسمي جيرانها من الشعوب الأخرى بشكل واضح. ويدرك الانسان ذلك حينما يتوجه من روستوف إلى القوقاز حيث يستطيع أن يفرق الوجوه القوقازية الأصلية بتقاطيعها البارزة المتناسقة مقارنة بالملامح الخشنة للهيئة الروسية».

وفيما يتعلق بالبنيان الجسمي يقول الدكتور برونو:

«يلاحظ أن الأرمن والجورجيين الشرقيين والخفسوريين والداغستان يتميزون بطول متوسط وبنية قوية ويغلب فيهم قصر القامة وامتلاء الجسم، في حين يبدو الشيشان طوالاً بشكل عام وما على الانسان الا أن ينتقل من قرية شاتيل الخفسورية الحدودية إلى قرية جاريغو الشيشانية الحدودية المجاورة فيأخذه العجب من التبدل الانثروبولوجي المفاجئ ، من الخفسور ذوي البنية العريضة القوية إلى الكيست ذوي البنية الناحلة الرشيقة. كما تبدو نفس الفروق بين الشيشان الاتشكيريين من ناحية وبين جيرانهم الداغستان العانديين والاواريين وخاصة الغومبوتيين. ويبدو النحول في منطقة الخصر عند الشيشان مبالغ فيه أحياناً، إلا أنه لا ضعف فيه، فالاكتاف عندهم عريضة والوركين ضيقين مما يضفي على الجسم خطوطاً مرنة رشيقة، وربما صفة الطول عند الشيشان نسبية مقارنة مع جيرانهم من الشعوب الأخرى، إذ أن معدلات الطول عندهم أقل من معدلات الطول عند الألمان الشماليين».

وبالنسبة للون الشعر والعيون والبشرة يقول الدكتور برونو: «إذا تكلمنا عن أولئك الذين تترافق عندهم صفتا الشعر الأسود الخالص والعيون قاتمة اللون، فهم ليسوا أكثرية بين الشيشان كما هو عند الأرمن وبعض أنحاء جورجيا. فالشيشان الذين يكون لون شعرهم داكناً بل وحتى أسود، يكون لون عيونهم بالمقابل بنية أو لون يصعب تحديده، وقد يكون بنياً ضارباً إلى الخضرة. ومما يلفت النظر الانتشار الواسع للشقر ذوي العيون الفاتحة. ويصعب تحديد درجة تلوّن هذه العيون حيث تتراوح بين الرمادي والأخضر وحتى الأزرق الصافي بزرقة سماوية لا تختلف عن زرقة العيون في شمال ألمانيا.»

ويقول:

«إن مصادفة شعر الرأس الأشقر أقل من العيون الفاتحة، ولكن تترد هنا بكثرة ظاهرة تحول لون الشعر الأشقر إلى لون داكن. إذ يصادَف الشعر الأشقر بين الأطفال بنسبة أعلى بكثير منه عند الكبار. وكثير من الناس أخبروني بأن شعرهم كان أشقر في طفولتهم».

ويقول:

«إن درجة اللون الأشقر بين الشيشان بعيدة عن الأشقر الباهت للسلالات الشرقية، وأقرب إلى اللون الأشقر الخاص بالسلالات الشمالية، وفيه ميل إلى الأشقر الذهبي».

ويقول: «كما استرعى انتباهي أيضاً إلى الشيب المبكر عند الرجال عامة ويمكن ملاحظة ذلك بين من هم في الثلاثين من العمر أيضاً. ولعل من أسباب ذلك لباس الرأس الثقيل المصنوع من فرو الحمل».

ويقول:

«إن بشرة الشيشان الشقر ناعمة ورقيقة، وهي عند الفتيات الصغيرات رائعة النضرة أحياناً. وتبدو وجوه الرجال حمراء بسبب الرياح والطقس، ولكن دون أن تتحول إلى اللون الأسمر. وهذه الصفة تميز السلالات الشمالية. أما بشرة الجسم فبيضاء بكل ما في هذه الكلمة من معنى».

ويقول:

«القوقازيون الشقر (وبينهم الشيشان) يشبهون السلالات الاوروبية الشمالية في الخطوط الناعمة اللينة والشفاه الممتلئة وفتحات العيون المستديرة. إلا أننا لا نصادف بين الشيشان الوجوه الحادة ذات الملامح الصلبة وكأنها مصنوعة من الخشب التي نصادفها في منطقة فستفالن في ألمانيا ولا النماذج الاسكندنافية الدالية البحتة. ومقارنة الشيشان الشقر مع السلالات الاوروبية الشمالية القريبة ذات الرؤوس الطويلة تنتهي بلون البشرة وشكل الوجه فقط، أما الجمجمة فهي مثل الشيشان ذوي الشعر الداكن، قصيرة وقائمة والأنف صقري».

ويقول:

«من المؤكد ازدياد نسبة الشيشان الشقر في الجزء الغربي من بلاد الشيشان أكثر منه في الأجزاء الشرقية»

ويستطرد:

«وهذه الحقيقة تثير اهتماماً خاصاً إذا ما ألقى الإنسان نظرة على تاريخ انتشار الشيشان، حيث يظهر جلياً أن أول المناطق التي سكنها الشيشان (بعد نزوح الاورارتيين إلى شمال هضبة جبال القوقاز الكبرى–المؤلف) تتميز باللون الأشقر أكثر من المناطق الشرقية التي انتشروا فيها فيما بعد. ولا أريد هنا وضع افتراضات لتفسير هذا الأمر، ولكن يبدو لي أنه أمر منطقي حيث أن المناطق الشرقية سكنت في وقت متأخر تزامن مع

مرحلة استيعاب الشيشان لعناصر من شعوب أخرى».

ويستطرد:

«أما في السهل فلم أجد رحجاناً ما لصالح النمط الأشقر أو النمط الداكن (لأنهم خليط من المناطق الجبلية الغربية والشرقية–المؤلف)

ولكن هنا أيضاً تسود القامات المديدة الرشيقة والأنوف القوية الصقرية. ومن بين الشعوب القوقازية التي عرفتها يضم الشعب الشيشاني النسبة الأكبر من الأفراد ذوي الشعر الأشقر ومثلهم الاوسيت وهم شعب اندوجيرماني».

وأما الدكتورة سولا بينيت(٥٣) فتعزو رشاقة الأجسام عند الشعب الشيشاني إلى نوعية التغذية وعدم الشراهة في الأكل فالشيشان كما تقول :

«يفتخرون بأنهم يمتنعون عن تناول اللقمة الأخيرة».

من المؤمل أن تجري دراسات متعمقة وتوثيق واف عن الأصول العرقية واللغوية والتقاليد والعادات الشيشانية، إلا أنني قصدت في هذا الفصل أن أبرز بعض الخصائص التي تشكل الشخصية الشيشانية التي كانت محل اعجاب وتساؤل عالمي بالمقاومة الباسلة ضد الاعتداء الروسي الغاشم.



أمام قاعة انعقاد المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني عام ١٩٩٠
(المؤلف الرابع من اليمين)



من التراث الشيشاني
الموقد دائم الاشتعال، وآلات الموسيقى
وللانتصار على الشيشان قال يرمولوف: اقطعوا غاباتهم وقال جنكيز خان: صادروا آلاتهم الموسيقية

الفصل الحادي عشر

شيشانيا:

تفاؤل وقلق

«في وقت قريب، قد ننظر الى شيشانيا كأهم عامل في انحلال روسيا نفسها. فروسيا دولة عاجزة عن الاحتفاظ بعملة قوية مستقرة، او جمع الضرائب من مواطنيها، او حمايتهم من الاجرام المتنامي، او بناء جيش فعّال. انها عاجزة عن تأمين أدنى متطلبات دولة. ونتيجة لهذا الفشل فان الطبقة المثقفة اصبحت عاجزة عن القيادة، او ان تكون قدوة، او ان تضع تصوراً عن حاضر روسيا او المصير الذي ينحدر اليه. الدولة تتبدل بأسرع من الشعب الروسي، انها تذبل وتهرم لأنها تفتقد قيماً قومية متماسكة ورؤيا مشتركة... وهذه لا يمكن تعويضها بالتهويش وتبجح حربي في شمال القوقاز او غيره»

اندريه ديمبوش



شيشانيا:
تفاؤل وقلق

عرض مبسط للحرب الأخيرة والأزمة الجارية

رأيت أن أختم هذا الكتاب بعرض مبسط للحرب الروسية الشيشانية الأخيرة والأزمة الجارية.

كنت عرضت في فصول سابقة توصيات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني وقرار برلمان جمهورية الشيشان – أنجوش السوفيتية عام ١٩٩٠ اعلان استقلال وسيادة جمهورية الشيشان، وتأكيد الحكومة والبرلمان الشيشاني الذي انتخب عام ١٩٩١ استقلال الجمهورية وسيادتها، ورفض الجمهورية الانضمام إلى الجمهورية الفدرالية الروسية التي تشكلت في تاريخ متأخر بموجب معاهدة الفدرالية التي وقعت بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣.

وكنت اشرت إلى الاجراءات الروسية على شكل ضغوط دبلوماسية للحيلولة دون اعتراف الدول باستقلال الجمهورية، ومقاطعة اقتصادية ومالية وتجارية لها، وحصار بري وجوي ومواصلات واتصالات، وتدخل في الشؤون الداخلية للجمهورية، والتآمر عليها ومحاولة قلب نظام الحكم فيها.

وعندما فشلت هذه الاجراءات في تحطيم ارادة الشعب الشيشاني، وعزمه على التمسك بحريتهواستقلاله، ورفضه الانضمام إلى الفدرالية الجديدة قامت روسيا بغزو عسكري كبير للجمهورية المستقلة.

أهداف الغزو الروسي

من أهم الأسباب التي أقدمت روسيا على غزو وشيشانيا هي:-

١- عقلية التمسك بالاستعمار ونهب موارد المستعمرات والتسلط بحكم شعوبها. فسلطات الفدرالية الروسية، بالرغم من ادعاءات الإنفتاح والتوجه الديموقراطي واحترام حقوق الانسان، ما هي الا استمرارية باسم جديد، ولكن بنفس العقلية والأهداف، للسلطات القيصرية والشيوعية.

٢- الموقع الجغرافي لشيشانيا، ومرور الطرق والسكك الحديدية وخطوط البترول والغاز والطاقة الكهربائية الرئيسية منها، وتواجد مرافق استخراج وتصفية النفط فيها. إن روسيا متمسكة بالسيطرة على القوقاز شماله وجنوبه بأي ثمن، وبهدف ضمان ارتباط أقطارها بموسكو، عملت روسيا على ضعضعة الأوضاع وعدم الاستقرار الأمني والسياسي فيها، ولجأت إلى اختلاق أزمات منها:-

أ- أزمة ناغورنو-كاراباخ بين أذربيجان وأرمينيا.

ب- أزمة أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية في جورجيا.

ج- انفصال أنجوشيا عن شيشانيا.

د- أزمة لواء بريغورودني بين أنجوشيا وأوسيتيا الشمالية.

هـ- خصومات عرقية بين القبرطاي والبلقر في جمهورية القبرطاي – بلقر.

د- خصومات عرقية بين الكاراتشاي والشركس في جمهورية الكاراتشاي – شركس.

٣- اصرار روسيا على المشاركة مع والسيطرة على الشركات التركية والغربية في استغلال مصادر النفط في منطقة بحر قزوين، والعمل على مرور خطوط تصديرها عبر روسيا (مروراً بشيشانيا) بدلاً من مرورها عبر أذربيجان وجوجيا وأرمينيا إلى تركيا. وكانت مؤامرة أبعاد الرئيس الأذري السابق التشيبي واعادة حيدر علييف السكرتير الأول السابق للحزب الشيوعي في أذربيجان للحكم ضمن هذا المخطط.

٤- الخوف من أن تكون شيشانيا قدوة لغيرها من أقطار (مستعمرات) الفدرالية الروسية في الانفصال. وبغض النظر عن نتيجة أزمة شيشانيا، يتفق المحللون على أن الفدرالية الروسية الحالية تتصف بجميع السلبيات التي عانت منها سابقاتها السلطات القيصرية والشيوعية، وأن عمرها سيكون أقصر من عمر سابقتها، وأن انحلالها لأمر محتم.

٥- رغبة يلتسين في أن يظهر بصورة الرئيس الحازم المتمسك بوحدة روسيا قبل إجراء الانتخابات الرئاسية القادمة في روسيا.

٦- غرور القيادات العسكرية العليا في روسيا وفسادها، فخططت لحرب شيشانيا لتغطية عمليات نهب وبيع موجودات المرافق العسكرية الروسية بدعوى استهلاكها في العمليات الحربية في شيشانيا.

الأسباب المعلنة للغزو الروسي

أهم أسباب الغزو اتي أعلنتها السلطات الروسية هي:-

١- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الفدرالية الروسية، تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد بدون اعتبار الاجراءات الدستورية المناسبة. وعليه فإن من واجب السلطات الروسية أن تحافظ على وحدة أراضي روسيا.

وهذا الادعاء مخالف للواقع، إذ أن اعلان استقلال جمهورية الشيشان كان بناء على قرارات المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني ومصادقة برلمان الجمهورية، وتأكيد البرلمان والحكومة المنتخب عام ١٩٩١ لقرار الاستقلال في حين أن انفصال جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية عن الاتحاد السوفيتي السابق كان بقرار فردي من الرئيس يلتسين بدون استفتاء أو مؤتمر وطني أو مصادقة من برلمان الجمهورية.

٢- الادعاء بأن الجمهورية الشيشانية هي جزء من الفدرالية الروسية.

وهذا الادعاء مخالف أيضاً للواقع. فشيشانيا كانت جمهورية مستقلة ذات سيادة منذ ١٩٩٠/١١/٢٧. وعندما انحل الاتحاد السوفيتي في نهاية عام ١٩٩١ لم تكن الجمهورية الشيشانيا قانونياً ولا عملياً جزءاً لا من الاتحاد السوفيتي السابق ولا من جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية السابقة. كما أن جمهورية الشيشان رفضت الانضمام إلى الجمهورية الفدرالية الروسية التي تشكلت بوقت لاحق بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣. وبناء على ذلك فإن شيشانيا لم تكن في يوم من الأيام جزءا من الجمهورية الفدرالية الروسية.

٣- الادعاء بأن القضية الشيشانية أمر داخلي لروسيا ولا يحق لدول خارجية التدخل فيها.

وهذا الادعاء مخالف أيضاً للواقع، حيث أن الغزو الروسي يمثل بموجب المواثيق والأعراف الدولية غزواً واحتلالاً عسكرياً لدولة مستقلة ذات سيادة. ومن واجب المجتمع الدولي استنكاره والسعي لازالة آثاره.

٤- الادعاء بأن السلطة في شيشانيا غير شرعية وصلت إلى الحكم بطريقة غير دستورية.

والواقع أن السلطة في شيشانيا كانت تمثل ارادة شعب الجمهورية وتمّ اختيارها في انتخابات حرة جرت بوجود مراقبين دوليين ولم يطعن أحد باجراءاتها.

٥- الادعاء بأن السلطة في شيشانيا واقعة تحت تأثر منظمات المافيا، والتي تقوم بنهب موارد البلاد.

والواقع أن المافيات في الاتحاد السوفيتي السابق (بما فيها التي سميت بالمافيا الشيشانية) ولدت وكان مركز عملها ومجال نشاطها الرئيسي في روسيا والأخص العاصمة موسكو.

٦- الادعاء بأن المقاتلين الشيشان هم تجمعات عصابات متمردة، خارجة على القانون، وتنشر الارهاب والفوضى في شيشانيا. ومن واجبات السلطة المركزية في موسكو تخليص سكان شيشانيا منهم.

وهنا المهزلة المضحكة... فإذا صح بأن المقاتلين ما هم الا تجمعات عصابات ماذا يكون مستوى أكبر جيش نظامي في العالم مسلح بأحدث الأسلحة وأكثرها تدميراً، تلحق به هذه العصابات هزيمة مهينة. ما هو مستوى الجندي والضابط الروسي النظامي الذي كان يبيع سلاحه وحتى مركبته لرجال العصابات مقابل بضعة دولارات (المعبود الجديد) أو حفنة من الروبلات (المنهارة) أو وجبة غذاء أو زجاجة فوتكا، بينما كان المقاتل الشيشاني يدفع هذا البدل من ماله الخاص وقوت عياله في سبيل حرية واستقلال وطنه.

ارادة التصدي للعدوان

تردد التساؤل عن دوافع القرار الشيشاني للتصدي للعدوان الروسي.وقد اعتبر المحللون لامكانيات الطرفين والظروف الدولية السائدة هذا القرار شبه انتحار جماعي للشعب الشيشاني. ورأوا أن مصلحتهم في الانضمام إلى الفدرالية الروسية الواسعة ذات الامكانيات الكبيرة.

إلا أن التجربة الشيشانية تحت حكم مختلف أنظمة السلطة الروسية، صعدت وقوت فيهم أرادة التصدي للعدوان وعزيمة الدفاع عن الحرية والاستقلال. ومن أهم هذه الدوافع:-

١- الحرية حق طبيعي للانسان أفراداً وجماعات. والمثل الشيشاني يقول (نحن أحرار ومتساؤون كالذئاب).

٢- الاستقلال وحق تقرير المصير للشعوب مبدأ أقرته القوانين والمواثيق والأهداف الدولية، والدفاع عنه حق لكل شعب بل واجب عليه.

٣- الخبرة السابقة في أن مزايا اتساع الدولة ووفرة امكانياتها وقوة مركزها الدولي لا تعم جميع الشعوب بل تنحصر على الدوائر الحاكمة (الطبقة الجديدة) والعنصر السلافي. وإن هناك تخطيطا مركزيا يهدف إلى طمس تاريخ وحضارة وتراث الشعوب غير السلافية، فالعقلية الروسية لم تتغير منذ أن كتب الجنرال يرمولوف عام ١٩١٨ إلى الامبراطور يقول (١):

«عندما تكون القلاع جاهزة فسأعرض على الأوغاد القاطنين بين نهري ترك وسونجا (شيشانيا الصغرى) والذين يسمون أنفسهم (مسالمين) قواعد للعيش والتزامات توضح لهم أنهم رعايا لجلالتكم لا حلفاء كما كانوا يؤملون حتى الآن. فإذا أذعنوا، كما يجب أن يفعلوا، فسأخصص لهم المساحات الضرورية وفقاً لعددهم وأقسم البقية بين القوزاق والقره - نوغاي. وإذا لم يذعنوا فسوف أجبرهم على الانسحاب والانضمام إلى اللصوص الآخرين الذي لا يختلفون عنهم إلا في الاسم. وفي هذه الحالة ستكون الأرض برمتها تحت تصرفنا».

٤- من تجاربهم السابقة أيام الحكم الروسي القيصري والشيوعي، وما تعرض له أخوانهم الأنجوش الذين غرر يلتسين بهم فانفصلوا عن شيشانيا وانضموا إلى الفدرالية الروسية على أن يعاد إليهم لواء بريغورودني (وهو موطن قومي تاريخي لهم)، إلا أنه بدل تحقيق هذا الوعد ارتكبت السلطات الروسية بحقهم عام ١٩٩٢ جريمة لئيمة ومجزرة بشعة قتلت المئات منهم وطردت حوالي ٦٠ إلف من بيوتهم في ذلك اللواء ولا يزالون يعيشون لاجئين في أنجوشيا وشيشانيا، وصل الشيشان إلى قناعة إلى أن المخطط الروسي هو افناء الشعب الشيشاني والقضاء عليهم كقومية متميزة، وذلك بدءاً بسياسة يرمولوف الشرسة (تدمير القرى، شنق الرهائن، ذبح النساء والأطفال) والذي كتب إلى الأمبراطور يقول(١):-

«يتميز الجبليون الشيشان بروح الاستقلالية فيهم. يضربون المثل في الاستقلالية ويولدون روح التمرد وحب الحرية حتى بين أخلص رعايا امبراطوريتكم. ولن أجد راحة بال طالما بقي شيشاني واحد حياً. إن قتل شيشاني واحد يعني انقاذ مئة روسي من الموت».

وعن هذه القناعة أرسل الشاعر الشيشاني حسن اسرائيلوف عام ١٩٤٠ كتاباً إلى اللجنة الاقليمية للحزب الشيوعي التي كانت تحاول أن تجتذبه إلى صوفوفها إلا أنه آثر أن يقود حركة استقلال. وقال في كتابه:-

«منذ أكثر من عشرين عاماً، دأبت السلطات السوفيتية على قتال قومي وهي تهدف إلى تدميره مجموعة بعد أخرى. وإنني على يقين الآن بأن الهدف من هذا الحرب هو ابادة شعبنا بالكامل. ولهذا فإنني قررت أن أقود شعبي في كفاحه للتحرر. إنني أعرف جيداً بأن شيشانيا وأنجوشيا ستواجه صعوبات قصوى في التخلص من النير الأحمر، إلا أن ايماني العميق بأن هذا العمل هو الوحيد المتبقي والمتوقع في مثل هذه الظروف. أن الأمل في وقوف شعوب شمال القوقاز المتعطشين للحرية، وكذلك الأمم المقتنعة بها إلى جانبنا يدفعني إلى الاقدام على هذا التصرف الذي قد تعتبرونه مغامرة وتهوراً بلامعنى. إنني أومن بأنه المسلك الوحيد الممكن».

وفي هذا المجال قال الرئيس دوداييف:

«هناك سؤال واحد... هل نريد أن نكون أحراراً أو نبيع مستقبلنا للعبودية؟. لقد حان الوقت لنختار».

٥- رغبة الشيشان في أن يفندوا وإلى الأبد مقولة (شيشانيا جزء من روسيا، والقضية الشيشانية شأن داخلي لروسيا لا يجوز للعالم الخارجي التدخل فيها)، وفي أن يعترف العالم بواقع استقلال وسيادة جمهوريتهم فتتمتع بمظلة القوانين والمواثيق الدولية بعدم جواز احتلال أراضي الدول الأخرى بالقوة العسكرية.

الاستعدادات الروسية للغزو

إن صمت روسيا عن اعلان موقفها برفض أو قبول قرارات استقلال جمهورية الشيشان لم يعن أنها تخلت عن طموحها لاعادة السيطرة على شيشانيا. وعندما فشلت الضغوط السياسية والاقتصادية والمؤامرات في تحقيق هذا الهدف خططت لغزو عسكري ظنّت أن تكون حملة سهلة قصيرة تنتهي خلال ساعتين كما زعم وزير الدفاع الجنرال غراتشيف، أو خلال أيام معدودة كما ردد غيره من قادتهم الأقل غروراً. وفي سياق الاستعداد لهذا الغزو لجأت روسيا إلى-

١- تعبئة نفوذها العالمي كدولة عظمى وعضو دائم في مجلس الأمن للحيلولة دون اعتراف الدول باستقلال شيشانيا أو اقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية معها.

٢- فرض مقاطعة تجارية واقتصادية ومالية مع شيشانيا ضمن الفدرالية الروسية بغاية نشر البطالة وتدني مستوى المعيشة في شيشاني لتوليد تذمر من السلطات القائمة.
٣- فرض حظر على شيشانيا ومنع المواصلات والاتصالات بينهما والخارج.
٤- حشد القوات التي سحبت من ألمانيا وأروبا الشرقية على حدود شيشانيا من الشمال والشرق والغرب بدعوى عدم وجود معسكرات كافية لها في باقي أنحاء روسيا. مع العلم أنه بموجب اتفاقيات تخفيض القوات المسلحة كان ينبغي عليها تسريح قسم كبير من هذه القوات وتدمير أسلحتها.
٥- الطعن في شرعية استقلال جمهورية الشيشان وسلطاتها بدعوى عدم الالتزام بالاجراءات والمتطلبات الدستورية.
٦- تحريض الشعب الشيشاني ضد سلطاته بدعوى أنها خاضعة للمافيا وتقوم بنهب موارد البلاد.
٧- تحريض الشعب الروسي على الشعب الشيشاني ومحاولة الاساءة إلى سمعتهم باعلام مركز مبالغ عما سمي بالمافيا الشيشانية التي تعيث فساداً في موسكو وروسيا بشكل عام.
٨- تبني وتأييد حركات معارضة شيشانية للنظام القائم فيها.
٩- الاغارة على المطارات الشيشانية وتدمير الطائرات المدنية والعسكرية.

التصرف الروسي في الحرب

مارست روسيا في غزوها لشيشانيا أساليب مخالفة للاعراف الأولية ومنها:-
١- اتبعت سياسة الأرض المحروقة واستعملت مختلف أسلحة الدمار بما فيها المحظورة دولياً في قصف مدفعي وصاروخي وجوّي لأهداف ومرافق مدنية وأحياء سكنية، وضد مواطنين مدنيين عزل. ولم تفرق في قصف الابادة هذه بين الشيشان أو الروس أو غيرهم من مواطني الجمهورية.
٢- خرقت المواثيق الدولية بمنع جمعيات الصليب الأحمر والاغاثة الدولية من ايصال المعونات أو تقديم العلاج للمدنيين.
٣- اقتراف مجازر متعمدة في قرى وتجمعات مسالمة كانت تحت سيطرة القوات الروسية مثل مجزرة قرية سيماشكا التي قتل فيها حوالي ٣٠٠ من الأطفال والنساء والشيوخ (ولم يكن بينهم محارب واحد). وشبه الاعلام العالمي هذه المجزرة بتلك التي

أقترفتها وحدة أميركية في قرية ميلاي الفيتنامية. إلا أن الفرق هو أن مجزرة ميلاي وقعت أثناء هجوم أميركي لاحتلال القرية، وجرى محاكمة وسجن قائد الوحدة، في حين أن مجزرة سيماشكا وقعت في قرية تحت السيطرة الروسية لم يتواجد فيها مقاتلون شيشان، ولم يقم أهلوها بأي عمل استفزازي أو تعرض للوحدة الروسية المحتلة. ولم تقم السلطات بالتحقيق في هذه المجزرة أو محاكمة المسؤلين عنها.

٤- اعتقال وتعذيب واغتيال المدنيين الشيشان، وإقامة معسكرات خاصة لهذه الغاية، كان أكبرها في مدينة موزدوك في اقليم ستافروبول. ويقول الصحفي اريك مارغوليس الذي قضى ثلاث سنوات في متابعة وتغطية أخبار استقلال شيشانيا بأن ألفين من الشيشان المدنيين الذين أعتقلتهم القوات الروسية اختفوا. واتهمت جمعيات حقوق الانسان الروسية والعالمية القوات الروسية (باعتقالات جماعية، وردود فعل دموية، والتعذيب على مقياس واسع).

ومن جانب آخر أظهر الاعلام العالمي (بما فيها محطات التلفزة والصحافة الروسية المستقلة) المعاملة الانسانية التي كان الأسرى الروس يلقونها من المقاتلين الشيشان من تقديم طعام وعلاج (مماثل لما يقدم للمقاتل الشيشاني) لهم. وتسليم الصبيان الأغرار من الأسرى إلى أمهاتهم. واستضافة ومساعدة الأمهات في البحث عن المفقودين من أبنائهن، في حين أن القوات الروسية كانت لا تولي اهتماماً بهن وترفض تقديم المعلومات المتوفرة عن مصير أبنائهن.

والظاهرة المشرفة في الشعب الشيشاني تعاطفهم مع الجالية الروسية الكبيرة في غروزني وبعض مدن شيشانيا خلال فترة القصف الوحشي الروسي. فهذه الجالية كما يقول الشيشان (هم منا وفينا... تعرضوا مثلنا لاستبداد حكم موسكو في الماضي، ويتعرضون الآن مثلنا للقتل والابادة). أقدمت القرى الشيشانية على استضافة الألوف منهم وخاصة الشيوخ والعجز المتقاعدين. ويحظر دستور جمهورية الشيشان أي تمييز بين مواطني الجمهورية على خلفية المنبت أو الأصول العرقية أو العقائد الدينية.

الموقف العالمي من الاعتداء الروسي

كان الموقف الرسمي للحكومات العالمية، شرقية وغربية، عربية واسلامية، بما فيها الجمهوريات المستقلة التي انبثقت عن الاتحاد السوفيتي السابق، الصمت وعدم الاعتراض علناً عندما بدأ الغزو الروسي لشيشانيا، بل أن معظمها اتخذت موقف تقبل حجة روسيا بأن شيشانيا جزء من روسيا، وأن القضية الشيشانية أمر داخلي لروسيا.

الرئيس كلينتون أرسل رسالة تشجيع ليلتسين يتمنى بأن تنتهي الحملة في أقصر وقت وبأقل ضحايا بين المدينتين، وسعى لمنح روسيا قرضاً من خلال صندوق النقد الدولي مقداره ١٠,٢ مليار دولار. ورافق ذلك تصويتاً بقبول روسيا في المجلس الأوروبي (وهي خطوة انتقدتها بشدة منظمات الحقوق الدولية) كما وإن فرنسا وألمانيا نسبتا ضم روسيا إلى مجموعة الدول السبع... أغنى دول العالم وأقواها صناعياً.

وشذت عن هذا الموقف دول البلطيق (لتوانيا واستونيا ولاتفيا) وأوكرانيا وبولندا التي استنكرت منذ البداية الغزو الروسي، وتتبنى وفودها القضية الشيشانية في المؤتمرات البرلمانية والاجتماعات الدولية، كما أن عددا من الدول الأخرى بدأت تعيد النظر في موقفها من الأزمة، وتبدي تعاطفاً مع الشيشان، وتستنكر الأساليب الوحشية التي تتبعها القوات الروسية، وتطالب بايقاف القتال والتوصل إلى حل سلمي للأزمة.

وأما الشعوب في مختلف دول العالم فكانت أكثر تعاطفاً مع القضية الشيشانية واعجاباً بصموده البطولي. ومن الجدير بالذكر أن مجلس النواب الأردني كان أول هيئة رسمية دولية تصدر بياناً يستنكر الغزو الروسي ويؤيد حق الشعب الشيشاني بالحرية والاستقلال، كما أصدر مجلس الأعيان بياناً مماثلاً، وفي ألمانيا تبنت مجموعة ديموقراطية فتح سفارة رمزية مؤقتة لجمهورية الشيشان في مهرجان نصرة الشعوب غير الممثلة في هيئة الأمم المتحدة الذي عقد في بون. وفي بولونيا قامت هيئات رسمية وشعبية وضع بناء كان في السابق مركزاً للقيادة الروسية في مدينة كراكوف تحت تصرف جمهورية الشيشان كمركز اعلامي للجمهورية في أوروبا. وفي مختلف بلدان العالم تشكلت لجان لنصرة الشعب الشيشاني وجمعت تبرعات لتقديم مساعدات معنوية واعلامية ومادية.

وفي أمريكا قاد بريجنسكي (البولوني الأصل والمولد) الموقف الذي يعبر عن حقيقة (أن شيشانيا لم تكن في يوم من الأيام جزءاً من روسيا، بل كانت بلداً محتلاً من قبل روسيا). وأصدر المجلس التشريعي لولاية نيو جرسي بياناً يؤيد حق الشعب الشيشاني بالحرية والاستقلال ويطالب طرفي النزاع للتفاوض على حل يضمن حقه بالحرية والاستقلال. ووقف هذا الموقف عدد من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الذين طلبوا من كلينتون الامتناع عن زيارة موسكو ما لم يوقف القتال في شيشانيا، وتتخذ الاجراءات القانونية بحق المسؤولين والمشتبه بهم عن اختفاء خبير الاغاثة الانسانية السيد فريدريك كوني الذي اختفى عند نقطة تفتيش للقوات الروسية عندما كان في طريقه إلى غروزني لاقامة مراكز تعقيم وتوزيع مياه الشرب فيها. ووقّع مئات من أساتذة كبرى

جامعات أميركا وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واسرائيل والسويد والنرويج والنمسا والبرازيل وغيرها رسالة موجهة إلى رئيس ونائب رئيس ووزير خارجية أميركا، ورئيس مجلس الشيوخ والنواب ورؤساء لجان الشؤون الدولية فيهما، ورئيس منظمة الأمن والتعاون الأوروبي، ينتقدون سياسة الادارة الأميركية باعتبار يلتسين ضماناً للانفتاح والديموقراطية في روسيا، وأن شيشانيا جزءاً من روسيا وقضيتها أمراً من شؤون روسيا الداخلية. وانتقدت قيام الحكومة الأميركية بتأمين قرض من خلال صندوق النقد الدولي لروسيا مقداره ١٠,٢ مليار دولار سيستغل نصفه على الأقل في تمويل حملة غزو شيشانيا وختموا رسالتهم:-

«إن الموقف الذي يعتبر بأن ما يجري هو أمر داخلي للحكومة الروسية يشجع تصرفاتها الاجرامية، وينبغي على الحكومة الأميركية أن تبذل كل امكانياتها لايقاف هذا الحرب، وأن تنبه الحكومة الروسية وتحذرها بأنه سيجري تجميد والغاء أية مساعدات لروسيا في حالة استمرار الحرب.

«نطلب منكم اتباع جميع الوسائل المتوفرة ونفوذ أميركا لتقوم الحكومة الروسية بايقاف الحرب فوراً، وأن تساندوا التوصل إلى حل سلمي وعادل للنزاع من خلال المنظمات الدولية».

وأما أشد الانتقادات للتصرفات الروسية فقد كانت في روسيا نفسها سواء من قبل عسكريين أو مدنيين. فالجنرال بوريس غروموف نائب وزير الدفاع رفض قيادة الحملة على شيشانيا (زحف الحمقى) وآثر الاستقالة من الخدمة العسكرية. كما استقال من الخدمة الجنرال ليبيد ووصف الحملة « بغير استعداد... صبية غير مدربين يزج بهم ليواجهوا الرصاص.... إنها سلطة مجرمة هذه التي ترسل الألوف من مواطنيها إلى موت محتم».

ومن ساحة المعركة في غروزني اتصل سيرجي كافاليوف مفوض منظمة حقوق الانسان الروسية بالرئيس يلتسين يطلب منه ومن القادة العسكريين الكف عن الكذب فيما يتعلق بسير الحرب في شيشانيا، ويدعو الشعب الروسي للوقوف ضد الجرائم التي تقترفها السلطات الروسية.

ودعت ايلينا بونر رئيسة مؤسسة زخاروف لحقوق الانسان في لقاء بتاريخ ١٩/١/١٩٩٥ مع المكتب الأميركي لمنظمة الأمن والتعاون الأوروبي أن تقوم أميركا بتجميد مساعداتها لروسيا، وقالت بأن على الرئيس السابق كارتر بصفته رجل سلام أن يطير حالاً إلى موسكو ويسعى إلى إيقاف القتال فوراً.

وفي ١٩٩٥/١/٢٨ وقعت ٧٩ منظمة حقوق انسان وحزب ديموقراطي في موسكو وثيقة (اتفاقية العمل الجماعي للدفاع عن السلام والحرية) ودعت إلى إيقاف الحرب ضد الشيشان فوراً، وأن تعمل روسيا على الاستقرار في المنطقة، وأن لا تعيد في المستقبل المأساة التي ارتكبتها في القوقاز.

وكانت تنظم في موسكو يومياً مظاهرات ضد حرب شيشانيا يقوم بها مواطنون روس متعاطفون مع الشيشان وداعون لمراعاة حقوق الانسان. وكانت أمهات الجنود الروس الذين زج يلتسين بهم في جحيم حرب شيشانيا تتصدرن هذه المظاهرات.

إلا أن جميع هذه الاحتجاجات، واستطلاعات الرأي العام الروسي التي أظهرت معارضة غالبية الشعب الروسي لحرب شيشانيا، لم تكن كافية لأن يعمل يلتسين على إيقاف هذه المجزرة، حيث أن مستشارية المقربين أشاروا عليه بأن ايقاف الحرب التي أشعلها في هذه المرحلة وقبل تحقيق النصر (المرتقب)، تعطيه صورة رئيس ضعيف غير حازم في أمور تتعلق بوحدة روسيا، مما يضعف من فرص فوزه في انتخابات الرئاسة القادمة، وأن توقف الجيش الروسي قبل تحقيق أهدافه المعلنه يثبت عجزه عن التمسك بوحدة الفدرالية الروسية بالقوة.

سير العمليات الحربية ونتائجها

بات العالم على ضوء أحداث حرب شيشانيا يصف الجيش الروسي الكبير بأنه لا يعدو عن كونه (نمر من ورق). فهذا الجيش الأكثر عدداً في العالم، والمزود بأحدث الأسلحة وأقواها تدميراً، مشكل من صبية أغرار لا تدفع رواتبهم بانتظام، ولا يزودون بالحد الأدنى من احتياجات الغذاء والكساء والسكن، ويزج بهم بدون تدريب ولا تخطيط في قتال لا يفهمون أسبابه ولا أهدافه.

على أثر صدور الأمر بغزو شيشانيا بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١ زحفت الجيوش الروسة على شيشانيا على ثلاث محاور، في الغرب عبر جمهورية أنجوشيا، وفي الشرق عبر جمهورية داغستان، وفي الشمال من اقليم ستافروبول. وقد استطاعت الجماهير الكبيرة التي شكلت سداً بشرياً متراصاً إيقاف القوات المتقدمة عبر محوري أنجوشيا وداغستان عدة أيام.

اتبعت القوات الروسية خطة الأرض المحروقة كالتي اعتمدها الجنرال يرمولوف قبل ١٧٥ عاماً، وذلك بتدمير القرى والمناطق التي تمر منها. وبعد قصف مركز استمر أكثر

من أسبوعين دخلت غروزني للمرة الأولى ليلة رأس السنة الجديدة في رتل طويل من الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود. ولكن بدلاً من أن يكون دخولها استعراض جيش منتصر تعرضت لكمائن المقاتلين الشيشان الذين استطاعوا أن يدمروا جميع الدروع التي دخلت المدينة تلك الليلة وقتل كوادرها، ويقدر عددها بما يزيد عن ٢٥٠ دبابة ومدرعة وناقلة جنود. ولعلها أكبر معركة في تاريخ الحروب من حيث عدد الدروع التي تدمر في معركة واحدة.

وإزاء هذا الفشل قامت القوات الروسية بقصف مدفعي وصاروخي وجوي مركز على مركز مدينة غروزني وبعض أحيائها، احالتها إلى ركام أشبه بمدينة الأشباح. وجاء في تقرير مؤسسة دراسات استراتيجية بريطانية بأن قوة النار الذي وجه ضد غروزني في شهري يناير وفبراير ١٩٩٥ يزيد عن قوة النار التس استعملتها جميع القوات التي اشتركت في حرب الخليج. ويقارن فريدريك كوني في مقالة بعنوان (قتل شيشانيا Killing Chechenya) نشرها في العدد الصادر بتاريخ ١٩٩٥/٤/٦ من مجلة (The New Yorker Review) ، بين عدد القذائف التي تعرضت لها مدينتي سرايبفو في البوسنة ومدينة غروزني ويقول بأن تقدير الانفجارات الكبيرة في سرايبفو في أشد مراحل القتال كانت بمعدل ٣٥٠٠ انفجار كبير في اليوم الواحد في حين أن هذا المعدل في أوائل شهر فبراير ١٩٩٥ في غروزني كان ٤٠٠٠ انفجار كبير في الساعة الواحدة.

أخلى المقاتلون الشيشان مدينة غروزني في أواخر شهر فبراير، إلا أن المقاومة انتقلت إلى المدن والبلدات والقرى الأخرى وجبال القوقاز. واستمر القتال بين كر وفر، وتقدم وتراجع، وتبادل مواقع، وغارات شيشانية على مناطق داخل روسيا، حتى وصلت السلطة الروسية إلى قناعة استحالة حل أزمة شيشانيا بالحرب، فكما قال الجنرال ليبيد «فشل الجيش في شيشانيا أثبت بأن روسيا عاجزة عن التمسك بوحدة الفدرالية الروسية بالقوة» وقال المحلل السياسي الكسندر كونغالوف «كنا بعد أفغانستان نتوقع أن نتعلم بعض الدروس، إلا أننا كررنا جميع الحماقات. لا نستطيع أن نقول أن روسيا أوقفت الحرب بل نقول أنها خسرت الحرب». وكانت الانتخابات الرئاسية في روسيا قد انتهت بفوز يلتسين، فعهد إلى الجنرال ليبيد الذي كان قد تحالف معه في الجولة الثانية من الانتخابات أن يتولى معالجة أزمة الحرب في شيشانيا. فقام ليبيد بالتفاوض مع الجنرال أصلان مسخادوف رئيس أركان القوات الشيشانية ووقعا بتاريخ ١٩٩٦/٨/٣١ اتفاقية أدت إلى وقف القتال وانسحاب القوات الروسية من شيشانيا ووضع أسس للحل

السياسي والأمور الأخرى خلال خمس سنوات.

إلا أنه وكما هو الأمر في أغلب الحروب، خرج طرفا النزاع خاسرين. فبالنسبة للجانب الشيشاني ومع أنه كسب اعجاباً عالميا بصموده الباسل إلا أن خسائره البشرية تقدر بما يتراوح بين ٣٠ إلى ٤٠ ألف شهيد وضعف هذا العدد من الجرحى ونزوح ما يقدر بحوالي ٣٠٠ ألف من مناطق اقامتهم إلى مواقع أخرى داخل الجمهورية وخارجها. وتم تدمير البنية التحتية ومرافق الخدمات الرئيسية وقرى ومناطق خدماتية وسكنية واسعة. ودمرت المصانع وتوقف انتاجها ومجالات العمل فيها. وقضي على الجزء الأكبر من الثروة الحيوانية. وأصبحت الزراعة في الأراضي السهلية الخصبة تشكل مخاطرة كبيرة بسبب الألغام التي كانت روسيا تنثرها من الجو على مساحات واسعة. ومع ان العرف الدولي يعطي الشيشان الحق في مطالبة روسيا بالتعويض عن الأضرار التي ألحقتها بهم وتقدر بما يزيد عن ١٠٠ مليار دولار أميركي، إلا أن التوقع في التزام روسيا المفلسة بمسؤلياتها ضعيف. يجادل بعض الشيشان «من حيث المبدأ، إذا كان الشعب الألماني بمجموعه مسؤول عن جرائم ١٢ عام من الحكم النازي، فإنه من الطبيعي أن تعتبر الشعوب التي تعرضت للتهجير القسري والاعتداء الغاشم، بأن الشعب الروسي يتحمل الجرائم التي اقترفها النظام الشيوعي خلال ٧٠ عاماً من حكمه والنظام الروسي الذي خلفه. وعلى روسيا أن تدفع للشيشان التعويضات كما دفعت ألمانيا لليهود، ليس لذوي الضحايا مباشرة او الدول التي كانوا مواطنيها، بل لدولة اسرائيل بزعم أنها ممثلة لليهود في جميع أنحاء العالم».

ويجادلون أيضاً «إن ادعاء روسيا بأنها دولة فقيرة غير مقتدرة على دفع التعويضات للشيشان حجة باطلة. كيف كان لديها المال لاشعال الحرب ضدنا؟ إذا كانت لديهم الأموال لاشعال الحرب فيستطيعون تدبيرها لاعادة اعمار الدمار الذي ألحقوه». هل من مستمع لمثل هذه الحجج؟.

وبالاضافة إلى المعاناة المادية والبطالة، يعاني الشيشان من الحظر الروسي، ولا يزال القلق يراودهم على مستقبلهم السياسي الذي لم يبت به بعد بشكل نهائي. والروس مصرون في الوقت الحاضر على عرقلة اعتراف الدول باستقلال الجمهورية. فكما أعلن ميخائيل ديمورين مساعد وزير الخارجية «إن روسيا تراقب تعامل العالم بالنسبة للوضع السياسي في شيشانيا، ووزارة الخارجية الروسية لم تسمع أي رأي يخالف مبدأ وحدة أرض روسيا». وقال فالنتين كوفاليف وزير العدلية الروسية: «الجمهورية الشيشانية جزء من الفدرالية الروسية، والانتخابات الأخيرة فيها لم تغير هذا الوضع».

وبالنسبة للروس أيضاً كانت هذه الحرب كارثة معنوية ومادية. فالجيش الروسي الذي كان يعتبر قوة عظمى لحقت به هزيمة مهنية. وتبين للعالم بأنه يفتقد إلى قيادات مؤهلة، وتدريب مناسب، ومعنويات عالية، وضبط وربط. والخلل لم ينحصر في وحدات المجندين الأغرار بل شمل الوحدات القتالية المميزة. فمثلاً سرية من المظليين المتمرسين كانت قد أنزلت قرب قرية (زكوي يرت) الشيشانية للقيام بعمليات حربية خلف الخطوط الشيشانية ظلت مختبئة في الغابات ثلاثة أيام بدون إمداد، وفي اليوم الرابع خرجت واستسلمت للأهالي المدنيين مقابل تزويدهم بالطعام.

وكذلك وحدة من قوات (Alpha) المشهورة ،كانت قد أحضرت للمساعدة في عملية قرية بيرفوما يسكايا في داغستان، رفضت الهجوم على القرية لسوء التنظيم، وابتعدت هذه الوحدة التي تعتبر نخبة القوات الروسية من جبهة القتال واشترت بطاقات للسفر بالقطار إلى موسكو. وكانت العلاقات بين قوات الجيش الروسي النظامي وقوات وزارة الداخلية متأزمة، وازداد التوتر بينها بحيث أن القوات الروسية النظامية المعسكرة خارج غروزني تباطأت في نجدة قوات وزارة الداخلية المحاصرة من قبل المقاتلين الشيشان الذين دخلوا غروزني بتاريخ ١٩٩٦/٨/٦ وحرروها.

لاتكشف القوات الروسية أرقاماً صحيحة عن خسائرها البشرية، إلا أنه من المقدر أن قتلاهم يزيد عن (١٥) ألف جندي. فمثلاً فردريك كوني يقول في مقالته التي نشرت بتاريخ ١٩٩٥/٤/٦ بأن قتلى الجيش الروسي يزيد عن (٥٠٠٠) جندي، في حين أن يواف كارني يقدر في مقالته التي نشرت في جريدة واشنطن بوست بتاريخ ١٩٩٥/١٢/١٠ عدد القتلى من الجنود الروس بأكثر من ١٢٠٠٠ أي بما يزيد عن خسائر الجيش الروسي خلال ١٢ سنة في حرب أفغانستان.

وشكلت حملة شيشانيا عبئاً مالياً كبيراً على الخزينة الروسية، فأصبحت عاجزة عن دفع الرواتب وصيانة المرافق. وتناقلت الأنباء العالمية تذمر القوات الروسية التي انسحبت من شيشانيا، إذا أنها وضعت في معسكرات خيام نصبت في مناطق مستنقعات في روسيا، بدون مرافق صحية أو خدمات أو تدفئة، وتأخر دفع رواتبهم.

ولعل أكبر ثمن تدفعه روسيا مقابل تهورها في حرب شيشانيا سيكون مصير الفدرالية الروسية نفسها. كتب أندريه ويمبوش المدير السابق لراديو الحرية في العدد الثاني، من الجزء ٢٦ من مجلة Freedom Review يقول:-

«في وقت قريب، قد ننظر إلى شيشانيا كاهم عامل في انحلال روسيا نفسها. فروسيا دولة عاجزة عن الاحتفاظ بعملة قوية مستقرة، أو جمع الضرائب من مواطنيها، أو

حمايتهم من الاجرام المتنامي، أو بناء جيش فعال. إنها عاجزة عن تأمين أدنى متطلبات دولة. ونتيجة لهذا الفشل فإن الطبقة المثقفة أصبحت عاجزة عن القيادة، أو أن تكون قدوة، أو أن تضع تصوراً عن حاضر روسيا أو المصير الذي ينحدر إليه. الدولة الروسية تتبدل بأسرع من الشعب الروسي، إنها تذبل وتهرم لأنها تفتقد قيماً قومية متماسكة ورؤيا مشتركة... وهذه لا يمكن تعويضها بالتهويش وتهييج حربي في شمال القوقاز أو غيره».

تسلسل الأحداث

أكتوبر ١٩٩١: جوهر دوداييف الجنرال السابق في السلاح الجوي السوفيتي يفوز بانتخابات الرئاسة في جمهورية الشيشان ويعلن استقلال الجمهورية.

نوفمبر ١٩٩١: الرئيس يلتسين يعلن حالة الطوارئ في شيشانيا ويرسل قواته إلى غروزني، إلا أن هذه القوات تنسحب بعد ثلاثة أيام بدون قتال.

نوفمبر ١٩٩٤: تقوم جماعات شيشانية معارضة مدعومة من روسيا بمهاجمة غروزني، إلا أنها تندحر ويأسر الشيشان عدداً من الجنود الروس النظاميين الذين اشتركوا في هذه العملية.

١٩٩٤/١٢/٦: اجتماع الرئيس الشيشاني جوهر دوداييف مع وزير الدفاع الروسي غراتشيف في مدينة نزران في أنجوشيا ويتعهدان حل الأزمة سلماً بدون قتال.

١٩٩٤/١٢/١١: روسيا ترسل قواتها إلى شيشانيا ويبدأ الغزو العسكري.

١٩٩٤/١٢/٣١–١٩٩٥/١/١: تقوم قوات مدرعة روسية بدخول غروزني، إلا أنها تدمر بالكامل.

يناير وفبراير ١٩٩٥: قصف مدفعي وصاروخي وجوي روسي شديد يحول مركز مدينة غروزني وأكثر احياءها إلى انقاض، وينسحب المقاتلون الشيشان من المدينة.

آذار ١٩٩٥: منظمة الأمن والتعاون الأوروبي يقيم تمثيلية في شيشانيا.

نيسان ١٩٩٥: القوات الروسية ترتكب مجزرة وحشية في قرية سيماشكا الشيشانية المسالمة.

١٩٩٥/٦/١٤–١٩٩٥/٦/١٨: حوالي ٢٠٠ مقاتل شيشاني بقيادة شامل بيساييف يهاجمون مدينة بودرينوفسك الروسية والتي تبعد حوالي ٧٠ كيلومتر عن شيشانيا، وبعد قتال شديد قتلوا عدداً كبيراً من قوات وزارة الداخلية الروسية ويحتلون البلدية

ومركز الشرطة الرئيسي ودوائر أخرى، ويعتصمون مع بضع مئات من الرهائن في المنتجع الصحي. وبعد مفاوضات على الهاتف مع رئيس الوزراء الروسي تشيرمودين ينسحبون من المدينة ويعودون إلى شيشانيا في موكب منتصرين.

١٩٩٥/١٢/١٤: المقاتلون الشيشان يسترجعون مدينة غودرمس وأحياء من مدينة أرغون إلا أنهم يضطرون للانسحاب بعد أسبوع.

١٩٩٥/١٢/١٧: دكة زفجاييف المدعوم من روسيا يفوز بانتخابات رئاسة الادارة الشيشانية، إلا أن المراقبين الدوليين أكدوا اقتراف تزييف كبير.

١٩٩٦/١/٩: المقاتلون الشيشان بقيادة سلمان روداييف يهاجمون مدينة كزلار الروسية في داغستان. وفي طريق عودتهم بعد مفاوضات مع القوات الروسية تحاول هذه القوات قطع الطريق عليهم، فينتقلون إلى قرية بيرفومايسكايا مع رهائن ويعتصمون فيها لمدة أربع أيام. تقوم القوات الروسية بتدمير كامل للقرية، إلا أن معظم المقاتلين مع رهائنهم تمكنوا من الافلات والعودة لشيشانيا.

١٩٩٦/٢/١٥: الرئيس يلتسين يعلن ترشيحه للرئاسة الروسية ويصرح بأن «أزمة شيشانيا ربما كانت احدى أخطائنا، وأنه يدرس خيارات للسلام».

١٩٩٦/٣/٤: وزير الدفاع الروسي يزور شيشانيا ويعلن استعداده للاجتماع مع دودابيف..

١٩٩٦/٣/٦: المقاتلون الشيشان يهاجمون غروزني ويستولون على قطاعات في المدينة لعدة أيام، إلا أنهم يضطرون للانسحاب.

١٩٩٦/٣/٢٣: الشيشان يحيون ذكرى تهجيرهم الجماعي عام ١٩٤٤.

١٩٩٦/٣/٣١: الرئيس يلتسين يأمر بايقاف العمليات الحربية الكثيفة، وانسحاب جزئي من شيشانيا، وعرض لاجراء مفاوضات مباشرة، إلا أن القتال العنيف يستمر.

١٩٩٦/٤/٢١: اعلان استشهاد الرئيس دودابيف بقصف جوي، ويتولى نائبه زيلمخان يندربايف مهام الرئاسة.

١٩٩٦/٥/٢٤: يلتسين ويندر بايف يجريان محادثات في موسكو، والاتفاق على هدنة استمرت ستة أسابيع.

١٩٩٦/٥/٢٨: الرئيس يلتسين يزور القوات الروسية في شيشانيا، إلا أن هذه الزيارة انحصرت في مطار غروزني العسكري ولبضع ساعات فقط.

١٩٩٦/٦/٣: تعرض اتفاقية وقف قتال كانت وقعت قبل ثلاثة أيام لصدع شديد بسبب الاتهامات المتبادلة بخرقها من الطرفين.

١٩٩٦/٦/٦: مفاوضون روس وشيشان يلتقون في نزران بدون التوصل إلى اتفاقية سلام.

١٩٩٦/٦/٩: الروس يطالبون باجراء انتخابات في شيشانيا بتاريخ ١٩٩٦/٦/١٦ لتتزامن مع الانتخابات الروسية، إلا أن الشيشان يرفضون ذلك ما دامت القوات الروسية متواجدة في شيشانيا.

١٩٩٦/٦/١٠: المفاوضون الروس والشيشان يوقعون اتفاقيتين، ووافق المقاتلون الشيشان على نزع السلاح، ووافق الروس على سحب ٤٠٠٠٠ جندي من شيشاني قبل نهاية أغسطس ١٩٩٦. واتفق أيضاً على تأجيل الانتخابات في شيشانيا حتى تزول المظاهر العسكرية.

١٩٩٦/٦/١١: انفجار في محطة نفق القطارات تحت الأرض في موسكو، ومقتل أربعة أشخاص، وكان تساؤل حول مسؤلية الشيشان عن الحادث ،الا أنه تبين أنه من فعل عصابات الأجرام في موسكو.

١٩٩٦/٦/١٤: يبدأ التصويت لرئاسة روسيا وبرلمان شيشانيا، إلا أن المقاتلين الشيشان يعارضون اجراء انتخابات البرلمان المحلي.

١٩٩٦/٦/١٦: الطعن بنتائج الانتخابات في شيشانيا. القوات الروسية تتعرض للنيران خلال الليل، مراكز التصويت تعرضت للنيران مما استدعى اغلاقها في وقت مبكر.

١٩٩٦/٦/١٩: مستشار الأمن الروسي الجديد الكسندر ليبيد يخطط لأن يطلب من يلتسين سحب القوات الروسية من شيشانيا، وفصل وحرمان الشيشان من موازنة الفدرالية الروسية، وعزل وزير الدفاع غراتشيف.

١٩٩٦/٧/٣: انتخاب يلتسين لرئاسة جمهورية الفدرالية الروسية للمرة الثانية.

١٩٩٦/٧/٩: يتجدد القتال بعد انهيار المفاوضات حول اطلاق سراح أسرى الحرب من الفريقين. المقاتلون يحتلون قرية جيخي يورت ويقتلون عدداً من الجنود الروس.

١٩٩٦/٧/١١: المدفعية والمروحيات الروسية تهاجم وتقصف قرى في جنوب شيشانيا لليوم الثالث على التوالي، ويقتلون حوالي ١٠٠ من المدنيين، ويخرقون اتفاقية وقف اطلاق النار. ادارة الرئيس كلينتون تنتقد قرار روسيا بتصعيد العمليات الحربية والاعتداء على المدنيين.

١٩٩٦/٧/١٤: القوات الروسية تحاصر عدة قرى في جنوب شرق شيشانيا وتقصفها بشدة بدعوى تواجد مقاتلين فيها.

١٩٩٦/٨/٦: المقاتلون الشيشان يدخلون غروزني وارغون وغودرمس، وتبدأ أعنف معارك منذ أكثر من عام، وتفقد القوات الروسية السيطرة على الوضع.
١٩٩٦/٨/١٠: يلتسين يعين الجنرال ليبيد ممثلاً له في شيشانيا.
١٩٩٦/٨/١٢: ليبيد يطير إلى شيشانيا ويجتمع مع الجنرال أصلان مسخادوف رئيس أركان القوات الشيشاينة لترتيب وقف اطلاق النار. قادة الميدان الروس يرفضون عقد اتفاقية واضحة، غير أن الهدنة تصمد.
١٩٩٦/٨/١٤: يلتسين يحل اللجنة الحكومية لشؤون شيشانيا التي يرأسها تشيرمودين رئيس الوزراء، ويفوض ليبيد بصلاحيات واسعة لحل أزمة شيشانيا.
١٩٩٦/٨/١٥: ليبيد يقابل يندر بابيف رئيس جمهورية الشيشان في شيشانيا، ويصرح الاثنان بأنهما متفائلان من المحادثات، ويسعيان لأنهاء الصدام العسكري.
١٩٩٦/٨/١٩: القائد الروسي في شيشانيا الجنرال كونستانتين بو ليكوفسكي يمهل المدنيين ٤٨ ساعة لمغادرة غروزني، ويهدد بقصف شامل للمدينة لاخرج المقاتلين الشيشان منها.

يلتسين يطلت من ليبيد بأعادة السيطرة على الوضع في شيشانيا قبل نهاية الشهر.
١٩٩٦/٨/٢٠: مجلس الأمن الروسي يشكك في صحة أوامر يلتسين، ويعلن معاونوه بأنه في استراحة قصيرة في شمال غرب روسيا.
١٩٩٦/٨/٣١: الجنرال ليبيد والجنرال مسخاروف يوقعان اتفاقية خطة سلام تلزم سحب القوات الروسية من شيشانيا قبل نهاية أيلول وتشكيل لجنة للاشراف على عمليات اعادة التعمير، وتؤجل قرار الحل السياسي لمدة خمس سنوات.
١٩٩٧/١/٢٧: انتخابات الرئاسة والبرلمان في شيشانيا. الجنرال أصلان مسخادوف يفوز كرئيس للجمهورية بأغلبية ٦٥٪ من المصوتين، وصرح بأنه ليس متشدداً بالنسبة لعلاقات شيشانيا مع روسيا، إلا أنه ينبغي على روسيا الاعتراف باستقلال شيشانيا وقال «هناك موقف لا رجعة عنه، ينبغي على الروس أن يفهموه. إننا لا نقبل أبداً أن يكون لروسيا حق قتل شعبنا والتنصل من المسؤلية والحساب كما جرى في الماضي».

وفي الختام فإن شيشانيا تعيش الآن في جو تفاؤل وقلق.

وبعد الانتهاء من هذا الكتاب، وقبل طبعه، أذاعت راديو صوت الحرية في ألمانيا خبر انتقال المناضل الشيشاني البروفسور عبد الرحمن اوفترخانوف الى رحمة الله تعالى في مدينة ميونيخ نهار عيد الأضحى المبارك الموافق ١٩٩٧/٤/١٧.

كان المرحوم يعتبر من أشهر المتعمقين في مبادئ وفلسفة الحرب الشيوعي ونظام

الحكم السوفيتي. وكان قد وصل الى مراتب عالية في أجهزة الحزب ويعتبر صديقاً لستالين، إلا انه ما لبث ان وصم بالانحراف وميول قومية وطنية وسجن مرتين، إلا انه استطاع ان يلتجئ الى المانيا عام ١٩٤٠.

وبعد الحرب ساهم في تأسيس مركز الدراسات السوفيتية في ميونيخ، وتولى رئاسة تحرير الطبعات العربية من هذه الدراسات، كما كان يدير ويدرس دورات عن مبادئ الحزب الشيوعي وأساليب الحكم السوفيتي يلتحق بها كبار الديبلوماسيين من امريكا ودول اوروبية أخرى قبل توليهم مناصب في الاتحاد السوفيتي ودول اوروبا الشرقية.

وألف المرحوم العديد من الكتب منها: حكم ستالين، وأجهزة الحزب الشيوعي، وامبريالية الكرملين، ونشر المئات من الأبحاث القيمة وردت الإشارة الى بعضها في هذا الكتاب.

وفي المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي أعلن استقلال جمهورية الشيشان في نوفمبر ١٩٩٠، اعتبر رمزاً للنضال المستمر ضد الحكم الروسي. وقد أنزلت صورة لينين المعلقة في صدر قاعة الاجتماع ورفعت بدلها صورة اوفترخانوف. وقرر المؤتمر تغيير اسم الشارع الرئيسي في المدينة من شارع لينين الى شارع اوفترخانوف، وتغيير اسم بلدة في ضواحي غروزني من بلدة يرمولوف الى بلدة بيسغر، وإطلاق اسم مطار الشيخ منصور على المطار المدني في غروزني.

رحم الله المناضل الكبير وأسكنه فسيح جنانه.



يلتسين ومسخادوف يوقعان الإتفاق.. (١٢/٥/١٩٩٧م)

تقرير مختصر عن نشاط
اللجنة الأردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان المستقلة

مقدمة:

تصاعد في الربع الأخير عام ١٩٩٤ التدخل الروسي في الشؤون الداخلية للجمهورية الشيشانية المستقلة على شكل حصار اقتصادي وحدودي، وعمليات تخريبية، وضغوط سياسية، واستغلال وزن ونفوذ روسيا بصفتها دولة كبرى وعضو دائم في مجلس الأمن الدولي لعزل الجمهورية سياسياً ومنع الاعتراف بكيانها المستقل.

ثم تطور الوضع الى تدخل مباشر بتشكيل معارضة عميلة قامت بمشاركة وحدات عسكرية نظامية روسية بمحاولة للاستيلاء على السلطة في شيشانيا بالقوة. وعندما فشلت هذه المحاولةوانكشف للعالم اشتراك الوحدات الروسية فيها، قامت روسيا بشكل علني ومكشوف بسلسلة من الغارات الجوية على مطارات وقواعد عسكرية في شيشانيا، ما لبث وان تبعتها بغزو عسكري كبير، وقد خيل للقادة الروس المغرورين بأن الحشود العسكرية الكبيرة التي زجت بها في المعركة والرهبة من سطوة دولة عظمى كفيلة بأن تقضي على إرادة الحرية والاستقلال لدى الشعب الشيشاني فيستسلم بدون قتال او مقاومة ذي أثر خلال ساعتين كما صرح وزير الدفاع الروسي المغرور او خلال بضعة أيام كما تنبأ غيره من قادتهم. إلا انه بمدد من الله سبحانه وإرادته وتوفيق منه، صمد المجاهدون المؤمنون وأجبروا ثاني أكبر قوة عسكرية في العالم ان تعترف بعجزها عن تحطيم إرادة الشعب الشيشاني الحر، وان توافق على وقف القتال والدخول في مفاوضات أدت الى قرار روسي بسحب جميع القوا ت الروسية من شيشانيا.

تشكيل اللجنة

عندما تأزم الوضع في شيشانيا، جرى عقد اجتماعات في مركز جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – أنجوش المستقلة في صويلح، وجمعية أصدقاء شراكسة القوقاز في وادي السير، والجمعية الخيرية الشركسية الأم في عمان، وتقرر تشكيل لجنة أردنية باسم « اللجنة الاردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان القوقازية المستقلة» يكون مركزها في مركز جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان – أنجوش في صويلح، ويشارك في نشاطاتها كل من يرغب ويتطوع من الأسرة الأردنية الواحدة على مختلف خلفياتهم العرقية والاقليمية والعقائدية، ذكوراً وإناثاً، شيوخاً وأطفالاً، تهدف الى نصرة قضية الجمهورية الشيشانية وشعبها مادياً ومعنوياً، وقد وافقت السلطات الرسمية على ممارسة اللجنة لنشاطاتها، وقرر مجلس الوزراء الموقر إعفاء التبرعات التي يقدمها المواطنون لهذه الغاية من الدخل الخاضع لضريبة الدخل.

نشاطات اللجنة

ركزت اللجنة نشاطها من خلال لجانها، وكذلك المتعاطفين مع القضية الشيشانية في مسارين رئيسيين؛ نشاط إعلامي وتقديم معونات إنسانية للتخفيف من معاناة المتضررين.

النشاط الإعلامي:

تمكنت روسيا بنفوذها الدولي وإمكانياتها الإعلامية الكبيرة أن تفرض تعتيماً إعلامياً وتحريفاً مضللاً للقضية الشيشانية.

زعم الاعلام الروسي وردد معه الاعلام العالمي:

١. الجمهورية الشيشانية هي جزء من الجمهورية الفدرالية الروسية، تمردت وأعلنت الانفصال من طرف واحد بدون اعتبار الاجراءات الدستورية المناسبة.

٢. القضية الشيشانية شأن داخلي للفدرالية الروسية وبناء عليه فإن التدخل من قبل دول خارجية او هيئات ومؤسسات عالمية أمر مرفوض من قبل روسيا.

٣. السلطة في شيشانيا غير شرعية وصلت الى الحكم بطريقة غير دستورية.

٤. المقاتلون الشيشان هم تجمعات وعصابات متمردة خارجة على القانون وتنشر الإرهاب والفوضى في شيشانيا.

٥. السلطة في شيشانيا واقعة تحت تأثير منظمات المافيا وتقوم بنهب موارد البلاد.

والحقيقة هي خلاف هذه المزاعم الباطلة. فالجمهورية الشيشانية كان قد تمّ إعلان استقلالها وسيادتها بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٧عندما صادق (بدون معارضة) برلمان جمهورية الشيشان – أنجوش الاشتراكية ذات الحكم الذاتي على قرارات اتخذها بالاجماع المؤتمر الوطني للشعب الشيشاني الذي عقد فيم بين ٢٣ – ٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٠. وقد كان المؤتمر ممثلاً لكافة قطاعات الشعب الشيشاني ومناطق الجمهورية من قبل مندوبين منتخبين لتمثيلها في هذ المؤتمر. وكان انعقاد المؤتمر وإصداره لقرارات الاستقلال والسيادة ومصادقة البرلمان عليها متمشياً مع أحكام الدستور السوفيتي النافذ في حينه. وبناء على ذلك فإنه عندما اعلن الرئيس يلتسين من دون استفتاء او عقد مؤتر شعبي او قرار برلماني، ومن طرف واحد، إعلان استقلال الجمورية الروسية عن الاتحاد السوفيتي.. هذا القرار الذي أدى الى حلّ الاتحاد السوفيتي.. لم تكن جمهورية الشيشان المستقلة في حينه جزءاً لا من الاتحاد السوفيتي السابق ولا من الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية. وأكد رئيس وبرلمان جمهورية الشيشان الذين انتخبوا في أيلول ١٩٩١ قرار استقلال وسيادة جمهورية الشيشان. وعندما تمّ تشكيل الفدرالية الروسية الحالية بموجب معاهدجة الفدرالية التي وقعت بتاريخ ١٩٩٢/٢/١٣ رفضت جمهورية الشيشان المستقلة توقيع المعاهدة المذكورة والانضمام الى الفدرالية الروسية. وبناء على ما تقدّم:

١ – لم تكن جمهورية الشيشان في أي وقت جزءاً من الجمهورية الفدرالية الروسية القائمة.

٢ – الادعاء بأن جمهورية الشيشان أعلنت من طرف واحد انفصالها عن الجمهورية الفدرالية الروسية هو زعم باطل لأن جمهورية الشيشان المستقلة لم تكن في أي وقت جزءاً من الفدرالية.

٣ – ادعاء روسيا بأن قضية وأزمة شيشانيا شأن داخلي للفدرالية الروسية هو زعم باطل، بل هي قضية وأزمة بين دولتين منفصلتين مستقلتين.

٤ – الاعتداء والغزو الروسي على شيشانيا يعتبر اعتداء وغزواً عسكرياً أجنبياً ضد دولة

مستقلة ذات سيادة.

٥ – الاحتلال الروسي لأجزاء من شيشانيا يتعارض مع العرف الدولي بعدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة العسكرية، ويتعارض مع مبادئ حقوق الانسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

٦ – استعمال القوات الروسية أسلحة فتك ودمار محظورة دولياً يشكل مخالفة صريحة وخطيرة ومستنكرة للمواثيق الدولية.

وبالاضافة الى النواحي السياسية والقانونية ركز النشاط الإعلامي للجنة على شرح الدمار الشامل في شيشانيا، والإصابات البشرية والتشريد الجماعي والمجازر وجرائم القتل والتعذيب والاعتداء على حقوق الإنسان من قبل روسيا في شيشانيا. كما حاول شرح المعاناة الانسانية القاسية ودعى لبذل الجهود لوقف هذه التصرفات التي تتناقض مع الممارسات الحضارية، والتي ينبغي على المجتمع العالمي المتحضر أن يستنكرها ويحاكم المخططين والمنفذين لها بصفتهم مجرمين بحق الإنسانية.

وشمل النشاط الإعلامي الدعوة الى تقديم معونات إنسانية عاجلة للتخفيف من المعاناة القاسية وكذلك الدعوة لتخطيط ومساهمة عالمية في إعادة إعمار شيشانيا، وبناء اقتصادها ، ورعاية الأيتام والعجزة والمعدومين، والتعويض المناسب للمتضررين من العمليات الحربية.

ومن الوسائل التي اتبعتها اللجنة في تنشيط الجهد الإعلامي:

٠١ التشرف بمقابلة جلالة الملك المعظم ورئيس الوزراء وعدد من الوزراء والمسؤولين الرسميين.

٠٢ اجتماعات مع مؤسسات ونقابات وجمعيات ونوادي وأحزاب وهيئات ولجان خيرية واجتماعية وسياسية.

٠٣ زيارة العديد من السفارت وخصوصاً الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي، والدول العربية والإسلامية ودول الاتحاد الأوروبي واليابان وكندا والفاتيكان وعيرها. وكذلك المكاتب الإقليمية لهيئة الأمم المتحدة والتعاون الأوروبي والصليب الأحمر وهيئات الإغاثة الخيرية الدولية والمحلية.

٠٤ إرسال مذكرات تفسيرية ونداءات متعددة وباستمرار حسب تطورات الأحداث الى معظم ملوك وأمراء ورؤساء وحكومات وبرلمانات الدول، والعديد من المؤتمرات العالمية والإقليمية وشخصيات عالمية مؤثرة.

٠٥ مقابلة أو تسليم مذكرات الى شخصيات عالمية أثناء زياراتهم للأردن.

٠٦ عقد اجتماعات وإلقاء محاضرات ونشر مقالات وإجراء مقابلات مع وسائل الإعلام والصحافة والتلفزيون والإذاعة ووكالات الأنباء العالمية والمحلية.

٠٧ تنظيم مسيرات احتجاج أمام السفارة الروسية، وعقد اجتماعات في بعض المناسبات الهامة وفتح بيت العزاء باستشهاد المجاهد الرئيس الشيشاني السابق جوهر دوداييف.

المساعدات والمعونة الإنسانية

قدمت من خلال اللجنة تبرعات مادية وعينية لمعونة شعب جمهورية الشيشان من أفراد محسنين وبنوك وشركات تجارية وصناعية ونقابات وجمعيات خيرية ومستشفيات رسمية وأهلية وروابط عائلية وغيرها داخل الأردن تتراوح قيمتها بين (٥٠٠٠٠) دولار امريكي قدّمه محسن كبير في الأردن طلب عدم نشر اسمه الى نصف دينار اردني من بعض الأطفال كما وردت تبرعات سخية من لجنة الإغاثة الإسلامية خلف الخط الأخضر من أرض فلسطين المباركة وكذلك من اليمن ومصر والطلبة والأساتذة المسلمين في جامعة نوتنجهام في بريطانيا، ومن فلسطيني مقيم في بورتوريكو، كما قامت القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ليبيا بشراء كمية كبيرة من الأدوية والمواد الطبية من السوق المحلي في الأردن وشحنتها مع إرساليات المعونة الأردنية.

بلغت قيمة التبرعات النقدية حوالي (٣٦٩٠٦٥) دينار اردني، منها مبلغ (٢٣٣٨٩١) دينار أردني و(١٨٩٢١٦) دولار امريكي و (١٢١٤٠) ليرة سورية و (٥٠٠) مارك ألماني و(٥٠) جنيه استرليني، و(١٠٠٠) درهم إماراتي، و(٥٠) ريال سعودي.

وأما التبرعات العينية فقد كانت على شكل أدوية ومواد ولوازم طبية وملابس وحليب أطفال وما شابهها قدمتها مؤسسات رسمية كوزارة الصحة والقوات المسلحة والهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ومستشفى الجامعة الأردنيةوشركات أهلية، وكذلك المواد التي قامت القيادة الشعبية الإسلامية العالمية في ليبيا بشرائها من السوق المحلي في الأردن وشحنها مع المعونات الأردنية.

وبالاضافة الى ما تقدم فقد قامت عدد من المستشفيات الرسمية والأهلية وعيادات خاصة في الأردن بمعالجة أعداد من جرحى العمليات الحربية في شيشانيا بدون مقابل. وقام بعض المحسنين بتقديم مساعدات نقدية وعينية لهؤلاء الجرحى مباشرة. ومن الجدير بالذكر أن يذكر فضل الدكتورة ليانا عدنان أوتي وعطاؤها في هذا المجال والرعاية المكثفة بالجرحى.

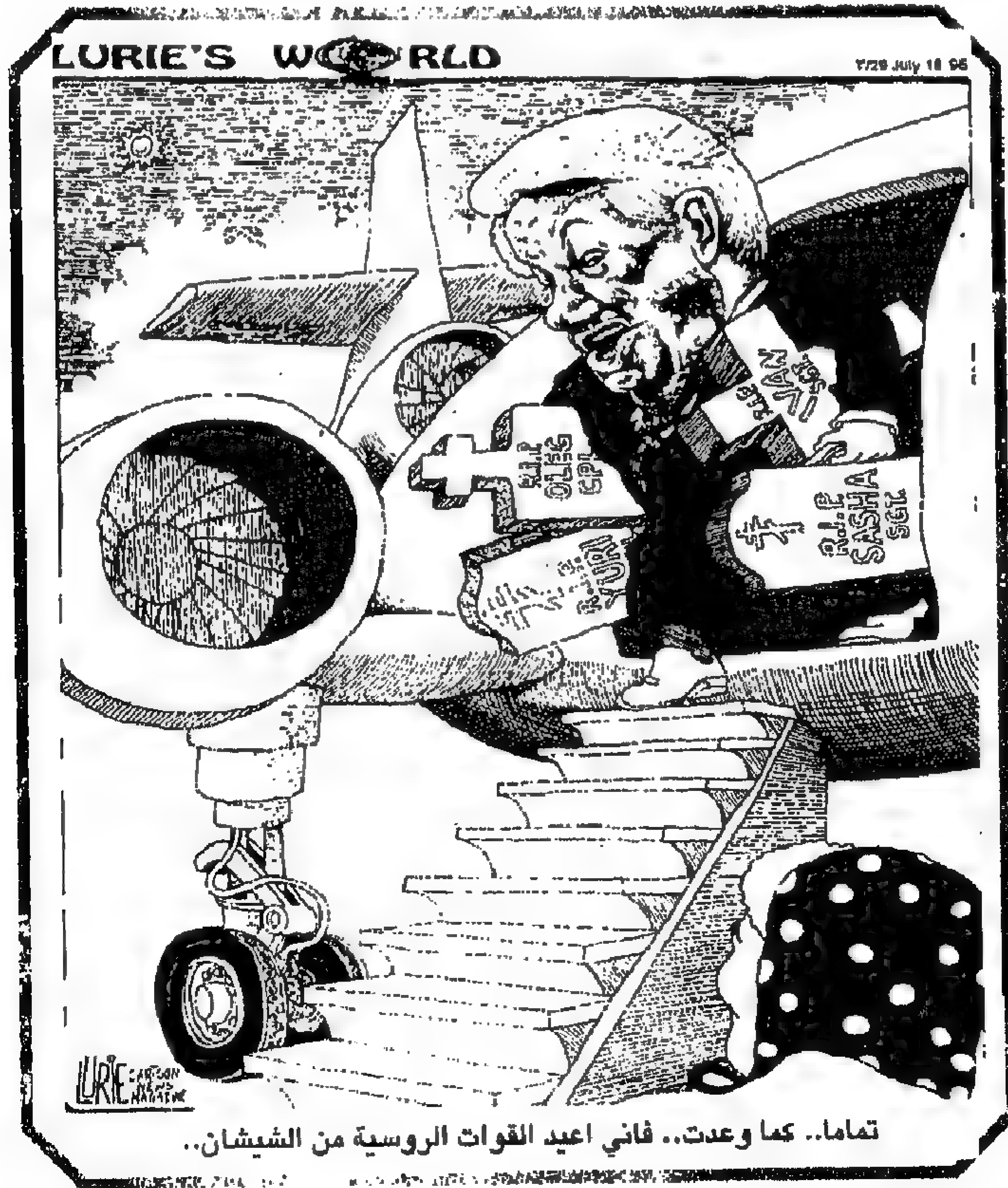
تمّ إرسال ثلاث شحنات من المعونات العينية الطبية غيرها، أرسلت الشحنة الأولى بواسطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر جواً، وأما الشحنتان الثانية والثالثة فقد أرسلتا براً عبر سوريا وتركيا الى جمهورية أذربيجان حيث تم تسليمها للجنة رسمية من جمهورية الشيشان كانت تقيم في باكو من أجل استلام مثل هذه المعونات الانسانية وايصالها الى شيشانيا. ومن الجدير بالذكر بأن لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية مكتب دائم في باكو كان قد افتتح من أجل تنظيم الإغاثة للمتضررين من العمليات الحربية في إقليم ناغورنو – كاراباخ، وعندما بدأت معركة شيشانيا تولى المكتب المذكور تأمين إيصال معونات الهيئة المذكورة للشيشان وقدم مساعدة مشكورة لمندوبي اللجنة الأردنية في هذا المجال. وتقدر قيمة الشحنات الثلاث من المعونات العينية حوالي مليون دولار.

وبالاضافة الى المعونات العينية سلّم الى ممثلي الجمهوريةفي أذربيجان وداغستان حوالي (٧٠٠٠٠) دولار أمريكي نقداً لصرفها على بعض المشردين المعوزين في تلك المناطق، ونقل الجرحى الذين عولجوا في الأردن من باكو الى عمان، كما دفعت مبالغ نقدية لبعض الطلبة والعائلات الشيشانية المشردين الذين انقطعت بهم السبل في الأردن وسوريا، ويجري تقديم معونات منتظمة لعدد من الطلاب الملتحقين في جامعات اردنية. كما استأجرت اللجنة شققاً لإيواء عدد آخر من

الطلبة الملتحقين في دورات لتعليم اللغة تمهيداً للالتحاق في الجامعات. واستضافت ايضاً عدداً من المسؤولين في الجمهورية قدموا للأردن في مهمات رسمية.

واستضاف الأردن ٦٩ من المصابين في العمليات الحربية مع أربع مرافقين لمصابين كانوا شبه مشلولين. وكانت إصابات معظمهم كبيرة، احتاجت الى سلسلة من عمليات جراحة رئيسية ومعالجة مكثفة. وقد تبرعت الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية والخدمات الطبية الملكية ووزارة الصحة والمستشفى الإسلامي ومستشفى البشير ومستشفى الجامعة الأردنية والمركز العربي لجراحة القلب ومستشفى عمان الجراحي والمستشفى التخصصي ومستشفى فلسطين ومستشفى عاقلة ومستشفى ابن الهيثم وبعض الأطباء في عياداتهم الخاصة بمعالجتهم داخل المستشفيات بدون مقابل، في حين أن اللجنة الأردنية تكفلت نفقات قدومهم من باكو الى الأردن وعودتهم الى مناطق مختلفة في الإتحاد السوفيتي السابق وإقامتهم وإعاشتهم وتنقلاتهم والرعاية بهم وبعض الفحوص والعلاجات خارج المستشفيات كما زودّتهم بكساء مناسب وأعطهم مبالغ مناسبة لنفقاتهم حتى وصولهم الى ديارهم. كما ساهمت اللجنة في نفقات نقل بعض المصابين من باكو الى كييف للمعالجة في اوكرانيا. وكذلك نقل خمسة من المشلولين الى كييف وإعطائهم مبالغ مناسبة لتغطية نفقات معالجة متخصصة لهم في اوكرانيا.

هذا ويجري إعداد ملف مفصل بالتبرعات والنفقات وستكون متيسرة للإطلاع عليها عندما ينتهي المحاسب القانوني من إعداد تقريره المالي.



تماما.. كما وعدت.. فاني اعيد القوات الروسية من الشيشان..

الفهرس

قائمة الجداول

قائمة الصور والمخططات الواردة في الكتاب

المـراجع الـواردة فـي الـكتـــاب

الرقم	عنوان المرجع	المؤلف او الباحث او الناشر	سنة النشر
١	The Russian Conquest of The Caucasus	John Baddely	١٩٠٨
٢	Causuals In The Caucasus	Anges Herbert	-
٣	The Caucasus, The End of The Earth	Fitzory Herbert	١٩٧٦
٤	Promethus and The Bolsheviks	John Lehmann	-
٥	Twelve Secrets of The Caucasus	Essad Bey	١٩٣١
٦	The Soviet Caucasus	David Tautaef	١٩٤٢
٧	Exploration of The Caucasus	Douglas Freshfield	١٨٩٦
٨	Caucasus Review, Vol. 1, 1955	ميونخ - المانيا	١٩٥٥
٩	جغرافية الاتحاد السوفيتي - ترجمة عربية.	الحكومة السوفيتية	١٩٨٤
١٠	Peoples and Languages of The Caucasus	جامعة كولومبيا- نيويورك	١٩٥٩
١١	Pioneers Over Jordan	رؤوف ابو جابر	١٩٨٨
١٢	ميادئ الدستور السوفيتي - ترجمة عربية	غريغوريان ورفاقه	١٩٨٠
١٣	The Communist Party Appartus	A. Avtorkhanov	١٩٥٦
١٤	The New Class	Milovon Djilas	١٩٥٧
١٥	Khrushchev Remembers	Brown & Company	١٩٧٠
١٦	The Nation Killers قتلة الأمم - ترجمة عربية، صادق عودة	Robert Conquest	١٩٨٨
١٧	The Soviet Caucasus	David Tautaef	١٩٤٢
١٨	روسيا خروشيف - ترجمة عربية	ادوارد كرانشكو	١٩٥٩
١٩	Conversation with Stalin	Milovan Djilas	١٩٦٢
٢٠	KGB, State Within A State	Yevgenia Albats	١٩٩٥
٢١	Stalin, Breaker of Nations	Robert Conquest	١٩٩١
٢٢	Studies on The Soviet Union, Vol. 2, No. 1	Symon Kabysh	١٩٦٢
٢٣	Studies on The Soviet Union, Vol. 2, No. 1	Andrel Lebed	١٩٦٢
٢٤	Studies on The Soviet Union, Vol. 2, No. 3	Taimurbik Davdetshin	١٩٦٣
٢٥	Studies on The Soviet Union, Vol. 7, No. 2	Albert Boiter	١٩٦٧
٢٦	Studies on The Soviet Union, Vol. 2, No. 3	Yuri Mironinko	١٩٦٣
٢٧	Studies on The Soviet Union,	Yuri Mironinko	١٩٦٧
٢٨	مجلة الشؤون السوفيتية - الطبعة العربية، العدد ١٣	عبد الرحمن افترخانوف	١٩٦٦
٢٩	حاضر العالم الاسلامي	الامير شكيب ارسلان	-
٣٠	مجلة الشؤون السوفيتية - الطبعة العربية ، العدد ١	عبد الرحمن افترخانوف	١٩٦٤
٣١	مجلة القوقاز الحرة - العدد ١	ميونخ - المانيا	١٩٥١
٣٢	المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي - ترجمة عربية	بينيغسن وكيليكجيان	١٩٧٠
٣٣	التقرير عن المؤتمر الجادي والعشرين للحزب الشيوعي		١٩٥٩
٣٤	Institute for The Study of The USSR, Vol. 15, No. 8	Konstantine Krylov	١٩٦٨
٣٥	KGB, State Within A state	Yevgenia Albats	١٩٩٥
٣٦	The Sabres of Paradise	Lesly Blanch	١٩٦٠
٣٧	England and Rusia in The East	Henry Rowlinson	١٨٧٥
٣٨	مجلة الشؤون السوفيتية - الطبعة العربية العدد ٢٧ / ٢٨	بارازابي بايتوعون	١٩٧٠
٣٩	مذكرات الجنرال موسى كندوخ - باللغة التركية	موسى كوندوخ	-

٤٠	Caucasian Review, Munich, No. 1	P. Kosok	١٩٥٥
٤١	دروب الجبال - ترجمة عربية - حميد يونس	ابو ذر ايزميروف	١٩٧٥
٤٢	المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ	محمد علي البار	١٩٨٣
٤٣	From Tsar to Cheka	M. Tuganoff	١٩٣٦
٤٤	The Savage Squadrons	Sergi Kournakoff	-
٤٥	تاريخ القوقاز - ترجمة عربية	يوسف عزت باشا	-
٤٦	القوقاز - باللغة التركية Tarihte Kafkasya	اسماعيل برقوق	-
٤٧	Mistics and Commissars, Sufism in The Soviet Union	Bennigsen & Wimbush	١٩٨٥
٤٨	Caucasus Review, Munich No. 10	A. Avtorkhanov	١٩٦٠
٤٩	The Punished People	Alexander Mekrich	١٩٧٨
٥٠	Central Asia Review, Vol. 10, No. 1 / 2	Michael Rywkis	١٩٩١
٥١	تاريخ الدستور السوفيتي وثائق ١٩١٧ - ١٩٥٦	موسكو	١٩٥٧
٥٢	The North Caucasus Barrier	Marie B. Broxup	١٩٩٢
٥٣	How To Live To Be 100	Sula Benet	١٩٧٦
٥٤	The Abkhasians	Sula Benet	١٩٧٣
٥٥	The Soviet Union and the Muslim World	Ivan Spector	١٩٥٨
٥٦	الشيشان - ترجمة عربية - احمد راتب زنداقي	Bruno Plaetschke	١٩٢٨
٥٧	رحلات الى الأقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية السوفيتية- ترجمة عربية . فهمي شما	ب. ب. بالاس	١٩٢٩
٥٨	The Rugged Flanks of The Caucasus	John Baddely	١٩٤٠
٥٩	الشعوب الاسلامية في الاتحاد السوفيتي سابقاً	فخر الدين الداغستاني	١٩٩٢
٦٠	Linguist List	Hohanna Nicholas	١٩٩٥
٦١	The Gulag Archipelago	Alexander Solzhenitsyn	

إشارة الى أخطاء واعتذار

وردت في هذه الطبعة بعض الأخطاء في النص، وأخطاء املائية واضحة للقارئ أهمها...

الرقم	الصفحة	السطر	الخطأ	الصح
١	١٠	١٩	المزعرمة	المزعومة
٢	٢٥	الأخير	خط الطول	خط العرض
٣	٤٥	الرقم ٤ من الجدول ٣-١	الباتين	الباتس
٤	٥٤	الأخير	عبدالمجيد اصحاب	شمس الدين اصحاب
٥	٧٨	الرقم ٥ من الجدول ٥-٤	العاصمة روزني	العاصمة غروزني
٦	١٠٠	الأخير	كنت	كانت
٧	١٦١	٧ و ١٠	السولخوز	السوفخوز
٨	١٨٢	٢٢	الاشترالكية	الاشتراكية
٩	١٩٢	٣	الكحاليات	الكماليات
١٠	٢١١	٢٤	الولد	الوالد
١١	٢٢٣	٢٢	السولخوز	السوفخوز
١٢	٢٢٧	١٠	وحادة	واحدة
١٣	٢٩٢	٢١	جرجيا	جورجيا
١٤	٢٩٩	٢	المدينتين	المدنيين
١٥	٣٠٥	٥	وتهييج	وتبجج
١٦	الفهرس	الفصل الثامن	الحكم العنصري	الحكم القيصري

هذا الكتاب

كان التساؤل عن دوافع المغامرة التي أقدم عليها الشيشان بقرارهم مقاومة الغزو العسكري الروسي لجمهوريتهم المستقلّة الذي بدأ بتاريخ ١٩٩٤/١٢/١١.

التحليلات المنطقية كانت تشير الى انها مخاطرة لا جدوى منها، فانتصار القوة العسكرية العظمى على شعب صغير أعزل أمر حتمي. وألمح بعض المعلّقين في الإعلام العالمي الى ان هذه المغامرة تعود الى "نوع من هواية حب الانتحار عند الشعب الشيشاني" يمارسونها بين فترة واخرى.

واما الحقيقة فهي ان المعاناة القاسية التي عاشها الشيشان (والشعوب الأخرى المحتلة) من الاستعمار والاستبداد الروسي، بالاضافة الى تطلع الشعوب للحرية والاستقلال وحق تقرير المصير، دفعت غالبية الشعب الشيشاني الى تأييد قرار مقاومة العدوان وأقبلت الجموع: شيبة وشباباً وصبيانا، رجالاً ونساء، الى الالتحاق بكتائب المجاهدين في سبيل الله والوطن.

ويهدف هذا الكتاب شرح [illegible] الحكم الروسي الاستبدادي الا[illegible] التي عانى منها الشيشان [illegible] الاحتلال الروسي لبلادهم من[illegible] ولغاية عام ١٩٩١



المؤلف

المؤلف من الجيل الأول من الأردنيين الشيشان، ولد في قرية صويلح التي أسستها عام ١٩٠٤ عشيرته من المهاجرين الشيشان.

كمهندس مدني خرّيج جامعات العراق واميركا وبريطانيا، وخلال عمله مهندساً ووكيلاً وزارة ووزيراً للأشغال العامة ومدير عام مؤسسة مياه الشرب، كانت نشاطاته بشكلٍ رئيسي في مجالات الهندسة والإنشاءات، إلا انه منذ نشأته كان مهتماً بالمطالعة ومتابعة أحداث شيشانيا التي هاجر منها والداه. وهو عضو مؤسس ورئيس جمعية أصدقاء جمهورية الشيشان - أنجوش التي تأسست عام ١٩٨٩، ورئيس اللجنة الاردنية لنصرة شعب جمهورية الشيشان القوقازية المستقلّة التي تأسست عام ١٩٩٤. وقد بذلت هاتان المؤسستان جهداً نافعاً في إبراز عدالة قضية الشعب الشيشاني وتقديم المعونات الانسانية له في الأحداث الجارية في شيشانيا.